مستقبل وطن

المشاكل والحلول كما يراها النخبة

نشأت الديهى



دار الطلائع
للنشر والتوزيع والتصدير

مستقبل وطن

المشاكل والحلول كما يراها النخبة

نشأت الديهي



الديهي ، نشأت
مستقبل وطن: المشاكل والحلول كما يراها النخبة/ نشأت الديهي.
ط١ - القاهرة : دار الطلائع للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩ .
٤١٦ ص : ٢٤ سم .
تدمك ١ ٥٧٩ ٢٧٧ ٩٧٧ ٩٧٨
١-مصر - الأحوال السياسية.
أ- العنوان.

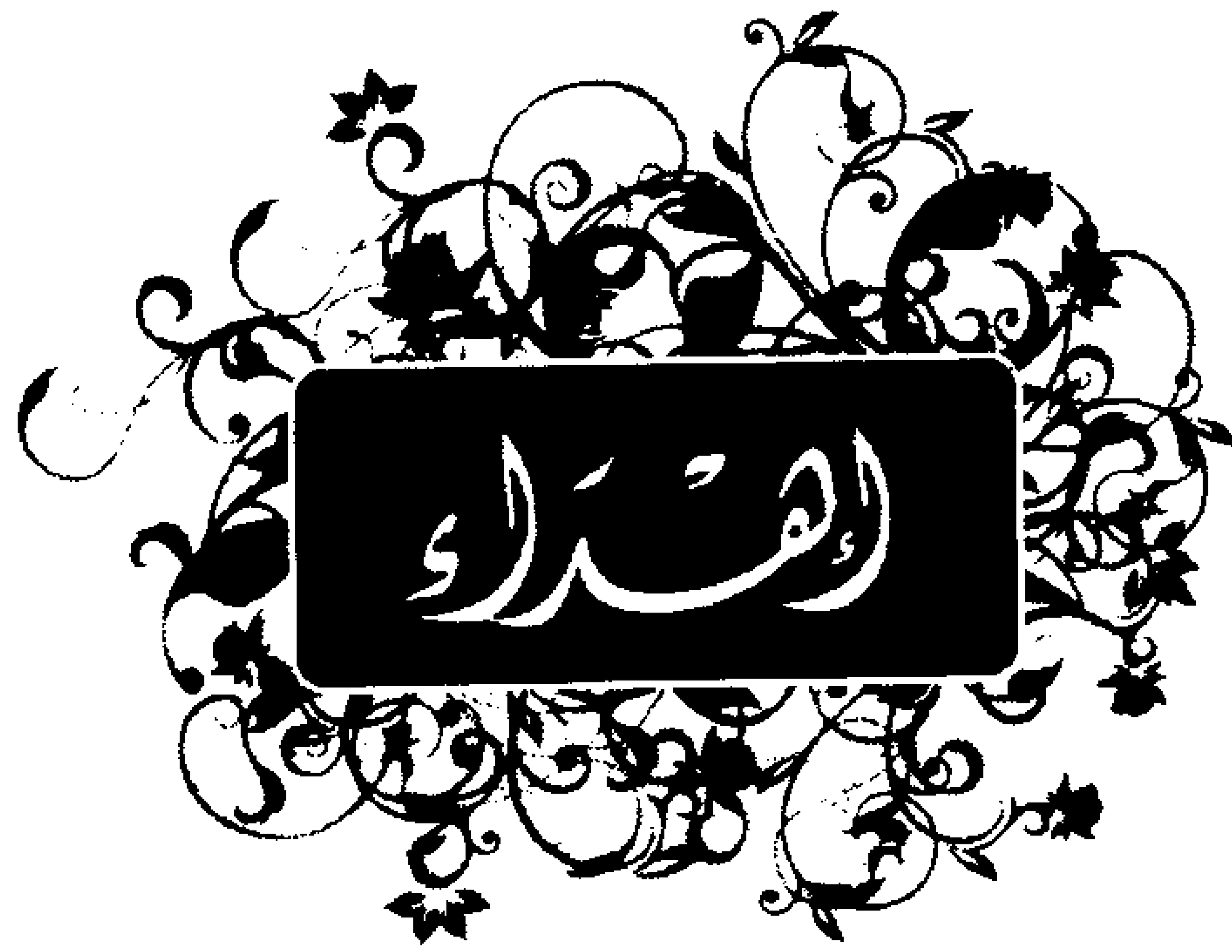
رقم الإيداع : ١٤٢٣٥ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولي : 978-977-277-579-1



للنشر والتوزيع والتصدير
٤٢ شارع على أمين امتداد مصطفى النحاس - مدينة نصر - القاهرة
تليفون: ٢٤٠١٥٢٧٨ - ٢٤٠١٥٢٧٩(٢٠٢) فاكس : ٢٤٠٤٣٨٠٣(٢٠٢)
E-mail : info@altalae.com Web site : www.altalae.com

تصميم الغلاف : عبد الشافي سيد

طبع بمطابع ابن سينا بالقاهرة ت : ٢٣٢٠٩٧٢٨ فاكس : ٢٦٣٨٠٤٨٣



إلى الذين يعيشون في الظلام
ويرددون ذلك الشعار الأسود ..
«مافيش فايدة»
أهدي إليهم هذا العمل



قبل أن تقرأ

عندما اختفت الابتسامة المصرية الشهيرة على أنغام قسوة الواقع ومرارته أصبح التشاؤم شعورا رسميا فى هذا الوطن ، و تحول الوطن إلى ما يشبه الرجل القعيد الذى يجلس على كرسى متحرك توارت الأفكار الشابة وانزوت أمام سطوة تلك الأفكار المحنطة التى عفا عليها الزمن ، و أصبح التفاؤل سلعة نادرة يصعب تداولها داخل المجتمع و تضافرت حزم الأزمات لتصنع واقعا مريرا يتجرعه المصريون. لم يعد المرء قادرًا على استيعاب كل التفاصيل وصار إعمال العقل شيئًا من الجنون ! اختلطت جميع الأوراق وتلاشت الخطوط الفاصلة بين الثوابت والمتغيرات ، و صار كل شيء مستباحًا . انشغل الجميع بأحداث (قاتمة) ومظالم (قائمة) واتسعت دائرة الخلاف حول مشروعات هلامية وغابت الحوارات الجادة وتعددت الرؤى والآراء .

و سيق المثقفون إلى (السلطة) زمرا ! حيث تم استيعابهم فى حزب (النخب المنسحبة) ، بينما رفعت الأغلبية الصامتة شعارها الكاريكاتيرى (مفيش فايدة) !!

لكن المحزن حقا أن أحدا لم يفكر فى وطن يسير بلا جدول أعمال .. بلا أجندة .. بلا أولويات .. ولم تعد كلمة وطن تعنى الكثير،فهناك من يتساءل متهكما (متر الوطن بكام ؟ !) و (يعنى إيه كلمة وطن !) ، لقد انصرف الجميع إلى مصالحهم الشخصية وانفضوا من حول الوطن !

إننا نعيش مأزقا تاريخيا ..

لكن لا يمكن أن نستمرعند هذا الحد من التراجع .. إن خطوة واحدة الى الخلف ستدفع بنا جميعا إلى الهاوية التى نقف عند حافتها . إن بقاءنا فى نفس "المكان" وبنفس " المكانة " يمثل وضعا كارثيا لم تشهده البلاد منذ أمد بعيد ، وبمرور الوقت يتبدد الأمل وتتفلت من بين أيدينا كل فرص النجاة ، ولم يبق أمامنا من نور

الدنيا سوى ضوء خافت يمكن أن نهتدى به للخروج من النفق المظلم كـى نـشارك فى معركة البقاء ثم الانطلاق إلى آفاق المستقبل المأمول.. إذن من أين نبدأ المعركة ؟

معركة المستقبل من أجل الاستمرار فى مربع البقاء .. فكل خطوة نخطوهـا نحـو المستقبل هى خطوة نحو الحياة ذاتها ، ولكن لا وقت للبكاء عـلى اللـبن المـسكوب أو المسلوب ، ما عاد هناك وقت على الإطلاق . إذن لابد أن تكـون البدايـة فوريـة وقويـة وجماعية .. ولكن كيف السبيل ونحن هكذا فرقـاء ؟ اختلفنـا حـول أحـداث المـاضى وانغمسنا فى تفاصيل اللحظة الراهنة لكننا اتفقنا جميعـا عـلى الانـسحاب مـن معركـة المستقبل ، فبعيدا عن قسوة الواقع ومرارة تفاصيله فهناك من يصف هذه المرحلة بأنهـا الأفضل على مر التاريخ حيـث الاسـتقرار والهـدوء نتيجـة عـدم التـورط فى حـروب جديدة تحت أى ظرف كخيار إستراتيجى للنظام الحاكم ، بينما يقف الفريق الثانى عـلى الطرف الآخر من النهر واصفا نفس المرحلة بأنها الأسوأ على مر التاريخ؛ حيـث تآكـل الدور المصرى إقليميا ودوليا، واختفى الموروث الحضارى، و ضربت معـانى الانـتماء فى الصميم. وفى مشهد جنائزى حزين انتقلت الطبقة الوسطى إلى مثواها الأخـير عـلى أنغام الرأسمالية المتوحشة .. حيث تآكلت و تناثرت بقاياها فالأغلبية استقرت فى قـاع المجتمع حيث اصطدمت بالقاع الصخرى و تحللت بينما الأقلية تسلقت حتى تعملقت داخل قلاع الفساد المنتشرة بطول البلاد و عرضها و منهـا إلى المواقـع الأماميـة فى دنيـا السياسة و السلطة، حيث تم عقد القران الجماعى الأول مـن نوعـه و حجمـه عـلى مـر التاريخ بين السلطة والثروة، رغم كونه محرما تحريما أبـديا، حيـث أنـه (زواج محـارم) تمقته جميع القيم و الأعراف و الأصول .. لقد بات الشرفاء يشعرون أن عربة الوطن ما عادت قادرة على حملهم لأنها ببساطة ما عادت قادرة على الحركة!! وبين كلا الفـريقين ضاع الحق و احتجبت الحقيقة . و مصر كانت و لـن نتغنـى عـلى مـا كانـت، و مـصر أصبحت و لن نبكى على مـا أصـبحت.. لكننـا نحـاول أن نـتلمس الطريـق.. طريـق المستقبل.. طريق العمل و البناء و الإصلاح .

ومن خلال استعراض آراء بعض النخب الوطنية التـى تمثـل الـضمير الحـى لهـذا الوطن يمكننا أن نبدأ .. كل ما يهمنا هو أن نبـدأ البدايـة الـصحيحة والقويـة.. هـذه البداية لا يمكن أن نصل إليها دون وجود رؤية شاملة يتوافـق عليهـا وحولهـا ومعهـا الجميع وبحثا عن هذه الرؤية كان هذا الكتاب ..

إن فكـرة هـذا الكتـاب تقـوم عـلى أسـاس البنيـان المتكامـل للـرؤى والأفكـار والأطروحات الإصلاحية بعيدا عن التحزب والتشدد . إننـا نحـاول مـن خـلال هـذا الكتاب أن نطرق كل الأبواب من أجل الوصول إلى الصورة المثالية لوطننـا الحبيـب . لقد كنت أبحث عن رؤية غائبة وخريطة مفقودة للإصلاح الشامل . فى البدايـة كنـت كمن أراد أن يحتفظ بالمياه بين أصابعه . وبمرور الوقـت أيقنـت أن الخريطـة المفقـودة موجودة هنا داخل هذا الوطن ، لكنها ممزقـة ومتنـاثرة الأجـزاء ، ويمكـن بقـدر مـن الإخلاص والعمل الجاد أن نصل إليها من خـلال الغـوص فى عقـول وقلـوب بعـض النخب الذين يمثلون الضمير الحى لهـذا الـوطن . وحتـى تكتمـل الـصورة وتتبـدى روشتة الإصلاح كى نستطيع أن نعد جدول أعمال واضحًا ومتكاملًا بهدوء وصراحـة وموضوعية وبدون أحكام مسبقة .. إننا فى أمسّ الحاجة إلى لحظة صدق وقولـة حـق . لذلك كان لزاما علىّ أن أبدأ رحلة البحث عـن تلـك الأجـزاء الممزقـة ؛ فمـن رجـال الـسياسة والاقتـصاد، إلى القـادة العـسكريين والأمنيـين إلى حملـة الفكـر والثقافـة إلى المبدعين من رجال الفن والتنوير إلى أساتذة الجامعات، إلى وزراء ورؤساء حكومـات، إلى إعلاميين وصحفيين وكتاب وشعراء .. لقد حاولت - عن قصد - أن تكون تلـك الشخصيات ممثلة لكافة الاتجاهات والأجيال ، فالحـديث عـن المـستقبل لـيس حكـرا لفصيل دون آخر . كانت خطوط المستقبل هى الحدود الفاصلة بـين الحـوارات الجـادة والثرثرة البغيضة . لقد بدأت الرحلة بألم فى الصدر وقلم فى اليد .. كانت الرحلة شـاقة مهلكة لكنها كانت ممتعة حيث كنت شـاهدا عـلى مـيلاد الأمـل مـن بـين ثنايـا الألم . استغرقت حوارات هذا الكتاب أكثر من مائة ساعة تمت على مدار خمسة عشر شـهرا . كان كل حوار يسبقه اتصالات عديدة لتحديد موعد ومكـان اللقـاء ، ثـم يـتم اللقـاء الأول وهو لقاء التعارف و طرح فكرة الكتاب من خلال مناقشة مفتوحة ، وبعدها يتم اللقاء الثانى، حيث الحوار والنقاش الموجود داخل هذا الكتاب، ثم أقوم بتجهيز المواد المسجلة وصياغتها لتكون فى الشكل الذى بين يديك الآن . كانـت المحـاور الأساسـية للحوار شبه ثابتة لكل الشخصيات ، حيث كان المحور الأول يدور حول المـستقبل .. كيف نراه وماذا يجب أن نصنع من أجله ، كنت أطلب من كل ضيف أن يضع جـدول أعمال ويوضح أولويات الإصلاح من وجهة نظره ، و كان المحور الثـانى يـدور حـول رصد التغيرات المجتمعية التى أثرت فى الشخصية المـصرية بيـنما كـان المحـور الثالـث

يبحث عن إجابة للسؤال المحير (من يكتب تاريخ هذا الوطن ؟) وكان آخر المحاور يبحث عن إجابة لسؤال بسيط وهو كيف نعيد الأمل والتفاؤل، ومتى نرى الابتسامة المصرية الشهيرة تعود من جديد على شفاه المصريين ؟ كنت أوجه سفينة الحوار صوب (مرافئ الحلول)، مبتعدا - عن قصد - عن (مرافئ الأزمات) لقد كنت على يقين أننا جميعا نعرف (مواضع الداء) ليس ذلك فحسب بل إن جميعنا يستطيع أن يصف (جرعات الدواء) ولكن أحدا لا يعرف من أين نبدأ ؟ وأحدا لا يعرف لماذا لا نبدأ ؟ وأحدا لا يعرف لمن تكون البداية ؟ لقد برعنا جميعا فى تشريح المجتمع والغوص فى أعماقه والتقاط كل السوءات من القاع والصعود بها إلى منصات التتويج فى دنيا الفضائح والشتائم ، لكننا لم نجد من يدلنا على خارطة الطريق إلى المستقبل ، فغابت الرؤية وازداد الضباب كثافة، والغمام قتامة . لقد اتفق الجميع على خطورة الوضع الراهن واتفق الجميع كذلك على حتمية التحرك الفورى نحو طريق الإصلاح ، بيد أن طريق الإصلاح لم يكن واحدا بل كانت هناك طرق عديدة حسب الرؤية والمرجعية الحاكمة لكل شخصية ، وهنا أريد أن أوضح أن هذه الحوارات أبدا لم تكن حوارات صحفية، ولم أكن أقصد أن تكون كذلك، لكنها كانت شيئا مغايرا تماما يستطيع القارئ أن يلاحظه بنفسه من خلال فصول هذا الكتاب .

ولم يبق إلا أن أشكر المولى سبحانه وتعالى وأدعوه مخلصا أن يوفقنا جميعا لخدمة وطننا الحبيب كما أدعوه جل شأنه أن يجعل هذا العمل فى ميزان حسناتى والله من وراء القصد.

همة عالية مع تمنياتى بالتوفيق

نشأت الديهى



منصور حسن

وزير شئون رئاسة الجمهورية

والثقافة والإعلام الأسبق

فى فترة دقيقة من تاريخ مصر كان هذا الرجل داخل دائرة صنع القرار بجوار الرئيس الراحل أنور السادات . كانت تلك الدائرة ضيقة ومحدودة لكن (منصور حسن) استطاع بمهارة فائقة أن يمد جسور التواصل بين مؤسسة الحكم ورأس النظام من ناحية، وبين باقى القوى السياسية من ناحية أخرى . كان يتسم بالصدق والصراحة والموضوعية ويؤمن بالحرية والديمقراطية والتعددية ؛ صراحته كانت مصدرا أساسيا لمتاعبه ، لكنها أكسبته احترام الجميع . عندما أجبرته الظروف فى الاختيار بين مبادئه ومناصبه كان انحيازه للمبادئ التى تربى عليها . كان دخوله عالم السياسة والسلطة فى سن مبكرة مثار دهشة الكثيرين ، بينما جاء خروجه من السلطة مثار صدمة قاسية للمراقبين الذين كانوا يرشحون هذا النجم السياسى الشاب لتولى منصب رئيس الحكومة أو نائبا لرئيس الجمهورية .

لكن الأحداث كانت متسارعة ومتداخلة إلى حد بعيد ، فرأس الدولة كان قد وصل إلى سقف التوتر والضيق والغضب فكانت اعتقالات سبتمبر ومن ثم أحداث المنصة ، ذهب الرئيس السادات، وذهبت سنوات العمر، وبقى منصور حسن على مبادئه وأخلاقياته . كنت على يقين بأن الرجل لديه ما يقوله ونحن نستشرف آفاق المستقبل من أجل رسم صورة جديدة لهذا الوطن . اتصلت بالرجل وحدد لى موعدا وفى الموعد المحدد استقبلنى بحفاوة شديدة وحدثنى بصراحة أشد .. أدعوك عزيزى القارئ لمشاركتنا فى هذا الحوار...

***

• يبدو لنا أن الوطن يسير بلا جدول أعمال .. بلا أجندة .. بلا أولويات.. فإذا كانت تحديات المستقبل تحتم علينا أن نتحرك وفق مخطط عام وجدول واضح وأجندة يتوافق معها الجميع، كيف يرى الوزير منصور حسن شكل ومضمون ذلك الجدول الذى نستطيع من خلاله العبور إلى المستقبل ؟

•• ونحن نحاول رسم خريطة المستقبل لابد أن نعود قليلا إلى الوراء إلى مرحلة ماقبل الثورة .. تلك المرحلة التى شهدت البدايات الحقيقيةللمؤسسات الديمقراطية فى مصر ، بيد أن استدعاء تلك الحقبه التاريخية وإعادة قراءة أحداثها بفكر مقارن قد يصل بنا إلى رؤى وقناعات محددة قد تساعدنا فى رسم ملامح خريطة المستقبل . فمرحلة ماقبل الثورة كانت تتميز بوجود مؤسسات حقيقية تحكم البلاد حيث كان هناك برلمان فعال وأحزاب قوية وصحافة حرة إلى حد كبير. هذا المناخ المؤسسى الحقيقى ساعد على خلق نهضة اقتصادية وثقافية فى مجالات العلوم والآداب والثقافة والفكر. ونتيجة هذا المناخ العام كان الشعب المصرى يتميز بأنه يقف على قدميه ويشعر بأنه سيد فى وطنه وقادر على التأثير فى مجرى الأحداث، وقادر على أن يخرج إلى الشارع ويسقط حكومات لاتنفذ السياسات التى يراها الشعب، ومع ذلك والاهم منه أن هذا الشعب كان قادرا على مقاومة الاستعمارالبريطانى الذى كان فى ذلك الوقت هو القوة العظمى الأولى فى العالم . كان الشعب المصرى حيويا من الناحية السياسية . وخير مثال على ذلك تلك المظاهرات العارمة التى امتدت إلى جميع أنحاء القطر المصرى سنه ١٩٣٥ مطالبة بعودة دستور ١٩٢٣ . فالشعب الذى يثور بجميع فئاته وتياراته وانتماءاته رجالا ونساءً ويقدم شهداء مطالبا بعودة الدستور وذلك منذ حوالى ثلاثة وسبعين عاما مضت، هذا دليل على أن هذا الشعب كان واعيا من الناحية السياسية .

هذه إطلالة هامة على مرحلة تاريخية مزدحمة بالأحداث، ورغم ذلك كانت الثورة ضرورة حتمية لأنه ورغم الإيجابيات التى شهدتها مصر خلال تلك الفترة ، إلا أن المظاهر السلبية الأخرى كانت مؤثرة وسببا مباشرا للثورة حيث كان هناك نظام ملكى فاسد. بالإضافة إلى أن النظام الاجتماعى ذاته كان يتسم بالطبقية الشديدة وكان هناك جهل ومرض وفقر لدى شريحة كبيرة من المجتمع . هذا كله بالإضافة إلى الاستعمار

الذى عمق جميع العناصر السلبية السابقة. لذلك كانت الثورة ضرورية، على الرغم من كل المزايا والإيجابيات التى ذكرناها . فالشعب المصرى كان يبحث عن الأفضل بطريق مختصر وهو طريق الثورة. والحقيقة أن الثورة كانت مثار إعجاب وتأييد غالبية المصريين حتى من أبناء الطبقات الإقطاعية والعليا . فنسبة التأييد الشهيرة ٩٩.٩٪ كانت حقيقية وصحيحة فى بدايات الثورة إلى حد كبير وكان الدافع الوطنى وراء هذا التأييد الكاسح . وأعتقد أن الثورة قد أنجزت بالفعل إنجازات حقيقية ويمكن الإشارة إلى إنجازات عديدة على جميع المستويات لكنى أرى أن أهم تلك الإنجازات كان تأكيد استقلال القرار الوطنى واعتبار تلك القضية فوق كل القضايا ، فلا قبول لتبعية أو تأثير على المصلحة العامة من جهات أجنبية مهما كانت التحديات. وانتقلت هذه المبادئ إلى جميع البلدان التى بها حركات تحررية فى العالمين العربى والإفريقى . أما ثانى أهم إنجازات الثورة فهو سيادة مفهوم العدالة الاجتماعية بمسمياتها المختلفة كجزء أساسى من القاموس السياسى المصرى ، بحيث لايستطيع أى سياسى منذ ذلك الوقت وإلى الآن وحتى فى المستقبل أن يتنكر لهذا المفهوم ، ولكن أحيانا وكما يحدث الآن وممالأة لبعض القوى الأجنبية كالولايات المتحدة وأوروبا وبعض رجال الأعمال يمكن أن يكون التعامل مع هذا المفهوم بطريقة مستترة، سواء من جانب النظام أو حتى من جانب الأحزاب. وهذا يأتى نتيجة حالة الاستكانة الشديدة التى نعيشها الآن ، أو نتيجة غياب الشجاعة لدى القوى السياسية فى أن تعلن موقفها بصراحة، فالقوى السياسية على اختلاف توجهاتها تعلم تمام العلم بأنها لن تحصل على تأييد شعبى إلا بوجود مفهوم العدالة الاجتماعية كجزء من برنامجها السياسى. نخلص من ذلك إلى أن تأكيد استقلال القرار الوطنى من ناحية وسيادة مفهوم العدالة الاجتماعية من ناحية أخرى هما الأبرز والأخطر فى حصيلة الإنجازات التى حققتها ثورة يوليو . فى المقابل وللأسف الشديد كان إقامة حياة ديمقراطية سليمة واحدًامن أهم الأهداف المعلنة للثورة .. إلا أن الواقع كان يعكس صورة مغايرة لهذا الهدف المعلن. لقد حدث تراجع شديد على المسار الديمقراطى ولم تنجح الثورة حتى فى الحفاظ على المساحة الديمقراطية التى كانت موجودة قبل الثورة. وكذلك تم حل وإلغاء المؤسسات التى كانت تعمل بفاعلية قبل الثورة وتم إهالة

التراب عليها على وعد بإقامة مؤسسات أفضل منها بكثير، لكن لم يتحقق هذا الوعد حتى هذه اللحظة التى نبحث فيها عن خريطة المستقبل وبالتالى ومنذ ذلك الوقت فإن مسيرة العمل الوطنى كانت تبحث عن " توجه " يحقق الأهداف الوطنية . ففى الفترة الأولى من الثورة تم الحديث عن مفهوم " الرأسمالية الوطنية " ومفاهيم (الإتحاد والنظام والعمل)، ثم بدأنا الدخول إلى بوابة مفاهيم " القومية العربية" ولم يكن مفهوم القومية العربيه بمثابة توجه فكري أيدولوجي، ولكنه كان توجها ناتجا عن ظروف تقتضي ذلك . فبعد أن وقعنا اتفاقية الجلاء بمساعدة الولايات المتحدة سواء بصورة ضمنية أومستترة، جاءت أمريكا كى " تقبض الثمن " ، وطلبت من مصر أن تدخل فى أحلاف سياسية، لكن الرئيس عبدالناصر وتأكيدا لإستقلال القرار الوطنى رفض الدخول فى أحلاف من أى نوع ، فكيف أتخلص من الاستعمار وأدخل فى أحلاف استعمارية جديدة ؟ فقامت الولايات المتحدة بتشكيل حلف بديل وهو (حلف بغداد) وكان الهدف هو تطويق الاتحاد السوفيتى. وكان من المخطط أن يقوم حلف بغداد باستقطاب باقى الدول العربية ويتم عزل مصر وتحييد دورها فى المنطقة. ولذلك فإن عبدالناصر كان فى حاجة إلى مخاطبة الشعوب وكان لا يمكن أن يخاطبهم إلا عن طريق مفهوم القومية العربية، ولحسن الحظ فى ذلك الوقت كان العرب فى حاجة إلى زعامة مصر وزعامة عبدالناصر. ومن هنا ساد وانتشر مفهوم القومية العربية كحركة سياسية مع دعوة عبدالناصر ، أما قبل ذلك فكان كل مايربط الدول العربية بعضها البعض هو الارتباط الثقافى والجغرافى لكنه لم يصل إلى درجة المفهوم القومى أوالتوجه السياسى وهذا يعود أساسا إلى فترة الاستعمار التى كانت تختلف بين مصر ودول المشرق العربى . فبينما كانت مصر تعانى من الاحتلال الإنجليزى، كانت دول المشرق العربى تعانى من الحكم العثمانى ذي القومية التركية. وهذا يفسر لنا لماذا برزت فكرة القومية العربية؛ فالقومية التركية التى كانت تسود هى السبب الرئيسى فى بعث فكرة القومية العربية. وكانت المنطقة العربية الشرقية محاطة بقوميات عديدة (الفارسية والتركية والكردية) وغيرها من القوميات ساعدت بشكل مباشر أو غير مباشر فى بعث فكرة القومية العربية ، أما فى مصر فكان الاحتلال الإنجليزى غير مرتبط بالمسألة القومية ، لذلك فلم يكن هناك ما يدعو إلى

استدعاء فكرة القومية العربيـــة بل على العكس كان مصطفى كامل يستعين بالسلطان العثمانى (التركى) على الإنجليز، عكس ماكان يدور فى المشرق العربى حيث العداء الشديد مع الدول العثمانية والسلطان العثمانى. نخلص من ذلك أننا دخلنا فى مرحلة القومية العربية ثم الوحدة العربية ثم الاشتراكية ثم انتهت فترة الرئيس جمال عبدالناصر، وجاء الرئيس أنور السادات الذى شعر بمشاكل الحقبة الناصرية رغم أنه كان مشتركا فيها ، لكن فيما يبدو أنه تعلم الدرس جيدا حيث وجد أن النظام الاقتصادى الاشتراكى أدى إلى نوع من جمود فى النظام الاقتصادى فلا مرونة ولاحركة ولاستثمار فردى، ولاتوجد معلومات أو بيانات أو خرائط استثمارية ، لكن يوجد قطاع عام، يوجد فساد قد استشرى بطول البلاد وعرضها . ومن الناحية السياسية كان هناك نظام الحزب الواحد وهو الاتحاد الاشتراكى وليس هناك تعددية حزبية، وبالتالى هناك فكر واحد والمجتمع مطيع ولا يوجه أو يشارك أو ينتقد ، وهذا من أهم أسباب هزيمة ٦٧ . وأعتقد أن الرئيس عبدالناصر نفسه كان قد استوعب الدرس وأقر بضرورة عمل إصلاحات سياسية، وكانت ورقة مارس دليلًا على هذه التوجهات الإصلاحية فى عهد عبدالناصر. لذلك كان الرئيس السادات يعى جيدا أن الأمور لابد وأن تتغير على المستويات الإقتصادية والسياسية. فالانفتاح والتحول إلى الفكر الرأسمالى والتعددية السياسية كان هو الخيار الاستراتيجى للرئيس السادات.
نخلص من كل ماسبق إلى أن البحث عن (توجه) أو (رؤية) جعلنا فى البداية نؤمن بأن روشتة الكتلة الشرقية هى الحل المناسب لأنها بعيدة عن المعسكر الاستعمارى، لكن النتائج كانت سيئة كما أوضحنا ؛ فكان علينا أن نبحث عن (توجه) جديد ورؤية جديدة فلم يكن أمامنا سوى المعسكر المقابل وهو المعسكر الغربى بالأجندة الرأسمالية. وبدأ التطبيق ومازالت المشاكل تزداد وتتعمق. وعلى مدى عقود طويلة فالسلبيات العديدة بدأت تظهر بقوة وتؤثر على المجتمع بأسره فالفوارق الطبقية وصلت إلى مداها وبدأ المجتمع ينقسم إلى طبقتين .. طبقة المطحونين، وطبقة أصحاب الملايين، أما الطبقة الوسطى فتآكلت وبدأت فى الذوبان والاختفاء وإدارة المجتمع أصبحت فى أيدى فئة محدودة هى التى تمتلك الثروة مرة أخرى . ولانستطيع أن نجزم أن ٩٩٪ من الشعب ممثلين سياسيا بشكل حقيقى وفعال ، بصرف النظر عن

التمثيل العددى . لكن كل مايهم هو النفوذ فنفوذ عدد قليل من رجال الأعمال يفوق نفوذ الغالبية العظمى من جموع الشعب.

نخلص من ذلك أننا نعيش ظروفا استثنائية دقيقة، حيث أصبح الوطن مثل السفينة التى تتلاطمها الأمواج من كل مكان، والوضع العام داخل السفينة غير مطمئن، بينما طاقم السفينة لا يملك بوصلة وليس معه خريطة، وبالتالى لا يعرف على وجه التحديد إلى أين تتجه السفينة . ويبدو أن ما يدور خارج السفينة من عواصف وأنواء وما يحدث بداخلها من مشاكل وأزمات أكبر كثيرا من قدرات وإمكانات طاقم وقيادة السفينة

• هذا هوالتشبيه المجرد للظرف التاريخى الذى نعيشه الآن.. فنحن فى موقف صعب و فى منتهى الخطورة و من هنا تأتى فكرة (خريطة المستقبل) والسؤال الأهم لماذا حدث كل هذا ؟

•• فى رأيى أنه لايمكن لأى مجتمع بشرى أن يتقدم إلى الأمام سياسيا واقتصاديا واجتماعيا إلا إذا اجتهد أبناؤه فى تحديد الرؤية الإستراتيجية والمفاهيم المجتمعية لقضايا التنمية الشاملة ومن كافة الزوايا وفق الظروف الخاصة لكل مجتمع ثقافيا واجتماعيا وتاريخيا وسياسيا . فلا يمكن استيراد روشتة من الخارج فظروف كل مجتمع تختلف بالتأكيد عن غيرها من المجتمعات؛ ظروفه التاريخية تختلف ، حاضره يختلف ، درجة النمو الحالية تختلف، العادات والتقاليد تختلف ، الثقافة تختلف . إذن لابد أن تكون فلسفة التنمية فى كل مجتمع (تفصيلًا) وليست (جاهزة). والمفروض أن من يقوم بعملية (التفصيل) هم رجال الفكر والثقافة داخل المجتمع. وأزعم أن هذا الوضع كان قائما قبل الثورة إلى حد كبير ، فالمثقفون والأدباء وأبناء الطبقة المتوسطة تعلموا فى مدارس حكومية.. حيث كان التعليم الحكومى على درجة ومستوى من الرقى والجدية جعلته ينتج هؤلاء العظماء والنوابغ. والنظام الديمقراطى المؤسسى لم يشجع هؤلاء العظماء فقط بل كان هناك طلب على فكرهم وعلى إنتاجهم . وحتى تستطيع أن تستقطب العناصر الفعالة والإيجابية فى المجتمع لابد أن تكون هناك

تجمعات تستطيع أن تقوم بعملية الاستقطاب . وهناك من يسأل ويقول أين الكفاءات فى مصر ؟ وأقول بل أين أدوات ووسائل جذب تلك الكفاءات أولا ؟ والحقيقة أنه ليس لدينا إلا أداة واحدة وهى حزب السلطة . وحزب السلطة بحكم تكوينه من موقع السلطة منذ هيئة التحرير أصبح تقريبا (عيب) للعناصر الجيدة والطيبة أن تنضم إليه. لكن لوكان لدينا أحزاب سياسية حقيقية فبالتأكيد سيحاول كل حزب استقطاب أكبر عدد ممكن من العناصر المميزة فى كافة المجالات ليقوم هؤلاء بعرض برامجهم فى جو تنافسى صحى ويحدث حوار مجتمعى. ومن هذا الفكر العام يمكن أن نصل إلى الرؤية المفقودة أوالتوجه الذى يمكن السفينة من الصمود فى مواجهة العواصف والأنواء العاتية ، ويمكن طاقمها من تحديد الوجهة والميناء الذى يجب أن تتجه إليه. فمن خلال المشاركة المجتمعية يتم الوصول إلى الرؤى و التوجهات العامة للمجتمع، فالتوجه الناتج عن فكر جموع الشعب لاشك سيكون أفضل كثيرا من فكر شخص واحد فقط مهما كانت إمكانيات هذا الشخص و درجة الثقة فى أفكاره . إذن لابد لكى نعدل المسيرة ويكون لنا مسار حقيقى ونخرج من هذه المتاهة .. أن تكون هناك مبادرة من جانب المفكرين والمثقفين والعلماء والمبدعين الذين يمثلون الضمير الحى لهذا الوطن ، كى يتم وضع تصور وصياغة أجندة للإصلاح الشامل فى مصر مسترشدين بقيم وتاريخ هذا المجتمع، وكذلك بتجارب الدول الأخرى كى نخرج فى النهاية بفكر مصرى صميم يكاد يكون ممثلًا لضمير هذا المجتمع. وهنا سوف ينتج نظام سياسى يؤمن بالديمقراطية وتداول السلطة و يستطيع أن يترجم هذا الفكر إلى برامج وخطط تنموية.

والحقيقة أن المشاكل التى تحيط بالنظام الحالى وأسلوب الإدارة نفسه لا يمكنه من التغلب على العقبات . وهذا يعود إلى أنه فى بداية الثورة تم حل النظام الديمقراطى السائد بمؤسساته، وتم الدخول فى مرحلة انتقالية وقام الرئيس عبد الناصر بوضع ما يعرف بالدستور المبسط أو المؤقت. وكان هناك دستور سنة ٥٤ الذى مازال بمثابة وثيقة منسية ويمكن حتى هذه اللحظة أن يصبح دستورًا مثاليًا بالنسبة لمصر ، ولكن هذا الدستور تم ركنه وقام الرئيس عبد الناصر بوضع الدستور المؤقت لمدة ثلاث سنوات ، وكان هذا الدستور يغلب عليه الطابع الشخصى حيث وضعه الرئيس عبد الناصر كى يدير به البلاد . فكان الدستور المؤقت مرتبطًا بقدرات وأفكار واتجاهات

الرئيس وكأنه دستور تفصيل ، وبالطبع لم يكن هذا الدستور مدروسا بطريقة دقيقة ، بحيث لم يوضح الدستور الحدود الفاصلة بين السلطات ، وكان من المفروض بعد مرور ٣ سنوات أن تكون البلاد قد وصلت إلى بر الأمان وتكون فترة الطوارئ قد انتهت ويتم تشكيل لجنة أو جمعية تاسيسية لوضع دستور جديد مثل دستور ٥٤ ويجرى عليه استفتاء حقيقى ، ويتم تشكيل أحزاب حقيقية بدلا من الأحزاب القديمة، وأعتقد أن أخطر سلبية للثورة فى مصر رغم الأعمال العظيمة التى قامت بها كان إهمال وتجاهل المبدأ السادس من مبادئ الثورة وهو إقامة حياة ديمقراطية سليمة . و كان من الممكن أن يقام هذا النظام الديمقراطى بطريقة مثالية خاصة بعد النصر السياسى الذى تحقق عقب عدوان ٥٦ حيث أصبح الرئيس عبد الناصر بطلا شعبيا ليس فى مصر فقط وإنما فى المنطقة العربية والإسلامية ، وبالتالى كان عبد الناصر أقدر شخص يرعى عودة الديمقراطية والنظام الديمقراطى لأن عبدالناصر سيكون حينئذ بمثابة الحكم بين جميع القوى والسلطات الموجودة داخل المجتمع ، لكنه كان يجب أن يكون مؤمنا بذلك مثلما كان نهرو فى الهند حيث أنعم الله على الهند بمثل هذا الزعيم ، ومنذ الاستقلال عام ٤٧ وبحكم ثقافته وتعليمه وتربيته كان يصر على إقامة نظام ديمقراطى سليم رغم ظروف الهند شديدة الصعوبة حيث انتشار الأمية والجهل والمرض وتعدد الديانات والعرقيات والقوميات والأخطر أن الهند وقتئذ كانت تعانى من جرح قومى عميق بعد انفصال باكستان عن الوطن الأم . وكانت هناك ثورة شيوعية فتية صينية فى الشمال تحاول أن تشعل الثورة الشيوعية فى كل مكان .. كل هذه الظروف التى أحاطت بالهند فى هذه الفترة كانت تستدعى نظاما ديكتاتوريا ، حتى لو كان هناك نظام ديمقراطى كان الظرف التاريخى يستوجب التحول إلى الديكتاتورية ، لكن إصرار هذا الزعيم التاريخى للهند أدى إلى التمسك بسيادة مبادئ الديمقراطية ، لذلك وحتى سنوات قليلة مضت كانت الهند هى الدولة الوحيدة فى العالم الثالث التى تتمتع بديمقراطية حقيقية حمت الهند من التفكك والتشرزم . فالديمقراطية كنظام يستطيع أن يستوعب الخلافات بين القوى السياسية من كافة التيارات وحتى بين الأجيال بعضها وبعض .

فأتصور أن فرصة كبيرة قد ضاعت على مصر بسبب عدم استغلال فرصة النصر السياسى فى ٥٦ لإقامة الديمقراطية التى كانت ستنقل مصر نقلة هائلة إلى مصاف

الدول الديمقراطية ، فمصر كانت تسير فى خط متواز مع الهند وكوريا الجنوبية وكانت دولة مثل ماليزيا وسنغافورة لا يسمع عنها أحد ، والآن أين هذه الدول وأين نحن ؟؟

لذلك فإن خريطة المستقبل التى نبحث عنها لابد أن تكون حاصل حوارات أبناء هذا المجتمع شرط أن يتم دعوتهم بطريقة جادة وموضوعية ، فهناك العديد من القوى لا تدرك القدرات الحقيقية لأبناء الشعب المصرى ولا يرى هؤلاء إلا الأشياء السلبية داخل المجتمع ، بالإضافة إلى قدر كبير من الاستكانة فهناك نوع من الخوف والجبن من السلطة لذلك هناك العديد من الآراء المزدوجة حيث يحمل الشخص رأيين.. رأى عام لا يغضب السلطة ورأى خاص لا يتم التصريح به إلا للخاصة داخل الأماكن المغلقة . وفى رأيى فإن هذا أخطر ما يمكن حيث لا تجد الجماهير الرأى الذى تستنير به . وحتى نصل للخريطة المفقودة وكما قلنا يجب أن تكون هناك رؤى وحوارات مجتمعية وهنا يبرز دور السياسى الذى يحمل قدرا كبيرا من الخبرات تجعل السياسى لديه حاسة سياسية مميزة تمكنه من قراءة الأحداث بطريقة مغايرة . وأنا الحاسة الخاصة بى تقول إن ما يبدو من سلبيات على سطح المجتمع ما زال فى طور القشرة، ورغم أن تلك القشرة تزداد سمكا بمرور الوقت وبفعل الأجيال وتكاد تصبح جزءًا من الشخصية المصرية للأسف الشديد. لكن ما زلت أشعر أنه لو تغيرت الظروف العامة ووجد هذا الشعب نداء حقيقيا ومخلصا لكى يظهر شخصيته الحقيقية عندها ستسقط الكثير من الأطماع ، لأن الشارع المصرى به الكثير من الشخصيات العظيمة، وإذا طلب منى وضع جدول أعمال لإصلاح هذا الوطن سأركز على خطين أساسيين ثم تتفرع منهما التفاصيل ، أولا لابد من إقامة نظام ديمقراطى سليم بكل معانى الكلمة ، واعتبار أن الثمرة الحقيقية لهذا النظام هو (تداول السلطة). فالعمل السياسى فى المجتمع ليس حكرا على حزب معين دون بقية الأحزاب ، لأن فكرة تداول السلطة تجعل تجمعات كثيرة من الكوادر تعد و تجهز نفسها لتولى مقاليد الأمور ، وبالتالى يكون هناك منافسة حقيقية داخل المجتمع ، وهذا ليس كثيرا على الشعب المصرى الأصيل . والغريب أن تسمع أصواتا تردد أن الشعب المصرى غير مؤهل لممارسة الديمقراطية ، ويستندون إلى انخفاض نسبة التعليم وزيادة نسبة الأمية والجهل والمرض ، وانخفاض المستوى الاقتصادى والاجتماعى . ويردد هؤلاء أن الأولوية يجب أن تكون للإصلاحات المجتمعية أولا . أنا بالتأكيد ضد هذا التوجه وضد هذا

الرأى تماما . فلا يوجد تعارض أو تضارب بين الدخول فى مشروع الإصلاح السياسى والدخول فى مشروع الإصلاحات الاقتصادية ، فالإصلاح السياسى لن يستهلك رأس مال وموارد يمكن استخدامها فى التنمية الاقتصادية ، فلابد أن يكون المسار الاقتصادى موازيا للإصلاح الاقتصادى. فنظام الحكم هونظام إدارة شئون المجتمع ، حيث يتم اختيار التوجه العام بمعرفة القوى المجتمعية الحقيقية. ويتم وضع النظام الذى يتولى بلورة الخريطة العامة للمسارالذى وضعته الجمعية التأسيسية التى اقترح تشكيلها من بين النخب المجتمعية الفاعلة التى تمثل جموع الشعب ، ثم تعرض على جموع الشعب ، ويكون هناك تجدد دائم. فحركة الإصلاح والتقدم لا تنتهى، فكلما اجتزنا مرحلة ما بقيت أمامنا مراحل ومراحل لا نهائية . فحركة التقدم ليس لها نهاية ، المهم أن تسير وتستمر بتوجه سليم ومستقر ومستمر ولا يمكن له ذلك إلا بمشاركة الجميع ، ولابد للنظام الديمقراطى أن يكون مرنا وقابلا للتجديد. وأستطيع أن أشبه هذا النظام بالمبانى اليابانية التى تبنى على أسس معمارية مرنة كى تستطيع أن تقاوم الزلازل العنيفة التى تحدث بين لحظة وأخرى . وحيث إن الديمقراطية تدير مجتمعا بشريا متغيرًا ومتعددًا بطبيعته ، فلابد من وجود نظام مرن يستوعب هذه التغيرات ويتجاوب معها ، بل ويتشكل على أساسها ، ولكن للأسف الشديد فإن التجارب التى شهدتها مصر منذ الاتحاد الاشتراكى وحتى الآن مبنية على أسس غير سليمة من الناحية السياسية ، ورغم فشل التنظيم الواحد إلا أننا لا نعترف بأخطائنا لأننا كنا نغير التنظيمات السياسية من حيث الشكل والاسم فقط اما المضمون فيبقى كما هو وينتقل بنفس الأمراض وبنفس الفيروسات إلى التنظيمات الجديدة وبذلك يبقى الوضع كما هو بل يزداد سوءا عن سابقه . لابد أن نعترف بالخطأ ونراجع أنفسنا حتى نستطيع أن نصوب ونصحح تلك الأخطاء التاريخية ، لكن الواقع أن أحدا لا يعترف بأخطائه ولا يسمح لأحد أن يقول له أنت مخطئ ، وبالتالى تجد الناس ترى الخطأ ولا تستطيع أن تشير إليه ، وبذلك تنتشر الأخطاء داخل المجتمع كالميكروب والسرطان !!

نخلص من ذلك أن كل ما يحدث لأننا ليس لدينا (توجه) وليس لنا شرعية حقيقية وبذلك يحدث انفصام بين المجتمع وبين مؤسسات الدولة، وأقول بمنتهى الصراحة إن أحدا فى مصر لا يشعر أن هناك مجلس شعب يمثل الشعب ولا أحد يشعرأ ن الحكومة تعبر عن مصالحه و طموحاته ، فلا يوجد إحساس حقيقى بأن هذه

المؤسسات تعبر أو تمثل الشعب ، وبالتالى يشعر الشعب بأنه يحكم من خلال مؤسساته و ليست مؤسساته هى التى تحكمه ، فيجب أن تكون الصراحة والوضوح هما الوسيلة الوحيدة لأسلوب الخطاب بين نظام الحكم والقواعد الجماهيرية ، فإذا أعلن النظام الحاكم أن هناك ظرفًا طارئًا يستوجب حل أو تجميد أوتعيين المجالس النيابية والنقابية مثل مجلس الشعب والشورى والمحليات وجميع المؤسسات فإن هذه الصراحة والوضوح أفضل كثيرا من هذه الحركات المكشوفة. لذلك أنا أفضل أن نكون شعبًا مغلوبًا على أمره بدلا من أن نكون شعبًا مضحوكًا عليه .

• قلت لوزيرالثقافة والإعلام الأسبق/ منصور حسن لقد انتقلت بالحديث من مرحلة ما قبل الثورة حيث كانت المؤسسات فاعلة وفعالة، إلى مرحلة الثورة والظروف الاستثنائية المصاحبة ثم مرحلة الاتحاد الاشتراكى ومنظمة الشباب وحزب مصر والحزب الوطنى إلى أن وصلنا بالحديث عن الوضع الراهن .. وخلصنا من هذا الحديث إلى أن ما يبدو لنا من سلبيات حالية داخل المجتمع ليست متأصلة وليست لها جذور ؟

•• قال السيد / منصور حسن:

بالتأكيد فإن تلك السلبيات التى نراها حاليا هى بمثابة قشرة ليست متأصلة وليس لها عمق أو جذور داخل المجتمع ، وهذا الشعب قادر على تحقيق أداء أفضل كثيرا مما هو حاصل حاليا وأفضل مما يبدو عليه ، وخاصة أننا نتحدث عن فترة قريبة جدا من تاريخ مصر ، وكل ما أخشاه اليوم أن يطول بنا الوقت سنة وراء سنة فى هذه المتاهة السياسية بحيث يأتى يوم فيكون هناك من يرغب حقيقة فى إجراء إصلاح سياسى ولا يجد الشعب الذى يفهم ما هى الديمقراطية وما هو الإصلاح السياسى ، فلو تصورنا أن ذلك الإصلاح الديمقراطى قد حدث فى حقبة الستينيات وحاولت أن تطبق هذه المفاهيم لكان الأمر أسهل كثيرا من تطبيق تلك المفاهيم الآن فخلال فترة الستينيات كان الشعب المصرى آنذاك قد مر بتجارب الديمقراطية الحقيقية قبل الثورة فكانت الأجيال الموجودة آنذاك قد مارست الانتخابات والحرية والتعددية من قبل فكان من السهل أن يتم البدء فى البناء الديمقراطى ، أما الآن فالقلق كل القلق من عدم وجود

اجيال قد مارست قواعد اللعبة الديمقراطية من قبل. فالشخص الذى ولد مع الثورة لم يرى طوال حياته أية تجربة ديمقراطية حقيقية بخلاف انتخابات السيد/ ممدوح سالم وإنتخابات ٢٠٠٥ والتى لم تكتمل ديمقراطيا بعد أن وجد النظام أن الإخوان قد حصدوا العديد من المقاعد ، والخطورة الحقيقية من هذه الممارسات التى تستمر سنة وراء سنة أننا نضع فى ذهن الأجيال الجديدة أن ما يحدث قد يكون أحد الأساليب المقبولة فى العمل السياسى وبالتالى فإن المجتمع قد يكتسب بعض القيم الغريبة عن المجتمع المصرى وأى مجتمع قد يكتسب قيما تدفعه للرقى أو يكتسب قيما تدفعه للتخلف. فالشباب الذى نشأ وتربى على تزوير الانتخابات فحتما عندما يتولى المسؤلية سيسير على ما تربى عليه. وهنا تكمن الخطورة من التربية السياسية الخاطئة ، وهذا يفسر قولى السابق إننى أفضل لهذا الشعب أن يكون شعبا مغلوبًا على أمره أفضل من أن يكون شعبا مضحوكًا عليه ، فعندما يعلن النظام لأى سبب أنه لن تكون هناك انتخابات من الأساس ويقوم النظام بتعيين أعضاء المجالس النيابية. أعتقد أن ذلك أفضل كثيرا مما يحدث حاليا وذلك حتى لا تتربى الأجيال سياسيا بطريقة خاطئة . لذلك فإننا فى حاجة ماسة إلى التغيير .. تغيير فى أساسيات المجتمع ونظام الحكم ونظام الإدارة الذى يحكم التوجه ويؤدى إلى التغيير ، والتغيير فى أنظمة الحكم وكما تعلمنا من التاريخ يحدث بثلاث طرق كما يلى :

الطريقة الأولى .. الانقلاب العسكرى .

الطريقة الثانية .. الثورة الشعبية .

الطريقة الثالثة .. التغيير الذاتى .

وبالنسبة للانقلاب العسكرى فهو أداة خطيرة وعواقبه غير مضمونة أما الثورة الشعبية وهى الأخطر على الإطلاق فإنها قد تؤدى إلى فوضى ولا نصل من خلالها لى بر الأمان ، أما الطريقة الثالثة وهى قيام النظام بتعديل نفسه من داخله وهى أضمن طريقة للتغيير شرط أن تكون النوايا من التغيير صادقة ولمصلحة الشعب وليس لمصلحة أو غرض ما مثلما حدث فى المادة ، ٧٦و٧٧ من الدستور . ويجب أن تقوم الدولة بتنظيم العملية الانتخابية ولا تستثنى أحدا لغرض ما . فلابد للرئيس أن يؤمن بهذه الفكرة ويؤمن بأن الإصلاح رسالة تاريخية ، وهنا نشير إلى أن الرئيس مبارك فى الحكم منذ

أكثر من ٢٥ سنة وتختلف الآراء فى تقييم نتائج تلك الفترة فهناك من يؤمن بأن إنجازات كثيرة قد تحققت مثل البنية التحتية والإصلاحات التشريعية وحرية الصحافة. وهناك من يؤمن أن مصر تراجعت كثيرا خلال فترة حكم الرئيس مبارك حيث فقدت مصر دورها على المستوى العربى والإفريقي. وهناك من يرى أن مصر انصاعت أكثر من اللازم للهيمنة الأمريكية، وهناك من يرى أن السلام مع إسرائيل قد انقلب إلى مهادنة أكثر من اللازم، الشيء الذى مكن إسرائيل من الانفراد بالدول العربية بعد أن تم تحييد الدور المصرى على المستوى الإقليمى . كل هذه آراء موجودة بالمجتمع بصرف النظر عن اتفاقنا أو اختلافنا مع كل أو بعض هذه الآراء ، ويمكن للرئيس أن يجب كل هذه الآراء والملاحظات إذا قرر الرئيس إقامة نظام ديمقراطى سليم ، بدلا من الوضع الراهن الذى جعلنا نتمنى أن نكون مثل السنغال أو موريتانيا والفلبين وأندونيسيا بدلا من محاولة اللحاق بالدول المتقدمة فى أوربا وأمريكا . وهناك بعض التصرفات التى تؤدى إى تآكل العزة الوطنية لدى المواطنين ، وعندما تتآكل العزة الوطنية فلا تسأل عن الانتماء ، وهنا أتذكر موظفى الضرائب العقارية الذين اعتصموا وسط القاهرة على بعد أمتار من مقر الحكومة واستمر اعتصامهم أكثر من ثمانية أيام دون أن تتحرك الحكومة ، وبعد ذلك لا يجب أن نسأل هؤلاء عن الانتماء .. انتماء لمن ؟

الانتماء ليس دعوة أخلاقية ولكنها علاقة اجتماعية ، فالانتماء علاقة لها طرفان ، الأول تجمع نادى .. حزب .. أسرة ..مجتمع .. حيث ترعى هذه التجمعات الفرد وتبحث عن مصالحه ، هذا الرد سينتمى بالضرورة إلى هذه المجموعة التى ترعى مصالحه وتهتم به . وأساس المجتمعات قامت على ذلك ، أما إذا أسىء معاملة الفرد وأهدرت كرامته ولم يجد من يسأل عن مصالحه فلمن ينتمى ؟ ومن يجرؤ أن يساله عن معانى الانتماء ، فالانتماء علاقة اجتماعية وبقدر ما ترعى المواطن وبقدر ما تحافظ على حقوقه وبقدر ما تدافع عنه هو مستعد أن ينتمى ، والانتماء يقوى بشيئين ، الأول أن يشعر المواطن أن المجتمع يرعاه ويرعى مصالحه ويؤمن له ولأولاده حاضرهم ومستقبلهم ، الشيء الثانى أن يكون المجتمع منتجا للفخار وهذا شيء فى غاية الأهمية فالفرد الذى يشعر بالافتخار تجاه المجتمع الذى يعيش فيه لابد أن يقوى انتماؤه تجاه هذا المجتمع. فالمجتمع الذى ينتج علما أو أدبا أو صناعة أو حتى رياضة يبعث على

الفخر والاعتزاز ، أما أن يكون المجتمع فقيرًا الى هذه الدرجة ولا يملك إلا تاريخا من سبعة آلاف سنة فهذا شيء مقلق جدا على معاني الانتماء. نخلص من ذلك أن الإنسان بطبيعته ينتمي إلى الجماعة التي ترعى مصالحه والجماعة التي يفتخر بالانتماء إليها ، وعكس ذلك يؤدي إلى عدم الانتماء فأنت لا تقدم شيئًا يؤدي إلى الفخار لكنك تقوم بشيء يؤدي إلى المذلة ومن ثم سيؤدي إلى شيء من اللامبالاة .

● سألت الرجل كيف يرى المجتمع المصرى الآن و الى أين يذهب هذا المجتمع وما هى الملاحظات المجتمعية التى يرصدها وزير الثقافة والإعلام الأسبق ؟؟

●● بالفعل هناك بعض القيم تغيرت نتيجة الظروف التى ذكرتها من قبل ، فمثلا انتشرت الشخصية المزدوجة نتيجة القهر السياسى الذى مورس بعد الثورة بحجة حماية النظام ، وأصبح كل مواطن له رأيان؛ رأى يقوله للعامة ورأى يقوله للخاصة ، والكارثة أن الجميع يصنعون ذلك ولا أحد يستنكر ما يفعله الآخر . وأصبح هناك قبول للجبن والنفاق كعادات مشروعة من أجل المحافظة على وضع ما . والحقيقة أن هذه النقطة تحديدا هى أسوأ ما يرصده أى مراقب للتحولات التى حدثت داخل المجتمع المصرى . والنقطة الجديرة بالاهتمام هو انهيار النظام التعليمى .. ويكفى أن نعلم أن المدارس الحالية عندما نقارنها بالمدارس التى كانت موجودة قبل الثورة فكأنك تقارن بين مساكن عشوائية موجودة الآن وبين قصور مشيدة كانت موجودة قبل الثورة !! فبدون مبالغة كانت المدارس الثانوية الحكومية فى المحافظات مثل المنصورة الثانوية والزقازيق الثانوية ودمياط الثانوية وطنطا الثانوية ودمنهور الثانوية كانت مدارس مبنية على طراز موحد يليق بالعملية التعليمية والآن أصبحت تلك المدارس هى مقار للجامعات الإقليمية . وكان هناك العديد من الأنشطة علاوة على جودة العملية التعليمية وكان يتم استقدام معلمين أجانب لتدريس اللغات الأجنبية المقررة . والتعليم اليوم صار بمثابة عشوائيات . لذلك تجد أن هناك فئة قادرة بدأت فى التصرف بعيدا عن الدولة فقررت إلحاق أبنائها فى المدارس والجامعات الخاصة والأجنبية ، وبهذا يصبح لدينا فئتان مختلفتان عن بعضهما تماما ؛ فئة استطاعت أن تحل مشاكلها بالمال وفئة لا تملك شيئا على الإطلاق ومحرومة من كل شيء. الخلاصة أن غياب الرؤية الشاملة قد ساعد على العشوائية . ويجب أن يكون التعليم على رأس

جدول الأعمال المزمع صياغته شرط أن تتفق القوى الوطنية ـ مقتنعة ـ وفق الرؤية الشاملة والنظرة المستقبلية، ولكى يكون التعليم على رأس جدول الأعمال لابد وأن يتم وضع اعتمادات مالية، وقد تؤثر تلك الاعتمادات على برامج إصلاحية أخرى . ولكن طالما تم الاتفاق على المسار الذى نتج عن الرؤية الشاملة فأعتقد أن الأمور ستسير بشكل جيد، وجدير بالذكر أن كل ا لدول التى انطلقت إلى معركة الإصلاح كان التعليم على رأس جدول الأعمال والأولويات لهذه الدول .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن العبور للمستقبل يحتم علينا أن نبدأ فورا فى وضع الآليات التى تجعل من مصر دولة خالية من كل أشكال التمييز بين المواطنين على أساس الدين أو الجنس . فبالنسبة للدين يجب أن نعترف أن الأقباط الذين يعتبرون أقلية دينية، فإن أقباط مصر ليسوا أقلية وافدة كما هو حادث فى معظم الأقليات فى العالم، ولكنها أقلية دينية أصيلة وأصلية ضمن الأغلبية العرقية ، فهم مواطنون أصليون ، يشعرون أن حقوقهم منقوصة رغم حدوث تحسن ما فى بعض المسائل ، لكن مازال هناك إحساس بعدم وجود مساواة حقيقية داخل المجتمع خاصة فى بعض الوظائف رفيعة المستوى داخل الجهاز الحكومى . وهناك بعض الجهات الحكومية لا تجد فيها أقباطًا على الإطلاق . هذا التمييز يجب أن يختفى كلية من مصر وفورا وبلا حوارات وبلا مؤتمرات فالحقوق واضحة ومن الممكن أن يتم حل تلك المشاكل بجرة قلم وقرار من الدولة إذا كانت جادة فى هذا الشأن ، وهذا التمييز ليس من طبيعة المجتمع المصرى ، وهذا إحساس جديد على المجتمع المصرى لم يكن موجودا فى السابق ، بدليل أنه عندما كانت هناك تعددية حزبية حقيقية فى مصر كان الأقباط منخرطين فى مختلف الأحزاب فكان مكرم عبيد فى حزب الوفد مثلا وبدون مبالغة إذا رشح حزب الوفد شخصية قبطية فى حى الحسين فلابد أن ينجح لأنه وفدى ولا علاقة للدين بالانتماء السياسى ، فوجود الانغلاق الفكرى أدى إلى التعصب الأعمى وأصبح هناك تفرقة بين المواطنين لا يجب أن تكون موجودة فى مصر على الإطلاق ، وإذا كانت هناك بعض حالات التفرقة والتميز لدى بعض الأفراد نتيجة لتعصب أعمى أو نتيجة لجهل أو لنقص فى التربية السليمة فإن هذا غير مبرر وغير مقبول من الدولة التى يجب أن ترتفع فوق كل هذا وتكون موضوعية ويجب ألا تفرق بين المواطنين إطلاقا على أساس الدين ويجب أن تكون جميع الوظائف ممنوحة على قدم المساواة لجميع المواطنين

بصرف النظر عن الدين . أما التميز على أساس الجنس والمقصود به التمييز بين الرجل والمرأة ، فلا شك أن المرأة وحتى فترة قريبة كانت هى العنصر الأضعف أو العنصر الثانى لأن الرجل كان منوط به مهمة العمل والإنفاق وتهيئة سبل العيش والحياة ورعاية الأسرة إلى آخره ، ولكن بمرور الوقت تعلمت المرأة وأثبتت كفاءتها فيما تولته من مناصب ، ولكن الأهم من ذلك لابد أن نتذكر أن الله سبحانه وتعالى إذا كان قد منح الرجل القوة الجسمانية لكى يقوم بما أعد له فى الحياة فقد منح سبحانه وتعالى المرأة مشاعر الأمومة .. هذا الشعور الذى جعل من المرأة إنسانًا نبيلًا .. تضحية وإيثارًا وحبًا وإخلاصًا. هذا الشعور الذى يرفع المرأة إلى مستوى أخلاقى ومعنوى أعلى من الرجل ، فكيف للإنسان الأكثر نبلا أن ينتقص من حقوقه ، فالرجل يعيش كل حياته فى رعاية المرأة أما وأختا وزوجة وبنتا، إذن الرجل صنيعة المرأة فى كل مراحل حياته ، فكيف يتجاهل الرجل كل ذلك ويتمرد على المرأة ؟ على الرجل أن يحاول رفع المرأة إلى درجة أعلى تستحقها بكل تأكيد .

ويجب على المجتمع أن يتخذ موقفا شديدا وحاسما تجاه العنف الأسرى ، وغالبا ما يأتى العنف من الطرف الأقوى وهو الرجل. وأصعب موقف على النفس البشرية أن تجد امرأة أو كهلا أو طفلا يهان أو يتعرض لعنف لا لشيء إلا لأنه الطرف الأضعف فى مواجهة الطرف الأقوى وهو الرجل . فلابد للمجتمع أن يتخذ إجراءات حاسمة لمواجهة هذا العنف. فالحماية الأساسية لن تأتى عن طريق القانون ــ رغم أهميته ــ بل لابد ان تأتى عن طريق التربية داخل أسرنا ومدارسنا وإعلامنا ، فلابد أن يتربى الطفل الذكر على على أهمية المرأة فى حياته وواجبه نحوها .

نخلص من ذلك أن ما حدث من تغيرات مجتمعية فى مجال التمييز هى تغيرات دخيلة على المجتمع المصرى تحت بند التدهور فى الهيكل القيمى للمجتمع. فلا شك أنه خلال السنوات الأخيرة حدث ما يسمى بنحر للهيكل القيمى الذى يتكون من القيم الدينية والتربوية والأعراف المجتمعية ، فالقيم ليست غريزية لدى الأفراد بل هى مكتسبة من الممارسات والأعراف ، وأحيانا وبمرور الوقت نجد أن هناك قيما غريبة على المجتمع نتيجة لظروف اجتماعية أو اقتصادية، وهذه القيم إذا تركت و لم تواجه بحسم وبسرعة يمكن أن تصبح جزءًا من الشخصية المصرية .

• **قلت للوزير منصور حسن :**

هناك أياد تعبث بتاريخ هذا الوطن ، ولم يعد هناك تاريخا موثقا نستطيع أن نقدمه للأجيال القادمة .. ما هو تعليق سيادتكم حول هذا الموضوع ؟؟

•• قال الرجل .. لكى يكون لدينا تاريخ موثق لابد أن يكون هناك مجال من الحرية يشجع من يكتب التاريخ ، وكل شخص سيكتب من وجهة نظره ، أو يكتب مذكراته الشخصية بقدر من الأمانة والموضوعية، فى ظل مناخ من الحرية والديمقراطية ، ولكن هذا لن يكون تاريخا ، ثم يأتى بعد ذلك مجموعة تستطيع أن تقوم بتصفية ما تم كتابته وتقوم بتصحيح الأحداث التى كتبت فى ظل غياب القواعد الموضوعية ، وهكذا يتم مضاهاة ما تم كتابته ويتم تنقيح تلك الكتابات من الشوائب التى قد تكون لحقت به من جراء غياب الموضوعية ، والتاريخ ليس قصصا وروايات حدثت ويتم قراءتها من باب التسلية والإثارة ، ولكن التاريخ يتم كتابته لاستخلاص العبر والعظات والدروس ..

• **سألت السيد منصور حسن عن أول قرار اتخذته فى حياتك السياسية؟**

•• أول قرار اتخذته عندما بدأ الرئيس السادات فى تشكيل الحزب الوطنى الديمقراطى ، وكان ذلك فى أغسطس ١٩٧٨ ، وكان هذا الحزب بديلا عن الاتحاد الاشتراكى. وكان ذلك ضمن الخطوات العظيمة التى قام بها الرئيس السادات على طريق التعددية والإصلاح السياسى، فقدم الرئيس ورقة أكتوبر، وعرضها للمناقشة العامة وكانت فكرة المنابر هى المسيطرة فى ذلك الوقت وتقدم ١٥٠ تجمعا للدخول فى منابر أو أحزاب تمارس العمل السياسى . وكان هذا العدد كبيرًا، لذلك تم صياغة لجنة التنظيم السياسى برئاسة الدكتور مصطفى خليل ، وتوصلت اللجنة إلى أن الأحزاب فى العالم كله لها ثلاثة اتجاهات .. أحزاب يمينية وأحزاب يسارية .. وأحزاب وسط ، وكانت التوصية أن ال ١٥٠ يجب أن يتم توزيعهم وتصنيفهم وفق الأشكال الثلاثة للعمل السياسي (يمين ، وسط ، يسار) وبالتالى خرج تنظيم مصر الذى كان يرأسه السيد / ممدوح سالم ، وتجمع اليسار/ خالد محيى الدين ، وتجمع اليمين/ مصطفى كامل مراد ، وبذلك احتفظت الدولة بتيار الوسط وهو التيار الأكبر داخل المجتمع.

ومشكلة مصر أن احزاب السلطة احتكرت تيار الوسط لكنها لم تمثله ولم تتفاعل معه وحبسته وأبطلت فاعليته.

وبعد أحداث ومظاهرات ٧٧ غضب الرئيس السادات كثيرا وأيقن أن الشارع ليس مع حزب مصر ، ولكن اليسار له تواجد ه في الشارع ، وحزب الوفد الجديد بقيادة فؤاد سراج الدين ظهر بقوة داخل الشارع المصرى . لذلك ومن وجهة نظرى فقد فكر الرئيس السادات فى تشكيل الحزب الوطنى الديمقراطى ، بوجوه جديدة بعيدا عن الوجوه القديمة الموجودة فى حزب مصر والتى جاءت أساسا على أنقاض الاتحاد الإشتراكى ، فجاء السادات بفكرى مكرم عبيد كأمين عام الحزب وكنت أنا ضمن المجموعة التى اختارها السادات لتكون نواة للحزب الوطنى الديمقراطى، والاستاذ ماهر محمد على والأستاذ محمد العقيلى والأستاذ محمد عبد الحميد رضوان. وقام الدكتور صوفى أبو طالب بوضع برنامج للحزب وكان الاجتماع الأول فى منزل الرئيس بالمعمورة. كان هذه أول مرة أقابل الرئيس وبدأت فى حوار بينى وبين نفسى كيف أقابل الرئيس، وكيف أتحدث معه وكيف أكون عنصرًا لا يغضب الرئيس دون أن أكون منافقا. وعندما وصلت إلى بيت الرئيس قررت أن (أكون نفسى) لا توجد ضرورة كى أتلون لأرضى الرئيس. وبالفعل كان قرارى (كن نفسك) لا يجب أن أخرج على طبيعتى كى أرضى أحدا ، لأنك كلما خرجت عن طبيعتك فستفقد ملامح شخصيتك رويدا رويدا دون أن تدرى. وكان هذا بمثابة القرار الأول لى فى عالم السياسة والذى استمر معى حتى خرجت من السلطة عام ١٩٨١ ، فلم أنطق أو أتحدث إلا بما أنا مؤمن به ، وهناك أشياء أنت تؤمن بها لكن الظروف لا تسمح بأن تقولها .. المهم ألا تقول عكسها ، لذلك انا أرفض ذلك المفهوم الخاطئ والمتداول والذى يقول بأن السياسة لعبة قذرة وللأسف تجد من يقوله يشعر بأنه ينطق بحكمة ، أو أنه يستنتج قاعدة علمية . وهذا كلام يدل على الجهل فالسياسة مثلها مثل أى مهنة أخرى تضم الإنسان الجاد والصادق كما تضم غير ذلك ، وإذا كان الفساد متصورا فى المهن الأخرى فهو غير مقبول فى عالم السياسة. أخلص من ذلك أن قرارى الأول فى دنيا السياسة كان مصدر خير على وهو الذى ربط بينى وبين الرئيس السادات فهو كان يسمع منى مالم يسمعه من أحد وهذا ليس لعلمى وإنما لصراحتى ، لذلك كنت أجلس

بالساعات مع الرجل وأشهد الله أنه لم يضيق بما أعرضه عليه وكان يستمع جيدا إلى ماأقول ، وكنت أؤمن بأن الديمقراطية هى الطريق الوحيد للإصلاح وكان الرئيس السا دات ومنذ ٧١ يعمل فى هذا الاتجاه وأستطيع أن أقسم فترة حكم الرئيس السادات مع الديمقراطية الى ثلاث مراحل :

الأولى : من ٧١ إلى ٧٧ مرحلة الانطلاق نحو الديمقراطية بلا حدود واكثر مما يطالب به الناس ،

المرحلة الثانية : وهى مرحلة التردد فى المسار الديمقراطى بعد أحداث يناير ٧٧.

المرحلة الثالثة : وهى مرحلة الحسم ، وفى هذه المرحلة كان الرئيس السادات يهاجم المعارضة بشكل عنيف . لقد كانت مرحلة الحسم بكل تفاصيلها مؤلمة ومزعجة فالأزمات السياسية المتوالية خلقت جوا من التوتر والاحتقان ، وهنا أتذكر أزمات المهندس إبراهيم شكرى والنائب أحمد فرغلى ونقيب المحامين أحمد الخواجة وكانت هذه الشخصيات محور أزمات مع الرئيس السادات. وكان تدخلى مع الرئيس للتهدئة والاحتواء. وعندما غضب الرئيس السادات من محاولتى لحل أزمة نقابة المحامين ذهبت اليه دون تحديد موعد وتكلمت معه بصراحة معهودة وقلت له يا سيادة الرئيس أنا ليس لى أية ميزة بجوارك إلا شيئين :

أولا: أصدقك القول فى كل شيء.

ثانيا: أجمع حولك ولا أفرق .

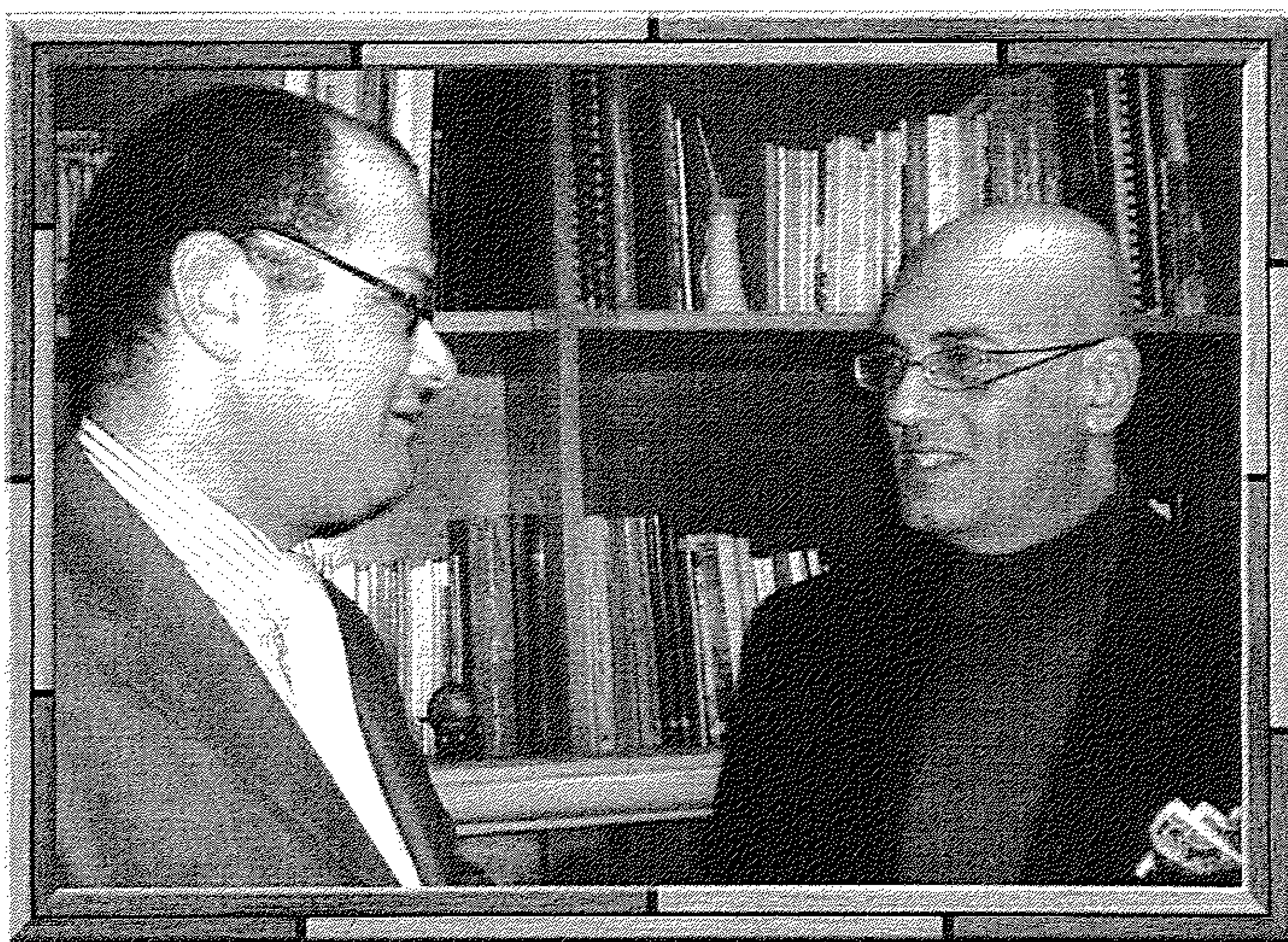
ولكن الرئيس السادات تفهم أننى غير موافق على بعض القرارات الصدامية مع القوى السياسية ، لذلك عندما اتخذ الرئيس السادات قراره الشهير باعتقالات سبتمبر، كان يعلم أننى ضد هذه الخطوات فأبعدنى تماما عن الصورة ، ثم أجرى تعديلا وزاريا وحيدا قضى بخروجى من الوزارة ، وكان ذلك قبل اغتيال الرئيس السادات بأسبوعين .

وأخلص من ذلك أن أخطر شيء فى المطبخ السياسى هو عدم وجود صراحة حول الحاكم ، وأغلب من كان يحيط بالرئيس يحاول أن يكون خطوة للخلف ليرى ماذا يريد الرئيس أولا ليتجه إلى نفس وجهة الرئيس ويؤكد سلامة وصواب رأيه .

وبناء على كل ذلك أرى أن أهم ما يجب أن نحرص عليه لضمان مستقبل هذا الوطن .

- إقامة حياة ديمقراطية حقيقية .
- إقامة نظام اقتصادى يعتمد على التنمية والعدالة الاجتماعية معا .
- إقامة نظام للتعليم والبحث العلمى يلبى متطلبات التنمية والإصلاح .
- تحريم كل أشكال التمييز بين المواطنين على أساس الدين أو الجنس.

***



محمد سلماوى

رئيس اتحاد كتاب مصر

أحمل فى مخزون الذاكرة صورا لشخصيات عظيمة تركت بصماتها فى مسيرة العمل الوطنى فكريا وثقافيا وسياسيا ، لكن واحدا من هؤلاء كان مختلفا إلى حد كبير .. التقيته وتحدثنا حول المستقبل قرابة ساعتين من الزمان ، شعرت بعدها أننى أمام فارس نبيل يحمل هموم وطن يمر بظروف استثنائية . كان الرجل يستشرف آفاق المستقبل بكل أمل وتفاؤل رغم قسوة الواقع ومرارة اللحظة . يحمل من الأفكار والأطروحات ما يمثل (رؤية) رغم حالة الضباب الفكرى التى باتت تغلف الأجواء تماما .. قرأت سيرته الذاتية فأحسست بالفخر والاعتزاز.. استمعت إلى حديثه فغمرتنى السعادة .. محمد سلماوى .. بدون ألقاب .. بدون مقدمات كان هذا الحوار ..

● **قلت للرجل:**

الوضع الراهن والعبور إلى المستقبل هى القضية التى تشغل كل المهمومين بمستقبل هذا الوطن وحتى تنجح عملية العبور لابد من وجود قواعد ننطلق منها صوب هذا المستقبل .. كيف ينظر الأستاذ محمد سلماوى إلى مستقبل مصر وما هى القواعد التى يجب أن نقوم بتجهيزها من الآن حتى ننطلق منها إلى المستقبل المأمول؟

●● قال الرجل :

تمر مصر الآن بمرحلة دقيقة .. تكاد تبدو وكأنها فى مفترق طرق فهناك أكثر من قوة تتجاذبها فى أكثر من اتجاه ، والمستقبل هو رهن بالاتجاه الذى ستأخذه الأحداث وفق قوة الجذب مابين اتجاه وآخر. فهناك مثلا الاتجاه الدينى الذى تصاعد على مدى السنوات الثلاثين الاخيرة ، و بالتأكيد هذا الاتجاه له تواجد قوى ويمثل قوة جذب كبيرة قائمة و موجودة فى البلاد تجذب المستقبل نحو هذا الاتجاه بكل ما يمكن أن ينتج عنه من تفاعلات فى المستقبل . ولكن على الجانب الآخر هناك قوى أخرى أيضا لها قوة جذب كبيرة وهى تنامى المجتمع المدنى فى مصر. لقد وجدنا فى الفترة الأخيرة

وبسبب التفاعلات والحراك الاجتماعى الموجود فى المجتمع والذى لم نشهد مثيلا له من قبل بهذه القوة والاتساع والانتشار والتنوع أيضا وجدنا أن المجتمع المدنى أصبح له صوت مسموع وعمل فعال. وبدأ هذا التحرك المجتمعى بالصوت وإعلان المواقف كأن تقوم جماعة معينة بمظاهرة أو احتجاج ، ولكن تخطينا هذا إلى الفعل فبدأت جماعات معينة تتحرك لتشكيل جماعة فيما بينها مثل جماعة كفاية أوغيرها. أو تتجه إلى تشكيل حزب سياسى أوتتجه لاتخاذ خطوات محددة عملية مثلما حدث من عدد كبير من النقباء ورؤساء الاتحادات والذين اتخذوا موقفا برفض استضافة إسرائيل فى معرض فرنسا للكتاب، وقاموا بإعداد مذكرة احتجاج للحكومة الفرنسية وسلموها للسفير الفرنسى بالقاهرة .. وهذا تحرك وفعل ، وهذا النمط من التحرك لم يكن موجودا من قبل ، ولكن أهميته هنا فى أنه يعبر عن قوة جديدة بدأت تظهر على خريطة الأحداث وهذه القوة هى المجتمع المدنى.. فنحن أمام اتجاهين :

اتجاه دينى أصولى بالتحديد وليس التدين بشكل عام لأن شعب مصر من أكثر شعوب العالم تدينا ، لكن مصر لم تعرف الدولة الدينية طوال تاريخها رغم أنها كانت مقرا للأزهر الشريف الذى هو مقر ورمز ومركز الإسلام فى العالم . لكن الأزهر لم يحكم أبدا مثلما حكمت الكنيسة أوروبا خلال العصورالوسطى. ذلك لأن طبيعة تاريخنا مختلفة عن ذلك الاتجاه نحو الدولة الدينية من خلال الاتجاه الدينى الأصولى الموجود فى المجتمع وإن كان غريبًا على تاريخنا، لكنه اتجاه موجود ولا نستطيع أن نغفله وهو موجود ومؤثر. وحين يصل ٨٨ ممثــلًا عن الاتجاه الدينى إلى البرلمان فهذه قوة ينبغى أن نعترف بها. لكن يجب أن نلفت النظر أيضا إلى القوى الأخرى على الجانب الآخر والتى قد يغفلها البعض لأن تحركها بطبيعته متفرق ومتعدد ومتنوع ، لكن فى مجموعه هو يشير فى اتجاه هام جدا وهو أن هناك مجتمعًا مدنيًا تتعاظم قوته وتتعالى كلمته ويأتى بالفعل بشكل مستقل عن الاتجاهات الرسمية أو عن الحكومة وأيضا مستقل عن هذا الاتجاه الأصولى الموجود فى المجتمع ، والحقيقة أن الديمقراطية لاتصنعها الأحزاب وحدها وإذا نظرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية مثلا تجد أن هناك إلى جانب الحياة الحزبية هناك مايسمى جماعات الضغط وهى جماعات الضغط الموجودة فى المجتمع الأمريكى والتى تفوق قوتها أحيانا قوة الأحزاب نفسها وقد تؤثر على الأحزاب وعلى مواقف الأحزاب مثل اللوبى اليهودى وغيره من جماعات الضغط

الأخرى. وهذا لم يكن موجودا لدينا، والذين وضعوا الأسس الديمقراطية تصوروا بأن السماح بقيام أحزاب معارضة يعنى ذلك بأن الديمقراطية قد تحققت، وهذا تصور خاطئ لأن الديمقراطية لاتتحقق إلا بالمجتمع المدنى وبقوة المجتمع المدنى، وليس بقوة الأحزاب فقط والديمقراطية التى تسير بالأحزاب وحدها هى ديمقراطية عرجاء تسير على قدم واحدة وليس قدمين. وفى الفترة الأخيره بدأنا نرى وضوحًا لهذا الجانب الآخر من الديمقراطية للقدم الثانية للديمقراطية. والديمقراطية بهذا المفهوم المكتمل ستأخذنا - إذا كانت هى طريق المستقبل - إلى صيغة ديمقراطية متكاملة تختلف تماما عن الاتجاه الذى تجذبنا إليه جماعات الضغط الأصولية على الجانب الآخر.

فهذه هى الخريطة وهذا هو الوضع الراهن الموجود الآن فنحن فى مفترق الطرق أمام هذين الاتجاهين. لذلك فإن المبادرة فى أيدينا نحن إذا اخترنا طريق الديمقراطية فعلينا أن نمضى قدما فى هذا الطريق الثانى بتقوية منظمات المجتمع المدنى وتفعيلها وإعطائها حرية أكبر ومساحة أكبر فى المشاركة فى اتخاذ القرار. أما إذا وقفنا أمامها وحددنا من تحركاتها فإننا نترك الساحة إلى قوة الجذب الأخرى النقيضة.

• علقت على ما قاله الأستاذ سلماوى بأن المبادرة بأيدينا نحن إما أن نختار هذا التيار أو ذاك وقلت:

ماذا تقصد بـ (نحن)؟

•• قال الأستاذ سلماوى:

قصدت المجتمع ولم أقصد شخص محمد سلماوى ولا الصحيفة التى نعمل بها الآن، ولا حتى جماعة المثقفين فقط وإنما المجتمع بأسره، لأن الذى يحدد طريق أمة من الأمم لا يكون جماعة المثقفين أو حزب من الأحزاب أوجريدة من الجرائد أو كاتب من الكتاب، أنا هنا أتكلم عن مجتمع كامل وعن حركة مجتمع ككل بمعنى أن جميع الفئات يجب أن تشارك، ويجب أن يكون هم الحكومة الأول هو تمكين المجتمع المدنى، ويجب أن يكون هم المثقفين الأول هو تجذير المؤسسات المدنيو فى المجتمع ويجب أن يكون هم كل صاحب رأى هو إعلاء شأن ودورمؤسسات المجتمع المدنى وهذا هو طريق المستقبل السليم أو الوحيد.

• الأستاذ محمد سلماوي:

إن وطننا يسير بلا جدول أعمال .. بلا أجندة .. بلا أولويات.. فإذا كانت تحديات المستقبل تحتم علينا أن نتحرك وفق مخطط عام وجدول واضح وأجندة يتفق عليها الجميع.. كيف يرى الأستاذ سلماوى شكل ومضمون ذلك الجدول؟

●● أتصور أننا وصلنا الى مرحلة الحاجة إلى نوع من الإجماع والتوافق القومى ووصلنا إلى مرحلة الحاجة أن نعرف ماهى احتياجات المجتمع ، لا أن نصب جل اهتماماتنا فقط على برنامج الحزب الحاكم أو برامج أحزاب المعارضة فقط . نحن فى أمسّ الحاجة إلى عقد مؤتمر قومى يخرج منه نوع من الإجماع الوطنى على مبادئ معينة، ثم نختلف بعد ذلك فى كيفية تطبيق هذه المبادئ ، فلكل فصيل من المعارضة رؤية فى كيفية الوصول إلى تطبيق ما اتفق عليه مسبقا، فاليسار يفضل الوصول إلى ذلك عن طريق مبادئه وكذلك اليمين والليبراليون . والحزب الوطنى له رؤية ثانية وبرنامج مختلف. بينما المثقفون لهم رؤية ثالثة وهذا خلاف محمود ، ولكن يجب أن يكون هناك إتفاق على المبادئ نفسها والأهداف. وأنا أدعى أن هذا الاتفاق موجود ولكن لم نبذل الجهد فى تجميعه وبلورته وصياغته.

● قلت للأستاذ سلماوى:

لماذا يظهر هؤلاء كقوى سياسية متناحرة ويراهم المجتمع كفرقاء ليس بينهم ما يجمع ؟

●● بالفعل فنحن نتوقف كثيرا عند الاختلافات وننسى وسط هذا مانتفق عليه ، ننسى الثوابت التى نتفق عليها وإذا أوجدنا الصيغة أو المنبر الذى يمكن أن نتفق من خلاله على هذه المبادئ كمؤتمر قومى يضم جميع المثقفين والتيارات السياسية وممثلين عن فئات المجتمع المختلفة بما فيهم الإتجاهات الموجودة الآن فى المجتمع مثل اليساريين والأصوليين.

وأنا واثق أننا نستطيع أن نبلور هذه المبادئ المتفق عليها وبذلك سنكون قد وضعنا ما هو أهم بكثير من الدستور- الذى توقفنا كثيرا عنده بل توقفنا عند خلافاتنا حوله أكثر مما توقفنا عنده كدستور- والأهم منه هو التوافق الاجتماعى أو التوافق المجتمعى الموجود، ولكن غير المعبرعنه، وغير المبلور فى وثيقة محددة يتفق عليها الجميع .

● قاطعت الأستاذ محمد سلماوى قائلاً:

لكن هذا الدور الخطير لخلق نوع من التوافق المجتمعى الذى يضم كافة الفرقاء.. ترى ما هى الجهة المسؤولة عن هذه المهمة القومية الأكثر خطورة ؟

●● لاشك أن الدولة عليها الدور الأكبر فى هذا الموضوع ولا يستطيع مثلا مثقف من المثقفين أو جمعية من جمعيات المجتمع المدنى أن تدعو لمثل هذا المؤتمر، لكن هذا هو دور وواجب الدولة أن تدعو لمثل هذا المؤتمر فهى القادرة على تجميع كل هذه الفئات والاتجاهات ، ثم يصبح واجبها بعد ذلك أن تعبر عن هذا الإجماع الشعبى من خلال سياسات وقرارات وبرامج محددة .

● الأستاذ محمد سلماوى :

الشخصية المصرية تعانى من أمراض السلبية والخنوع وهذا أثر لا شك على النخوة المصرية الشهيرة ؟

●● أنا أختلف معك فيما ذكرت لأنه غير صحيح ، فعند خروج ٢٥ نقيبًا ورئيس اتحاد فى مسيرة إلى السفارة الفرنسية ويرسلون رسالة للحكومة الفرنسية للاحتجاج على مشاركة إسرائيل فى معرض فرنسا للكتاب ، والرأى العام يتفق ويؤيد هؤلاءفهنا لا يصح أن أقول لايوجد نخوة لدى الشعب المصرى. أنا أعتقد أن الشعب المصرى لديه أشياء كثيرة جدا لم تكتشف بعد ، بل لم تستثمرأيضا، ونحن لا نستثمرها لأننا لانريد لها فاعلية فى المجتمع يعنى عندما نقول إن هذا الشعب لايوجد لديه نخوة فهل قمنا بإيقاظ هذه النخوة بداخله ؟ أم أنت تريدها خاملة كى يخلو لك الطريق لتمضى فيه كما تريد من غير مشاركة المجتمع فى مثل هذا الموضوع . وهناك من يقول إن المجتمع سلبى والناس سلبية، ولايوجد انتماء فى المجتمع. وأنا مختلف تماما مع كل هذه المقولات ، و ممكن أن يتخذ الشعب موقفا سلبيا ، فعندما تقول له هناك انتخابات فلا ينزل لهذه الانتخابات .. لكن قبل أن تقول إن الشعب سلبى ولايشارك، يجب أن تبحث لماذا يفعل ذلك، ربما تكون أنت المسئول عن ذلك ولو غيرت من أحوالك أنت لنزل الشعب فى اليوم الثانى مباشرة وشارك فى الانتخابات ، فكل ما يقال على الشعب أقوال صحيحة ولكنها مؤشرات على أشياء أخرى لا تدين الشعب المصرى ولكنها بالتأكيد تدين آخرين.

● قلت للأستاذ محمد سلماوى :

أين ذهبت الطبقة الوسطى داخل المجتمع المصرى ؟

●● الطبقة الوسطى كانت فى فترة ماقبل الثورة طبقة فاعلة قامت عليها إنجازات كبيرة جدا، حيث التقدم والتحديث ولست بحاجة لسرده فى هذا المجال،والطبقة المتوسطة وقت الثورة كانت ضحية لتحولات جذرية و كبرى حدثت فى المجتمع لم يكن بمقدور الطبقة الوسطى أن تحدثها لأن فترة الثورة أحدثت تطورات هائلة فى المجتمع تتخطى بكثير قدرة وقوة الطبقة الوسطى. ولكن هذه كانت مرحلة وحين مرت هذه المرحلة اتجه المجتمع فى العالم كله الى الاقتصاد الحر والمبادرة الفردية وكل هذه الأشياء. وحينما اتجهت مصر إلى نفس الاتجاه أيضا كانت الطبقة الوسطى قد غابت عن المجتمع ونشأت عندنا طبقة جديدة من الرأسمالية توصف بالرأسمالية المتوحشة أو الرأسمالية الجشعة. وهذا شيء طبيعى لأنك حين تحرم إنسانا من الأكل فترة طويلة وتضع أمامه الأكل سوف يلتهمه بوحشية وبجشع وهذا وضع طبيعى. وإن كنت أرى أن هذه الطبقة بدأت تعى لأول مرة وهذا تطور حديث فى السنوات الأخيرة. وهذا يعنى أن لها دورا اجتماعيًا مهمًا جدًا. وأصبحنا نرى أن هناك بداية لضمير اجتماعى بدأ ينشأ داخل هذه الطبقة حين نجد بعضًا من رجال الأعمال الموسرين يرصد الجوائز الأدبية والثقافية لتكريم وتشجيع المجتمع على تنمية ثقافته، وحين نجد أن هذا المجتمع أيضا يقيم مؤسسات التنمية الثقافية والخيرية وهناك أشياء كثيرة لايعلن عنها. لقد علمت أخيرا واطلعت بنفسى على منظمة أقامتها إحدى الشركات المصرية الكبرى لتمويل منح دراسية كبرى إلى أكبر دول العالم لنيل درجات الماجستير والدكتوراه، وهى تعمل فى هذا الحقل منذ سنين وترسل فى كل سنة أعدادا كبيرة من الدارسين المصريين النابغين للخارج دون مقابل ودون حتى اشتراط أن يعودوا ليعملوا بها لأنهم قد يدرسون أشياء أخرى لاعلاقة لها بأعمال هذه المؤسسة، إذن هناك دور اجتماعى يتشكل الآن وأعتقد أن واجب الإعلام أن يلقى مزيدًا من الضوء على هذا التطور لسببين:

الأول لإعلام المجتمع بما يجرى وتشجيع الناس على التقدم والاستفادة من هذه الأشياء، والثانى تشجيع بقية رجال الأعمال والمؤسسات المالية الكبرى أن تحذو حذو هذا حين تجد أن المجتمع يثمن غاليا مثل هذه الأفعال .

● الأستاذ محمد سلماوي:

ماذا عن صناعة الأمل والتفاؤل بين صفوف الشباب، حيث إن التشاؤم قد أصبح شعورا رسميا فى هذا الوطن؟

●● أنا لا أؤمن بالتفاؤل كهدف فى حد ذاته ولكن الهدف يجب أن يكون هو الوصول إلى النظرة الواقعية للأمور. هذا هو الهدف الذى لاينبغى أن نحيد عنه. وقد تؤدى هذه النظرة إما إلى التفاؤل أو التشاؤم. وإذا دعت إلى التشاؤم فعلينا أن نتخذ من الأمور مانعالج به الأوضاع بالطريقة السليمة. وإذا دعت إلى التفاؤل ينبغى أن نعلم لماذا وكيف ندعم ونؤكد أسباب هذا التفاؤل ونمضى به قدما إلى الأمام. هذه النظرة الواقعية ومحاولة رؤية الأمورعلى ماهى عليه هذا هو الشيء الذى يغيب عنا الآن ، وليس نظرة التفاؤل والتشاؤم فى حد ذاتها ، وهذا هو الدور الأساسى للإعلام وأقول بصوت عال إنه لا أحد يقوم به الآن ، فالصحف اليوم وأنا أتحدث بشيء من التعميم لكن بالتأكيد هناك استثناءات كثيرة لكن الصحف الآن تبحث عن العناوين المثيرة وقد تجد فى الفضائح أكثر إثارة من أى موضوع يدعو إلى التفاؤل أو موضوع إيجابى. والعالم منذ زمن بعيد منذ ثلاثة أو أربعة عقود اكتشف مايسمى (الصحافة التنموية) بمعنى كيف تكون الصحافة إحدى أدوات التنمية فى المجتمع و ليس إحدى الوسائل لبث الروح الانهزامية ونشر الفضائح واختلاق القصص المثيرة. ولكن مهمتها الأساسية أن تقود عملية التنمية. وهذه لاتأتى إلا من خلال محاولة النظرة إلى المجتمع نظرة عملية واقعية بالفعل ، وإذا قامت الصحافة بهذا الدور لن تجد الروح الانهزامية فى المجتمع ، وإن وجدت فتجد أن الصحافة والإعلام بوجه عام بالمفهوم السابق ستقومها وتصحح مسارها لأن الحكومة لاتحسن القيام بهذا الدور ، وهى تقول لنا بعض أرقام، وتقول حققنا نسبة نمو غير مسبوقة ولكن هناك فرق شاسع بين الرقم وتحويله إلى مصدر للتفاؤل .. والرقم يظل رقما صامتا أبكم لايقول شيئًا، والحكومة غير قادرة وفشلت أكثر من مرة فى تسويق سياستها إعلاميا ولكن أين دور الإعلام ؟ ولا أقول أن عليه أن يسوق صورة الحكومة ولكن ينبغى عليه أن ينقل صورة واقعية لما يجرى فى المجتمع وأنا أدعى وأزعم أنه إذا فعل الإعلام ذلك لن تجد مثل هذه الروح التشاؤمية الموجودة الآن. وهناك فى المجتمع المصرى إمكانات كبيرة جدا للأسف الشديد هى غير مستثمرة ومهدرة.

● **الأستاذ سلماوى :**

من يكتب تاريخ هذا الوطن وكيف نستطيع الحفاظ على ذاكرة هذه الأمة ؟

●● ليس هم من يتصدون الآن لكتابته ، وإنما الذى يكتب التاريخ هو التاريخ نفسه، وتاريخنا على ما يبدو لم يصبح تاريخا بعد ولذلك هو لم يكتب بعد الآن.. تاريخنا مازلنا نعيشه .

ولأننا نفتقد الرؤية المستقبلية لم يعد فى أيدينا إلا الماضى فنتحدث عنه لأنه مازال حيا أمامنا. فمثلا الرئيس الراحل جمال عبدالناصر هو شخصية حية وموجودة أمامنا و فى حياتنا اليومية وكذلك السادات ومحمد نجيب و سعد زغلول ومصطفى النحاس ومصطفى كامل. كل التاريخ موجود بيننا ومعنا. وأختلف معك حول أحدهم وتختلف معى حول الآخر ولذلك لانستطيع أن نكتب التاريـــخ لأنه مازال حيا ولكن التاريخ يكتب فقط حين يصبح تاريخا وحين نبعد عن هذه الفترة فهى تكتب نفسها.. بمعنى أن حقائقها تبدو واضحة وجلية ولايختلف حولها أحد، والنزاع سيصبح فى التقييم والتفسير وليس فى اتخاذ المواقف وفى الانتماء إلى جانب واحد ضد الآخر، فقد يختلف الناس فى فرنسا حول الثورة الفرنسية فى إجماع معين حول الثورة وهناك بعض الآراء لمؤرخين لهم تحفظات، قد يختلفوا حول الملكية مثلا، ولكن هم ليسوا أطرافا فى نزاع حى موجود ويكون مؤثرا فى مجريات الأمور على أرض الواقع وفى الوقت الراهن، فحين يصبح هذا ماضيًا بالفعل ستبدو حقائقه أمامنا. ومن ثم تكون كتابته ويكون هذا هو عصر كتابته والظرف الملائم لكتابته والسبب فى أننا مازلنا نعيش الماضى كما قلت لك هو غياب النظرة المستقبلية. وهناك فى العالم مايسمى بالدراسات المستقبلية التى لانعرف عنها شيئًا هذا التعبير(الدراسات المستقبلية) فرع من فروع الدراسات لا تخلو منه أى مؤسسة دراسية أو بحثية فى العالم. وهو الأساس فى دراستها ولك أن تسأل أى مؤسسة فى مصر أين خطتكم المستقبلية ؟ قد لا تكون هناك خطة وإن وجدت على أفضل تقديرفهى خطة خمسية ، وأنا زرت مؤسسات فى العالم.. الناس هناك يتحدثون عن القرن ٢٢، ويعرفون ما سوف تؤدى به تفاعلات القرن ٢١، وما سوف تسفر عنه خلال القرن ٢٢، وهل سيكون هناك حاجة لمؤسساتهم أم لا. وأذكر على سبيل المثال صديقى (أرثر سالزبرجر) وهو مالك جريدة النيويورك تايمز وهذا الحديث داربيننا منذ سنوات طويلة جدا و قبل سيطرة ثورة الانترنت والكمبيوتر بهذا الشكل وكانت منتشرة جدا منذ سنوات ماضية وقال لى إننا قمنا

بعمل دراسة مستقبلية حول الصحيفة وعن احتمال الاستغناء عن النسخة الورقية من الجريدة والاعتماد فقط على النسخة الإلكترونية.. هذا كلام من ٢٥ سنة!

وما زالت النسخة الورقية موجودة ولكن احتمال التحول من النسخة الورقية إلى النسخة الإليكترونية ما زال قائما، و ربما لم يتحقق لكن التدابير موجودة ، وبالنسبة لنا فغياب هذه الدراسات المستقبلية جعلت أعيننا تتجه بالضرورة إلى الماضى لأنه هو الشيء الوحيد الذى نمتلكه ، لأننا لانملك المستقبل و لانعرفه تماما. نعرف الحاضر ولانملكه ونعرف الماضي ونملكه .

● الأستاذ محمد سلماوي:

اللغة العربية فى خبر كان. الثقافة والفكر أصبحا بضاعة راكدة..

ما هو تعليق الأستاذ سلماوى على تلك القضايا ؟؟

●● اللغة العربية هى الهوية العربية ، ولا أفهم كيف يستغنى شعب عن هويته ويبدأ فى استعارة لغة أخرى ! أو هوية أخرى ! ليس فقط الشباب فى النادى هو الذى يصنع ذلك، ولكن أيضا هناك من المثقفين ورجال الإعلام والمسؤولين الذين يظهرون على قنوات التليفزيون الرسمية ويستعيرون بعض الكلمات الأجنبية أثناء حديثهم ويصبح دليل الثقافة والاطلاع والتقدم أن تستخدم كلمات أجنبية فى حديثنا. وفى معظم الأحيان أجد ان استخدامها خاطئ فى السياق المستخدمة فيه فليس النطق فقط خاطئ وإنما الاستخدام والمفهوم نفسه خاطئ. وهذا شيء مؤسف جدا. وإذا نظرنا عبرالحدود نجد إسرائيل تحيى لغة كانت قد ماتت واندثرت فى العالم وهى اللغة العبرية التى لم تكن موجودة ولم يكن هناك أحد يتحدث العبرية. فاليهودى فى أمريكا يتحدث الإنجليزية واليهودى فى إنجلترا كذلك وليس هناك لغة رسمية اسمها العبرية. ولكن اليهود احتفظوا بهذه اللغة وحافظوا عليها ، وحينما أقاموا دولتهم استطاعوا إحياءها فاصبحت هى اللغة الرسمية فى الدولة وأصبحوا يدرسونها لأبنائهم وأصبحوا يغيرون أسماءهم القديمة بأسماء عبرية جديدة ، فاللغة هى عنوان الهوية ، والهوية واللغة لهما دور فى غاية الأهمية ، ولكن هنا يأتى دور كبير مرة أخرى على الدولة لأنها هى التى مازالت وللأسف تسيطر على أشياء كثيرة ومنها التعليم. والتعليم هو الأساس الذى ينشئ جيلًا يفهم ويجيد ويفخر بلغته، أوجيلًا لايعرف أن

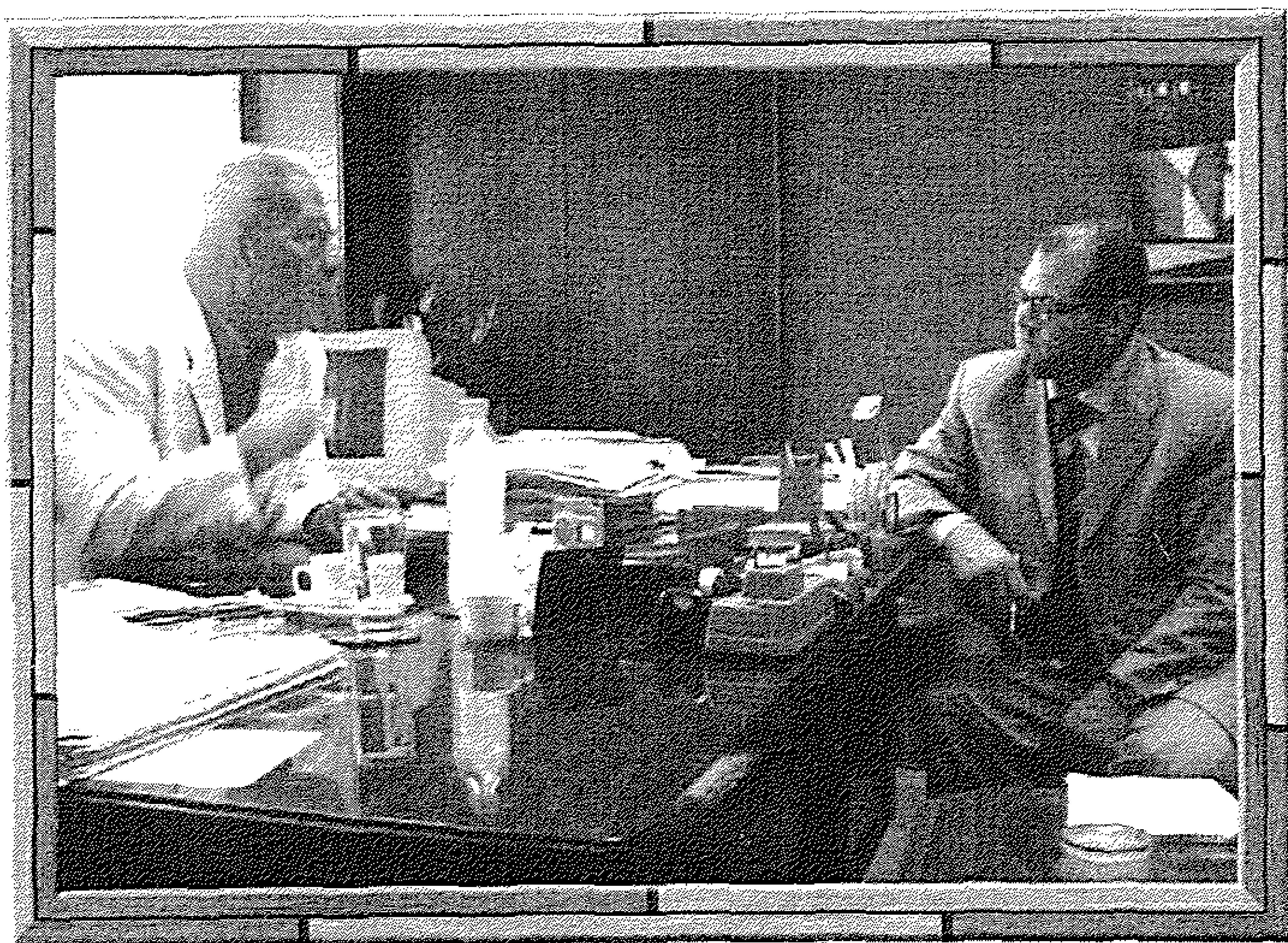
يكتب جملة سليمة ويكون عاجزًا عن الإتيان بجملة سليمة فى لغته أو فى لغة أخرى أجنبية يستعيرها لأنه لايجيد لغته الأصلية.

• الثقافة والفكر أصبحا بضاعة راكدة..

ما تعليق الأستاذ محمد سلماوى على هذه العبارة؟

●● أنا أختلف مبدئيا مع هذا الطرح فعدد المثقفين فى مصر يزيد عن ثلاثة ملايين مثقف. وهذا الرقم يتعدى تعداد بعض الدول المجاورة لنا ومنها إسرائيل. والمثقف هو الذى لاتقتصر حدود المعرفة عنده على تخصصه، فمثلا هناك طبيب بارع وعبقرى ويجرى جراحات لايستطيع أحد أن يجريها، ولكن تسأله عن الموسيقى لم يسمع عن بتهوفن، وتحدثه عن الشعر لم يسمع عن صلاح عبدالصبور، وهذا لا يكون مثقفا ولكنه متعلم. وهناك فرق بين المثقف والمتعلم، فالمثقفون هم الذين تتسع مداركهم ومعارفهم عما درسوه، وعما هو تخصصهم. ومن بين هؤلاء من يعملون بالثقافة والثقافة هى مهنتهم ووظيفتهم، وهؤلاء هم قادة الثقافة والفكر. فلا نستطيع أن نقول إن الفكر اندثر فى مصر، ربما نقول إن المعايير اختلفت، وإن الجودة قلت، وليس عندنا الآن أم كلثوم أوطه حسين أو نجيب محفوظ، وهذه النخبة كلها بدأت صغيرة مثل مانراه حولنا الآن. ومع ذلك هناك قمم معترف بها دوليا مثل مجال الآداب حينما تذهب للخارج و تجد فى المكتبات الفرنسية وغيرها كتبًا ترجمت ليس لنجيب محفوظ وطه حسين فقط. ولكن هناك جمال الغيطانى وعلاء الأسوانى وغيرهما، فنحن نعيش مرحلة انتقالية بين جيل أنهى رحلة الإبداع وجيل فى بداية الرحلة. عموما الثقافة فى مصر بخير والأمل موجود شرط العمل بإخلاص.

***



الكاتب الكبير

سلامة أحمد سلامة

رؤية شاملة .. أطروحات واضحة .. مفردات راقية

كانت تلك هى السمات الأبرز فى حوارى مع الكاتب الكبير سلامة أحمد سلامة ..

فالمستقبل لن يقبل أوراق اعتماد الشعوب المتخلفة ولن يمد يده لمصافحة الضعفاء.. إن الحديث عن المستقبل لم يعد من متطلبات الرفاهية بل أصبح من اشتراطات البقاء ! بيد أننا نعيش حالة تراجع شامل على كافة المستويات. فكيف يمكن أن ننطلق إلى المستقبل ونحن على هذه الحالة الاستثنائية ؟ لقد انهارت عمليات بناء الإنسان المصرى من خلال اضمحلال المؤسسات التعليمية والبحثية والتربوية ، ولا سبيل للخروج من هذا النفق المظلم إلا سرعة إصلاح منظومة التعليم والبحث العلمى .. فعلى مدار ثلاث ساعات كنت أستمع إلى الرجل وهو يتحدث بمرارة شديدة عن قسوة الواقع، لكننى لم أشعر للحظة أنه فقد بوصلة الأمل ، كان دائما يشعرنى - ربما عن قصد- أن طريق الإصلاح واضح للجميع لكنه ـ فقط ـ يحتاج إلى رجال .

قد كان للحديث مع سلامة أحمد سلامة مذاق وطنى ذو طبيعة خاصة أدعوكم جميعا لمشاركتى إياه ..

● فى البداية.. إذا كان وطننا يسير بلا جدول أعمال، بلا أجندة، بلا أولويات.. فإذا كانت تحديات المستقبل تحتم علينا وتلزمنا ان نتحرك وفق مخطط عام وجدول واضح وأجندة يتفق عليها الجميع كيف يرى الكاتب الكبير/ سلامة أحمد سلامة شكل و مضمون هذا المخطط و ماهى أولويات الإصلاح من وجهة نظركم؟

●● إذا نظرنا إلى الأولويات التى يجب أن توضع على رأس جدول أعمال المستقبل، فلابد وأن تكون وبلا تفكير هو (إصلاح التعليم). فالتعليم هو حجر الزاوية ونقطة الانطلاق لأى محاولة إصلاحية. إن أهم ما يجب أن ننظر إليه فى هذا الظرف التاريخى هو إجراء حوار جاد حول إصلاح المنظومة التعليمية فالتجارب الإصلاحية لدول جنوب شرق آسيا انطلقت على قاعدة التعليم .. حيث كان إصلاح التعليم هو الخطوة الأولى لدى هذه الدول وذلك لإيجاد قاعدة أساسية و قوية للبحث العلمى فالتعليم من ناحية، و البحث العلمى من ناحية أخرى هما الأساس لأية محاولة جادة للإصلاح، ومن هنا لابد من الاهتمام بالقاعدة العريضة حتى يلتحق كل من وصل سن التعليم بالمؤسسة التعليمية ، ويجب أن تكون الفرصة متاحة للجميع .. للغنى و الفقير ... لمن يمتلك ومن لا يمتلك ... للفلاح و ساكن المدينة .. يجب أن يكون لكل هؤلاء الحق فى الحصول على التعليم وذلك حتى سن الرابعة عشرة وهى ما نسميه مرحلة التعليم الأساسى فى النظام التعليمى فى مصر فلا يجب أن يكون هناك تمييز فيمن يلتحق ومن لا يلتحق بهذه المرحلة استنادا إلى المستوى الاجتماعى أو المستوى الإقتصادى للطفل .

أما بعد مرحلة التعليم الأساسى فمن الممكن أن يحدث ما يمكن أن نطلق عليه (عملية فرز)، حيث يتفاوت المستوى العلمى و المادى لتلقى التعليم فعلى المستوى العلمى يجب أن تتاح فرصة أفضل فى التعليم للمتفوقين دراسيا يتم فى هذه المرحلة تشكيل الوعى العام للجميع لتتساوى بذلك الرؤس ، فتلك هى المرحلة التى نضع فيها البذرة الأساسية لتربية المواطن الصالح لنحافظ بذلك على الهوية و القيم المنشودة لهذا المجتمع.

فى هذا السن يبدأ الغرس و الزرع.. فى هذا السن أنت تغرس كل ما تريد غرسه من قيم ومبادئ وأخلاقيات، ففى هذا السن تبدأ عملية التشكيل الأساسية لهؤلاء ، ثم هناك بعد ذلك جامعات و مراكز للبحث العلمى و مراكز تسمح بالتفوق و التميز ، ويجب أن تقوم الدولة برعاية هذه المراكز و الجامعات و لا يتم تركها للعبث أو الأهواء الشخصية.

أعتقد أنه اذا بدأنا هذه البداية ووضعنا فى هذه المرحلة كل ما نريد أن نضعه فى عقول الناس ونعلمهم ماهية المواطنة ، نعلمهم معنى الانتماء .. نعلمهم معنى الحرية.. حتى يعلم كل مواطن حقوقه وواجباته.

وهنـا لا أسـتطيع أن أطالـب شخـصا تخطـى العـشرين مـن عمـره أن يـذهب لانتخابات و يدافع عن حقوقه السياسية فهو لا يدرك مـن الأسـاس مـا هـى حقوقـه السياسية!

وهنا نأتى إلى النقطة الأكثر أهمية وهى صناعة التعلـيم فى مـصر، فمـن المعلـوم أن العملية التعليمية تحتاج إلى استثمارات ضخمة حتـى يمكـن أن تكـون ناجحـة وفعالـة وتخدم المجتمع الذى وجدت من أجله بيد أن الصورة فى مصر مغايرة إلى حد كبير ..

فمن المعروف أن الاستثمار فى التعليم (تجارة مضمونة) ولذلك نجد فيها الكثـير من الفساد والكثير من التجاوزات التى يجب أن تنتهى فورا .

و لا يوجد دولة فى العالم تسمح بظهور جامعات خاصة بهذه الـصورة العـشوائية حيث لا يوجد لها نظام واضـح، ولا يوجـد لهـا مخطـط عـام، ولا يوجـد لهـا أى شيء واضح. كل ما هنالك أنها عبـارة عـن مـشروعات تجاريـة لهـا أهـداف أخـرى أكثـر خطورة.. فتلك جامعة أمريكية تنشر الفكـر والثقافـة الأمريكيـة وتـروج للمـشروع الأمريكى، وأخرى ألمانية وثالثة فرنسية ورابعة إنجليزيـة وخامـسة إيطاليـة وسادسـة كندية و غيرها، وكلها تدافع عن ثقافات الدول التى تنتمى إليها و عن مصالحها، هى جامعات لاصطياد العقول الشابة المميزة الذين يمثلون خـيرة شـباب المجتمـع حيـث تقوم تلك الجامعات بتربيتهم وتجهيـزهم حتـى يـسهل إدمـاجهم داخـل المجتمعـات الغربية التى تعانى من مشكلة فى النمو السكانى (التوالد)، لذلك هى تحتاج إلى عمليـة تغذية دائمة باستقطاب هؤلاء الشباب ومنحهم الجنسية وتوفير البيئة المناسـبة للعمـل والترقى داخل مجتمعات تقدر وتحترم البشر. وعملية الاستقطاب هذه أو عملية الهجرة مخططة وموجهة، فأوربا تقوم بعملية فرز للعناصر التى تهاجر إليها فهى تمنـع وصـول العناصر غير الخلاقة. هم ليسوا فى حاجة إلى عمال نظافة أو ماسحى أحذية أو جـامعى قمامة. تلك العمليات التى صارت تـتم بطريقـة ميكانيكيـة وآليـة . هـم يبحثـون عـن العقول وطريقهم فى ذلك بكل تأكيد (الجامعات الخاصة) .

وهنا نلاحظ أننا إذا حاولنا البحث عن عناصر بشرية لإنشاء محطة نوويـة أو محطـة أبحاث متقدمة فلن نجد عناصر بشرية مؤهلة بـسهولة والـسبب أن العنـاصر المميـزة هاجرت أو تم استقطابها كما سبق وأوضحنا، لأن هذه الـدول تحـترم العلـم وتقـدس

العقول وتخلق البيئة التى تحفز على الإبداع والانطلاق ،أما نحن فليس لدينا خطط للاستفادة من تلك الكوادر سواء فى الصناعة أو التكنولوجيا ، وعندما تسأل أيًّا من الشباب عن طموحاته للمستقبل ستكون الإجابة المتوقعة (الهجرة)، لأن الجميع يحاول أن يبحث عن ظروف أفضل للعمل والإبداع !

و لذلك أن أجد من يضمن لى حقوقى فهذا هو الانتماء .

الانتماء هو الذى يصنع الشعوب ، الانتماء ليس مجرد ترديد لبعض الأغانى والهتافات التى ليس لها معنى ، إنه تهريج ، تهريج.. فالانتماء هو ما يصنع شخصا يريد أن يخدم أمته ، يربى أولاده بها لأنه وجد كرامته مصانة، ووجد حقوقه مصانة ، ووجد سعادته فى هذا المجتمع هذا هو الانتماء الحقيقى و ليس الانتماء الزائف الذى تروجه وسائل الإعلام الموجهة .

وهناك ارتباط وثيق بين إصلاح التعليم و وسائل المعرفة و الإعلام. وليس المقصود بوسائل المعرفة الصحافة فقط ، بل الراديو ، والتليفزيون ، و الإنترنت ، والفضائيات فلابد أن نعالج هذه المنظومة

فبعد إصلاح التعليم و البحث العلمى يمكننا الوصول للناس و الجمهور العام من خلال وسائل الإعلام لنجد بذلك من يستقبلها و يقدرها و تكون هذه الوسائل طريقة للارتفاع بالمستوى و ليس فقط للترويج للفيديو كليب. الآن جميع المحطات والفضائيات تتنافس فى الحصول على أردأ أنواع الفن الهابط دون أن نجد فيها رسالة، دون أن تجد فيها فيلمًا وثائقيًّا، وهى الأشياء التى تخبر الناس عما يحدث فى الفضاء، عما يحدث فى التقدم العلمى و التكولوجى، وهى التى تصنع المجتمع. إن وسائل المعرفة تشكل وعى الناس وبدون إصلاح التعليم فلن يستطيع الناس فهم رسالة الإعلام وأعتقد أن كل ذلك أولويات ضرورية للخطوة التالية و هى: (الإصلاح السياسى)

● قاطعت الأستاذ سلامة أحمد سلامة متسائلا .. بأيهما نبدأ: إصلاح التعليم أم الإصلاح السياسى ؟

●● أجابنى الأستاذ سلامة أحمد سلامة بدون تردد .. بالطبع التعليم يأتى فى المقدمة، لأنك لن تستطيع تحقيق الإصلاح السياسى بدون تعليم !!

قاطعت الأستاذ سلامة للمرة الثانية وقلت له (إن إصلاح التعليم لن يتم إلا بقرار سياسى). رد الأستاذ سلامة بالفعل وكما قلت فإن إصلاح التعليم يأتى بقرار سياسى ولكن الحقيقة هى أن عمليات الإصلاح سواء التعليم أو الإصلاح السياسى لا تكون منفصلة ولا يمكن أن يكون بينها حدود فاصلة، فهى عمليات متوازية ومتداخلة ومتزامنة فلا يمكن أن يتم البدء فى قطاع دون الآخر، هى فى كل الأحوال يجب أن تكون نهضة شاملة كاملة ومتوازية ، وهنا أرانى ركزت على إصلاح التعليم لأن الإصلاح السياسى لن يتحقق إلا بإصلاح التعليم.

ومن الأخطاء التى ارتكبت .. هو الاعتقاد بأن الاصلاح الاقتصادى أو الارتقاء بمستوى المعيشة و زيادة الدخل هو الأساس ، لكن الذين استفادوا من هذه النظرية هم فئة صغيرة جدا و هى الفئة المتعلمة و التى أصبحت تجنى ثمار الإصلاح الاقتصادى، و تركت الغالبية العظمى لا تدرك شيئًا و تسقط فى القاع. لذلك الإصلاح السياسى ضرورة مهمة جدا، فإذا كان هناك نظام تعليمى صحيح حيث تعليم الطفل فى كل الدول المتقدمة من الصغر أن يدافع عن حقوقه داخل الفصل و ان ينتقد معلمه بأدب و معرفة نظام المرور و كل هذه الأمور يتلقاها و هو صغير ، ومن هنا يعرف حقوقه وواجباته. فالإصلاح السياسى ضرورة مهمة بجانب إصلاح التعليم .

• قلت للكاتب الكبير وماذا عن العدالة والقضاء ؟؟

•• يقول الأستاذ سلامة أحمد سلامة إن سلطة القضاء لابد أن تعلو فوق كل السلطات ، فلابد أن يكون هناك فصل تام بين السلطة القضائية و السلطة التنفيذية التى على رأسها رئيس الدولة نفسه فلا توجد دولة واحدة فى العالم رئيس الدولة فيها هو نفسه الذى يرأس مجلس القضاء الأعلى لذلك يجب أن نعيد للقضاء هيبته ولنظام الأمن حدوده.

فالأمن هو أمن (للمجتمع) كله و (ليس أمن على المجتمع) وليس أمن خاص بفئة معينة ، هناك فئة معينة هى التى تتمتع بالحماية وتكرس جميع الجهود من أجل حمايتها أما أمن الشارع فترتفع معدلات ومستويات الجرائم فى الشوارع و البيوت مما

يثير مسألة الفوضى العامة فى كل مكان ، إذا توافرت هذه الشروط سيكون من السهل أن تطالب بتحقيق الإصلاح الاقتصادى الشامل .

فالمجتمع المصرى يتراجع و يتقهقر إلى الوراء ولا يحقق شيئًا. إن مصر مقدمة على كارثة اقتصادية فهى أصبحت لا تنتج شيئا على الإطلاق ! إننا نستورد لنأكل ونأكل لنتكلم. إننا نستورد من الصين ودول جنوب شرق آسيا وأوربا وأمريكا و اليابان. إنه سفه استيرادى مستفز إلى أبعد الحدود ، لقد تحولنا إلى سوق كبير لجميع المنتجات المستوردة من كافة تلك الدول. إننا بالفعل لا ننتج وفى نفس الوقت نقوم بالتفريط فى العقول التى نستطيع من خلالها ان نبنى النهضة المأمولة .

فإصلاح التعليم هو الخطوة الأولى نحو البداية و الإصلاح ، ولا يجب أن تترك العملية التعليمية ومستقبل التعليم فى يد وزير أو مسؤول بعينه ، فلابد أن تكون هناك أفكار واستراتيجيات ورؤى ثابتة ويتم وضع برامج لها قابلة للتنفيذ بصرف النظر عن اسم أو فكر أو مدرسة الوزير المسؤول أما أن تترك العملية للأهواء الشخصية لوزير أو مسؤول فهنا هى الخطورة والفوضى الحقيقية.

إذن وكما قلنا فى البداية .. الإصلاح يجب أن يكون حزما متوازية من البرامج المتكاملة والمتداخلة فلا يصح أن أبدأ برنامجًا إصلاحيًّا بطريقة مسلسلة على طريقة (١) (٢) (٣) ، ومن الضرورى أن يكون هناك اتفاق حول تلك البرامج من كافة التيارات والقوى الفاعلة فى المجتمع ، وعلينا أن نبدأ فورا لأن المشكلة الأكبر أننا أضعنا وقتا طويلا فى الاستسلام لما هو موجود ، فى نفس الوقت الذى يتطور فيه العالم بسرعات مذهلة وتظهر معارف جديدة وأفكار جديدة وأجيال جديدة . الآن نحن لدينا أجيال ليس لديها أية اهتمامات بما يدور على الساحة السياسية وليس لديه أية معرفة بالتاريخ. اذهب إلى شاب واسأله من هو جمال عبد الناصر مثلا ؟ بالتاكيد سوف تسمع العجب العجاب !!

إذن نحن لدينا مشكلة حقيقية فى هذا البلد وهو أن الأجيال الحالية ممسوحة الذاكرة ، ممسوحة الهوية ، لا يهمها الحاضر ولا تنظر للمستقبل ، ليس لديها طموح ليس لديها وعى سياسى ، وهؤلاء لم يجدوا نظاما تعليميا أو سياسيا يوجه ويربى ويسمح بالمشاركة ، لا توجد دولة فى العالم تمنع النشاط السياسى فى الجامعات ، ولا

حتى فى روسيا أو الصين. فالنشاط السياسى جزء من تشكيل الوعى والوجدان. ونحن لم نتعلم سياسة إلا فى الجامعة وكل السياسيين العظام لم يتعلموا السياسة إلا فى الجامعة ، أما الأحزاب والجماعات فيمكن منعها من الظهورباالجامعات ،أما أن تمنع السياسة من الجامعات نهائيا فهذا يعمق المشكلة ويضيف جهلا على جهل وسطحية على سطحية. الخلاصة يجب أن يكون هناك نشاط سياسي بالجامعة حتى يمكن لهؤلاء الشباب أن يتعلم كيف يشارك وكيف يمارس العمل العام .

وهنا ننظر إلى ما يحدث فى الجامعة الأمريكية مثلا سنجد العديد من الأنشطة السياسية والندوات الفكرية ذات الطابع السياسى .. فالجامعة جزء من المجتمع، لذلك تجد طلبة وخريجى الجامعة الأمريكية أكثر وعيا وفهما وجرأة وتفاعلا مع المنظومة السياسية ،والسؤال لماذا يتم حرمان الطالب المصرى فى الجامعات الحكومية من ممارسة النشاط السياسى والفكرى داخل جامعته ؟ لماذا نحرمه من أن يعبر عن رأيه حتى لو بالتظاهر والاحتجاج بالطرق المشروعة ،فالتظاهر حق من حقوق المواطن وشكل من أشكال الديمقراطية.

● **أستاذ سلامة:**

مستقبلنا يرسمه أعداؤنا.. أما الماضى فيتم صياغته عبر كتابات قد تكون - فى أحسن الأحوال - غير دقيقة!

أستاذ سلامة من يكتب تاريخ هذا الوطن ؟ و من هى الجهة التى تراجع ما يكتب ؟ و هل من الأجدى إنشاء كيان مؤسسى لجمع و حفظ الوثائق و كتابة التاريخ؟؟

●● يقول الأستاذ سلامة أحمد سلامة :

أعتقد أن الوثائق التاريخية هى التى تساعد فى كتابة موضوعية للتاريخ ، فوجود الوثائق ثم وضع آلية واضحة ومقبولة لكيفية الإفراج عن تلك الوثائق فى الوقت المناسب حتى يمكن دراسة ما حدث فى الماضى للاستفادة منه فى إدارة ملفات الحاضر والمستقبل .

وهنا أعتقد أن ما حدث خلال حرب أكتوبر وحتى قبل تلك الحرب وخلال ال ٥٠ سنة الماضية لم نعرف ما حدث فى كثير من المراحل إلا من خلال ما ظهر من وثائق

غربية أو أمريكية أو حتى إسرائيلية. أما فى مصر فلا توجد و ثائق مصرية متاحة ! فكلها أو معظمها حبيسة ولا يسمح بتداولها لأسباب غير مقنعة فى معظم الأحوال وغير مقبولة من الناحية العملية ، أما الدول الغربية فتفرج بعد فترة معينة عن هذه الوثائق لتضعها أمام الكتاب و المعلقين والمؤرخين لكى يراها الجميع وهناك العديد من الأمثلة على ذلك فألمانيا بعد دخولها الحرب و خسارتها قامت بالإفراج عن وثائق تلك الحرب بعد ٢٠ سنة فقط ليعرف الجميع ماذا حدث قبل وأثناء تلك الحرب، وليعرف الجميع من هو هتلر ومن كان معه و من كان ضده، ومن هم الحلفاء وموقفهم؟ و تم معرفة حقائق لم تكن معروفة قبل الإفراج عن تلك الوثائق ، أما فى مصر فالوضع مختلف تماما فبعد حرب السويس مثلا كان لا بد و ان تكون هناك وثائق مصرية توضح ما حدث فى تلك المرحلة الدقيقة من تاريخ الوطن. تلك الوثائق تساعد فى المحاسبة لمن أخطأ والمكافأة لمن أجاد حتى ولو بأثر رجعى. نحن لا يمكن أن نستمر فى تقديس شخصيات ارتكبت أخطاء فى حق الوطن ولم يحاسبها أحد ، وهنا لابد أن نذكر أن كل زعيم فى العالم له أخطاؤه وله مميزاته، هذا يساعد فى توعية الشعب بتاريخه وبزعاماته بأنه هناك توازنات موجودة و ليس تحيزًا لأى شخص فهناك من يكرم و هناك من يجازى، لنخلق بذلك مواطنين لهم القدرة على الفحص والتدقيق وليس لديهم الاستعداد لتصديق كل ما يقال له. إن عملًا كهذا يساعد الشباب فى أن يشارك فى صنع المستقبل من خلال المشاركة فى صنع القراروالاهتمام بالعمل العام، فعندما نعرف اخطاء الماضى نستطيع أن نشارك فى صنع المستقبل بطريقة أفضل، بطريقة خالية من الأخطاء، فغياب الوثائق يتسبب فى الكثير من القراءات الخاطئة للتاريخ ، وتصبح هناك عملية تشويش على أحداث وأشخاص لا نعلم إن كانوا أبطالا أم كانوا خونة ، هل كانوا جواسيس أم كانوا عملاء مزدوجين أم كانوا أبطالا. إذن لابد وأن يكون هناك وثائق ،لابد أن يكون لديك ميزان كى تستطيع أن تزن الأمور وتكشف الحقائق. إننا فى الواقع أهملنا التاريخ كما أهملنا أشياء عديدة فى حياتنا، وهنا أتساءل لماذا انتشرت حوادث التجسس خلال الفترة الماضية؟

وهؤلاء الجواسيس لماذا يتجسسون وعلام يتجسسون؟ الإجابة ببساطة لأنه لم يتربّ من الأساس بطريقة سليمة .. فأنا المسؤل .. دولة ونظام ومجتمع عن هذه

الإفرازات الشاذة الممقوتة. فالمجتمع ساهم فى صنع هؤلاء ، شخص متعلم لكنه غير متربٍّ. (عشان قرشين أو عشان منصب يبيع نفسه و بلده) .

وهذا كله ناتج عن ما أسميه(تحلل الوعى الوطنى والقومى).

• قلت للأستاذ سلامة أحمد سلامة .. أين ذهبت الطبقة الوسطى فى المجتمع المصرى ؟ يبدو أنها تحللت وتآكلت ونستطيع أن نتلقى فيها العزاء !!

●● يبدوأن الرأسمالية المتوحشة ابتلعت ما تبقى من الطبقة الوسطى ، والطبقة الوسطى هى المهنين والموظفون وأصحاب المهن الحرة والتجار متوسطو المستوى. ونستطيع أن نقسم الطبقة الوسطى إلى طبقة متوسطة عليا ووسطى ودنيا وهذه التنوعات تساعد على وحدة المجتمع وتماسكه وترابطه ، فالطبقة الفقيرة تحتاج من يأخذ بيديها وهذا هو واجب الطبقة الغنية بالتأكيد وهذا هو الدور الاجتماعى المثمر فى مجتمع كالمجتمع المصرى. طبعا الطبقة المتوسطة أخذت تتآكل بمرور الوقت منذ سياسة الانفتاح، وتآكل تلك الطبقة أدى الى العديد من الاثار السلبية فالطبقة المتوسطة هى التى يتشكل منها المجتمع وهى التى تشكل فكر واهتمامات المجتمع وهى التى تحدد الأولويات المجتمعية ، باختصار هى التى تملك زمام الامور لانها الأنشط فى العمل السياسى.

• الأستاذ سلامة :

بعد حديثنا عن ضياع الطبقة الوسطى فى المجتمع .. هل ترى مصر فى مكانها و مكانتها اللائقة كدولة كانت رائدة إقليميا ودوليا فى يوم من الأيام؟؟

●● مصر فقدت الكثير من مكانتها على المستوى الإقليمى و المستوى الدولى ، لأنه حدث نوع من الانكماش والتآكل للدور المصرى على جميع المستويات عربيا وإفريقيا ودوليا .

وها هى الملفات الساخنة فى غزة ودارفور وجنوب السودان ولبنان والصحراء المغربية وإيران والعراق والمشاكل الموجودة فى ومع دول حوض النيل ، بصراحة

ووضوح الأمن القومى المصرى فى خطر !! هناك العديد من الملفات التى خرجت من بين يدى مصر تماما ولم يعد لمصر دور فيها على الإطلاق ..

• قلت : عندما تولى محمد على إدارة مقاليد الأمور فى مصر نظر بعينه البصيرة الخبيرة إلى أن أمن مصر القومى يبدأ شرقا من بلاد الشام ومن الجنوب حيث منابع النيل لذلك كانت حملات محمد على إلى تلك البلاد لأجل الحفاظ على أمن مصر القومى وأنا فى الحقيقة أشعر أن الأمن القومى المصرى فى خطر

•• رد الأستاذ سلامة بقولة طبعا لأنه حدث نوع من التآكل والانكماش فى الاهتمام بالأمن القومى المصرى ومن ثم بالدور المصرى على كافة الأصعدة المحلية والإقليمية والدولية ، وأصبح فى كثير من الأحيان ينظر إلى مصر على أنها جزء من المشكلة وليست جزءًا من الحل !!

فالبعض يردد أن مصر لها دور محورى ، أين دورك المحورى ؟

الدور المحورى هو أن تنهض بنفسك وتقف على قدميك ولا تحتاج مساعدات من الآخرين أولًا .. ثم تبدأ فى المساهمة فى حل مشاكل الاخرين وتبحث عن دور محورى.

أنت الآن تنتظر عربة قطار من قطر وأخرى من ليبيا وغيره وغيره والسؤال .. كيف تستطيع ان تقوم بدور ريادى وأنت تنتظر مساعدة من آخرين ! أعتقد أن الأمور باتت سيئة إلى أبعد الحدود. انظر إلى الشباب الذى يفضل الموت غارقا على سواحل أوربا عن العيش فى هذا البلد ، لابد من البدء فورا فى وضع حلول جذرية لهذه المشكلات المعقدة والمتداخلة والمتضاربة

• استاذ سلامة :

هناك حالة من الإحباط و اليأس بين الشباب .. وهناك أسباب عديدة لعل من أهمها البطالة وسوء مستوى المعيشة، هناك حالة من الاحتقان بين فئات عديدة أخرى من المجتمع بسبب قضايا سياسية و حريات عامة ...... ما هى الرسالة التى

يوجهها الكاتب الكبير سلامة أحمد سلامة لهؤلاء الشباب وتكون بارقة أمل و طوق نجاة – هل نستطيع أن نقول لهؤلاء المحبطين: (هناك أمل)؟

●● هذه المهمة الكبيرة والخطيرة تحتاج إلى إمكانات هائلة .. فكى تحيى الأمل لدى الناس مرة أخرى فهذه مهمة صعبة جدا لكنها فى غاية الأهمية.

إنها دور جهات عديدة و خاصة النخبة المثقفة فهى تتحمل الجزء الأكبر من المسؤولية فى هذا الصدد ، لكن هناك نسبة كبيرة من هؤلاء يتصفون بالأنانية فهم يفكرون فى تأدية أعمالهم بنجاح فقط دونما محاولة جادة لشرح ونقل تجاربهم تلك إلى آخرين كى تتسع دائرة النجاح داخل المجتمع بالإضافة إلى النتيجة الأهم وهى بث روح الأمل وخلق نوع من التحدى وبعث للطموح من سباته .

نحن نريد نماذج تحيى الأمل مثل الدكتور زويل والدكتور مجدى يعقوب والدكتور محمد غنيم والعديد من العلماء والنوابغ المصريين فالاهتمام يجب أن يكون بهؤلاء .. لا بالفنانين ولاعبى الكرة فقط حتى يمكن أن يكون هناك قدوة للشباب فى عصر ما عاد الشباب يجد من يقتدى به ويقلده إلا بعض المطربين والفنانين ولاعبى الكرة. فمثلا محمود العربى نموذج نادر لرجل عصامى فهو من الناس الذين خدموا الصناعة الوطنية أكثر من وزارة الصناعة ذاتها لأنه بدأ من الصفر حيث كان يقوم بتجميع الأجهزة الكهربائية مثل التليفزيونات حتى بدأ فى تصنيع نسبة محلية هنا ثم توسع فى صناعات لأجهزة أخرى، والآن لديه مجموعة من المصانع المتكاملة يعمل بها أكثر من ٢٧ ألف عامل. تلك هى النماذج التى يجب أن تسلط عليها الأضواء وليس النماذج الفاسدة المفسدة التى نهبت وتنهب البلد .

● أستاذ سلامة :

يبدو أن حال الصحافة والفكر والثقافة يحتاج إلى تعليق!!

●● ما يحدث فى الصحافة هو انعكاس لما يحدث فى المجتمع أو هو رد فعل لما يحدث فى المجتمع ،فما يحدث فى الطبقة الوسطى ينعكس تماما على الصحافة سلبًا وإيجابًا. أعتقد أيضا أن الصحافة أخذت مساحة كبيرة من الحرية خلال المرحلة الحالية ، لكن مازالت الصحف القومية تعانى العديد من المشكلات وذلك نتيجة الخلل فى الأمور المالية والاقتصادية. فالنظام الاقتصادى للدولة تغير وأصبح النظام الاقتصادى الحر

بآليات السوق بتشجيع الملكية الخاصة هو أساس العمل داخل المجتمع وهذا يجب أن ينعكس على الصحافة وهناك صحف خاصة استطاعت أن تفرض نفسها وأسلوبها وتحقق نجاحات ملموسة فى الصحافة المصرية. أما إذا كنت تريد صحافة تابعة للدولة حيث تقوم بالترويج والتهليل لما تمليه الدولة عليها وتقوم بتبرير أخطاء الدولة والتغطية عليها وهذا يتم بعيدا عن الموضوعية والمهنية لعالم الصحافة، فهنا يجب أن يكون هناك حساب أخلاقى ومهنى حال وقوع أخطاء من هذا النوع. وهذا الحساب لن يحدث طالما بقيت المؤسسات الصحفية تابعة للدولة.

● أستاذ سلامة:

●● هناك الكثير من المشاكل ذات الأبعاد السياسية يتم معالجتها بطريقة أمنية وترفض الدولة لغة الحوار مع أى فصيل مهما كانت مطالبه ، وهناك شماعة لها أسماء عديدة.. الحفاظ على هيبة الدولة .. أو كما قال أحد الوزراء (محدش يلوى دراعى) كيف ترى هذا الموضوع ؟!

●● يقول الأستاذ سلامة:

هيبة الدولة تنشأ إذا كانت الدولة عادلة. الناس ستحترم الدولة إذا أحست أنها عادلة تعطى كل ذى حق حقه. الدولة هى التى تضرب على يد الظالم و توزع الحقوق على أصحابها بمنتهى العدالة، هذه هى الدولة التى يكون لها هيبة فيحترمها الناس ويحبونها ، أما أن تقوم الدولة بالتآمر ضد فصيل معين أو مجموعة معينة فهذه هى المشكلة ،فسوء الإدارة لبعض الأزمات ناتج من أن الدولة لم تفهم أو تتفهم تلك الأزمات ، لذلك تجد أن الدولة تقوم بإسناد حل بعض المشكلات لبعض الأجهزة غالبا ما تكون أجهزة أمنية ليس لديها الصلاحيات لحل مشكلة مثل مشكلة بدو سيناء على سبيل المثال فهذه الأجهزة لا تفهم أبعاد المشكلة سواء الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية أو الجغرافية أو التاريخية فهل هذه الأبعاد يستطيع ضابط شرطة كل مهمته مطاردة المجرمين وتجار المخدرات أن يتفهمها أو يحلها ، وهو فى كل الأحوال لن يستطيع أن يحلها إلا على طريقته وعلى قدر ما يفهم ، ويترتب على هذه الحلول مشاكل ضخمة جدا تصيب حتى سمعتنا فى الخارج بأضرار جسيمة .

• **أستاذ سلامة:**

كيف يتم اختيار الوزراء والمسؤولين فى مصر ؟

●● أنا لا أعرف كيف يتم ذلك بالضبط فليس هناك مطبخ سياسى لتربية الكوادر التى أستطيع أن أختار من بينها وزيرًا ما ، وذلك لعدم وجود أحزاب .. الأحزاب هنا مضروبة ..و ليس هناك أحزاب بالمعنى السياسى الموضوعى تتصارع للوصول للحكم، بل اقتصرت الحياة السياسية على وجود الحزب الوطنى وهو عبارة عن مجموعة منتفعين بنظام الحكم. وهنا لابد أن يتم الفصل بين رئاسة الحزب ورئاسة الدولة. لابد أن يتخلى الرئيس مبارك بصفته رئيس الجمهورية عن رئاسة الحزب الوطنى ، فالرئيس الفرنسى تخلى عن رئاسة حزبه بمجرد وصوله للحكم وهكذا فى إنجلترا وكافة الدول الديمقراطية.

ويجب أن يتم احترام رأى الناخب وعدم تزوير الانتخابات حتى لا تتحول العملية الانتخابية إلى لعب عيال ، وهذا يؤدى إلى ضياع هيبة النظام الانتخابى ذاته.

ومصر بها العديد من النخب التى تتمتع بالكفاءة والموهبة والوطنية والإخلاص لكنهم ليسوا فى الصورة ولا يعلم عنهم متخذو القرارشيئا. وهنا تضيع على مصر فرص عديدة لتولى أشخاص أكفاء لمناصب داخل منظومة الحكم بهذه المواصفات الجيدة .

البيروقراطية لم تعد تناسب الحياة السياسية.. فطبقة التكنوقراط لم تعد صالحة للعمل السياسى، هم أناس فنيون وفقط، وكذلك لا يجب أن يتم تعيين وزير لأن رئيس الوزراء كان زميله فى الجامعة أو قريبه أو نسيبه أو يحبه ! هذا تهريج خطير جدا.

• **ماذا عن الإخوان المسلمين .. الا تتفق معى انهم تيار له تواجده فى الشارع وله رصيد اجتماعى وانسانى تحول مع الوقت إلى رصيد سياسى يستوجب التعامل معه بواقعية وفق (لعبة الديمقراطية).**

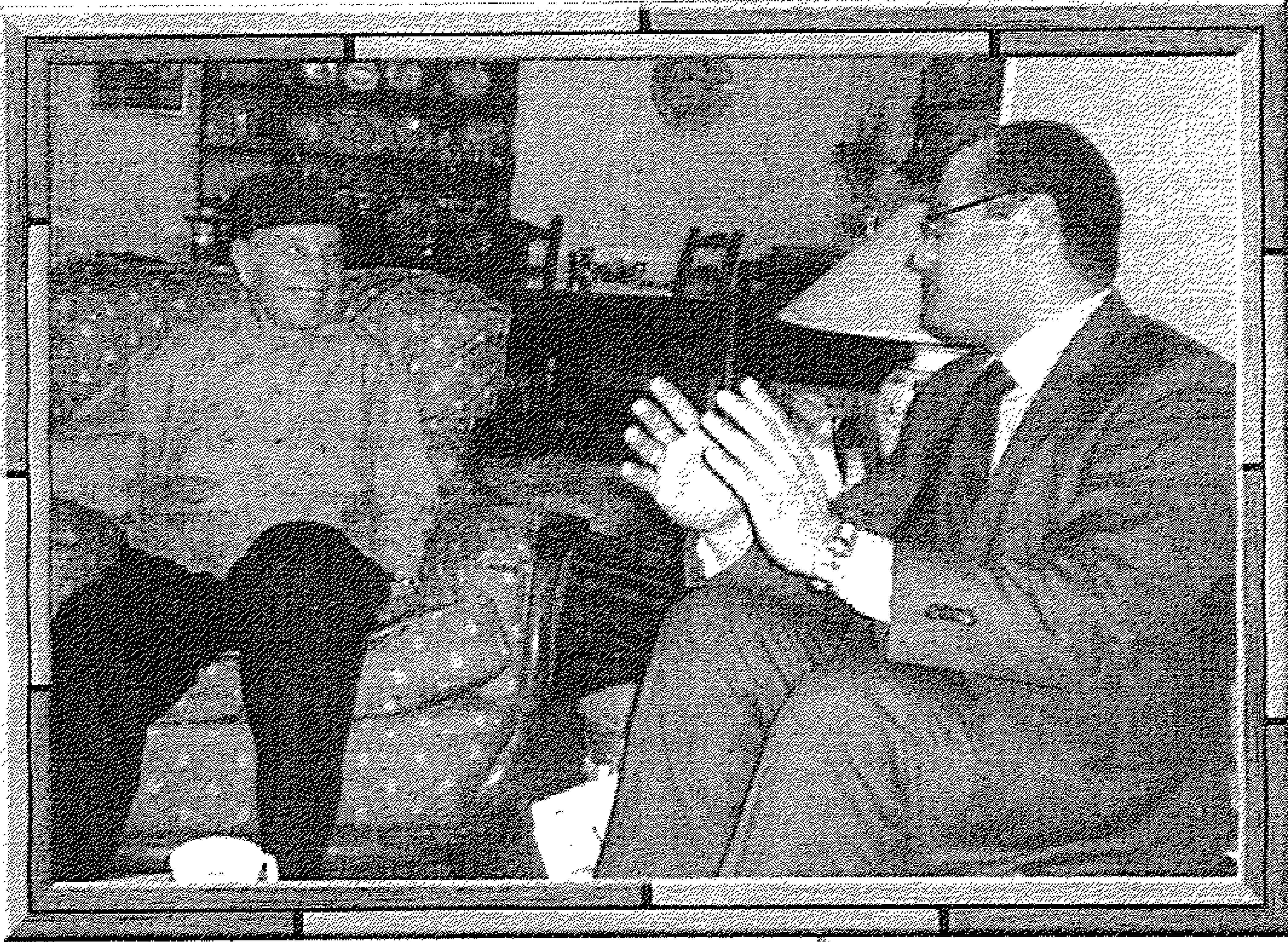
●● الإخوان المسلمون ... تيار إسلامى له تاريخ و يشارك فى الحياة السياسة ولا بد من إدخاله وإشراكه فى نسيج الحياة السياسية، إدخاله فى هذا النسيج بشروط المجتمع وهى الشروط التى تحافظ على كيان الدولة و استقررها و نظامها و لا بد ان يلتزم بهذه الشروط إذا كان يريد العمل فى السياسة ، ويعمل على المكشوف وفى النور. لكن الدولة

تتعامل مع هذا الملف بطريقة خاطئة ساعدت الإخوان على النمو والنضج وخلق أجيال وكوادر جديدة بصفة مستمرة.

فكلما يدخل أحد من الإخوان السجن كلما يكسب عطف الناس الذين يظنون أنه على حق و الحكومة دائماعلى باطل و هى التى تحاربه .

فإذا نجح النظام فى حل مشكلة الشرعية بطريقة سياسية فلابد من التعامل بعقل سياسى وليس عقل أمنى مع مشاكل من هذا النوع .

***



الفريق

سعد الدين الشاذلي

من يقرا تاريخ هذا الرجل لابد أن يشعر بالفخار ، عقلية إستراتيجية عسكرية نادرة وعاها التاريخ وأفرد لها صفحاته الناصعة فكانت سطورا ذهبية تروى أعظم البطولات. سيرة هذا الرجل ومسيرته كانت وما زالت مثار دهشة وإعجاب كافة الدوائر المعنية .. إنه الفريق سعد الدين الشاذلى لا يحتاج إلى تقديم أو تعريف ، ذهبت أستمع إلى آرائه وأتطلع إلى رؤاه حول مستقبل وطننا الحبيب فدار الحوار التالى:

● قلت للفريق الشاذلى كيف ترى مستقبل مصر ؟

●● الموقف صعب ودقيق جدا .. سنوات طويلة من القمع جعلت من الصعب أن يتم بطرق تقليدية ، وباختصار شديد نستطيع القول بأن خطوات إصلاح هذا المجتمع كى ينطلق إلى المستقبل لن يأتى إلا إذا بدأت سياسيا و من أعلى ، ولا أمل فى أية محاولات إصلاحية سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو غيرها مالم يكن ذلك مؤيدا من قيادة سياسية قوية !

ولذلك أنا فى اعتقادى أنه حاليا ليست هناك رغبة أكيدة من القيادة السياسية لهذا الإصلاح. والقمع ربى الخوف فى نفوس الشعب، فلابد من تغيير القوانين التى تكبل الحريات. وهنا يبرز سؤال وتساؤل فى غاية الأهمية.. ما الذى سيدفع القيادة السياسية بأن تقوم بعملية الإصلاح وهى فى السلطة وتسيطر سياسيا واقتصاديا على كل شيء، والتغيير فى هذه الظروف لن يأتى إلا بعملية انقلابية. وهذا خطر شديد جدا ، فإشعال عود الكبريت من أسهل ما يمكن، أما إطفاؤه فهو الصعوبة بعينها، إذن الإصلاح البطيء قد يكون هو الحل الذى يناسب الظروف الراهنة فى مصر، وبنظرة إلى تاريخ مصر نجد أن الفترات التى كان الحكم فيها لحكومات قوية ومسيطرة على كافة الأوضاع كانت الإصلاحات تتم بسرعة فائقة، وعندما تغيب هذه السلطة كما هو فى المرحلة الحالية نجد أن الإصلاحات بسيطة وبطيئة جدا، فليس أمامنا إلا أن نقبل الإصلاح البطيء مرحليا إلى أن يصل بنا إلى الخطوة الجريئة، وأنا اكتشفت شيئًا غريبًا

جدا عندما كنت رئيسا لأركان القوات المسلحة وهو أن معظم الذين يخالفون القانون ويخالفون المصلحة العامة ليسوا على دراية بما هو الخطأ وما هو الصواب .. إنهم غير مدركين لما يرتكبون من أخطاء ، وهنا تبرز على الساحة قضية التعليم، فإذا قمت بتعليمهم وتوجيههم فسوف تختفى نسبة ٩٠٪ من تلك الأخطاء والمخالفات، ودائما ستبقى نسبة ما تقاوم وتخالف، رغم علمها بالقواعد والنظم. هذه النسبة يمكن إصلاحها بالتهديد والردع، وكان سهل على جدا وأنا فى السلطة أن أبدأ فى تعليم هؤلاء الذين لا يعلمون وكان ميدان العمل المتاح أمامى هو القوات المسلحة. ولابد فى نفس الوقت أن يكون هناك المثل والقدوة حتى تسهل عملية التصحيح والتوجيه والتعليم. فلكى يحترمك ويثق بك مرؤوسوك لابد وأن تكون قدوة ومثلًا. لذلك فكل خطأ يرتكب فى القوات المسلحة كنت أقوم بعمل دراسة لهذا الخطأ وابدأ فى شرح هذا الخطأ من كل الزوايا وأوضح تأثيره على بقية المتغيرات. وفى النهاية لابد أن أوضح لهم كيف نصحح الخطأ وبالطبع أشرح لهم ما كان يجب فعله حتى لا نقع فى تلك الأخطاء، وأتذكر أنه خلال شغلى لمنصب رئيس الأركان أصدرت أكثر من ٥٠ توجيها، وكل توجيه من هذه التوجيهات كان بمثابة عنوان كبير. وظهرت نتائج ذلك فى النجاح الباهر الذى حققته القوات المسلحة لحظة العبور ، حيث فوجئ الضباط والجنود أن ما تدربوا عليه قبل المعركة هو ما قاموا بتنفيذه أثناء المعركة ولذلك عندما قمت بزيارة الجبهة يوم ٨ أكتوبر بعد مرور ٣٠ ساعة على بدء المعارك ، قام الجنود والضباط باستقبالى وحملى على الأعناق وقاموا ببعض الأمور غير القانونية ولكنهم لم يستطيعوا أن يسيطروا على مشاعرهم وبدأوا يهتفون بالتوجيه رقم ٤١ الذى يعد هو أساس عملية العبور ، حيث مرت ٢٤ ساعة لم يسأل أحد أحدا فى المستوى الأعلى على الإطلاق. كان أسلوبًا جديدًا فى إدارة المعارك حيث اعتبرنا أن ال٢٤ ساعة الأولى هى الأهم والأخطر فى المعارك الدائرة مع العدو. لكن للأسف الشديد تدخلت القيادة السياسية فى إدارة المعارك وحدث التصادم. وهذه مشكلة كبيرة جدا فى البلدان التى لا تأخذ بالنظام الديمقراطى السليم. وفى الحقيقة أن السادات كان معذورا حيث تحقق ما لم يكن يحلم به السادات ، وأنا شخصيا فوجئت بما تحقق من إنجازات ، لقد كنت أتوقع أن عملية العبور ستكلفنا حوالى ١٠٠٠٠ إصابة منهم إصابات قاتلة حوالى ٣٠٠٠ إصابة ، لكن فوجئنا أن إصاباتنا ٢٨٠ ضابطًا وجنديًا، وهذا عدد قليل جدا

مقارنة بما كان متوقعا من قبل ، لكن المفروض أنه أثناء الأزمات يجب ألا ننسى الحقائق التى أدت إلى هذا والأشياء التى من الممكن أن تحدث ، فالنصر لعب بعقول الذين ليس لديهم فكرة !!

وقال هؤلاء طالما أن العملية سهلة إلى هذا الحد فلماذا لا تتقدمون للأمام.. ونسى هؤلاء ما هو الهدف من الحرب ونسى هؤلاء إمكانات العدو ونسى هؤلاء إمكاناتنا. فإمكاناتنا لا تسمح أبدا بتحرير سيناء ولا تسمح أن تصل قواتنا إلى الممرات بل تسمح فقط أن نعبر وندمر خط بارليف ونسيطر على حوالى عشرة كيلومترات شرق القناة ثم نتوقف ونجبر العدو على الانصياع للأمر الواقع. والعدو يتفوق تفوقا ساحقا فى القوات الجوية ولا توجد معركة شاملة تستطيع أن تنجح بدون قوات جوية تساعد القوات البرية وتحميها من هجمات العدو ، هناك دفاع جوى صاروخى متحرك ، وكان لدينا دفاع صاروخى ولكن غير متحرك أى غير ميدانى ، ونحن لا نملك سوى سام ٦ فوج واحد كعينة وهذا لا يكفى نهائيا بل نحتاج أكثر من ١٥ لواء صواريخ سام ٦ حتى نستطيع أن نقول إن لدينا هجومًا، لذلك نقوم بتجزئة كل مشكلة ودراستها من كل الجوانب، إذن ليس لدى طيران وليس لدى دفاع جوى متحرك وسط هذه الظروف وبهذه الإمكانات هل نستطيع أن نقوم بهجوم شامل ؟ الإجابة بالتأكيد يمكن أن نستطيع عن طريق الدفاع الجوى الصاروخى - رغم أنه بطيء الحركة وموجود على مسافة ٢٠ كم- فقبل الحرب أو مع بدايتها تقوم بدفع قوات الصواريخ الموجودة على مسافة ٢٠كم غرب القناة إلى ٥كم غرب القناة أو على شاطئ القناة الغربى ، مما يعطى حوالى من ١٠ إلى ١٥ كم مظلة أستطيع أن أتحرك فيها بحرية ، وبذلك تستطيع القوات البرية أن تتحرك بحرية تحت غطاء جوى ، وبذلك أكون حرمت العدو من إمكانيات تفوقه ، كان لابد أن أقوم بعمل التجربة ، وأنا توليت القيادة فى مايو ١٩٧١ وبدأت فى التفكير الفورى فى العمليات الهجومية خلال شهرين من تحمل المسؤولية وبدأت الأمور تتبلور فى ذهنى . وفى سبتمبر من نفس العام قمنا بعمل مواقع دفاعية هيكلية (محاكاة) غرب القناة بحوالى ٥كم ، وأسندت المهمة لكتيبة صاروخية ، وكانت إسرائيل لديها طائرة متطورة وكانت بمثابة مصنع طائر. وكان قادة العدو يحركون هذه الطائرة كل يوم ثلاثاء حيث تسير تلك الطائرة شرق القناة بحوالى ٥كم حيث ترصد جميع كتائب الصواريخ والرادارات والترددات وأصبحت الأمور مكشوفة،

وكان المخطط أن تتحرك الكتيبة يوم الإثنين مساء وقامت باحتلال هذه المواقع على مسافة ٥ كم غرب القناة، وجاءت الطائرة فى موعدها تتهادى وتم مهاجمتها بصاروخين وانتهى الأمر. وكان لابد أن أفكر ماذا سيحدث بعد ذلك على الجانبين المصرى والإسرائيلى. على الجانب المصرى أتوقع أن يكون هناك رفض لهذه الفكرة، وعموما إذا أردنا أن نقوم بعملية عسكرية فلابد أن يكون لدينا الرغبة والقدرة، وكان يمكن فقط لوزير الحربية ورئيس الجمهورية أن يعترضا على تلك العملية، وجاءت الفرصة بسفر الإثنين معا إلى خارج البلاد وأصبحت مسؤولا عن اتخاذ القرار! أما الجانب الإسرائيلى فكانت كل مشكلته هى تنفيذ الضربة المضادة بأسرع ما يمكن، لذلك قام الطيران الإسرائيلى بمهاجمة المواقع المصرية ويحاول أن يضرب مواقع الصواريخ الهيكلية، وكان العدو لديه صواريخ جديدة وكنا نريد أن نعرف قدرة هذه الصواريخ، وبالفعل نزلت هذه الصواريخ لمسافات أقصر مما هو مخطط، حيث كان المدى الأقصى لهذه الصواريخ ١٦ كم فقط، المهم أن العدو الإسرائيلى قرر ألا تقترب الطائرات الإسرائيلية من شرق قناة السويس مسافة ١٥ كم، إذن الشريحة التى أريد أن ألعب فيها زادت.

الدروس المستفادة من هذه الموضوعات أن التفكير المنظم والرؤية الشاملة تؤدى إلى النجاح والنجاح يؤدى إلى الثقة بالنفس، والأهم من ذلك كيف يثق الجندى بقائده؟

والحقيقة أنه بعد حرب ٦٧ بذلت مجهودات كثيرة جدا لتحسين موقف القوات المسلحة، وكانت المشكلة الأساسية هى نقص نسبة الحائزين على شهادات عليا فى القوات المسلحة وكان للفريق فوزى باع طويل فى هذا الصدد حيث كان الفريق فوزى يشغل منصب رئيس الأركان فى الفترة من ٦٧ حتى ٧٠ ثم وزيرا للحربية بعد ذلك، فالحقيقة أننى بدأت العمل كرئيس لأركان القوات المسلحة بعد الفريق محمد فوزى الذى ترك لى إرثا جيدا استطعت أن أكمل عليه ولم أبدأ من الصفر، كان الفريق فوزى قد أصدر تعليمات بأن هؤلاء المتعلمين لا يجب أن يستمروا فى أعمال مكتبية فقط بل يجب أن يكون لهم دور ما داخل الوحدات. وقمت بعمل شيء جديد حيث وجدت أن هناك حوالى ٢٠ ألفًا من المتعلمين، فقررت أن أقوم بعمل دراسات مركزة لمدة ستة أشهر ويتخرج الدارس من هؤلاء برتبة ضابط مجند، يتخصص فى فرع ما

ويجيد كل تفاصيله ، وقمت بتنظيم تلك الدورات لأكثر من دفعة حتى وصلت النتيجة إلى ٢٠ ألف ضابط مجند ، وبذلك نكون قد قمنا بحل مشكلة فى غاية الصعوبة، فالجنود لايعرفون أين الخطأ وأين الصواب ، وكان هناك عجز حوالى ٢٠ ألف ضابط ، والمطلوب ٣٠ ألف ضابط فى الوقت الذى كانت فيه الكليات العسكرية مجتمعة لا تملك إلا حوالى ٣٠٠٠ ضابط ، معنى ذلك أن العدد المطلوب يمكن أن يتوافر خلال ١٠ سنوات ، لذلك جاءت فكرة الضباط المجندين حلا ناجعا لمشاكل التعليم ورفع كفاءة الجنود ، حيث سأقوم بتعليم وتدريب ٢٠ ألف خلال سنتين ، وعندما بدأت الحرب كان لدينا حوالي ٦٣ ألف ضابط حيث قمنا بسداد العجز بل وبقى لدينا ١٪ زيادة تحسبا للخسائر البشرية أثناء المعركة.

أما الذى يحدث الآن فهو شيء خطير فكل وزير يأتى لابد أن يقوم بإلغاء ما قام به الوزير الذى سبقه ويبدأ من جديد !! والسؤال أين القيادة التى ترأس هؤلاء السابق والحالى ، وإذا فشلنا فى تحديد من هو المسؤول فيكون الرئيس الأعلى هو المسؤول عن الاثنين. لابد أن تكون هناك حدود قاطعة. وهنا أريد أن أوضح ما يثار بشكل دائم عن (ثغرة الدفرسوار) حيث يقول البعض إن هناك مسافة غير محروسة أوليس لها غطاء .. وأنا أتحدى وجود متر واحد غير محروس أو بلا غطاء ، حيث كانت الحدود بين القوات محددة وواضحة وغير متروكة للظروف ، الخلاصة أن أهم شيء أن يكون لديك القدرة والرغبة. فى ١٩٧٣ كان لدينا الرغبة ولكن تلك الرغبة لم تكن موجودة قبل ذلك ، وللحقيقة فإننا لا ندعى أننا بنينا القوات المسلحة فى الفترة من ٧١حتى ٧٣ لكننا قمنا باستكمال البناء الذى بدأه الفريق فوزى ، وسجلنا زيادة حوالى ٥٠٪ فى عدد القوات المسلحة ، حيث استلمنا وكان عدد القوات حوالى ٧٥٠ ألف جندى ، وعندما بدأنا الحرب كان عدد القوات المسلحة قد وصل إلى ١.٢ مليون جندى بخلاف الموجودين بالخارج ، وكان الحشد الميدانى الموجود فى سيناء لردع وتنفيذ الهجوم بعد ذلك حوالى ٤٠٠ ألف وبقى حوالى ٨٠٠ ألف يحمون مؤخرة القوات المسلحة وهذه نسبة كبيرة ولكن كان ذلك ضروريا ، لكن كان التفوق الجوى الإسرائيلى واضحا حيث تدخل طائرات الهليكوبتر ليلا وتقوم بعملية مثل عملية نجع حمادى ويقوم بتدمير محطة كهرباء وتعود إلى قواعدها مرة أخرى ، كل هذا كان يحدث قبل أن أتولى رئاسة الأركان ، وبعد ذلك قمنا باتخاذ الإجراءات والتدابير المعروفة لتصحيح الوضع

وبناء القوات المسلحة على أسس وقواعد علمية ، إذن كل مشكلة ولها حل .. لكن لابد وأن يتم هذا الحل فى الوقت المناسب شرط ألا تؤثر على شيء آخر ، فلا يعقل أن أحل مشكلة وأخلق مشكلة جديدة. أستخلص من كل هذا أن تعليم الفرد على كافة المستويات هو الحل الوحيد للخروج من جميع أزماتنا ومشاكلنا. فالتعليم ثم التعليم ثم التعليم يجب أن يكون فى مقدمة الأولويات ، فالخطوة الكبرى هى إصلاح التعليم ، وهنا أذكر ما قمنا فى فترة ما قبل الحرب للتغلب على مشكلة الأمية حيث قمنا بعمل كتيبات إرشادية تساعد الجندى على معرفة الأشياء الأساسية التى تهم وتخص الجنود حيث قمنا بطبع مليون نسخة ، بحيث تكون متوافرة مع الجميع ، وبعد قيام الحرب كان من الطبيعي أن يكون هناك أسرى ومصابون. لذلك وقعت تلك الكتيبات فى يد العدو الإسرائيلى الذى أساء قراءة وفهم محتوى ومضمون هذه الإرشادات فأشاع هؤلاء فى الأوساط الأوربية أن هذه الإرشادات تحض على قتل الأسرى ، وبالفعل عندما عينت سفيرا فى بريطانيا وجدت أثرهذه المغالطات الإسرائيلية مما هيج الغرب علينا .

• قاطعت الفريق سعد الدين الشاذلى:

مهاتير محمد الذى كان وراء النهضة العظيمة فى ماليزيا قال إن الأساس هو التعليم والتدريب ، فلابد أن نعلم الشخص ثم ندربه ثم يكون الثواب والعقاب بعد ذلك.

•• علق الفريق الشاذلى .. هذا بالتأكيد هو المقصود بالإضافة إلى العلاقة بين الرئيس والمرؤوس. فأنا طوال عمرى أؤمن بالعلاقة المباشرة بين الرئيس والمرؤوس، بين الضابط والجندى، وعندما كنت قائدا لمنطقة البحر الأحمر التى تمتد من السويس جنوبا وحتى الحدود السودانية، فكيف أتعامل مباشرة مع كل هؤلاء؟ هل يمكن أن أجلس فى مكتبى وأتلقى التقارير وأعتمد على الاتصال عن بعد ؟

فقمت بالبقاء أسبوعًا فى المنطقة الجنوبية من الغردقة إلى شلاتين ، وأسبوعًا فى المنطقة من الغردقة حتى السويس، وكان اليهود يتسللون بطائراتهم الهليوكوبتر فى الليالى القمرية للقيام بغارات على هذه المنطقة، وكان قد تم عزل ثلاثة قادة قبل أن أتولى قيادة منطقة البحر الأحمر لأنهم لم يستطيعوا الإلمام بالموقف ، وكان الخطأ من قائد

منطقة البحر الأحمر وخطأ من قيادة الأركان . وكان على أن أدرس الموقف كاملا ، ماذا فعل من كان قبلى ؟ وما هى النتائج ؟ وما هو تقييمنا لهذه النتائج ؟ لابد أن نتبع الأساليب العلمية فى التعامل مع الأزمات والمواقف ، وكان اليهود يدخلون بطائراتهم للقيام بعمليات مباغتة ، فمثلا قامت طائرتان هليوكوبتر بالنزول على طريق قنا البحر الأحمر، وينزل من الطائرة جندى، ويقف على الطريق، ويستوقف أى أتوبيس يستقله عمال وموظفون وأناس عاديون ويجبرهم هذا الجندى الإسرائيلى على ركوب الطائرة ولا يعرف هؤلاء هوية هذا الجندى هل هو مصرى أم هو إسرائيلى و تتوجه الطائرة إلى إسرائيل. ويبدأ العدو فى الإعلان عن أسر كذا مصرى ويأتى هذا الفعل كجزء من الحرب النفسية التى تمارسها إسرائيل وهذا نوع من العمليات الإسرائيلية فى هذه الفترة وهذه المنطقة ، وهناك نوع آخر من العمليات التى كانت تقوم بها إسرائيل.

حيث دخلوا بثلاث طائرات على ميناء سفاجا ، وفوجئنا أن ميناء سفاجا يتم ضربه، لذلك قمت بزيارة هذا المكان فوجدت الحفر الخاصة بالمدفعية التى ضربت ميناء سفاجا ، فقمنا بعمل الحسابات التى عرفنا من خلالها أين تهبط الطائرات وكيف تتم العملية من الناحية الفنية والتكتيكية. وكان لدينا على شاطئ البحر الأحمر نقاط على مسافات متساوية كل خمسة كيلومترات، وكل نقطة بها خمسة أفراد ومعهم جهاز لاسلكى، وكل مهمتهم الإبلاغ عن أية طائرة إسرائيلية تدخل ، وكان هؤلاء الخمسة يتقلصون ليلا إلى اثنين على الأكثر بسبب الإجازات وخلافه. وكانت الطائرات الإسرائيلية تهبط على هذه النقاط ويتم قتل الجنود الموجودين أو أسرهم . لقد كانت هناك فوضى عارمة لابد وأن تتوقف فورا ، فأصدرت قرارا لهذه النقاط بترك مواقعها قبل الغروب بساعة وتنسحب إلى الداخل ويتم تغيير أماكنها بصفة مستمرة .، كذلك أصدرت تعليمات بأن توقف التحركات ليلا بمنطقة البحر الأحمر بالكامل سواء للعسكريين أو للمدنيين على حد سواء ، حيث كان الإسرائيليون يتحركون ليلا. الخلاصة أننى خلال عامين كنت فيهما قائدا لمنطقة البحر الأحمر لم يقتل عسكرى مصرى واحد ولم يؤخذ جندى أسير.

كل ما أريد قوله من كل هذه القصص التى أقوم بسردها هو ضرورة وحتمية العلم والتعليم والتدريب والتخطيط والثقة .وقبل كل ذلك توفيق الله عز وجل فى كل ما قمنا به من إجراءات.

● **للمرة الثانية قاطعت الفريق سعد الدين الشاذلى وقلت:**

هناك مدرستان فى مصر.. الأولى تؤمن بأن الإصلاح لابد ان يبدأ بالديمقراطية كطريق وحيد للإصلاح ، والثانية تؤمن بأن الإصلاح لابد وأن يبدأ بالتعليم فالشعب غير المتعلم لايمكن أن يمارس الديمقراطية.

●● رد الفريق الشاذلى قائلا.. انظر إلى الهند التى تحتضن أزهى ديمقراطيات العالم، والمستوى التعليمى متراجع إلى حد مشابه لمصر ، إذن الديمقراطية .. الديمقراطية .. الديمقراطية لا شك فى ذلك على الإطلاق

وعموما البشر لديهم نقطة ضعف نحو السلطة .. فأى شخص يتولى السلطة يستحيل أن يتركها تحت أى ظرف إلا فى حالات محدودة ونادرة وشاذة جدا ، وهناك أناس ولدوا ليكونوا ديكتاتوريين .. وورثتهم دائما ما يكونوا أكثر ضعفا، فالمصائب دائما ما تأتى من الورثة ، وانظر إلى محمد على باشا، ورغم كونه ديكتاتورا إلا أنه قام ببناء مصر الحديثة .. جيشا واقتصادا ومجتمعا، ولكن هو من قام ببناء مصر ، ثم ضعف من جاء بعده رويدا رويدا . والتاريخ علمنا أن أى ديكتاتور يستمر فى السلطة عامين يصعب إزاحته إلا بعملية انقلابية ، حيث يتوحش هذا الديكتاتور ويصعب التعامل معه نهائيا .

● **قلت للفريق الشاذلى :**

هنا أستطيع أن أجمل ما أوضحته سيادتكم بأن جدول الأعمال المقترح يبدأ بالديمقراطية الحقيقية التى تثمر تداولا حقيقيا للسلطة، حيث يتم ترتيب جدول الأولويات المجتمعية ووضع الخطط التنموية والبرامج التنفيذية .

●● علق الفريق الشاذلى قائلا :

لقد وضعت يدك على النقاط الهامة التى نبحث عنها جميعا والتى يمكن أن تمثل برنامج عمل قومى واضح المعالم .

ويجب أن تسير جميع البرامج فى خطوط متوازية. لكـن الديمقراطيـة والتعليـم همـا الأساس الذى يجب أن نبدأ به فورا. لكن أهم شيء هو ضرورة التمسك بالمثل والقيـم الأخلاقية ومحاولة إحيائها من جديد . ومصر ولادة وبها من الكفاءات ما يكفينا للبـدء فورا فى العملية الإصلاحية المنشودة .

• قلت للفريق سعد الدين الشاذلى :

كيف نقوم الآن بمحاكاة النجاحات التى تحققت من قبل فى حرب للبدء فى الإصلاحات المجتمعية داخل الحياة المدنية ؟

●● لابد أن نتبع الأسلوب العلمى ونبتعد عن التفكير العشوائى فى نفس الوقت الذى يجب أن نقوم بتجزئة المشكلة والتعامل معها بطريقة تحليلية حتى نصل إلى حلول مقبولة ومتكاملة ،ويجب أن تؤخذ جميع العوامل فى الاعتبارحتى لا نصلح شيئا ونفسد شيئا آخر .

• قلت للفريق سعد الدين الشاذلى :

هناك تغيرات مجتمعية حادة شهدها المجتمع المصرى خلال العقود الأخيرة ألقت بظلالها على مجمل حياة المصريين، سلوكا وأنماطا. فكيف نستطيع أن نعيد هذا المجتمع إلى مربع المثل والقيم والأخلاقيات من جديد ؟؟

●● رد الفريق الشاذلى بقوله .. هذا سهل جدا .. فقبل الثـورة كـان هـذا غايـة فى الجدية والإيجابية والمشاركة والنضوج ، لكن الإدارة هى التى تسببت فى كل ما حـدث إما بسوء نية أو بحسن نية ،ولا يجب أن ننسى أن مصر كانت تقف رأسا بـرأس مع بريطانيـا العظمـى فى الاقتـصاد والبورصـة والاسـتثمار والتعدديـة الحزبيـة والنـضج السياسى وقاعدة المثقفين والمفكرين . أما الآن فليس لدينا قاعدة نرتكز عليها .. وحتى القاعدة الشعبية التى من المفترض أن يستند عليها الحاكم لم تعد موجودة من الأساس ، فالشعب فى واد والنظام فى واد آخر . لقد تغيـرت الإدارة وبـدأنا رحلـة البحـث عـن (الكم) وليس (الكيف) أصبحت كل أعمالنا خالية من المضمون والجودة .

• قلت للفريق سعد الدين الشاذلى:

الطبقة الوسطى تحللت وضاعت وسقطت من التركيبة الاجتماعية فى مصر .. ماذا حدث ؟؟

●● غالبا ما يتم وضع قياسات كمية لحساب حجم الطبقة الوسطى فعدد مستخدمى التليفون المحمول داخل المجتمع وعدد مالكى الدش والتلفزيونات الملونة قد تعطينا قراءات عن المستويات المعيشية فى المجتمع حتى نستطيع أن نصل إلى حجم الطبقة الوسطى .

ولكن غالبا هذه المعايير ليست عاكسة لمستويات المعيشة ، فعدم الرشد وسوء الاختيار لدى غالبية المستهلكين يرجع الى خلل العملية التعليمية والتربوية التى هى مسؤلية الإدارة الحكومية فى الأساس .

وعموما مصر دولة غنية جدا جدا ، فالغنى الإستراتيجى لمصر يبدأ من المساحة؛ حيث اتساع الإقليم وتوافر الثروات الطبيعية والمياه، بالإضافة إلى أهم ما يعظم من رصيد مصر هو توافر العنصر البشرى الذى أساءت الحكومة استخدامه عن طريق برامج التعليم الخاطئة ، حيث تعاملت الحكومة مع العنصر البشرى على أنه عبء على كاهل الدولة ! هى تنظر إليه على أنه أفواه تأكل وتشرب فقط، ونسيت أن هناك سواعد وعقول يمكن أن تستغل فى البناء والتنمية.

● سألت الفريق سعد الدين الشاذلى:

كيف ترى إسرائيل كعدو يهدد المنطقة بحروب لا تنتهى ؟

●● إسرائيل مكتوب عليها الفناء الذى أتوقع حدوثه عام ٢٠٥٠ على الأكثر. فإسرائيل ستقع وتفنى دون حرب. فعدد اليهود فى العالم ١٢ مليون يهودى منهم ٥ ملايين يهودى داخل دولة إسرائيل، و٥ ملايين داخل الولايات المتحدة الأمريكية، ويتبقى ٢ مليون يهودى مشتتين فى أنحاء العالم . وتعالى نرى من هم الذين يهاجرون إلى إسرئيل . فهناك الفقراء الذين لا يجدون قوت يومهم أو المتدينون ، وكان هناك تحامل على الدين اليهودى خلال فترة ما من التاريخ. أما الآن ومع شيوع الديمقراطية فلم يعد هناك اضطهاد دينى لليهود فى أوربا، لذلك لم تعد الهجرة من أجل العقائد الدينية دافعا لليهود للذهاب إلى إسرائيل، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن إسرائيل لا تمتلك سوى ٢ مليار متر مكعب من المياه بينما الصرف الصحى فى مدينة القاهرة أكثر

من ٢ مليار متر مكعب . وكذلك الاقتصاد الإسرائيلى لا يمتلك أية خامات ولا مواد أولية ، كل هذا مع تآكل العنصر البشرى وتراجع معدلات النمو السكانى على مستوى المواليد أو حتى على مستوى الهجرة الوافدة ، مع الوضع فى الإعتبار بأن الديانة اليهودية لا تقبل إلا من كانت أمه يهودية فى نفس الوقت الذى تنخفض فيه معدلات الخصوبة إلى ١.٧ لكل إمرأة فى سن الزواج بينما العرب ٢.٧ لكل إمرأة عربية فى سن الزواج .

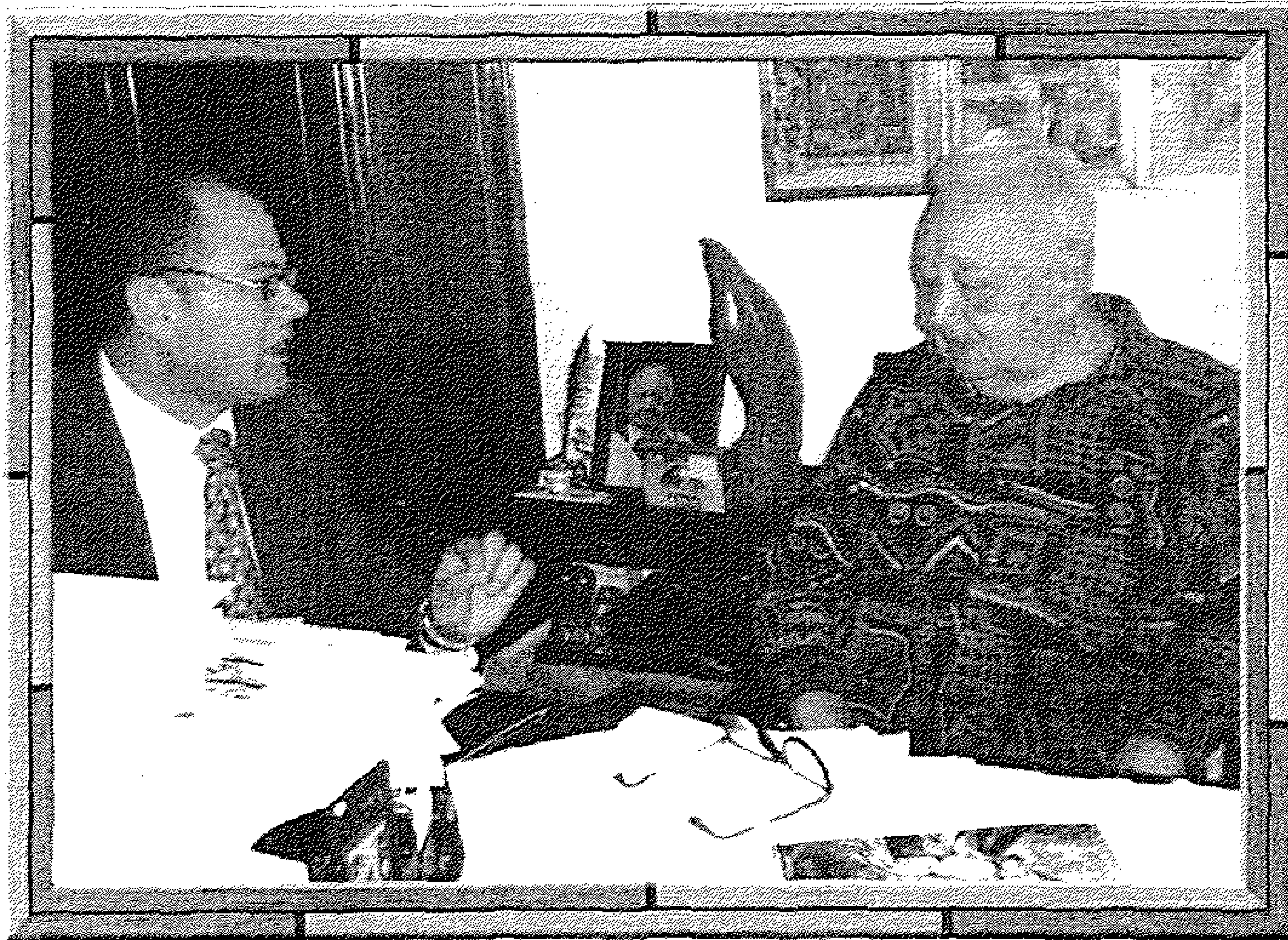
وهناك كارثة فى طريق دولة إسرائيل وهى النمو المتزايد لأعداد المسلمين داخل دولة إسرائيل مقارنة بنمو السكان اليهود، مما يغير التركيبة الديموجرافية داخل دولة إسرائيل . وهذه الظاهرة تمثل قنبلة موقوتة لهذا الكيان .

الخلاصة أن المستقبل القريب بالتأكيد ليس فى صالحنا أما خلال السنوات الخمسين القادمة فالمستقبل لمصر وللعرب والمسلمين لا شك فى ذلك على الإطلاق.

• سألت الفريق سعد الدين الشاذلى بصفته كان سفيرا لمصر بإنجلترا والبرتغال عن رأيه فى الدبلوماسية المصرية حاليا وهل هى معبرة عن طموحات هذه الأمة ؟

•• لا أقبل ما يحدث على الساحة الدبلوماسية بالتأكيد ، فكيف أعتبر إيران عدوا لمصر، بينما لا أعتبر إسرائيل كذلك. كيف أسكت على السلاح النووى لإسرائيل وعندما تفكر إيران مجرد تفكير أو تمنى يكون الموقف مختلفًا تماما ؟!

***



الدكتور

ثروت عكاشة

عندما دخلت على الرجل فى محرابه كان يعيش لحظات من المناجاة فى دنيا القلم والقرطاس .. ألقيت عليه التحية فرد على بأفضل منها، ودعانى للجلوس بجواره . لكننى وقفت مكانى لا أقوى على الجلوس خجلا وتأدبا ، وبدأت صفحات التاريخ الناصعة التى تروى قصة هذا الهرم الثقافى والفكرى تترى أمامى بسرعة مذهلة .. لقطات متتالية للرجل مع محمد نجيب وجمال عبد الناصر وأنور السادات وشارل ديجول ونهرو وأحمد سوكارنو وتيتو وجورج بومبيدو وأم كلثوم وطه حسين وفكرى أباظة ويحيى حقى ومصطفى محمود ويوسف السباعى وعبد الرحمن الشرقاوى وجان بول سارتر، وينظر إلىّ الرجل ويدعونى للجلوس مرة ثانية .. كنت أشعر بقدسية المكان وعظمة المكانة ، تذكرت كلمات الدكتور أحمد عكاشة عن شقيقه الأكبر ثروت عكاشة حينما قال ..

(ويعتقد البعض أن ثروت تنقصه روح الفكاهة حيث ترتسم على وجهه ملامح الحزم المقرون بالشجن كما يبدو فى معظم صوره جادا صارما. وهذا الانطباع يختلف كل الاختلاف عن شخصية ثروت المرحة وحبه للفكاهة والدعابة واستمتاعه بالجلسات المرحة التى تدوى فيها قهقهته العالية .. ويضيف الدكتور أحمد عكاشة فى موضع آخر إن الفروسية والشهامة وصون الكرامة التى يتميز بها ثروت جعلته فى عراك مستمر وخلاف مع بعض القيادات السياسية . فبعد ثورة يوليو عرض عليه عبد الناصر أن يكون أحد أعضاء مجلس الثورة فأصر برجولة أن يتولى من هو أقدم منه رتبة " حسين الشافعى " هذا المنصب قائلا إنه سيستمر فى سلاح الفرسان للدفاع عن الثورة) **وقفزت إلى ذهنى تلك المقطوعة الرائعة التى عزفها الفنان حسين بيكار واصفا الدكتور ثروت عكاشة حيث أسماه مايسترو ثقافة العين والأذن وقال .....**

(والذى يقرأ للدكتور ثروت عكاشة يجد نفسه محمولا على محفة وثيرة من الأسلوب الرفيع ، ودقة التعبير ، ورقة السرد ، ورشاقة الكلمة ، وأناقة العبارة ، وسلامة اللغة ، وأرستقراطية اللهجة، ونبل المذاق. ويجد نفسه يرتفع إلى الأفق

الذى يحلق فيه الموضوع المطروق ، وكأنما قرر المؤلف منذ أن أمسك بالقلم ألا يرضى بغير الآفاق العليا، يسبح فى مراقيها، وألا يعاشر غير الشوامخ والعمالقة وألا يتحدث عنهم إلا بما يرقى إلى مستواهم الشاهق ويتواءم مع مكانتهم المرموقة)، يضيف فى موضع آخر (ثروت عكاشة فارس المفاجآت الذى يعدو بلا توقف ، ويهرول دون إبطاء وراء الكمال الذى يسدله على جميع إنجازاته التى هى فى رأى الجميع كان ينبغى أن تكون نتاج مؤسسة ضخمة وليست من عمل فرد واحد . فقد قرر الرجل العظيم عندما ترك وراءه وزارة الثقافة أن يكون بمفرده وزارة " الرجل الواحد " بكل ما يتبع ذلك من أعباء ومسؤوليات لا حد لها وأن يمسك قيثارته بكلتا يديه يعزف عليها منفردا تارة ، وتارة أخرى يمسك بعصا القيادة يدير بها المقاطع اللحنية بين العازفين ببراعة منقطعة النظير.. إن معرفتى الوثيقة بالمبدع الكبير ثروت عكاشة تجعلنى أشفق عليه أحيانا من مغامراته التى يصر على أن يثرى بها واقعنا الثقافى ، وذلك بما تتسم بها شخصيته من مثاليات يندر أن تجتمع فى شخص واحد . من أمانة علمية تبلغ درجة الوسواس ، وانضباط عسكرى بالغ الصرامة ، وتحليل معملى بالغ الدقة، وإرادة فولاذية تتحدى جميع الصعاب ، وحب غامر يجعل الأسلوب الأدبى ضربا من ضروب الغزل .) ويقول كريستيان ديروش نوبلكور (يا عزيزى ثروت إن لديك، فضلا عن وفائك لأصولك ، ما يجعلك مواطنا عالميا .. وكان الجنرال ديجول على علم بالدور المرموق الذى لم تتأخر عن أدائه فى بلادك لدى الرئيس جمال عبد الناصر. هذا الدور الذى أهلك لأدائه فكرك المستنير ، ومواقفك الشجاعة) كانت الصور والعبارات والمواقف تلاحقنى كأنها طيف بارق ، ويزداد شعورى بقدسية المكان وعظمة الفارس النبيل وكنت أحمل فى عنقى أمانة أردت أن أؤديها قبل أن أجلس .. تقدمت تجاه الفارس النبيل وطبعت قبلة على جبينه وفاء وإجلالا وأخرى على رأسه اعتذارا واعترافا : وفاء لمن علمنا المعنى الحقيقى للثقافة .. واعتزارا عن جهالة جيل لم يوف الرجل ما يستحق، تأثر الرجل أيما تاثر بلحظة وفاء شعر أنها صادقة ، قلت للرجل إننى أحمل لك رسالة من رجل حمل مشعل الثقافة فى وقت مضى .. إنه

منصور حسن الذى يقرؤك السلام ويقول لـك أطـال الله فى عمـرك فأنـت أبـو الثقافة فى مصر والعالم العربى .. أنت من علمتنا ماذا تعنـى كلمـة ثقافـة ، ازداد تأثر الرجل حتى دمعت عيناه وقال (منصور حسن رجل محترم ومصر معرفتش تستفيد منه)، و أخيرا جلست بجوار الفارس النبيل (ثروت عكاشة).

● وبـدأت فـى الحـديث عـن فكـرة الكتـاب الـذى نحـاول مـن خلالـه أن نطرق أبواب المستقبل . قلـت للرجـل إننـى جئـت إليـك اليوم لنتحدث عن الغد ، أما الماضـى فلـن نتوقـف عنده كـثيرا حتـى لا تقودنـا التفاصـيل إلى مزيـد مـن الفرقـة والخـلاف ، والحاضر بقسوته ومرارته لن يصل بنا إلى ما نريد ، لذلك فلـن يكون أمامنـا سوى الهروب إلى المستقبل. ولكن كيـف السبيل الى هذا المستقبل ونحـن لا نملك خريطة هذا الطريـق، بيـد أن السـبيل الوحيد للوصول إلى هـذه الخريطـة هـو البحـث عنهـا لـدى النخـب الوطنيـة المخلصة، وأنـت كقيمـة وطنيـة جئتـك اليوم كى أستشرف بك ومعك ملامح المستقبل..

●● يقول الدكتور ثروت عكاشة:

أنتم الأمل الباقى .. فعلا الشباب أمل هذه الأمة ، وعليكم العمل بجد وإخلاص ، فطريق المستقبل طويل وشاق .. لكـن العبـور للمـستقبل لـيس مـستحيلا ، وعمومـا يمكن توضيح الركائز الأساسية التى يمكن الاعتماد عليها وأنتم فى طريق المستقبل .

لابد من الاهتمام بالكيف قبل الكم، والاهـتمام بـالتراث والانفتـاح عـلى الخـارج، والجمع بين القديم والجديد، ولا يمكن لثقافة قومية أن تزدهر إلا إذا عبرت عن فئـات المجتمع.

وهنا مد الدكتور عكاشة يده وأمسك بكتاب ضخم ودعانى لاسـتعراض مـا ورد بهذا العمل الضخم من آراء وأفكار. كان عنوان الكتاب براقا وأخاذا إلى أقصى درجة

(وردة فى عروة الفارس النبيل)

وأخذ الدكتور ثروت عكاشة يتصفح الكتاب، ويطلعنى على مقالات الوفاء التـى سطرها فرسان الكلمة والفكر. ثم أخذ الرجل يستعرض رحلة عمره من خلال ملحق

الصور فى نهاية الكتاب . وكانت كل صورة من تلك الصور بمثابة لقطة فى ذاكرة التاريخ .. تحكى قصة كفاح لرجل مازال يشارك فى تشكيل الوجدان الوطنى وهو على مشارف التسعين ..

وكانت ذكريات وخواطر د. ناصر الدين الأسد هى ضربة البداية فى مبادرة الوفاء التى أطلقتها الدكتورة سعاد الصباح (وردة فى عروة الفارس النبيل). لقد تذكر ناصر الدين الأسد تلك الكلمة التى ألقاها الدكتور عكاشة أمام الدورة العاشرة للمجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية بعمان، حيث استخلص الدكتور الأسد أهم ما جاء فى كلمة الدكتور عكاشة والتى تمثل برنامجا متكاملًا لأى محاولة إصلاحية كما يلى ..

- أن الإسلام والعروبة مقترنان ، ولا يجوز إحداث تناقض مفتعل بينهما .
- أن الحضارة الإسلامية حقيقة ملموسة وليست دعوة ملفقة .
- أن الصفات الطبيعية التى تربط بين شعوب الأمة لا تحول دون أن يكون لكل جزء من هذا الوطن العربى سماته الخاصة.
- أن العروبة ضرورة ثقافية لا غنى عنها، وأن الوطن العربى ينهض على ضميره الثقافى المرتكز على اللغة، ولكن العروبة لا تنحصر فى أنها لغة وهوية فحسب بل هى أيضا موقف سياسى
- أن الإسلام هو نقطة انطلاق الثقافة العربية، ولكن من الخطأ العلمى اعتماده المكون الوحيد لها فقد نهلت منطقتنا من تراث ثقافات عظيمة متعددة سبقت الإسلام.
- أن الأمة العربية تحررت سياسيا وعسكريا ولكن بقى عليها أمران بالغا الأهمية.. الأول الانعتاق من أغلال القهر وذلك بانضمامها إلى المشروع العقلانى للديمقراطية والتعددية. والثانى امتلاك إرادة التغيير فما نزال نستعين بالمستعمر القديم فهو الذى يبتكر ولا يعطينا إلا ما يشاء بل إنه ليمنع عنا ما نحن فى أمس الحاجة إليه
- أن حضارة اليوم هى حضارة العلم ولكننا نكتفى بشراء نتائجها وقطف ثمارها واستيرادها دون أن نأخذ بالمنهج الذى يحدثها ويحركها .
- إنه لا يجوز الاقتصار على اجترار ماضينا العريق والحسرة على ما فات بل لابد من العمل على الإضافة إليه وإغنائه .

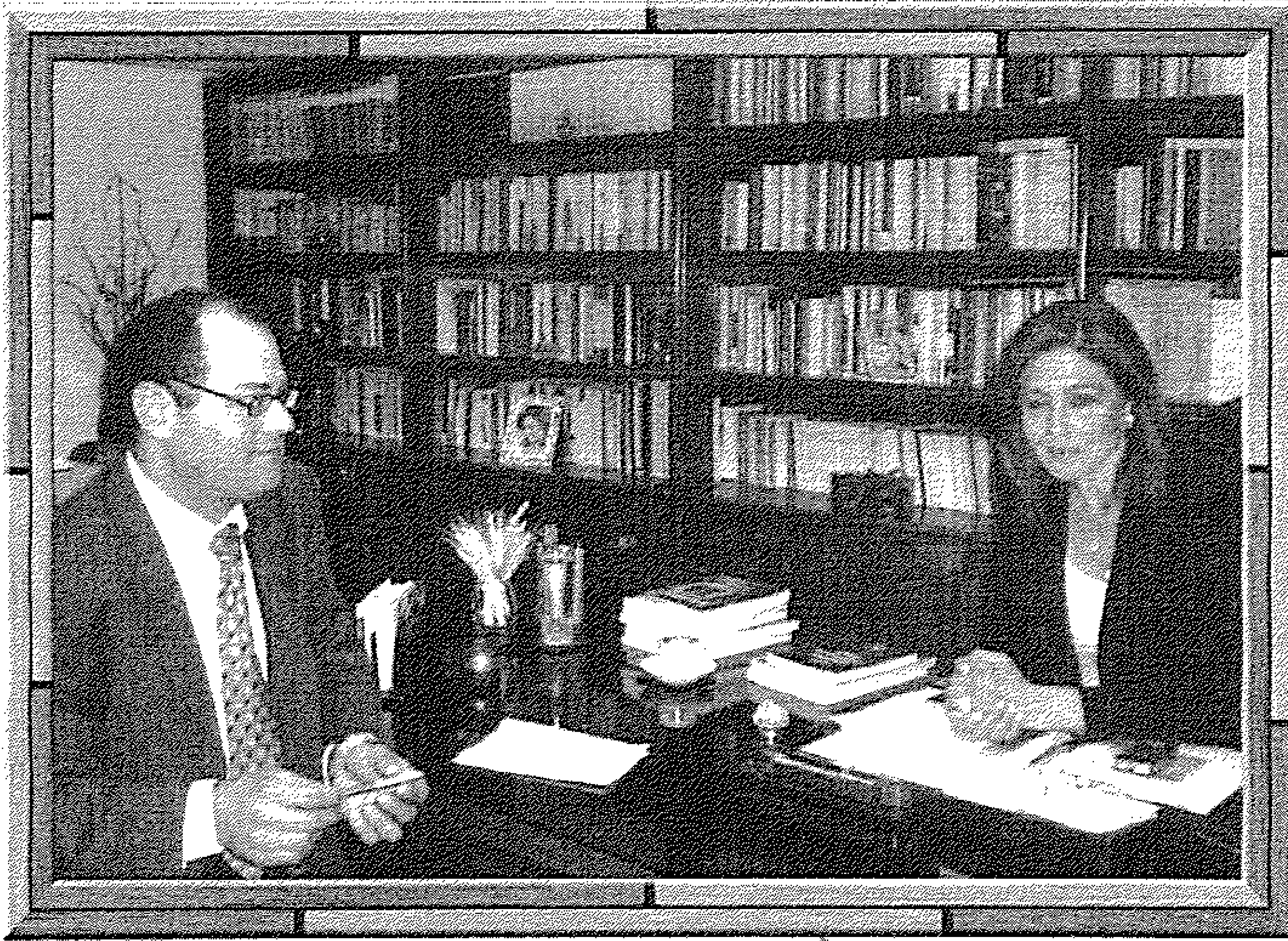
• أن مقاومة الغـرور الثقـافى لا يجـوز أن تتخـذ ذريعـة لـرفض الثقافـة الإنـسانية والتراث العلمى بما ينطويان عليه من قيم ولا بد من فتح الأبواب بيننا وبـين الـشعوب الأخرى لنأخذ بالأصلح والأنفع دون أن نستسلم أو نذوب فى غيرنا فنفقد كياننا .

• أنه يحق لنا التساؤل كيف نجمع بين ما هو محلى وما هو وافد ونوازن بين الثقافـة المحلية والثقافة العالمية ، فالثقافات قد تختلف غير أن نهج الحياة يفـرض عليهـا وحـدة جامعة فكيف السبيل إلى تجنب التضحية بهذا الاختلاف الحضارى أمام تلـك الوحـدة الجامعة ؟

• أن التعامل مع التراث يجب أن يكون استقاء لعناصر جمالية واستلهاما لمعان وقيم دون أن يكون فى ذلك تجميد لحركة الفكر ولا سقوط فى قبضة قيم تجاوزها الزمن

وبعد أن استعرضت تلك النقاط التـى تمثـل نموذجـا جـادا للإصـلاح الـشامل ، أمسك الرجل بقلمه وكتب لى إهداء على كتاب (وردة فى عروة الفارس النبيل).

***



الدكتورة

هالة مصطفى

داخل مكتب أنيق بمؤسسة الأهرام العريقة كانت فى انتظارى كى نجرى حوارا جادا على ضفاف المستقبل ، نبحث عن خريطة ممزقة وأجندة مفقودة. كانت محاور النقاش ساخنة وكانت الكلمات والمفردات قاسية بنفس درجة قسوة الواقع. لكنى لن أكون متجاوزا إذا قلت إن المهارات الشخصية للدكتورة هالة مصطفى جعلت من الحوار معها شيئا ممتعا إلى حد بعيد. تؤمن بالحرية والتعددية إيمانها بالحياة ، أيقنت أننى أمام مرجع للفكر الليبرالى الحر الذى كثيرا ما بحثت عنه دونما جدوى. كانت هالة رائعة وهى تتفق معى فى الرؤى والتوجهات العامة وكانت أكثر روعة وهى تختلف معى فى جزئية ما فى حوارنا حول المستقبل .. هذه دعوة مشتركة منى ومن الدكتورة هالة لحضور هذا الحوار..

● **قلت للدكتورة هالة مصطفى:**

هناك حزمة من الإصلاحات الحتمية التى يمكن أن ننطلق بها نحو المستقبل.. ما هى الأولويات المدونة فى أجندة الإصلاح الخاصة التى تحملها الدكتورة هالة مصطفى؟

●● تقول الدكتورة هالة مصطفى:

قبل أن نحدد الأولويات لابد أن يكون لدينا رؤية .. رؤية شاملة للمستقبل .. رؤية لشكل الإصلاح الشامل سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، وفى إطار الرؤية الشاملة يمكن أن نضع أولويات محددة . ونحن إلى الآن نفتقد وجود رؤية شاملة ومتكاملة لما نريد أن نفعله.

والدليل على ذلك أن هناك أشياء توضح أننا نعيش فى مرحلة التحول الاقتصادى إلى الرأسمالية؛ فى حين أننا نجد أن هناك مواقف وسياسات أخرى تؤكد أننا نسير فى طريق اشتراكى. وعندما ننظر إلى التعديلات الدستورية الأخيرة نجد أن هناك مواد تم تعديلها بما يعطى الانطباع بأننا نحونا وتحولنا عن الاشتراكية وعن الخط الاشتراكى

وفى نفس الوقت الذى أبقينا على مواد أخرى تؤكد أننا نسير على نفس النهج الاشتراكى، فى نفس السياق تم حذف لفظة (اشتراكية) من حوالى ١٢ مادة من مواد الدستور التى تم تعديلها ثم الإبقاء على مادة تقول إن ٥٠ ٪ من كل المجالس التمثيلية لابد أن تكون من العمال والفلاحين. فالمسألة ليست مسألة أولويات لكن المشكلة الحقيقية هى غياب الرؤية.

إننا نسير بلا رؤية والسياسات تسير بشكل جزئى بعيدا عن الأطر المتكاملة، فكيف نفسر ذلك ؟ الشيء المؤكد أن هناك ارتباكًا شديدًا جدا على مستوى النخبة السياسية و على مستوى وضع خطة متكاملة لدى صانعى القرار وفى إطار هذه الخطة يتم ترتيب الأولويات.

هذه النقطة أراها تمثل التحدى الأكبر ونحن نبحث عن خريطة المستقبل ، فغياب الرؤية يحكم على كل محاولاتنا بالفشل ، نحن نسير بطريقة الفعل ورد الفعل ، فأنت لا تغير إلا بضغوط أيا كان مصدر هذه الضغوط ، لذلك نرى أن (الجزئية) هى التى تحكم وتسود فى ظل غياب المخطط العام مما يخلق تشوها فى الرؤية المستقبلية.

أما بالنسبة للأولويات فأرى أن الأولويات لابد أن تأتى فى إطار الرؤية الشاملة كما سبق وأوضحنا. وهنا لابد لمصر أن تتجه فى الطريق الليبرالى على كافة المستويات. فالمشروع الليبرالى من المنظور السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى، كل هذه المحاور جزء لا يتجزأ. فمصر شهدت خلال الفترة الليبرالية الأولى التى أعقبت حركات الإصلاح فى أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر نهضة حقيقية. وأعتقد أن مسارها الطبيعى تم ترجمته فى العشرينيات والثلاثينيات ، فكان لدينا أول دستور ليبرالى سنة ١٩٢٣ ومجلس شورى النواب سنة ١٨٦٦ ، كان لدينا أحزاب حقيقية وإعلام حر، وصحف مستقلة، وانتشارللتعليم المدنى وبدأت الدراسات والبعثات الدراسية إلى أوربا تتزايد وتتنوع. وبدأ الاحتكاك بالعالم الخارجى بشكل غير مسبوق، وشهدت هذه المرحلة ذيوع فكرة تحرير المرأة ، كذلك شهدت تلك الفترة بزوغ القمم الثقافية والفكرية والاقتصادية والتنويرية قاسم أمين وطه حسين وطلعت حرب وحسين هيكل وأحمد لطفى السيد وغيرهم من القمم والنوابغ فى كل المجالات. لقد شهدت مصر قفزة كبيرة جدا فى مجالات التحديث والحريات المدنية والسياسية والتعليم ووضع المرأة والفكر والثقافة والفن ، كل هذه المحاور

كانت تتناغم مع وجود رؤية ليبرالية شاملة وهذا ما نفتقده الآن تماما ، فإذا قمنا الآن بالاتفاق على ضرورة تطبيق المشروع الليبرالى فلابد أن تكون أولوياتنا هى (التحديث).

فنحن هنا فى مصر تراجعنا كثيرا فى مجال التحديث بعد أن كانت دولة رائدة فى هذا المجال منذ عهد محمد على حيث تم بناء أول دولة قومية بالمعنى الحديث فى المنطقة العربية لذلك كانت مصر رائدة فى التجربة السياسية وكانت رائدة في مجال الأدب والفن والإبداع والسينما والرواية والمسرح كانت الريادة لمصر فى جميع المجالات التى تعتبر هى البنية الأساسية للحضارة والتقدم والمدنية. وإذا نظرت إلى ما يحدث اليوم سأجد تراجعا ملحوظا فى كافة برامج التحديث. وعلى مستوى الخطاب السياسى والإعلامى السائد الآن سنجد خطابا قديما متسما بالجمود ، ولم يتجدد لفترات طويلة جدا وتحول إلى ما يشبه الصوت الواحد القديم أو ما يسمى (البروباجاندا). وهذا ليس إعلاما حقيقيا. وبالنسبة لوضع المرأة ورغم كل ما يقال حول هذه القضية أرى أن كل ما تم إنجازه هو من حيث الشكل، ولم يتم التطرق إلى المضمون على الإطلاق. ويحزننى جدا أن تقوم مصر بتعيين المرأة فى بعض المواقع التى كانت محظورة عليها من قبل بعد أن قامت دولة شقيقة مثل السودان بهذه الخطوة !! لماذا تتبع مصر السودان ؟ ومصر كانت وكما أوضحنا لها الريادة فى كل المجالات!!

الخلاصة أن أولويات الإصلاح من وجهة نظرى هى استعادة مشروع التحديث الليبرالى ، عن طريق قيام الدولة بمشروع تحديثى له منحى ليبرالى كما كان الحال قبل الخمسينيات. فلابد من إعادة النهضة الشاملة كما كانت من قبل ، وبالنسبة للإصلاح الاقتصادى إذا لم يكن هناك رؤية شاملة وأجندة متكاملة ومتناسقة مع الرؤية السياسية فسوف يتعثر المشروع الإصلاحى ولن نصل إلى شيء على الإطلاق. فأولوياتى هى التحديث.. والتحديث يأتى **أولا** على مستوى المؤسسات ، فلابد أن يكون لدينا مؤسسات حقيقية وليست مؤسسات بيروقراطية بأجهزة أمنية والذى يمثل إخفاقًا فى الجانب المؤسسى فنجد العديد من المؤسسات لها الشكل المؤسسى أما جوهر المؤسسة فلا وجود له على الإطلاق ، **وثانيا** يأتى التحديث الدستورى والتشريعى ورغم الخطوات التى تمت. لكن يبقى العديد من الخطوات الجادة والتى يجب أن نسرع فى

استكمالها فورا حتى يكون الدستور متكاملًا ومتناسقًا ومتناغمًا، فهناك الكثير من التناقضات بين مواد الدستور بعضها البعض. فهناك مثلا مادة تتكلم عن المواطنة وأخرى تتناقض معها وتتحدث عن مرجعية الشريعة الإسلامية ، فلابد ان نبحث عن صيغة مرضية لا تبرز هذا التناقض .

● قلت للدكتورة هالة مصطفى .. لماذا نبدو أوصياء على الشعب ؟ لماذا لا نرجع إلى الشعب ونترك له حرية اختيار المسار وتحديد الرؤية ؟

●● لابد أن يكون هناك نظام ديمقراطى راسخ حتى يمكن الرجوع للشعب. فأنظمة الانتخابات واستطلاعات الرأى هى التى تمكننا من الوصول إلى إرادة الجماهير. والحقيقة أن هذه الأدوات غير موجودة الآن، ولكى نكون واقعيين وموضوعيين، فالتغيير والإصلاح فى المجتمعات أو الأنظمة التى تكون فى مراحل تحول، مثل حالة مصر .. تكون النخبة السياسية الحاكمة -إذا كان لديها رؤية مستنيرة- قادرة على تحقيق شيء ما من خلال التوافق بين النخب حول الرؤية الشاملة. وعموما لا يمكن أن نلغى الشعب أو نغيبه. لكن ما هى الآليات التى أصل بها إلى إرادة الشعب واختياراته؟ أعتقد أن هناك صعوبة فى تحقيق ذلك الآن. لذلك يجب أن نفكر بواقعية شديدة ونعتمد على النخبة خاصة فى مرحلة التحول لتحديد الأولويات .

وثالث محور من محاور التحديث المرتقب هو تحديث القيم والثقافة الحاكمة أو على مستوى الثقافة السياسية السائدة. وألاحظ وجود نزعة محافظة جدا فى المجتمع المصرى منذ السبعينيات من القرن الماضى على مستويات عديدة مما أحدث نوعا من الجمود والانغلاق حيث أصبحنا مغرقين فى المحلية جدا جدا ، أتصور أننا نحتاج إلى هواء جديد وجو مفتوح إلى حد كبير .

علقت على الجزء الأهم من رؤية الدكتورة هالة مصطفى للمستقبل وقلت إن البداية من وجهة نظر الدكتورة هالة مصطفى هى تحديد الرؤية والتوجه العام وعلى ضوء هذه الرؤية يتم تحديد الأولويات ، ثم نقوم بعد ذلك بوضع الخطط والبرامج التى تحقق تنفيذ هذه الأولويات.

وأعتقد أن مسالة تطوير التعليم تأتى مرحلة تالية لتحديد الرؤية الشاملة والاتجاه العام ..

●● ردت الدكتورة هالة مصطفى .. بالتأكيد ماتقوله سليمًا، فالتعليم لابد أن يأتى فى إطار رؤية شاملة ، فإذا قررت أن أقوم بتطوير التعليم فعلى أى أساس وفى أى اتجاه ووفق أية رؤية ؟

هل سأتحرك وفق رؤية ليبرالية أم اشتراكية أم أصولية ؟ لابد أن أعرف أولا أين أريد أن أذهب؟ ثم بعد ذلك أبحث عن الوسيلة المناسبة التى يمكن أن أصل من خلالها إلى وجهتى ، فلا يصح أن أسمع من يقول إن البداية هو إصلاح التعليم أو إصلاح النظام السياسى فهذه المقولات ومع احترامى الكامل لأصحابها تجعل من اختياراتى للإصلاح مثيلة لاختياراتى من السوبرماركت !!

القضية الأساسية التى تحكمنا هى تحديد الرؤى والتوجهات أولا ثم يلى ذلك تنفيذ البرامج الإصلاحية وفق ما اتفقنا عليه من رؤى وتوجهات. وهنا أتذكر مشروع طه حسين لتطوير التعليم حيث كان هذا المشروع ضمن منظومة عامة تمثل توجهات المجتمع نحو فكرة الإصلاح الليبرالى المعاصر الحديث على النمط الغربى ، حيث كان طه حسين يبحث عن ثقافة ممتدة ومتواصلة مع النمط الغربى ، أو تحديث الثقافة العربية والإسلامية بما يتفق مع امتدادها فى البحر المتوسط ، فكان تطوير التعليم ليس من وجهة نظر طه حسين ولكن كان فى إطار خطة محددة منبثقة من رؤية ليبرالية واضحة للمجتمع.

وأغلب الظن أن أى صوت يدعو إلى إصلاح التعليم إنما يبحث عن أموال لبناء مدارس، وهذه كارثة، فإصلاح التعليم فى جوهره مسألة أعمق من ذلك بكثير ، ففكرة بناء مدارس تختلف جذريا عن فكرة تطوير التعليم والتى نتساءل.. تطوير فى أى اتجاه وعلى أى مذهب ؟

● سألت الدكتورة هالة مصطفى:

هل مجموعة القمم والنخب فى الأدب والفن والثقافة والاقتصاد والتنوير والتحديث كطه حسين والعقاد وهيكل وزكى نجيب محمود وطلعت حرب وقاسم أمين..

هل كل هؤلاء كانوا نتاجا للتيار الليبرالى أم سببا لمشروع التحديث والتنوير وفق نفس التوجه؟

●● أولا النظام السياسى الذى أرسى دعائمه الأولى محمد على عندما استقل بمصر عن الإمبراطورية العثمانية ، فمحمد على هو الذى أنشأ فى مصر دولة حقيقية حديثة وقوية. هذا النظام السياسى ذو التوجه الانفتاحى الليبرالى أرسل بعثات علمية وعسكرية وثقافية إلى الغرب، حملت حين عودتها الكثير من الأفكار والمبادئ الإصلاحية . ورغم ما يقال من أن التوجه العسكرى الغالب لمحمد على قد ساهم بطريقة ثانوية فى تطوير وتحديث بعض المجالات الأخرى فإن هذا لا يهم كثيرا ، فالمهم أنه صنع الإطار المناسب للتحديث وفى هذا الإطار جاء هؤلاء الكتاب الذين تركوا بصمات حقيقية كل فى مجاله .. فالخلاصة أن هؤلاء كانوا سببا ونتيجة ..

وإذا نظرنا إلى تاريخ الحضارات الإنسانية جميعها من وجهة نظرى هو تاريخ المساهمات الفردية والإبداع الفردى ، فالثورة الفرنسية كانت ثورة مجموعة .. لكن من كان يقف خلف كل هذا ؟

سنجد المساهمات الفردية من جان جاك روسو إلى فولتير إلى كل الفلاسفة والأدباء فى عصر النهضة على مستوى أوروبا بالكامل. فعصر النهضة الشاملة والتنوير كان قائمًا أساسا على عاتق الأدباء والمفكرين والمثقفين والروائيين ، فهؤلاء صنعوا رؤية جديدة وتنبأوا بالمستقبل. هم الذين ثاروا على جميع الأوضاع القديمة البالية والمستبدة والظلامية، لذلك صنع هؤلاء نهضة شاملة عن طريق المساهمات الفردية ، وعلى مستوى العالم العربى والإسلامى إذا قلت النهضة أو الحضارة الإسلامية فلابد وأن تقول الفارابى وابن رشد وابن خلدون. إذن هناك مساهمات فردية فى بناء الحضارات ، فلابد أن نرد الاعتبار للإبداع الفردى والمساهمات الفردية.

• سألت الدكتورة هالة مصطفى .. طالما أننا نتفق على أن المثقفين والمبدعين هم الذين يقودون المجتمع نحو المستقبل .. فأين مثقفونا الآن من هذا ؟ هل تآكلت النخب أم أصابها الإحباط والإحجام ؟

•• تقول الدكتورة هالة مصطفى :

النخب المثقفة تعيش حالة من التردد الشديد بين الرغبة الصادقة فى الإصلاح والرغبة المشوشة فى ممالأة النظام. فهؤلاء النخب أحجمت ولم تعد تقوم بدورها التنويرى داخل المجتمع ، والملاحظ أن هؤلاء المثقفين أصبحوا مستوعبين تماما داخل الآلة الإعلامية والبروباجندا الرهيبة وذاب العديد منهم داخل السلطة ، والملاحظ أن كل مرحلة تاريخية كانت تشهد مثل هذا (الاحتواء) من السلطة للمثقفين ، وتشهد كذلك (الصدام) الذى له مراحل عدة بين الصدام المستتر والصدام العنيف. وهناك أمثلة على ذلك، فتوفيق الحكيم ولويس عوض وألفريد فرج ونجيب محفوظ وحتى طه حسين من كافة التيارات اليمينية واليسارية ، وهذا يتضح جليا من مطالعة مذكرات هؤلاء النخب من المثقفين ، ومع ذلك ترك هؤلاء بصمات واضحة على الحركة التنويرية داخل المجتمع بأثره ، فلم يكن هؤلاء فى حالة صدام دائم ولا فى حالة استيعاب كامل .. الخلاصة أن هذه النخب والشخصيات لم تسمح للسلطة بأن تمحوا سماتهم ومميزاتهم الشخصية خلال فترات الاستيعاب ، حدث هذا فى كل المراحل والفترات التاريخية المختلفة حتى فى عصر عبد الناصر كانت العلاقة بين النخب المثقفون والسلطة تسير بين الصدام والاستيعاب وكان هؤلاء المثقفون لهم طعم وروح ورؤية ، لكن طوال تاريخنا الطويل لم نصل أبدا إلى ما وصلنا إليه في أن المثقفين أصبحوا بلا ملامح وبلا روح وبلا قضية وبلا وجهة نظر.

ورغم ذلك فهناك شخصيات محترمة جدا ما زالت تحافظ على هويتها ولها خط تنويرى واضح ، فالمثقف لا يستطيع أن يعيش فى توتر طوال الوقت حتى يستطيع أن يبدع ولا يمكن كذلك أن يقبل أن يتم استيعابه بصفة مستمرة من النظام ، أما الآن فلا أحس على الإطلاق أن هناك روحًا داخل الحياة الثقافية!

وأعتقد أنه ليس فى مصلحة السلطة أن تقوم باستيعاب جميع المثقفين، وإذا تخيلت السلطة بحكم الغرور والغطرسة بأن سحق الجميع سيجعلها تعيش فى حالة راحة فإنها تكون قد ارتكبت خطأ كبيرا ، فإذا قامت السلطة بسحق النخب من المثقفين والأدباء والمفكرين عن طريق الاستيعاب الهزيل والباهت الذى لا طعم له ولا لون معنى ذلك أنه لن يبقى أمام السلطة إلا الغوغائية وهذا هو الأخطر وليس العكس.

● **قلت للدكتورة هالة مصطفى :**

هناك تغييرات اجتماعية حادة شهدها المجتمع المصرى مؤخرا.. الابتسامة المصرية فقدت أو سرقت.. النخوة والقيم المصرية فى خطر.. حتى القيم الدينية تم اختزالها فى مجموعة من الطقوس ليس إلا.. كيف ترى الدكتورة هالة مصطفى التغيرات التى حدثت داخل المجتمع المصرى؟

●● تقول الدكتورة هالة مصطفى إذا نظرنا إلى المجتمع المصرى من أعلى سنرى أن أخطر شيء فى مصر هو تدهور وضع الطبقة المتوسطة ، فالطبقة المتوسطة فى مصر هى بمثابة (رمانة الميزان) للمجتمع المصرى ، وهذه الطبقة هى التى تصنع الاستقرار السياسى والاجتماعى والتنويرى داخل المجتمع ، وأصبحت تلك السياسات من خلال السياسات الاشتراكية الطويلة حيث تم تهميش تلك الطبقة تماما ، وبالتدريج بدأت تلك الطبقة تتحرك إلى أسفل ولم تعد حتى مستقرة فى مكانها وأصبح هناك حراك إلى الخلف. وأنا مثلا أنتمى إلى الطبقة المتوسطة المصرية لأهل المدينة (الحضر) وأفخر بذلك كل الفخر وأرى فى أسرتى المثال الجيد للطبقة المتوسطة، وأنا كثمرة من ثمار هذه الطبقة فى مرحلة ما. واليوم كى تحصل على نفس الثمرة لابد أن تكون الأسرة داخل الطبقة العليا . بكلمات أخرى فإن الثمرة التى كنت تستطيع أن تحصل عليها كإنتاج من الطبقة الوسطى لا يمكن أن تحصل عليها كإنتاج للطبقة العليا، وهذا هو معدل التراجع الذى أقصده أو بتعبيرك (الحراك الاجتماعى إلى الخلف)، فللطبقة المتوسطة مجموعة من القيم والمبادئ يأتى فى مقدمتها قيم العمل والأخلاق والدين المتسامح. وكان المستوى المادى يحقق حياة كريمة بالفعل ، حيث تستطيع أن تنتج

وتبدع وتتعلم فى مدارس أجنبية، أزعم أن أحدا من الطبقة المتوسطة لا يستطيع الآن أن يتمتع بالمزايا التى كانت متاحة لأعضاء الطبقة المتوسطة من قبل . ولا يمكن لأحد أفراد الطبقة المتوسطة الآن أن يتلقى تعليما فى مؤسسات تعليمية راقية دون أن يتم إنهاك الأسرة ويؤثر على مجمل الأوضاع الحياتية لأعضاء هذه الطبقة. والملاحظ أن الأفراد المنتمين إلى الطبقة العليا غير متجانسين فهناك طبقة الأغنياء الجدد والأغنياء القدامى والطبقات الطفيلية التى استطاعت أن تجد لها مكانا داخل الطبقة العليا . وحتى القيم تبدلت وتغيرت نتيجة دخول عناصر جديدة دخيلة انتقلت بأفكارها وقيمها ومبادئها لتستقر داخل الطبقة العليا ، الطبقة الوسطى تضم التجار والمهنيين والحرفيين ومتوسطى الملاك والموظفين من أصحاب الدخول الثابتة. فالطبقة الوسطى واسعة وممتدة وتضم الغالبية العظمى من طبقات المجتمع، فكلما كانت هذه الطبقة سليمة وصحيحة كان يعنى ذلك أن المجتمع سليم وصحيح وقادر على الحراك السليم فى الإتجاه السليم ، وفى كل الأحوال يجب أن تكف الدولة عن المزايدة على هذه الطبقة. ونحن نتكلم عن الطبقة المتوسطة نلاحظ أن وسائل الحياة و الخدمات العامة أو الترفيهية أو حتى المطاعم والفنادق لا تناسب الطبقة المتوسطة على الإطلاق. فهناك الأشياء التى تناسب الطبقة العليا والأشياء التى تناسب الطبقة الدنيا ، أما الطبقة المتوسطة فتعانى من عدم وجود الوسائل الحياتية المناسبة لإمكانيات تلك الطبقة ، فالطبقة المتوسطة غائبة ولا تجد الاهتمام الكافى ، ففى الدول الأوربية وأمريكا نجد أن هناك اهتماما ملحوظا بحاجات الطبقة المتوسطة حيث تجد كل ما يهم أبناء الطبقة المتوسطة من مدارس ومستشفيات ومطاعم ووسائل ترفيهية متنوعة ، أما هنا فنجد أن جميع الاهتمامات تنصب على تلبية رغبات واحتياجات الطبقة العليا. وهناك إهمال كامل للطبقة الوسطى فى نفس الوقت الذى لم يتحسن وضع الطبقة الفقيرة بل ازداد الفقراء فقرا وأصبحت هذه الطبقة مستقبلة لفئات جديدة من الطبقات الأخرى .

كذلك ألاحظ أن الدولة والنظام تعانى ارتباكا شديدا فى اختيار الأجندة على المستوى الكلى أو التجميعى ، فهل أنت راغب فى تطبيق النظام الرأسمالى القديم المحافظ (دعه يعمل .. دعه يمر) أم أنت تبحث عن دولة الرفاهة الاجتماعية.

وفى هذه الحالة تقوم الدولة بدور رعاية اجتماعية لتوفير خدمات عامة على مستوى معين وتعليم وصحة على مستوى معين وهناك سياسة توزيعية عادلة بحيث تضمن وصول الخدمة إلى مستحقيها، هل نحن لدينا مثل هذه الرؤى أو التوجهات ؟

إذن عندما تتحدث الحكومة عن وجود برامج لرعاية محدودى الدخل نجد تناقضا شديدا مع سياسات سوقية أخرى لا تأخذ البعد الاجتماعى فى الحسبان . فالحقيقة نحن لا نفهم ماذا تريد الدولة . وعلينا أن نتذكر أن دولة الرفاهة الاجتماعية تأتى فى إطار النظام الرأسمالى وليس النظام الاشتراكى. والنظام الرأسمالى لا يعنى ألا تكون هناك مواجهة للاحتكار أو مواجهة للفساد أو تكون هناك سياسة توزيعية عادلة بالفعل تقوم بها الدولة، وهذا هو دور الدولة. لابد أن يكون هناك سياسة ضريبية موجهة لتحقيق أهداف العدالة الاجتماعية ، الحقيقة أنا لا أرى سوى سياسات جزئية تفتقد إلى الرؤية الشاملة والتوجه العام .

● **قلت للدكتورة هالة مصطفى :**

أعتقد أن هناك قصورا وتقصيرا من معسكر الليبرالية والرأسمالية فى شرح ماهية الفكر الرأسمالى، وماهية الليبرالية. فالكثير من الناس لا يعرفون عن الرأسمالية سوى التوحش والمصير الأسود للطبقة المتوسطة.. هم لا يعلمون أن فرنسا أحد معاقل الرأسمالية تعليمها مجاني، وبها نظام للتأمين الصحى والاجتماعى وتأمين البطالة غير موجود فى أعتى الدول الاشتراكية.. لا يعرف هؤلاء أن ستة من العشرة المبشرين بالجنة كانوا من أصحاب رؤوس الأموال الضخمة.. الدكتورة هالة الا تتفقين معى أن هناك تقصيرا فى هذا الصدد؟

●● بالتأكيد أتفق تماما مع كل ماذكرت ، لكن الدولة لا تسير على خط واضح وهذا يعود أساسا إلى مسألة غياب الرؤية الشاملة التى تحدثنا عنها كثيرا. فالنظام الرأسمالى فى الدول المتقدمة يهدف إلى القضاء على المشردين و الحفاظ على الطبقة

الوسطى التى تمثل رمانة الميزان فى المجتمع. فأخطاء التطبيق لا يجب أن تؤثر على صحة النظرية الرأسمالية والفكر الليبرالى ، فالنظام الليبرالى يعتمد على الفرد فيحترم الفرد ويقدسه. فالفرد فى هذا النظام هو محور الكون، وكذلك فالحرية التى يقرها النظام الرأسمالى تتفق مع الأحكام الإلهية والفطرة الإنسانية، فالحرية غير ممنوحة من أحد لذلك ليس من حق أحد ان يسلب هذه الحرية ، لكن هذه الحرية يجب ان تتوقف عند حدود حرية الآخرين، الحرية يجب أن تكون مسؤولة ، ويجب أن يكون التسامح والاعتراف بالآخر والتعددية هى الأطر العامة للحرية والديمقراطية التى هى أساس الرأسمالية. فلم نسمع عن ديمقراطية حقيقية فى الأنظمة الاشتراكية ، فالديمقراطية نشأت وترعرعت فى الأنظمة الرأسمالية ، لأن فكرة النظام الرأسمالى تقوم على أساس أنه نظام حر .. حرية العمل وحرية التعبير.

وهناك مادة غريبة وملفتة فى الدستور الأمريكى تنص على الحق فى السعادة !! تخيل أن هناك دستورًا ينص على حق الإنسان فى السعادة بمعنى أن أحدا لا يستطيع أن يحرمك من مصادر السعادة التى تشعر بها ، لابد أن نحترم الفرد ‘ فلا يمكن أن يكون لديك اقتصاد سوق حر وليس لديك قيم ومبادئ الرأسمالية الحقيقية التى تجعل من الفرد محور الكون وتجعله فوق الجميع ، فالعيب ليس فى النظام الرأسمالى ولكن العيب كل العيب فى التطبيق .. فى السياسات المرتبكة .. فى السياسات الخاطئة .. فى السياسات المتناقضة .. فى السياسات الجزئية

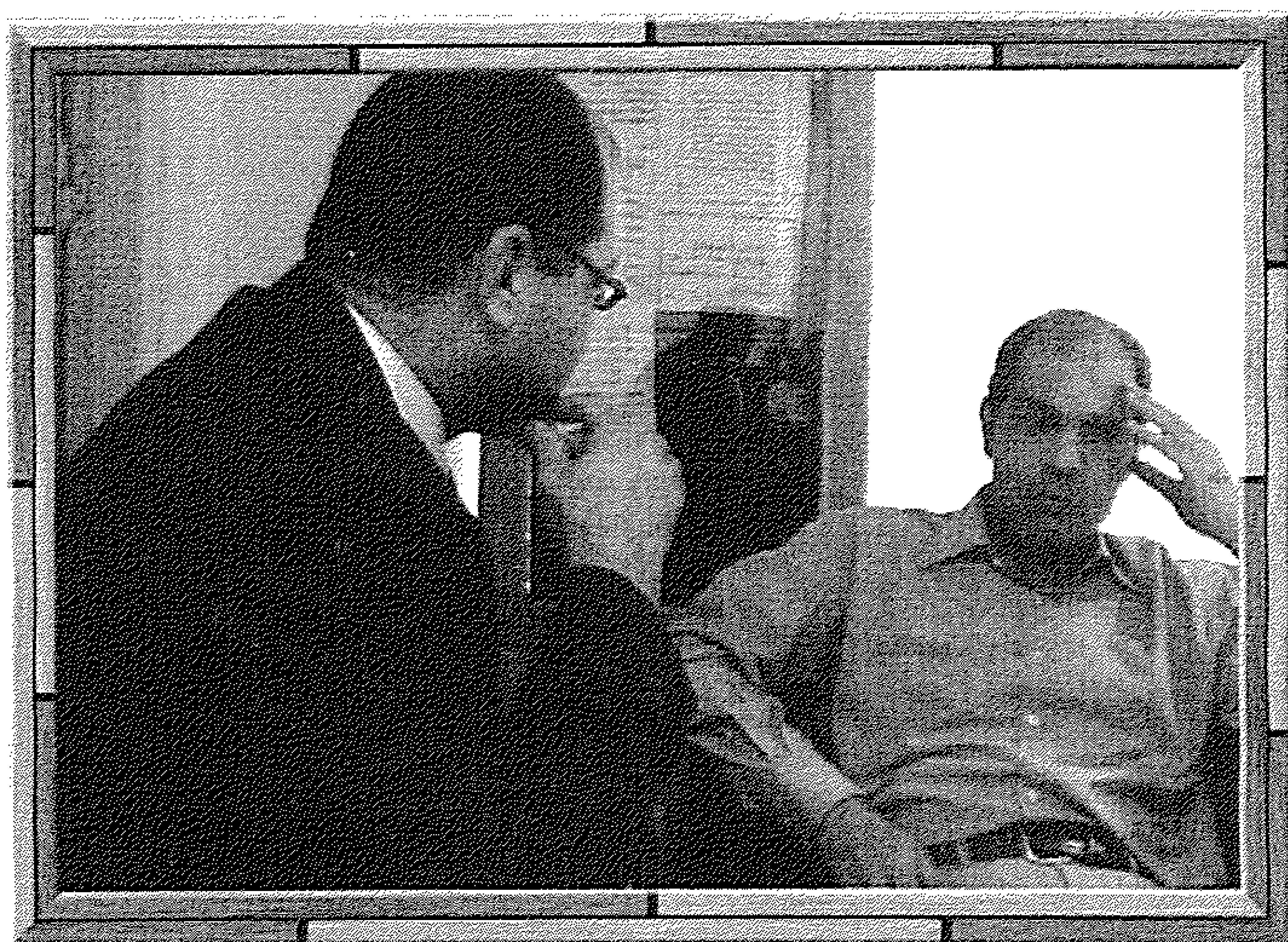
• سألت الدكتورة هالة مصطفى .. من يكتب تاريخ هذا الوطن؟

●● تقول الدكتورة هالة مصطفى إن التاريخ لا يكتب بشكل صحيح إلا فى مناخ حر ، ونحن والى اليوم نعتمد فى قراءة التاريخ أو نثق أو نطمئن أكثر فى تدقيق واقعة تاريخية معينة من المصادر الأجنبية، لذلك فمعظم الكتاب والمحللين من كافة التيارات سواء من اليسار أو من اليمين يعتمدون على المراجع الغربية فى سرد واقعة تاريخية معينة ، لأننا اعتمدنا فى عالمنا العربى على تسييس الوقائع التاريخية ، حيث يكتب التاريخ متأثرا بوجهة نظر نظام الحكم السائد فى الفترة التى يكتب فيها ، وإذا تغير

النظام يتم اللعب فى الوقائع المدونة وإعادة صياغة وكتابة التـاريخ وفـق هـوى النظـام الجديد ، وهنا نعود للنقطة التى أثرناها من قبل وهى استيعاب المثقفين من قبل الدولـة والنظام .

كذلك وبالإضافة إلى ضرورة توافر المناخ الحـر يجـب أن لا يتـأثر الكاتـب بانتمائـه الأيدلوجى، لأن الحياة الثقافيـة تلونـت لفـترات طويلـة بـالفكر الماركسى أو الفكـر الاشتراكى والقومية العربية، لذلك وجدنا معظم المؤرخين يرفضون كل ما يخرج عـن هذه الأطر التى تتفق ومرجعياتـه وثوابتـه ، هـذا عكـس الـدول الغربيـة التـى تـؤمن بالليبرالية التى تؤمن بدورها بالحرية ، ولذلك هـى تتـسع لاسـتيعاب كافـة التيـارات والتوجهات ، أما الأفكار الأخرى مثل الماركسية والقومية تقوم عـلى نفـى الآخـر ولا تتسع لاستيعاب أية أفكار أخرى بخلاف آرائها، وتستطيع أن تلاحظ هذا مـن خـلال مفردات الهجوم اليسارى على الأفكار الرأسمالية والليبرالية مثل (البرجوازى ..) ويـتم دائما إسقاط أحكام على المفاهيم (الرأسمالية المستغلة والمتوحشة) فهل يصح أن تـسقط وجهة نظرك وأيدلوجياتك على نظام كامل ، فلا يجب أن يـتم الإسـقاط عـلى المفـاهيم والنظم

***



الإعلامي الراحل

مجدى مهنا

اتصلت بالراحل مجدى مهنا وعرضت عليه فكرة كتابى الذى يدور حول المستقبل، من خلال استعراض آراء ورؤى بعض النخب الفاعلة داخل المجتمع .. بعيدا عن التحزب والتشدد والخلافات ، وبدأت أدخل فى تفاصيل وأسماء، فقاطعنى الرجل قائلا .. إننا فى أمس الحاجة الى عمل يجمع ولا يفرق .. إن العبور إلى المستقبل لن يكون سهلا ، لكن علينا أن نبدأ ، وقال الرجل أتمنى أن أستطيع مساعدتك فى عمل كهذا، وأتمنى لك النجاح. أما بالنسبة للميعاد فسوف أقوم بالاتصال بك فى أول فرصة حسب ظروفى الصحية .. لكنى بالتأكيد سوف أتصل بك فى أسرع وقت ممكن . كان هذا الاتصال هو الأول لى مع الراحل مجدى مهنا. وبعد مرور أقل من أسبوع وجدت هاتفى الجوال يرن وفوجئت أن مجدى مهنا على الطرف الآخر .. (إزيك يا نشأت.. أخبار كتابك إيه.. عموما أنا جاهز ومستنيك بكرة الساعة ١١ صباحا فى روز اليوسف بشارع القصر العينى) شكرته كثيرا .. كثيرا فوسط ظروفه الصحية الصعبة ومشاغله والتزاماته العديدة يتذكرنى الرجل ويتذكر كتابى ويقوم هو بالاتصال بى .. كنت على يقين أن مجدى مهنا رجل فوق العادة سيرة ومسيرة .. رحمه الله رحمة واسعة..

• سألته... عن أولويات الإصلاح كما يراها ويؤمن بها حتى نستطيع أن نقوم بإعداد جدول لوطن يسير بلا جدول أعمال.

•• قال مجدى مهنا لكى نضع جدول أعمال يعبر عن الأولويات الوطنية:

لابد أن تكون نقطة البداية والانطلاق هى الإصلاح السياسى الشامل ولدى يقين وثقة بأن (تداول السلطة) هو الثمرة النهائية لجميع برامج الإصلاح .. إن إطلاق

الحريات العامة واحترام قواعد الديمقراطية هما الطريق الأوحد للوصول إلى الهدف الأسمى وهو (تداول السلطة).

إن قضية الإصلاح السياسى لابد وأن تحتل صدارة اهتماماتنا إذا كنا جادين حقا فى عملية الإصلاح ، لأننا لا يمكن أن نبدأ فى خطة لإصلاح التعليم على سبيل المثال دون وجود رؤية سياسية نابعة من النخبة الحاكمة التى يفترض أنها تمثل الشعب وتعبر عن أولوياته واختياراته من خلال تفعيل دور المجالس النيابية التى من المفترض أن تكون موجودة فى مواقعها بإرادة الجماهير .. تلك الإرادة المستمدة من العقد الاجتماعى والتى يتم تنظيمها من خلال الدساتير والقوانين التى يتفق عليها وحولها جميع فئات المجتمع بكافة أطيافه وتوجهاته ومرجعياته ، بيد أن غياب الحرية والديمقراطية الحقيقية تجعل من الإصلاح المنشود فى المجالات الأخرى كالتعليم والاقتصاد والعدالة الاجتماعية ضربا من الخيال والجنون ، فإطلاق الحريات العامة خصوصا حرية تكوين وتشكيل الأحزاب السياسية ، واستقلال القضاء وشيوع مبادئ العدالة داخل المجتمع،كل هذه العوامل تشكل إجمالا عمليات الإصلاح السياسى المقصود ، وأكرر أن الثمرة النهائية للإصلاح السياسى ستكون حتما تداول السلطة الذى يمثل سقف التطبيق السليم للديمقراطية السليمة.

● نظرت للأستاذ مجدى مهنا فى دهشة واستغراب قائلا..

ولكن كيف يكون هناك تداول حقيقي للسلطة فى مجتمع يؤله حكامه ويصنع فراعينه الواحد تلو الآخر حيث يدخل الفرعون من هؤلاء إلى كرسى الحكم واقفا على قدميه ولا يترك هذا الكرسى إلا وهو ممدد على ظهره متوجها إلى العالم الآخر ؟

●● تداول السلطة ليس له إلا طريق واحد هو الحرية الحقيقية وتطبيق مبادئ الديمقراطية غير المزيفة.

تداول السلطة هو ثمرة الغرس الديمقراطى وبذرة لحزم الإصلاح الأخرى المرجوة ثمارها ، إننا نعيش حالة ضبابية قاتمة. فالمشاكل والأزمات عميقة ومتداخلة والكارثة

أن المجتمع ينقسم إزاء تلك الحالة إلى ثلاثة أقسام ، الأول يؤمن أن الوضع الراهن هو الأفضل فى تاريخ مصر والثانى على قناعة بأن هذه المرحلة هى الأسوأ على مر التاريخ وبين كلا الفريقين تبقى الأغلبية الصامتة التى تؤمن بأن كلا الفريقين على صواب !! وهذه إشكالية أخرى وسمة من سمات المجتمع الذى يعانى من نقص حاد فى عناصر الحرية ويحتاج إلى جرعات متزايدة منها حتى يصل إلى مرحلة فهم ما يدور حوله من أحداث .

إن أولويات الإصلاح من وجهة نظرى هى الإصلاح السياسى بالمعنى الشامل..فالانتخابات الحرة النزيهة ستفرز بلا شك قيادات تستطيع أن تلبى طموحات الجماهير .. وقبل أن تلبى طموحاتهم ستحترمهم وتحترم اختياراتهم وتوجهاتهم ،تلك القيادات لابد وأن تؤمن أن الجماهير هى التى تصنع الاحداث وتختار القيادات من خلال صناديق الانتخابات الحقيقية ومن هذه النقطة نستطيع أن نرى تداولا حقيقيا للسلطات من قمة الهرم الى قاعدته ، فالمسؤول من هؤلاء يحترم الشعب بقدر استطاعة الشعب تغيير هذا المسؤول فى الوقت الذى يريده الشعب نفسه لا أحد الأوصياء عليه. فما أكثر الأوصياء الذين يتحدثون باسم هذا الشعب وهم يصنعون به ما لا يجرؤ ألد الأعداء أن يصنعه !!

● **سألت الرجل عن دور الشعب المصرى فيما يجرى حوله ؟**

●● صمت الرجل برهة ووضع يده على رأسه وقال :

(إنه شئ مؤلم ومحزن أن نرى هذه السلبية المستفزة من هذا الشعب) إن ذلك يمثل لغزا محيرا يحتاج إلى البحث والتحليل والتدقيق وتاريخيا فالشعب المصرى لايثور إلا فى حالات محدودة و محددة ، بيد أن المساس بالدين أو العرض أو الأرض، وأخيرا لقمة العيش هما دوافع الانفجار والثورات وهذه هى الأسباب التى سجلها التاريخ بالنسبة لثورات المصريين ، لكن فى كل الأحوال فإن هذا الشعب كان دائما فى حاجة إلى زعامات وقيادات تحركه وتطلق الشرارة الأولى، والشعب حينئذ لن يخذل تلك الزعامات مهما كانت التضحيات. وهذه النقطة وعاها التاريخ فكل الثورات التى شهدتها مصر وكل الإنجازات التى صنعها هذا الشعب لم تكن وليدة تحركات الشعب

التلقائية بل كانت وليدة فكرة وطنية وجرأة نادرة من أحد الزعماء الملهمين، التف حوله الجميع واستطاع أن ينشرها ويسوقها للجماهير فالتفت تلك الجماهير حول هذا القائد. وكانت هكذا كل ثورات مصر على مر التاريخ. وهناك من يرى أن الشعب المصرى سلبى ولايثور ولايتحرك من تلقاء نفسه، وإنما يعيش حالة من الخنوع ، رغم كل هذه الموروثات الحضارية للإنسان المصرى. ولم نرصد للإنسان المصرى حركات ثورية جماعية تلقائية وإنما تحركات فردية قادت الشعب للعمل الجماعى بعد ذلك فمحمد على الكبير وصلاح الدين الأيوبى و أحمد عرابى و مصطفى كامل حتى وصلنا إلى آخر الزعماء جمال عبدالناصر و هذه هى المشكلة الكبيرة (السلبية والخنوع).

• هنا تدخلت فى الحديث موجها سؤالى لمهنا قائلا : ماهو دورك ؟ وما هو دوري؟ وما هو دور طبقة المثقفين وحملة المبادئ وأصحاب المنابر فى حل تلك الإشكالية؟ .

•• أجابنى .. كل منا له دور يجب أن يؤديه بإخلاص تجاه هذا الوطن.

يجب علينا أن نكتب الحقائق وننشر المبادئ والاخلاق يجب علينا أن نتحرك فى اتجاه خلق روح جديدة تدب فى أوصال ذلك الشعب،ان واجبنا ليس قراءة ما يحدث، أو تحليل ما يحدث وإنما دورنا أكبر من ذلك بكثير .. دورنا أن نساهم فى تشكيل وجدان ذلك الشعب، إلا أننا سنعود إلى النقطة التى انطلقنا منها وهى تداول السلطة من خلال منظومة الإصلاح السياسى الشامل والذى سيؤدى حتما إلى إصلاح التعليم، ومن ثم رفع معدلات الوعى، ومن ثم أيضا ستكون هناك مشاركة فعالة وعند هذه النقطة سيكون دور المثقفين وحملة الأقلام وأصحاب المنابر فى غاية الأهمية

•• قلت له إن الحديث عن الموروث الحضارى يدفعنا إلى التساؤل عن : (تاريخ مصر)، حيث نستطيع ان نغير المستقبل لكن يستحيل أن نغير الماضى. وهنا فى مصر فمستقبلنا يرسمه أعداؤنا، والماضى تتم كتابته عبر كتابات خاطئة للتاريخ أو حتى كتابات غير موضوعية .

الأستاذ / مجدى مهنا:

من يكتب تاريخ هذا الوطن ؟ ماهى الجهه التى تراجع مايكتب؟

وهل من الأجدى إنشاء كيان لجمع وحفظ الوثائق لكتابة التاريخ؟

●● يقول مجدى مهنا: منذ مايقرب من خمس سنوات أثرت هذا الموضوع وتساءلت من يكتب تاريخ مصر؟ تقريبا نفس السؤال وللأسف والأسى حتى الآن لم يجبنى أحد، ولم أعثر على إجابة شافية وواضحة ومحددة فى هذا الصدد .

إنه لغز كبير فالتاريخ يجب أن يكون مرآة حقيقية لما حدث فى الماضى ، حتى يمكن قراءة مفردات ذلك الماضى بطريقة سليمة ومنطقية، لكن الحاصل أن التاريخ الموجود حاليا يعتبر موجها بطريقة كاتبيه والآن.

لايمكن أن نضع أيدينا على تاريخ مكتوب ومدون بطريقة سليمة ومنطقية.

عموما إن كتابة التاريخ تحتاج إلى وثائق ومعلومات وبيانات سليمة وصحيحة وغير قابلة للتشكيك من أحد الأطراف، إنهم يقولون إن التاريخ لايكتبه إلا المنتصرون وبالتالى لن نصل إلى الحقائق التى ترقى إلى أن تكون تاريخا. إن المذاكرت التى تخرج علينا بين الحين والحين ما هى إلا رؤى شخصية وآراء يركز أصحابها على توجيه التاريخ تجاه زوايا تمجد أسماءهم وتبعد عنهم مايكون قد علق بأسمائهم من جراء سرد التاريخ من وجهه نظر مغايرة

● أستاذ / مجدى مهنا .. كيف ترى مصر .. الأرض والتاريخ والشعب.. هل تراها فى وضعها ومكانتها اللائقة .. أم ما نعيشه هو الوضع الطبيعى ولا داعى للثرثرة على أكذوبة الموروث الحضاري..

●● يقول مجدى مهنا:

بالتأكيد ليست هذه مكانة مصر العظيمة. فمصر لها مكان ومكانة بين الأمم والشعوب ، وأعتقد أنها فقدت منها الكثير والكثير ، نتيجة عدم قدرتها حاليا على القيام بأدوار الريادة وتبعاتها.

الخلاصة أن مصر بوضعها الراهن غير مرضية على الإطلاق والأسباب والمسببات معروفة للجميع. لكن وفى كل الأحوال لايجب علينا أن نركن ويصيبنا الإحباط واليأس، فالمسألة تحتاج الى عمل مستمر وإخلاص منقطع النظير حتى نصل الى الوضع الحقيقى لمصر على المستوى الإقليمى والدولى. إن الوضع الإقليمى والدولى المأمول لن نصل إليه إلا بعد أن نرتب الوضع الداخلى حيث تنتشر الحريات ويبدأ الشعب فى ممارسة حقه السياسى ويكون هناك تداول حقيقي للسلطة نابع من احترام إرادة الشعب. إن احترام مصر لابد وأن يبدأ من الداخل ، ولابد وأن يسود الولاء والانتماء بين جموع الشعب المصرى.

فى نهاية حديثى القصير مع الأستاذ / مجدى مهنا، قال إن مشاكل الوطن تكاد تكون معلومة للجميع، وكذلك حلول تلك المشاكل يكاد المرء يحفظها عن ظهر قلب، لكن المشكلة الأزلية والتى لاتلوح فى الافق بادرة أمل لها هى تداول السلطة فى إطار ديمقراطى سليم.

ويعتقد الكثيرون أن جميع المحاولات الإصلاحية سوف يكون مصيرها الفشل طالما اصطدمت بصخرة الجمود السياسى وغياب الحرية وعدم احترام أبسط قواعد حقوق المواطنة

• سألت الأستاذ مجدى مهنا كيف يستطيع الوطن الخروج من هذا النفق المظلم وما دور المثقفين فى هذا الصدد ؟

•• يقول (مهنا) إن حرية المواطن وإحساسه بهذه الحرية هو أساس أية إصلاحات.. فالمواطن هو محور جميع العمليات الإصلاحية وهو هدفها ووسيلتها فى الوقت نفسه.

فحرية المواطن تدفعه لممارسة حقه والقيام بواجباته ويستطيع أن يمارس دورا سياسيا إيجابيا عن قناعة وبلا ضغوط.

إن حرية المواطن وإحساسه بأنه قادر على رسم مستقبله واختيار ممثليه هو الضمانة الحقيقية لنجاح البناء الديمقراطى السليم. والبناء الديمقراطى السليم لن تقوم له قائمة طالما بقيت تلك الأشخاص الفاسدة والمفسدة على كراسى المسئولية وفى مقدمة الصورة على مدار عشرات السنين.

إن هؤلاء الأشخاص لايحملون إلا أفكارا عتيقة وجامدة لا تتناسب مع طموحات الوطن خلال هذه المرحلة الدقيقة من تاريخه.

إن الصورة تبدو قاتمة تماما لكن كلما ازدادت قتامة لاحت فى الأفق إشارات تبدد تلك القتامة وتنسج خيوط الأمل المرجوة لهذا المواطن.

وانتهى اللقاء سريعا ولم أرد أن أثقل على الكاتب مجدى مهنا حيث كان على موعد مع رحلة علاج جديدة .

***



الإعلامي

وائل الإبراشي

ديوان المظالم .. هذا هو الوصف الأدق لمكتب هـذا الرجـل الـذى لا تفارق الجدية قسمات وجهه ، فكـل مـن لديـه مظلمـة يحملهـا ويقـصد (وائل الإبراشى)؛ حيث يجد فى انتظاره من يقابله، ويحنو عليه ويبتسم فى وجهـه، ويـستمع الى شـكواه، ويحـاول صـادقا أن يـساعده و يـرد لـه مظلمته.. كل ذلك يتم بتواضع شديد وأدب جم ، بيد أن القلـم لم يعـد فقط ينتج (الكلمة) بل صارصانعا (الأمـل) والتفـاؤل . لقـد سرقـت ابتسامة هذا الوطن !! إلا أننى وجدتها أخيرا فى مكتب هذا الرجل.

• **(وائـل الإبـراشـى)**

بـدأت حـوارى مـع الرجـل حـول مـستقبل هـذا الـوطـن ، حـول الخريطـة المفقـودة للإصـلاح المنشود .. بعيـدا عـن قـسـوة الـواقـع ومـرارة تفـاصيـلـه فقـال الـرجـل ..

•• المستقبل يشغلنا جميعا رغم انشغالنا بقسوة الحاضر ، ورغم محاولاتنـا التغلـب على أخطاء وخطايا الماضى الذى ورثناه ، ودائما عيوننا على المستقبل ، والأسئلة المتعلقة بالمستقبل فى غاية الأهمية .

وفى رأيى أن القواعد الأساسية التى ينبغى أن ننطلق منها صوب المـستقبل المـأمول كما يلى :

- البداية لابد وأكرر لابد أن تبدأ من الإصلاح السياسى الحقيقـى ولـيس الـوهمى. فلا يمكن أن أستطيع بناء الدور التاسع قبل الانتهاء من بناء القواعد والأساسات. إننا الآن كمن قرر البدء فى بناء الدور التاسع قبل البدء فى تجهيـز الأعمـدة والأساسـات، وحتى ننطلق من الواقع فلابد وأن نتعامل مع ما هو موجود الآن. فليس هناك ما يمنع من التعامل مع الأطروحات الحكومية للإ صلاح السياسى ، أبدأ بالمادة ٧٦والمـادة ٧٧ من الدستور. فإعادة تعديل المادة ٧٦ من جديد يمكـن أن يـشكل أساسـا للإصـلاح

السياسى. صحيح نحن نحتاج إلى إصلاح سياسى أكثر شمولا واتساعا ولكن سنتعامل مع الواقع. فتعديل المادة ٧٦ هو أساس الديمقراطية فى مصر وهو تداول السلطة ، هذه المادة يمكن أن تضمن انتخابات رئاسية حقيقية يعاد تعديلها بحيث أنها تخفف من القيود ومن الأعباء التى يمكن أن تفرض على البعض خاصة المستقلين خاصة أنه لا يوجد فى مصر أحزاب قوية حيث تم إجهاض الأحزاب وإضعاف دورها. وتجد من يقول إن الحياة السياسية فى أوربا وأمريكا لا ينطلق منها أحد كمستقل ولكن من خلال أحزاب ، فالأحزاب دائما هى التى تفرز السياسيين لكن الواقع هنا مغاير تماما ، حيث تم إضعاف الأحزاب ولا تجوز المقارنة هنا ، حيث توجد أحزاب قوية ومتنافسة فى أوربا وأمريكا أما فى مصر فلا توجد أحزاب سياسية ، **إذن دعونا نتفق على أن الديمقراطية الحقيقية تعنى تداول السلطة ، وأى مفهوم آخر هو بالبلدى (ضحك على الدقون)** وبعد تعديل المادة ٧٦ يتم تعديل المادة ٧٧ بما يؤكد أن مدة الرئاسة يجب ألا تزيد عن فترتين وذلك لضمان تداول السلطة وعدم بقاء الرئيس فى السلطة مدى الحياة. وأعتقد أنه إذا كان هناك توجه من النظام الحالى بالتحول من نظام الانتخاب بالاستفتاء إلى نظام الانتخاب الحر ، فهنا نستطيع أن ننطلق مما تم إنجازه ومن الواقع الموجود بالفعل ويمكن فى هذا الصدد التعامل مع الجميع بما فيهم الحزب الوطنى ذاته، وننحى فكرة وثقافة الصدام مع النظام ، لسنا بصدد قضايا شخصية.. إما أنا وإما أنت .. إننا بصدد قضية الوطن، فالوطن أهم منى ومنك ومن الجميع. و يجب أن يكون الشعار تعالوا جميعا نبنى الوطن ونخطط للمستقبل.

- المحور الثانى للانطلاق نحو المستقبل هو قضية الإصلاح القضائى ، وقضية الإصلاح القضائى شغلت الناس فى مصر كثيرا وتحولت إلى قضية شعبية لأن القضية ليست قضية مطالب القضاة، لكنها قضية متعلقة بالناس والجماهير بحق التقاضى وتطبيق قواعد العدالة، وإحساس المواطن بالطمأنينة، وبأن هناك من يقضى بالعدل وهناك أيضا من يرغب ويقدر على تنفيذ أحكام القضاء. وكما قلت بأنه **بدون الوصول للمفهوم الحقيقى للديمقراطية وهو تداول السلطة فلن يكون هناك إصلاح لأى شيء ولن يكون هناك توجه نحو المستقبل**.

- أما المحور الثالث من المحاور الأساسية للانطلاق نحو المستقبل فهو الإيمان بفكرة التعددية وبالدولة المدنية والحياة الحزبية الحقيقية وليست الوهمية. ويجب أن

يتخلى الحزب الوطنى عن سياسة إضعاف الأحزاب وعقد صفقات مع الأحزاب. لأن الأحزاب فى مصر ماتت بسبب عقد الصفقات مع الحزب الوطنى ، ولابد أن تتاح الفرصة لنشأة أحزاب جديدة دون قيود حتى يكون هناك أحزاب تستطيع أن تنزل إلى الشارع وتلتحم بالجماهير وفقا للقوانين ، نحن **لا نطالب أن تنزل الأحزاب إلى الشارع لتحطم وتشاغب وتخرب إنما نطالبها أن تنزل إلى الشارع كى تتفاعل مع الجماهير** وتستطيع أن تبنى قاعدة جماهيرية تؤمن بأفكار هذا الحزب أو ذاك ، وهنا أتذكر ما قلته للدكتور اسامة الغزالى حرب باننى اتوقع أن يكون حزب الجبهة حزبا مكتبيا لا أن يكون حزبا جماهيريا ، وهنا أيضا أتذكر أن أهم ما ميز السيدة بناظير بوتو أنها فهمت أن السياسة هى الالتحام بالجماهير من خلال النزول للشارع وكانت تستطيع أن تجلس فى حصن منيع وتختفى عن الأنظار تماما ، لذلك قال الرئيس الباكستانى برويز مشرف (لقد قتلت بى نظير بوتو نفسها بنزولها إلى الشارع) وأعتقد أن هذا القول غير صحيح فهى لم تقتل نفسها لكنها مارست السياسة بطريقة سليمة ، وهنا فى مصر يجب عمل قواعد لبناء حياة حزبية تضمن للأحزاب أن تنزل إلى الشارع بشكل سلمى وحضارى وقانونى لا بشكل فوضوى .

- أما القاعدة الرابعة الواجب الاهتمام بها للانطلاق نحو المستقبل فلابد أن يكون هو الجانب الاقتصادى والاجتماعى، فلا يمكن أن تتحدث مع المرضى والجوعى عن الديمقراطية وتداول السلطة !كيف يتفاعل معك هذا المواطن الجائع المريض وأنت تحدثه عن صناديق الانتخابات وعن الإيجابية السياسية ! أولا يجب ألا نتاجر بمحدودى الدخل .. **فكل يوم نستمع الى شعارات من عينة لا مساس بمحدودى الدخل والحقيقة أن هناك اعتداءات يومية على محدودى الدخل** ، لابد من ضمان حياة اقتصادية واجتماعية سليمة ولابد من حماية الناس من البطالة والغلاء والمرض والمعاناة أولا حتى يستطيع هؤلاء المواطنون أن يتفاعلوا ويستمعوا إلى ما يقال عن الإصلاح السياسى ، والمشكلة الحقيقية أننا رسخنا فى ذهن الناس أن الانتخابات يتم تزويرها والصناديق يتم تقفيلها وأن نتائج الانتخابات معلومة مسبقا ، ونأتى بعد ذلك ونطلب من المواطن أن يخرج ويشارك !! أعتقد أن هناك ما يتحتم علينا أن نقوم به الآن كى نجرى حوارا جادا حول المستقبل .. لابد من الدفاع الحقيقى عن محدود الدخل.

- **قاطعت الأستاذ وائل الإبراشى وسألته**

من الذى يجب عليه أن يدافع عن محدودى الدخل فالدولة لم ولن تدافع عن هؤلاء ؟

●● الدولة هى التى تمتلك كل الصلاحيات ، فلا يمكن للدولة بكل مؤسساتها وأدواتها أن تقف عاجزة عن السيطرة على الأسعار ، فكيف يعقل أننا نجلس معا للحديث عن المستقبل وهناك الآن من يموتون فى طوابير الخبز، وهناك من يموتون من الجوع. لقد كانت المقولة الشهيرة (محدش بينام جعان و محدش بيموت من الجوع) حقيقة طوال حياتنا ، أما الآن فبالفعل هناك من يموتون الآن من الجوع فى مصر ، إذن لابد من حماية الناس من الأعباء المعيشية العنيفة.

- القاعدة الخامسة للانطلاق للمستقبل احترام حرية وكرامة المواطن. فلابد من انتهاء كل مظاهر العنف والقمع وإهدار آدمية الإنسان والتعذيب فى أقسام البوليس. إن أخطر ما يهدد مستقبل هذا الوطن هو شيوع ثقافة الخوف فى المجتمع . الناس تخشى حتى من المرور أمام أقسام البوليس وتخشى من التعامل مع الجهات الحكومية . لابد وأن ننشر فى المجتمع ثقافة الحرية الحقيقية والإحساس بالكرامة، وأقضى تماما على ثقافة الخوف فى المجتمع المصرى .

إننا لو قمنا بإعداد وتجهيز مجموعة من التشريعات تتعلق بهذه القواعد التى تحدثنا عنها يمكن أن ننطلق إلى المستقبل، ويمكن أن نبحث عن حلول تتعلق بمستقبل مصر، فالأساس أن يكون هناك إصلاح سياسى حقيقى ليكون لدى تداول للسلطة. أما حكاية (ليس هذا وقته) هذه الجملة هى التى طغت على مصر ؛ فأندونسيا احتاجت ست سنوات فقط كى تتحول إلى الديمقراطية الشاملة والكاملة . وأرى أنه من العيب جدا أن نقول أو نسمع من يقول إن الشعب المصرى لا يستحق الديمقراطية الكاملة والشاملة والفورية ، وأنا على ثقة بأننا إذا بدأنا فى الإصلاح السياسى من خلال احترام إرادة الجماهير فحتما سنصل إلى ما نريد.

● **سألت الأستاذ وائل الإبراشى:**

عن قراءته ورؤيته للتغيرات التى حدثت داخل المجتمع المصرى خلال العقود القليلة الماضية وما مدى تأثير تلك التغيرات على الشخصية المصرية سلبا أو إيجابا ؟

●● لاشك أن هناك تطورات حدثت فيما يخص المكاسب السياسية وفيما يتعلق بالحريات ، ولا يستطيع أى منصف أن ينكر أن هناك تقدما فى هذا الصدد ، **وعندما نتحدث عن حرية الصحافة نقول إنها أعظم ما تم إنجازه فى هذا العصر**، أنا الآن أكتب دونما رقيب سوى ضميرى ، فحرية الصحافة رغم إنها أعظم إنجازات هذا العصر إلا أنه يجب ألا يتم التعامل مع حرية الصحافة على أنها منحة يمكن أن تمنحها لنا الحكومة فى أى وقت وتسحبها منا فى أى وقت ، هى ليست منحة ولكنها حق أصيل للمجتمع.

المهم أن نبدأ فى البناء ونستكمل ما تم إنجازه بالفعل وكما قلت من قبل يجب أن نبدأ بالمادة ٧٦ من الدستور أولا .. أن نبدأ من الواقع ، ولم أقل يجب أن نعد دستورا على غرار الدساتير الأوربية مرة واحدة ، فنبدأ بالمادتين ٧٦ ، ٧٧ من الدستور وهاتان المادتان من الممكن أن تضمنا حياة سياسية سليمة .

فمن حيث الشكل هناك حزمة من الإنجازات أما المضمون فهو الأهم على الإطلاق خلال هذه المرحلة ، فلابد أن أكون مؤمنا بأن مصر تستحق أكثر من هذا، فمصر تستحق حياة ديمقراطية شاملة وكاملة. وأرى أيضا أن هناك مخاوف عديدة من آلية نقل وتداول السلطة ، وهناك مخاوف أخرى تتعلق بانهيار الأوضاع المعيشية والحياتية بسبب سيطرة قلة من رجال الأعمال الذين يحتكرون كل شيء فى مصر.

فنحن نرى أن القرارات والخطوات الاقتصادية فى مصر تتم من أجل عيون ومصالح ستة أو سبعة من رجال الأعمال الذين يسيطرون على الأسواق ، وهناك مخاوف تتعلق بالفساد. فالفساد فى مصر يزداد حتى تحول إلى ما يشبه ثقافة المجتمع ، حيث انتقلت عدوى الفساد من كبار الموظفين إلى صغارهم للأسف الشديد. وهنا يجب القضاء على ثقافة الفساد ، لابد من إغلاق كل القنوات التى يمكن أن تؤدى الى الفساد، لابد من محاكمة كل الفاسدين وعدم التستر عليهم . هناك مخاوف حقيقية من الاكتفاء بديكورية وصورية وشكلية الإصلاح على حساب الجوهر والمضمون .

● **قلت للأستاذ وائل الإبراشي:**

الطبقة الوسطى تآكلت وضاعت تحت عجلات قطار الرأسمالية المتوحشة ولم تستطع الحكومات الحالمة والضعيفة أن تبقى على تلك الطبقة على قيد الحياة .

الأستاذ وائل الإبراشى:

اين ذهبت الطبقة الوسطى فى مصر ؟؟

●● بالفعل تآكلت الطبقة الوسطى وللأسف الشديد فمصر مطحونة بين حفنة من الأثرياء وأغلبية كاسحة من المطحونين والفقراء، فالطبقة الوسطى تآكلت تماما بسبب الانهيار المعيشى والاقتصادى والثقافى ، فالطبقة الوسطى هى صمام الأمان فى المجتمع هى التى تحدث التوازن هى رمانة الميزان. وتآكل هذه الطبقة يؤكد أن الأوضاع الاقتصادية والثقافية فى مصر ليست بخير، ولابد من إعادة الاعتبار للطبقة الوسطى من خلال مجموعة من الإجراءات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لأن هذه الطبقة وكما قلنا هى رمانة الميزان .

والوضع الاجتماعى فى مصر وضع مؤسف جدا حيث أن هناك مجموعة تحتكر كل شيء وغالبية الشباب يرفع شعار «أنا ميت ميت» ولنا فى الشباب الذى قرر أن يهاجر ويهجر مصر بأى ثمن حتى ولو كان هذا الثمن هو حياته ذاتها الأسوة الحسنة !!

البطالة المتوحشة قضت إجتماعيا على الشباب ، نفسيا ومعنويا. أنت تتعامل مع شباب مدمر يجلس على المقاهى بلا عمل .. فماذا تنتظر من ذلك الشباب ؟؟

أنا أرى أن قضية البطالة حياة أو موت .. الآن لا توجد عمالة مصرية بالخليج وبعد ١١ سبتمبر أغلقت أبواب أوروبا وأمريكا أمام الجميع .. الخلاصة أن السفر لم يعد محطة للأحلام. ومن ناحية أخرى لم تعد البلد من الداخل محطة للأحلام لأنه لا توجد فرص عمل حقيقية ولا توجد مصانع تستوعب كل هذه الأعداد التى تقف فى طوابير البطالة. الانهيار المعيشى والحياتى جعل الناس تموت ببطء وأنا أسمى هذه الحالة بحالة (الموت البطيء) لذلك يجب أن نكون شكسبيريين- أكون أو لا أكون- فقضية البطالة وكما قلنا -ولن نمل القول - قضية حياة أو موت ،لابد أن ننظر الى تلك القضية بموضوعية ولا نلتفت إلى الأرقام الحكومية الوهمية. تلك الأرقام التى يتعامل معها الناس بمنطق النكتة ، **ونحن نتكلم ونحلم ونخطط للمستقبل أخشى ما أخشاه من تزايد معدلات البطالة يؤدى إلى الهروب مرة أخرى إلى التطرف الدينى وإلى العنف.** وإن كان الإرهاب المسلح قد انحسر وتم محاصرته وتجفيف منابعه ، لكن أنا متخوف جدا أن يعود من البطالة والعشوائيات والفقر.

● **قاطعت الأستاذ وائل الإبراشى:**

أين دور المواطن ؟ لماذا كل هذه السلبية من المواطن المصرى تجاه حاضره ومستقبله ؟ لماذا لا يثور ويعترض ويوصل وجهة نظره إلى حكامه ؟

●● رد الأستاذ وائل الإبراشى بقوله ــ دعنى أختلف معك قليلا فيما قلت بشأن سلبية المجتمع المصرى ، فثقافة الاحتجاج زادت فى مصر فى الفترة الأخيرة ، فعندما سألت عن وثيقة البث الفضائى الجديدة والتى أقرها وزراء الإعلام العرب فى القاهرة، قال لى أحد المسؤلين إن السبب الأساسى أن الفضائيات زودت من وعى الناس وزودت ثقافة الاحتجاج التى بدأت تنتقل من فئة إلى أخرى. فمن العمال إلى الموظفين إلى الفلاحين بدأت ثقافة الاحتجاج من فئة إلى أخرى ، وأنت تسألنى أين الناس ؟ أقول **لك الناس محصورة بين البحث عن لقمة العيش ومحاصرة بثقافة الخوف !!**

وهنا أتذكر تلك الواقعة الحقيقية والتى توضح إلى أى مدى أثرت الفضائيات فى زيادة وعى المواطن البسيط .. أحد ضباط الأمن دخل منزل مواطن بسيط جدا فسأله ذلك المواطن ببساطة شديدة (إنت معاك إذن نيابة ؟) فرد عليه الضابط بقوله (إذن نيابة يا كلب ! الفضائيات بوظتكم !)

لذلك أنا لدى قناعة بأن حرية الصحافة والإعلام هى أهم إنجازات هذا العصر ودائما ما أدعو الى ضرورة الحفاظ عليها بأى طريقة، لأن الفضائيات ساعدت فى رفع الوعى ونشرت ثقافة الاحتجاج، وكل ما نحتاجه هو تنظيم ثقافة الاحتجاج حتى لانكون فوضويين .

وهذا الاحتجاج لابد وأن يكون سلميًا وحضاريًا مثلما حدث فى حالة موظفى الضرائب العقارية فى احتجاجهم لنيل مطالبهم وحقوقهم من الدولة. وهذا هو النموذج المطلوب للاحتجاج والاعتصام.

● **سألت الأستاذ وائل الإبراشى عن التاريخ وكتابته وكتبته وقلت له :**

لا تستطيع الأمم والشعوب أن تغير الماضى، لكنها تراهن على تغيير المستقبل إلى الأفضل. بيد أننا نعيش حالة مغايرة.

إننا تركنا مستقبلنا ليصنعه غيرنا وبدأنا رحلة تغيير الماضى عبر الكتابات الخاطئة للتاريخ.

الأستاذ وائل الإبراشي.. من يكتب تاريخ هذا الوطن ؟

●● التاريخ لن يكتبه أبدا من يعتدون على الحرية والديمقراطية أو الذين يشنقون مصالح الشعب! التاريخ لا يستطيع أن يكتبه إلا الذين يحملون ولاء شديدا لهذا الوطن وليس للنظام أو السلطة. من المؤسف أن نشغل أنفسنا بالجدل حول قضايا تتعلق بالماضى. نستنزف مجهودنا فى الحديث حول قضايا جدلية تتعلق بالماضى وننسى المستقبل ، لكن يجب أن تكون أعيننا على المستقبل . صحيح أن هناك عملية تزييف للتاريخ تحدث، لكن لن نستطيع أن نعود إلى الطرح الذى ينادى بتشكيل لجنة لكتابة التاريخ لأنها ببساطة فشلت من قبل. ويجب أن نضع فى الاعتبار أن فكر ونظرة ورؤية الشباب قد تغيرت كثيرا إلى كثير من الأمور ومنها التاريخ ذاته. يجب أن يكتب التاريخ بعيدا عن الأغراض السياسية. وهنا نلاحظ أن هناك توجهات وأغراضًا سياسية تسيطر دائما على من يكتبون التاريخ. فكل يكتب حسب مرجعياته ورؤاه.. فحزب الوفد يكتب التاريخ من وجهة نظره، وحزب التجمع يكتب من وجهة نظره، والحزب الناصرى يكتب من وجهة نظره، والحزب الوطنى يكتب من وجهة نظره، وهكذا يكتب التاريخ من زوايا ضيقة وبنظرة أكثر ضيقا ، وهو نفس ما حدث فى العهود الأموية والعباسية، فكل خليفة يأتى يحاول أن يمحو إنجازات سابقه، ويبدأ فى كتابة التاريخ من جديد، فالتاريخ يجب أن يبعد تماما عن الهدف السياسى ، حتى لا يوظف التاريخ لخدمة الأغراض السياسية. وهذه الإشكالية مسؤولية الحزب الوطنى وكافة الأحزاب السياسية وكذلك المثقفين بكافة توجهاتهم وأفكارهم. لابد أن يكون لدينا الشجاعة الكافية للاعتراف بالأخطاء التاريخية التى لا توافق أهواءنا وتوجهاتنا ولا تتفق مع أحكامنا المسبقة .

● وكان آخر محاور النقاش مع الأستاذ وائل الإبراشى حول بث روح التفاؤل وبعث الأمل لدى الجماهير.

●● بادرنى الأستاذ وائل الإبراشى بقوله .. بشرط ألا يكون تفاؤلا كاذبا..

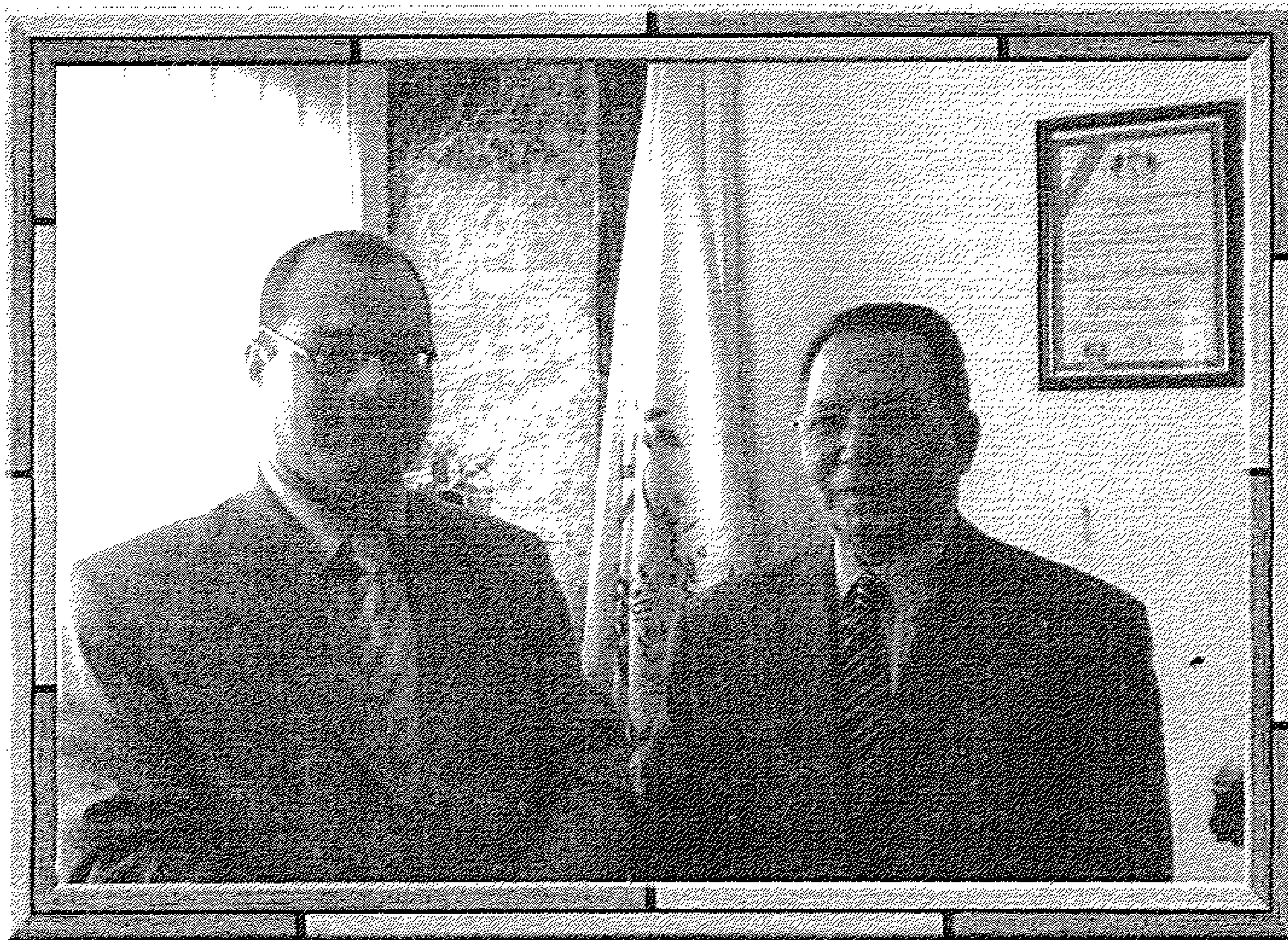
فأنا ضد صناعة التفاؤل الكاذب ، **ودائما ما نقول إن أكبر مؤامرة يمكن أن تمارس على الشعب هو أن تصنع له التفاؤل الكاذب** ، أن تضع له أرقاما وهمية وأحلاما وهمية وكما يقول المثل الشعبى (تعمله البحر طحينة) أنا دائما مع صناعة التفاؤل ، والصحافة عليها أن تعكس الأوضاع الحقيقية فى مصر .. فإذا كان الواقع ذا ألوان بيضاءأو ألوان وردية، يتم نقلها بنفس حقيقتها دون تسويد ، والعكس إذا كانت الصورة قاتمة وكئيبة لا يجوز أن نغير ذلك ونضحك على الناس وننقل لهم ما يخالف الواقع ، ودائما ما أقول إننا نكتب عن السواد بحثا عن البياض.

وعندما أكتب عن المآسى والكوارث أبحث دائما عن أطواق النجاة ، فليس الهدف هو لطم الخدود وشق الجيوب والبكاء على اللبن المسكوب ، لابد ونحن وسط الكوارث أن تكون أعيننا على أطواق النجاة والإنقاذ فلابد أن يكون تفاؤلى صادقا ، فهناك أبواب للأمل وهناك أبواب للتفاؤل والنجاة ، والمشكلة أننا نعيش العديد من الأزمات والكوارث دون ان نجد الحلول ، حتى بات الناس على قناعة بأنه لا توجد حلول حقيقية لهذه المشاكل والأزمات. والناس عموما يبحثون عن الأمل ويتفاعلون مع بارقة أمل من هنا أو من هناك. يجب أن يكون هناك مشروع قومي وقضية قومية يلتف حولها الناس ، الناس لديها ولاء حتى فى مباريات الكرة يجب أن نستثمره وندرس بعناية **لماذا نرى هذا الولاء والانتماء لفريق كرة ولا نجد ذلك لحزب سياسى** ؟ لأن الرياضة بها من الشفافية والحرية ما هو غير موجود فى العمل السياسى .

القضية الأهم الآن هو البحث عن قضية مثلى يلتف حولها الناس ..

القضية الآن كيف أستطيع أن أخلق الولاء والانتماء لدى جموع الشعب. دعونا نصنع التفاؤل سياسيا واقتصاديا واجتماعيا. دعونا نبحث عن أبواب ونوافذ يدخل منها الأمل والتفاؤل ، دعونا نبحث عن الشموع والأضواء التى يمكن أن تضيء لنا الطريق نحو المستقبل ...

***



الدكتور

أحمد جويلى

أخلص فى عمله فأحبه الناس ، حرص على إرضاء ربه فرضى عنه الجميع، ذلك هو الدكتور أحمد جويلى الأمين العام لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية والوزير الأسبق للتجارة المصرية .. من الوزراء القلائل الذين أحبهم الشعب المصرى ، عندما تجلس مع الدكتور أحمد جويلى تشعر بهدوء وراحة نفسية نادرة .. بساطته وصراحته من ناحية وخبرته وغزارة علمه من ناحية أخرى هي المحاور الأساسية لهذه الشخصية الفريدة، ذهبت إليه أحمل هموم جيل بأكمله .. جيل فقد القدرة على مجرد الحلم .. كنت أبحث لديه عن بوصلة نهتدى بها إلى الطريق المفقود .. طريق المستقبل. إن الرجل لديه ما يقوله ونحن نتحدث عن المستقبل ...

● بدأت حوارى مع الدكتور أحمد جويلى بالحديث حول مستقبل مصر وعن رؤيته الإستراتيجية لهذا المستقبل.

●● يقول الدكتور جويلى :

مستقبل مصر يرتكز على عدة محاور أساسية نجملها ثم نفصلها كما يلى :

١ـ ضرورة الاستفادة من المزايا الجغرافية لمصر

٢ـ حل مشكلة البطالة بالاتجاه شرقا نحو دول الخليج

٣ـ السيطرة على نقص الغذاء بالاتجاه جنوبا نحو السودان

٤ـ استغلال وتنمية العنصر البشرى فى مصر بصورة فورية

الركيزة الأولى:

دائما ما نقول إن مصر دولة محورية فى المنطقة ، وهى محورية بالفعل ، ولايستطيع أحد أن ينكر ذلك ، ويجب أن تستغل هذه الميزة بأقصى درجة ممكنة ،لأن هذه المزايا قد

تكون غير متوافرة لدول كثيرة ، وفى رأيى أن مصر لم تستفد من هذه المزايا حتى الآن ، فمثلا مصر لديها أكبر ممر مائى فى العالم وهنا لا أريد أن أكرر الكلام التقليدى عن موقع مصر المتفرد ، لكن أمامنا حقائق محددة .. لدينا هذا الممر المائى العظيم وكل ما نقوم به هو دور (الكمسارى) دور المحصل ، وليس لنا أية أدوار تنموية حقيقية استغلالا لهذا الممر. فالمفروض أن تكون هناك قيمة مضافة ناتجة عن مشروعات حقيقية، لدينا مسافة ١٥٠ أو ١٦٠ كيلومترًا فى المسافة من السويس إلى بور سعيد ولا يوجد نشاط واحد مثلا لتصنيع أو إصلاح الحاويات أو إصلاح السفن.

ولم يتم إقامة فنادق على أعلى مستوى لخدمة تلك الأغراض ، ولم يتم إقامة أنشطة صناعية بغرض التصدير ، هذا من وجهة نظرى محور هام من محاور المستقبل لم نستخدمه حتى الآن ، الخلاصة أن الركيزة الجغرافية ركيزة أساسية فى معركة التنمية

الركيزة الثانية :

ثم نأتى الى العنصر البشرى فى مصر، الذى يمكن أن تنهض مصر من خلاله نهضة عظيمة. فالعنصر البشرى فى مصر متميز جدا وإلى أقصى درجة ، وهناك أمثلة عديدة عبر التاريخ وحتى هذه اللحظة تبرهن على أن الإنسان المصرى متميز فى كافة المجالات سواء العلمية أو السياسية أو الثقافية أو الفنية أو الفكرية. وعند هذه النقطة أحزن جدا جدا فى حالة مقارنة مصر بإسرائيل ! فالمقارنة لا تجوز من الأساس ،الإنسان المصرى يجرى وراء لقمة العيش .. فهو يعمل بتركيز شديد ، فالفلاح يعمل فى حقله طوال اليوم وفى المساء يجلس ليشرب الشاى ويتكلم كلمتين سياسة .. لكنه يركز فى الفلاحة لا شك فى ذلك ، فالمصريون عاملون بحكم الطبيعة، الخلاصة أن العنصر البشرى هو أحد الركائز الهامة جدا فى رحلة الإصلاح والانطلاق نحو المستقبل، فلا يجب أن نسفه ونقلل من شأن العامل المصرى والفلاح المصرى والصانع المصرى . انظر الى العالم المصرى الدكتور/ أحمد زويل وقس على ذلك هذا العدد الهائل من المصريين الذين ينتظرون الفرصة والظروف كى يحققوا ما حققه الدكتور زويل ، انظر إلى العقول الخلاقة المنتشرة بطول البلاد وعرضها وفى كل المجالات ففى الطاقة الذرية والنووية لدينا عقول على مستويات عالمية ، مصر لم تستغل العنصر البشرى الاستغلال الأمثل

حتى هذه اللحظة ، **وهنا أود أن أقول إن مصر لو قامت باستغلال العنصر البشرى فلن يقدر عليها أحد** ..

وهذا العصر هو عصر المعرفة لا عصر الحديد ! فمن يعرف أكثر سوف يصل أسرع بكل تأكيد ، والعقول المصرية عقول خلاقة ومنتجة للفكر ، لكن الوضع الحالى لمصر كدولة ومجتمع غير مريح بالمرة .. ورغم أن حديثنا ينصب على المستقبل إلا أن أننى أود الإشارة إلى دور مصر المحورى المؤثر والفعال خلال حقبة الستينيات حيث كان الدور المصرى فى الفن والثقافة والفكر وفى المواقف السياسية. وكان لهذه الأدوار مردود اقتصادى ملموس. وهنا أستعير التعبير الجميل للأستاذ محمد حسنين هيكل وهو يشبه هذا بال (السوفت وير) حيث أن سوفت وير مصر هو الذى يصنع المواقف ويخلق الفرص ، هذا هو الوضع الذى كنا فيه والذى أصبحنا عليه !

ونأتى **للركيزة الثالثة** التى يمكن أن تساعدنا فى الانطلاق وهى (مصر فى المنطقة العربية)؛ دور مصر العربى ووضع مصر فى المنطقة العربية ، فنحن نفتقد لإستراتيجية ثابتة لمنظومة العلاقات بين مصر والدول العربية ، فمصر فى حاجة إلى الدول العربية بقدر احتياج الدول العربية إلى مصر وهذه حقيقة تاريخية لا شك فيها على الإطلاق، لذلك يجب أن يكون هناك استراتيجية واضحة وثابتة فى هذا الإطار .

ومصر تواجه مشكلتين فى الأجل الطويل :

المشكلة الأولى :

البطالة وعدم وجود فرص عمل تواكب الزيادة السكانية الرهيبة ، معنى ذلك أنه يجب علينا البدء فى البحث الجاد عن مخرج مناسب لفرص عمل حقيقية ،وفرص العمل الحقيقية لابد وأن تكون فى المنطقة المحيطة بنا فمنطقة الخليج تحتاج إلى عدد ضخم من الأيدى العاملة ومن الممكن بقدر من الجدية والتنسيق أن تقوم العمالة المصرية بسد العجز فى العمالة بدول الخليج بدلا من العمالة الوافدة من دول جنوب شرق آسيا .

المشكلة الثانية :

أزمة الغذاء وعدم تحقيق الاكتفاء الذاتى من معظم السلع الغذائية فى نفس الوقت الذى يزيد فيه عدد السكان بطريقة مثيرة . معنى ذلك يجب أن أبحث عن حلول عاجلة وسريعة ، ومن وجهة نظرى لا سبيل سوى الاتجاه جنوبا حيث السودان ، فلابد أن يكون لمصر قدمان ..أحدهما فى السودان والأخرى فى بقية الدول العربية ، بمعنى آخر قدم فى الشرق وقدم فى الجنوب ..

هذا هو دور الحكومة من وجهة نظرى ، أما الحاصل الآن فالملاحظة الجديرة بالاهتمام أن كثيرين من المسؤولين يغسلون أيديهم من هذه المهام رغم أن الحكومة - أى حكومة - تكون دائما أقوى من المجتمع - أى مجتمع - وهناك الكثيرون الذين يريدون (تهميش دور الحكومة) التى يجب أن تقوم بدور المايسترو الذى يقود وينظم ويراقب ، أما سياسة (ماليش دعوة) فلن تصل بنا إلا إلى الانحدار والتراجع فالمفروض أن الشخص (اللى يقول ماليش دعوة) مع السلامة فورا !!

والملاحظ أن السياسة الحالية للحكومة تعيش على مبدأ (ماليش دعوة) ، ولا توجد حكومة فى العالم تقول (ماليش دعوة) .

علقت على كلام الدكتور أحمد جويلى بقولى :

فى الولايات المتحدة الأمريكية التى تعد بمثابة قبلة الرأسمالية فى العالم ، حينما تأكدت السلطات الأمريكية أن مؤسسة مايكرو سوفت تقوم بشبه ممارسات احتكارية قامت تلك السلطات على الفور باتخاذ سلسلة من الضربات القاسمة والحاسمة للحفاظ على كيان المنافسة الكاملة فى المجتمع الأمريكى ، أما هنا فى مصر فالدولة والحكومة لا تمارس الدور الذى يجب أن تقوم به فى مراقبة الأسواق وحماية المستهلك والحفاظ على النظام الاقتصادى من الانهيار بترسيخ قواعد المنافسة ومواجهة الاحتكار.

- **إننى لن أكون مبالغا إذا قلت إن الدولة لو نفضت يديها وتركت الجمل بما حمل ولم تتدخل من قريب أو بعيد لكان الوضع أفضل من ذلك بكثير !! فالتدخل الحكومى أصبح معوقا فى كل المجالات !!!**

●● علق الدكتور أحمد جويلى

هل هناك صناعة يمكن أن تحقق مكسب ١٠٠٪ فى ظل ظروف طبيعية ؟

إن تحقيق ١٠٠٪ هو ربح احتكارى لا شك فى ذلك ، واحد يحقق مكسب ٥٠٪ هو ربح إحتكارى كذلك ، فالإحتكار ليس معناه أن يكون هناك منتج واحد فى السوق.

الاحتكار هو استغلال الناس والتحكم فى السوق ، والكارثة أن أحدا لايحاسب أحدا على الإطلاق ويتم تعليق كل الأخطاء على شماعة (العرض والطلب)

● علقت مرة أخرى على كلام الدكتور أحمد جويلى بقولي

الغريب فى الأمر أننا فى مصر نشترى السلع والمنتجات بأسعار عالمية فى نفس الوقت الذى نجد سعر المدخلات سواء الأيدى العاملة أو الطاقة أو سعر الضريبة أو المساهمات الاجتماعية متدنية إلى أقصى درجة مقارنة بالأرقام العالمية. والكارثة الحقيقية أن الدعم الموجه للطاقة يلتهم النصيب الأعظم من إجمالى الدعم الذى تتغنى به الحكومة وتمن به على الشعب ليل نهار، والمؤلم حقا أن تلك الطاقة المدعومة تذهب لعدد محدود من المصانع .. مصانع الحديد والأسمنت والأسمدة ، ويتلاحظ أن تلك النوعية من المصانع تعتبر من الصناعات الطريدة أو المطرودة من أوربا وأمريكا لكونها صناعات ملوثة للبيئة !

والغريب أن الشعب يفهم جيدا ما يحدث والحكومة تعلم أن الشعب يفهم أنها انسحبت من مربع العمليات منذ زمن بعيد ، ونستمر ندور فى دائرة خبيثة بلا نهاية !!

رد الدكتور أحمد جويلى ضاحكا :

(الحكومة مبسوطة بكدة وتوازناتها كدة).

● قلت للدكتور أحمد جويلى

صدقنى يا دكتور جويلى أنا خائف جدا من المستقبل .. ليس مستقبلى ولكن مستقبل أولادى .. الصورة أمامى غير واضحة تماما لا أكاد أرمق بصيص أمل يلوح فى الأفق ، لكننى أتمسك بوعد الله سبحانه وتعالى: ﴿إن مع العسر يسرا﴾

والذى يؤلمنى حقا يا دكتور هو تلك الفوضى العارمة والموضة الفاضحة المسماة بالخصخصة! حمى البيع تسيطر على الجميع ، وتحولت الحكومة إلى سمسار أراض وعقارات، والتخصص فى استخراج جميع أنواع الرخص بداية من رخص المحمول إلى رخص مصانع الأسمنت والحديد وما خفى كان أعظم.

●● قال الدكتور جويلى

عايز فلوس .. عايز يبيع

قلت عايز فلوس يعمل بيها إيه ؟

قال الدكتور جويلى

إنسعر ! ناقص يبيع الشارع ده !!

قلت نحن كمواطنين فقدنا الثقة وفقدنا الأمل وفقدنا الطموح .. نعمل إيه ؟

رد الدكتور جويلى

إخبط دماغك فى الحيطة !!

قلت .. هل هذا الشعب من الممكن أن يتحرك ويثور ؟

قال .. طبعا ممكن ويمكن أن تنظر إلى أحداث ١٨ ، ١٩ يناير سنة ١٩٧٧ اشتعلت البلد فى دقائق ، ولا يستطيع أحد أن يصد حركات الشعوب .

وبدأ الدكتور أحمد جويلى فى الحديث عن (توشكى)

حيث قال بوضوح شديد .. إن توشكى ليست مشروعا لكنها برنامج تنمية .. فالمساحة شاسعة وأكبر من أية محافظة فى مصر ، وفى مناقشة مع السيد رئيس الجمهورية قلت (ياريس ده مش مشروع ده برنامج تنمية) فإذا تعاملنا مع توشكى على أنه برنامج تنمية سوف يساعد فى حل العديد من الأزمات منها استيعاب الأعداد الهائلة من السكان وخلق فرص عمل حقيقية .

ولنا فى مشروع مديرية التحرير الأسوة والقدوة ، حيث أرى أنه نموذج رائع حقق المطلوب منه على أكمل وجه ، لقد أصبحت مديرية التحرير مجتمعا متكاملا وذات طابع خاص .

• سالت الدكتور أحمد جويلى

ماذا عن ملف القمح وهل الاكتفاء الذاتى يرتبط بقرار فنى أم بقرار سياسى ؟

•• من الناحية الفنية ممكن أن نحقق الاكتفاء الذاتى من القمح ، فمثلا مصر تحتاج الى ١٢ مليون طن قمح سنويا ، والفدان ينتج ٣أطنان بما يعادل ٢١ أردبًّا تقريبا، إذا قمنا بتقسيم ال١٢ مليون طن (إجمالى احتياجات البلاد) على ال٣ أطنان (متوسط إنتاجية الفدان) سيكون الناتج ٤ مليون فدان مطلوب زراعتها كى نحقق الاكتفاء الذاتى من القمح ، وهذا الرقم ممكن تحقيقه من خلال زراعة ٤ ملايين فدان (شتوى) حيث من الممكن أن يصدر قرار من سطرين يلزم المختصين بزراعة المساحة المطلوبة ، ويتم تعويض الفلاحين وإعطاء ربحية عالية للقمح ، ونحن لدينا فى مصر ثمانية ملايين فدان يتم زراعتها بتشكيلة من المحاصيل دون وجود خطة تجميعية كلية صادرة من وزارة الزراعة .

فمن الناحية الفنية لاتوجد أدنى مشكلة ، أما من الناحية الاقتصادية فهنا تكمن المشكلة .

١ـ كيف تجعل المزارع يقدم على زراعة القمح فى ظل الربحية العالية للمحاصيل الأخرى.

٢ـ هناك محاصيل تحقق أرباحًا طائلة.

وبخصوص هذه المشكلة فكل ما يهمنى ليس الاكتفاء الذاتى ولكن يجب أن نسعى إلى تأمين إحتياجتنا من القمح من مصادر عديدة وعدم الاعتماد على مصدر واحد حتى نؤمن احتياجاتنا من القمح .

فالمشكلة أننا لا يوجد لدينا مسؤلون عن الزراعـة لـديهم نظـرة فنيـة أو حتـى بعـد سياسى،

● **سألت الدكتور أحمد جويلى**

كيف ترى مصر خلال الـ٥٠ سنة القادمة ؟

●● أعتقد أ ن ال٥٠ سنة القادمة ستشهد خروج مصر من ورطتها الحالية

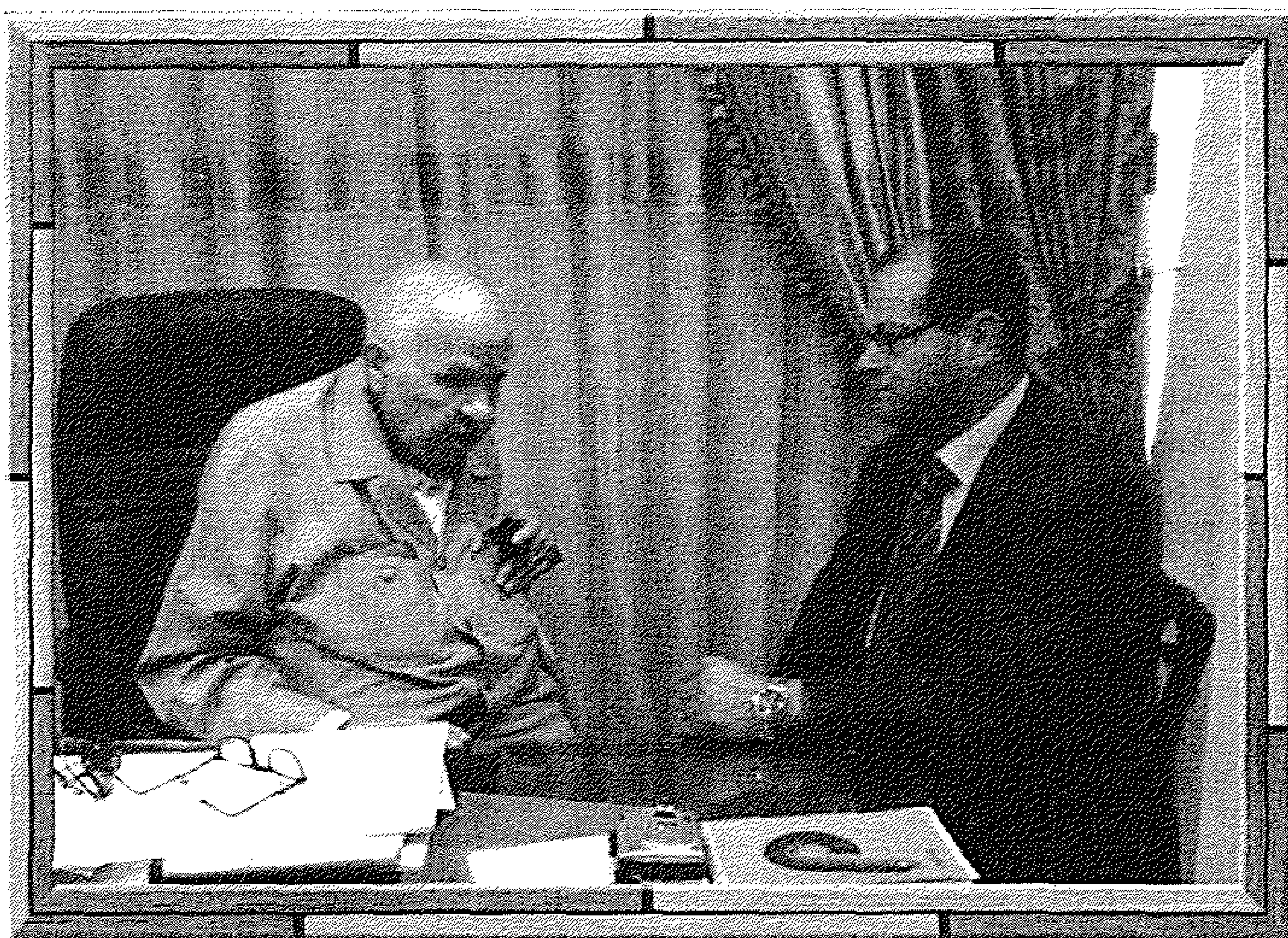
● **قاطعت الدكتور جويلى**

هل حقا نستطيع أن نخرج من هذه الورطة التى طالت؟

●● قال الدكتور جويلى .

بالتأكيد لأن هذ الوضع لا يمكن أن يستمر طويلا .

***



الكاتب الكبير

محسن محمد

شخصية رائعة متزنة متوازنة لايعرف اليأس ولم يتسرب إليه الإحباط صاحب قلم رشيق له أسلوبه المميز الذى يجذب القارئ. كان رئيسا لمجلس إدارة دار التحرير للطبع والنشر له العديد من المؤلفات التاريخية والاجتماعية. ذهبت إليه بمكتبه بجريدة الجمهورية ودار بيننا الحوار التالي:

● الأستاذ محسن..

فى معظم كتاباتكم التاريخية التى تكشف من خلالها العديد من الأسرار التى أثرت بشكل أو بآخر فى مجريات الأحداث يتضح أن مجهودات خارقة قد بذلت من أجل الحصول على تلك الوثائق التى تؤيد وتؤكد وتفسر وتفك العديد من الشفرات الغامضة برأى سيادتكم .

من يكتب تاريخ هذا الوطن؟

وكيف تسجل الأحداث التاريخية بموضوعية ؟

وكيف نحمى التاريخ من التزوير والأهواء الشخصية؟

أليس من الواجب أن تكون هناك جهة مسئولة عن كتابة التاريخ وتسجيل ومتابعة كل الأحداث ؟

●● يقول الأستاذ محسن محمد موضحا .

إننى أرى أن وجود منظمة أو هيئة تختص بكتابة التاريخ شىء خاطئ تماما.. لماذا؟

لأن تلك الجهة المنوط بها كتابة التاريخ ستكون ضحية لاختلافات الرؤى بين أعضائها.

لذلك أرى أن مهمة تلك الجهة المعنية بتاريخ مصر هي جمع الوثائق .. وثائق التاريخ المصرى وتقوم بتقديمها لكتاب التاريخ ليقوم كل منهم بكتابة التاريخ من الزاوية التى يراها .

وكما نقول دائما : " إننا نستطيع تغيير المستقبل لكننا لانستطيع تغيير الماضى ".

فالماضى قد حدث بالفعل وانتهى الأمر. لكن الحاصل أن هناك بعض المؤرخين يغيرون الماضي. وبالنسبة للمذكرات فهى فى أغلب الأحيان محاولات من جانب كاتبها لإظهار بطولته أو إبراء ذمته من اللوم. والمفروض ألا يتم إلا كتابة الوقائع. ولكن كيف يتم كتابة تلك الوقائع ؟؟ فى أنجلترا وفرنسا وأمريكا مثلا يتم كتابة الوقائع التاريخية بعد مرور فترة من الزمن معلومة للجميع ففى إنجلترا مثلا يتم كتابة الوقائع التاريخية بعد مرور ٢٥ سنة من خلال الإفراج عن كافة الوثائق، ومع ذلك فهناك بعض الوثائق يقومون بإخفائها وذلك لاعتبارت معينة كالمصالح العليا للبلاد . وأضرب مثلا من الواقع لبعض الوثائق التى تم حجبها، فمثلا عندما تقدم هتلر بالقوات الألمانية من الصحراء الغربية، كان الإنجليز يخططون لتدمير جميع الكبارى والجسور والطرق والقيام بإغراق مصر وذلك لمنع تقدم الألمان، لذلك الإنجليز أخفوا هذه الوثائق .

وأنا عرفت بعض تلك الوثائق عن طريق حوار دار بين السفير البريطانى والسفير الأمريكى .

وقامت أمريكا بإذاعة بعض تلك الوقائع لكن مازالت إنجلترا حتى اللحظة ترفض إذاعة أى من تلك الوثائق التى تكشف خطط إنجلترا لتدمير مصر لو تقدمت القوات الألمانية .

والهدف من إخفاء تلك الوثائق عن الشعب المصرى وهو إخفاء الحقيقة التى ستغضب الشعب المصرى، حيث كانت إنجلترا تخطط لتدمير وتخريب مصر والإنجليز لايريدون خسارة الشعب المصرى وهناك وثائق قليلة جدا مازالت فى طى الكتمان ويرفض الإنجليز إذاعتها .

وأشهر هذه الوثائق مايتعلق بمقتل حسن البنا حيث يرفض الإنجليز رفضا قاطعا إذاعة وقائع هذا الموضوع ، وكانت مصر حينئذ فى يد الإنجليز وكانت المخابرات فى أيديهم كذلك فى ١٩٤٨ ، وهنا نأتى للحكومة المصرية .. الحكومة المصرية لم تقم بإذاعة أى شيء فمثلا ثورة ٢٣ يوليو ،سنجد ان هناك بعض الوثائق أذيعت من وجهة بعض الثوار ولكن ماذا حدث بالضبط من عام ١٩٥٢ وحتى وفاة عبدالناصر لانعرف أشياء كثيرة .

ماهى المداولات التى حصلت ؟

ماهى المداولات التى حصلت فى قصة الإصلاح الزراعى ؟

نحن لانعرف ولانعرف كيف كان يفكر الثوار وهل الإصلاح الزراعى أفاد مصر أم لا ؟

هناك أشياء كثيرة جدا لا نعلمها حيث إننا لانطلع على محاضر الحكومة المصرية فهى غير متاحة .

على العكس إنك تستطيع أن تحصل على محاضر الحكومات الإنجليزية والأمريكية والأسترالية، أما محاضر الحكومة المصرية فلا تعرفها .

والمفروض أن تضع مصر قاعدة ونظامًا بعد فترة من الزمن تحددها الحكومة ٣٠ سنة أو أكثر أو أقل.. المهم أن يكون هناك نظام وقواعد محددة وواضحة حيث يتم إعلان الوثائق للناس ليتم كتابة التاريخ من جميع الزوايا والرؤى .

إننا نؤيد وجود لجنة للتاريخ، لكن مهمتها ليست كتابة التاريخ، لكن مهمتها الأساسية هو تجميع وإذاعة الوثائق لعرضها على الناس .

وأنا كنت أرى أن تقوم تلك اللجنة بإرسال من يجمع لنا الوثائق من إنجلترا التى كانت تحكم مصر من عام ١٨٨٢ إلى ١٩٥٦ .

لذلك كان لابد من إحضار كل وثيقة تخص مصر ليقوم بعرضها على الناس وإلى الآن لم يحدث ذلك ولاينوى أحد عمل ذلك ولا وزارة الثقافة ولا وزارة الإعلام ولا وزارة التعليم ولاحتى الجامعات .

فكل هذة الجهات مقصرة فيما يتعلق بالتاريخ المصرى .

إننى كنت أحب الوثائق البريطانية حيث وجدت أن بعض الزعماء المصريين الذين أعتبرناهم أبطالًا ووطنيين لم يكونوا كذلك .

وبعض الناس المجهولين من أساتذة الجامعة أو من الطلاب كانوا أبطالًا لا تتخيل مدى بطولاتهم وتضحياتهم ومدى كراهية الإنجليز لهم .

إننا نريد أن يظهر التاريخ الحقيقى الموثق الذى سيبرز أبطالا مجهولين ، هؤلاء من الممكن أن يكونوا قدوة وأمل للشباب .

● سألت الأستاذ / محسن محمد كيف ترى مصر.. مصر الشعب .. مصر الأرض.. هل تراها فى مكانها الطبيعى ومكانتها اللائقة ؟

●● يقول الأستاذ / محسن محمد :

القول السائد الآن إن مصر تخلت عن دورها .. ولكن هذا الدور كان يرتبط بالتزامات كبيرة فمصر دخلت حروبا عديدة وفاء لالتزاماتها وضريبة لريادتها وتفعيلا لدورها .

ومصر خسرت دولا كثيرة لإثبات دورها ، فالدور التزمات واعباء وتبعات كثيرة قد لا نقدر عليها. إننى أتمنى أن تتخلى مصر عن دورها !!

وأرى أن أهم شىء صنعه حسنى مبارك هو عدم دخول مصر حروب جديدة ، لأن الحروب ستكلفنا تكاليف اقتصادية وبشرية باهظة وتؤدى الى توقف شامل فى حركة الدولة .

وحتى يكون لمصر دور، لابد وأن تكون مصر نفسها قوية ومزدهرة وتعيش حالة رخاء .

ومايقال الآن بالنسبة للسعودية وبأنها تستطيع القيام بدور ريادى أرى أنها تقوم بهذا الدور (بفلوسها) وكذلك دول الخليج بفلوسها ومصر لاتملك فلوسًا ولكن عندها مصر !!

لذلك نلاحظ أن الأمريكان وهم يتكلمون عن مصر يقولون (إن مصر هى مركز المنطقة الثقافى والسياسى) وسوف تستمر فى ريادتها وإن لم تعد قادرة الآن لأنها تعانى من نتائج قيامها بأدوارها السابقة، (ومصر تعبانة جدا). إننى أتمنى أن تتفرغ مصر للتنمية والإصلاح والبناء مدة تصل إلى عشرين أو ثلاثين سنة، وتكون هذه المدة بلا أدوار خارجية. فالبطالة ومعالجة مشاكل الفقر والإصلاح الاقتصادى هى الأولى فى هذه المرحلة .

• قلت للأستاذ / محسن المهم أن نبدأ فنحن منذ مايقرب من ثلاثين عاما نعيش بلا أدوار خارجية مؤثرة تقريبا والوضع الداخلى يسير من سيئ إلى أسوأ.

•• قال : المهم أن نبدأ اقتصاديا لتحقيق النهضة .

• قلت له : كيف نبدأ ؟ وحتى لو طال الزمن المهم أن نبدأ صح.

•• قال : كى نبدأ هناك عدة عوامل لذلك ، وأهم نقطة هى الديمقراطية. ثم الديمقراطية ثم الديمقراطية لابد من مشاركة جميع قوى الشعب .

• قلت له : ماهو مفهوم الديمقراطية ؟؟

•• أجابنى مستنكرا (حكم الشعب)

• قلت له : كيف نصل إلى حكم الشعب ؟؟

•• قال: بالانتخابات الحرة .

• قلت له : كيف نصل إلى انتخابات حرة ؟؟

•• قال : ياسيدى أن يتيح الحاكم لممثلى الشعب أن يحكموا لأنك لو قلت إن الشعب المصرى يحكم نفسه بنفسه، وفى الوقت نفسه تختار له نظام التعليم دون الرجوع الى الشعب نفسه .. هل هذا يليق ؟ .

وبالنسبة للتعليم على وجه الخصوص تجد أن كل وزير له خطة ونظام غير مرتبط بخطة ونظام وخط عام للتعليم. فمرة تسمع ان مرحلة التعليم الابتدائى ٦ سنوات ويأتى وزير آخر ويصر أن يلغى السنة السادسة. وكذلك الثانوية العامة تجد أن من يضع جدول الامتحان هو الوزير وهذا ليس من اختصاصه على الإطلاق. فمنصب الوزير سياسى من الدرجة الأولى، وليس شرطا أن يكون وزير الداخلية ضابطا، ووزيرالصحة لايعنينا أن يكون طبيبا .. المهم هو أن يكون رجلًا سياسيًّا لديه رؤية وخطط وقدرة على الإدارة. نعود إلى نظام الانتخابات حيث أن العبرة ليست بالنظام الفردى أو القوائم. كل هذا لايهم، فكل مايهم هو التطبيق الصحيح والسليم لأى نظام يتم اختياره ويجب أن نكشف عن غش الانتخابات وعن قصص وحكايات الانتخابات. وكثير من هذه القصص حدث معى شخصيا ، فأنا أولا لايوجد معى بطاقة انتخابية لكننى طوال حياتى ذهبت للإدلاء بصوتى ثلاث مرات :

مرة كان هناك مرشح لا أعرفه ورغم ذلك كنت حريصا على نجاحه لذلك ذهبت إلى حوالى خمسة لجان للبحث عن اسمى، وعندما وجدته جاءنى شخص مفتول العضلات وقال لى بالحرف (هو أنت هاتعمل زى ولاد الكلب وتحط صوتك فى الصندوق).

قلت له : أبدا أنا هعمل زى ولاد (...) وأدى صوتى قدامك .

(المرة الثانية) وصلت للجنة الساعة خمسة إلاخمسة (٤.٥٥) أى قبل إغلاق باب التصويت بخمس دقائق وكان هناك ضابط كبير على باب اللجنة وسألنى (إنت جاى ليه) قلت له حتى أدلى بصوتى ، فقال لى الانتخابات خلصت .

فقلت له : من حقى الإدلاء بصوتى فالساعة لم تصل إلى الخامسة .. قال (لا) الانتخابات خلصت. واستمر الجدال حتى وصلت الساعة الخامسة وأمام إصرارى على دخول اللجنة والإدلاء بصوتى اضطر الضابط للموافقة وحينها دخلت اللجنة وجدت اسمى وقد تم التأشير أمامه على اعتبار أننى قد سبق لى الإدلاء بصوتى على غير الحقيقة .

(المرة الثالثة) ذهبت للجنة و لم يكن داخل اللجنة وأمامها أكثر من ستة أشخاص و فى صباح اليوم التالى قرأت فى الصحف أن الإقبال تخطى نسبة ٩٠٪ .. ياسيدى .

إذا أردنا أن نجرى انتخابات نزيهة يجب أن نصحح مسار الجداول الانتخابية أولا .

فمثلا من الممكن أن يتم فتح باب القيد قبل الانتخابات بشهرين مثلا، ومن يريد أن يدلى بصوته بالتأكيد سوف يذهب لقيد اسمه فى الجداول التى يجب أن يتم تنقيتها أولا بأول . كذلك أرى أن الرقم القومى يمكن تفعيله بطريقة عملية فى مسألة الانتخابات ومن الطرائف التى أذكرها حول الانتخابات:

يوم كنت رئيس مجلس الإدارة ورئيس تحرير الجمهورية، جاءنى أحد المرشحين وطلب عمل إعلانات فى الجريدة فوجهته إلى إدارة الإعلانات لعمل اللازم ، وقلت له: أهم من الإعلانات (إنت عامل إيه) .

قال لى : (ولا يهمك)

وأخرج من حقيبته مجموعة من التذاكر الانتخابية فهو ضامن النجاح بالتزوير مائة فى المائة

الخلاصة أن إصلاح مسألة القيد واحترام إرادة الناخب هى الأساس .

لذلك الناس متمسكة بالإشراف القضائى على الانتخابات والعالم كله لايوجد به الإشراف القضائى الكامل، كذلك لايوجد تزوير بهذه الصورة .

ياسيدى إن أول انتخابات فى مصر كان سنة ١٩٢٤ ومنذ هذا التاريخ وحتى الآن وجميع الحكومات قبل الثورة أو بعدها كانت حريصة على بقاء تلك الجداول لأن بقاءها هو الضمانة الوحيدة لبقاء التزوير .

• سألت الأستاذ / محسن محمد :

عن مقولة إن الشعب غير مؤهل لممارسة الديمقراطية وهل من الأفضل أن نؤهله أولا ؟

•• قال : يا أخى إذا كان الشعب جاهل سوف يختارناسًا من الجهلة وإذا كان واعيا سيختار ناسًا واعية .

وتحت أى ظرف لايجب أن يكون هناك أوصياء على هذا الشعب ليقوموا بالاختيار نيابة عنه لأن من يقوم بالاختيار نيابة عن الشعب يمكن أن يكون سئ النية أو سيئ الاختيار .

إذا تركنا الحرية للشعب ليقوم باختيار ممثليه وحكامه بالتأكيد سيأتى وقت يحسنون فيه الاختيار حتى إذا أخطأوا وقاموا باختيار الاسوأ مرة فلن يكرر الشعب ذلك ثانية شرط أن يكون الاختيار حرًا بمعنى كلمة حر. ويمكن أن يقول قائل: الوطن لايحتمل التجارب. أقول نحن منذ ١٩٢٤ ونحن فى حالة تجارب فاشلة حتى الآن .

• ماذا عن الإخوان المسلمين الذين يستحوذون على مايقرب من ٢٠٪ من مقاعد البرلمان وتم تجميد نشاطهم البرلمانى بطرق عديدة لإبطال مفعولهم وإحباط أنشطتهم وإظهارهم أمام الجماهير كما لو كانوا مجموعة من الظواهر الصوتية؟

•• قال : الأستاذ / محسن محمد :

الناس والجماهير لم تجرب الإخوان من قبل، لذلك ووقع الاختيار عليهم كشكل جديد للحياة السياسية وعموما يجب أن ننتظر حتى نرى ثمار التجربة .

وبالنسبة لعدم قيام الأحزاب على أساس دينى

أنا لى رأى مخالف وهو أن تترك قيام الأحزاب على أى أساس ، ومع الوقت ستزول هذه الفوارق والحساسيات سواء الدينية أو الأيديولوجية أو غيرها ، وعموما الإخوان ليس لهم تجربة فعلينا أن نترك الفرصة ثم يتم التقييم بعد ذلك .

• هل ساعدت برامج الخصخصة فى تآكل الطبقة الوسطى داخل المجتمع المصرى وبماذا تفسر غضب وتوتر عمال مصر من طريقة تطبيق عمليات الخصخصة ؟

•• يقول الكاتب الكبير :

إن برامج الخصخصة توسع قاعدة الملكية وتعتبر أحد أهم أدوات التحولات الاقتصادية من الأفكار الاشتراكية إلى التوجهات الرأسمالية . لكن الحقيقة أن الحكومة حينما تقوم ببيع مؤسسة ما أو شركة فإنها تلزم المشترين بالحفاظ على العمالة. وفى كل الأحوال لايتم الالتزام من قبل المشترين بشروط الحكومة تجاه العمال. لذلك يثور العمال وينظمون الإضرابات المتتالية ، وطالما أن تلك الإضرابات تستثمر وتأتى بنتائج لصالح العمال فإن بقية العمال يحذون حذو هؤلاء ليحصلوا على نفس الامتيازات. والكارثة أن انتخابات اتحاد العمال مزورة، لذلك لن تجد ممثلي العمال يطالبون بحقوق هؤلاء العمال طالما أن هؤلاء الممثلين لم يتولواتلك المواقع بأصوات العمال بل بقرارت الحكومة ومساعدتها. إننى أخشى أن يتم تشكيل اتحاد عمال بديل إلى غرار التنظيمات البديلة كاتحاد الطلاب البديل وحكومات الظل وخلافه.

الحل فى انتخابات نزيهة غير مزورة وهذا لن يأتى إلا بالديمقراطية والحرية .

• فى كتاب سيادتكم "زوج مجرب" تعرضت من خلال مجموعة من القصص القصيرة إلى موضوعات اختيار شريك الحياة وحقوق الزوجية.. وكيفية مواجهة المشكلات الزوجية.. برأيك أين ذهبت الأسرة المصرية؟؟

هل تحللت إلى غير رجعة وأصبحت تعيش على صفيح ساخن أم مازالت موجودة ومؤثرة فى المجتمع المصرى؟ كذلك لماذا أصبحت حالات الطلاق تتم لأسباب غاية فى التفاهة ؟؟

●● أولا الأسرة المصرية مازالت موجودة والحمد لله موجودة بقوة وهى حصن المجتمع المصرى والأسرة المصرية هى صمام الأمان فى هذا المجتمع.

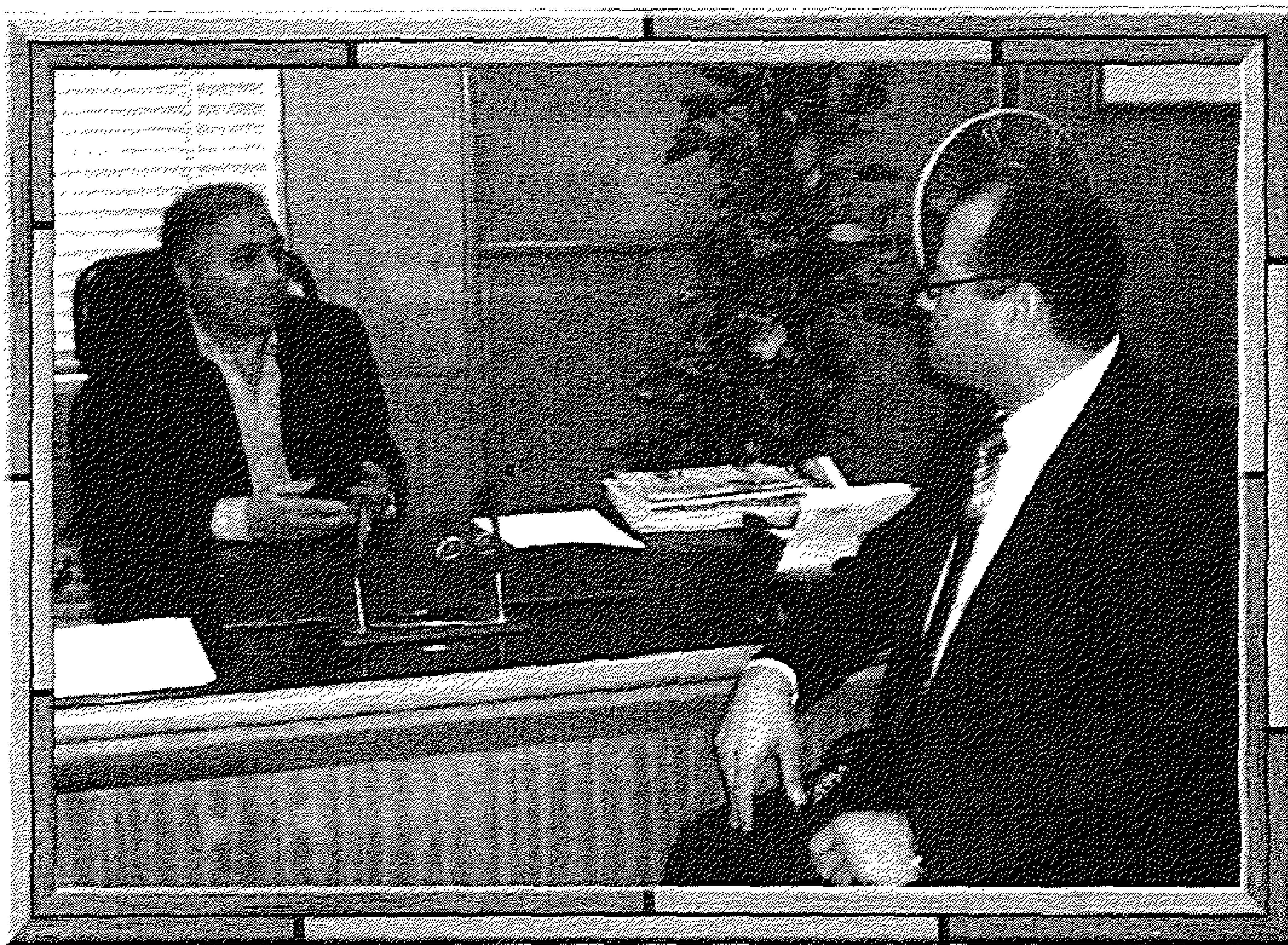
ورغم ذلك فإن تغييرات حادة قد حدثت وألقت بظلالها على تماسك الأسرة المصرية، فالانفتاح الاقتصادى والتحول الرأسمالى وشيوع مبادئ العولمة أثر لاشك على بنيان هذة الأسرة، فالمرأة استقلت اقتصاديا بعد ما تقلدت مناصب مهمة واستحوذت على مساحة كبيرة من فرص العمل وأعتقد أن ازدياد حالات الطلاق يرجع فى المقام الأول إلى إستقلال المرأة من الناحية الاقتصادية.

● فى النهاية كيف يرى الأستاذ محسن محمد حال التعليم والصحافة فى مصر الآن؟؟

●● يقول الأستاذ / محسن محمد التعليم ينهار بحق ، فكل وزير يأتى بإستراتيجية تعبر عن نفسه وليس شرطا أن تعبر عن متطلبات الوطن .

وإصلاح الوطن لابد وأن يبدأ من إصلاح التعليم أما بالنسبة للصحافة فحقيقة الأمرأنه يجب خصخصة الصحف .. فالصحف المستقلة والخاصة أفضل بكثير من الصحف القومية المملوكة للدولة والتى يتحكم فيها مجلس الشورى. وعموما الصحف استثمار مكلف جدًا، لذلك نجد ان كثيرا من الصحف الخاصة تتكلم باسم رجال الأعمال، لان رجال الاعمال يقومون بتمويلها عن طريق الإعلانات وخلافه .

***



الشاعر الكبير

فاروق جويدة

(هذه بلاد لم تعد كبلادى) .. تلك الصرخة المدوية التى أطلقها الشاعر السياسى الكبير فاروق جويدة .. كان يعبربها عن أوجاع أمة فقدت نخبة من أبنائها الذين ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وقرروا الانسحاب الجماعى من الحياة ! قسوة الحدث ومرارة التفاصيل، أجملها الرجل فى كلمات بسيطة لكنها كالطود العظيم (هذه بلاد لم تعد كبلادى). إن الرجل يجلس فى مقعد المعاناة.. (يحمل) هموم وطنه و(يحلم) بطموحات أمته ، ونحن نحاول أن نطرق أبواب المستقبل كان لابد أن نلتقى مع هذا الرجل الذى يمثل (قيمة) فكرية وثقافية تتميز بالصدق والإخلاص وفى مكتبه بمؤسسة الأهرام التقينا ودار هذا الحوار:

المستقبل .. المستقبل

• بعيدا عن قسوة الواقع ومرارة اللحظة الراهنة كيف ينظر الشاعر الكبير فاروق جويدة إلى مستقبل هذا الوطن؟ وإذا كان الوطن يسير بلا أجندة ولا أولويات فكيف السبيل إلى الخروج من هذا النفق المظلم؟

•• فى تقديرى أن المستقبل يرتبط بثلاثة محاور أساسية..

(التنمية) ، (الديمقراطية) ، (العدالة الاجتماعية).

هذه هى المنظومة التى أتصور أن مصر فى أمس الحاجة إليها الآن ، وبالنسبة لقضية التنمية أتصور أننا فى حاجة إلى تنمية عصرية ، فلا يمكن لنا أن نستخدم نفس الأساليب التقليدية القديمة لنجد أنفسنا خارج سياق العصر، وهذا يتطلب مستوى متقدمًا من التكنولوجيا والبحث العلمى وهذا بدوره يحتاج إلى تأهيل بشرى وتنمية بشرية تستطيع أن تقوم بهذا الدور ، فلا مكان فى هذا العصر للأساليب التقليدية

القديمة سواء فى الإنتاج الزراعى أو الصناعى أو التكنولوجى أو فى إدارة الوقت ، فالمنظومة والتركيبة التقليدية التى كانت موجودة لا تصلح إطلاقا لهذا الزمن ، وهنا لابد من التغيير .. والتغيير لابد أن يكون بالعلم واستيعاب روح العصر .. بالنسبة للعلم .. معطيات العصر بالنسبة للتقدم والتكنولوجيا ، أساليب العصر بالنسبة لإنسان جديد قادر على أن يعمل ويفكر بطريقة جديدة تماما .. هذا بالنسبة للنقطة الأولى وهى التنمية الاقتصادية التى لابد أن تسير فى خط متواز مع التنمية البشرية التى تحتاج بدورها إلى أساليب حديثة فى التربية والتعليم والإنتاج واستخدام التكنولوجيا الحديثة ، أما الجانب الثانى فإنه لا بديل عن الديمقراطية ، ففى ظل السماوات المفتوحة وفى ظل المنظومة الإعلامية الحديثة لم يعد من السهل أن يغلق الإنسان على نفسه ويعيش منفردا ، ولكن لابد أن نؤكد أنه ليس هناك شكل واحد للديمقراطية ، فلابد أن تتمشى الديمقراطية كنموذج مع قيم وتقاليد وظروف المجتمع. لابد أن يتناسب هذا النموذج مع قضايا الدين والحريات والسلوك الاجتماعى، كل هذا يمكن أن يوضع فى منظومة ونخرج من خلالها بنموذج ملائم للديمقرطية المحلية، وإذا كانت الديمقراطية تطالب بقدر من الليبرالية والحرية الاقتصادية فإن هذا يقودنا إلى تناول المحور الثالث فى منظومة الإصلاح وهو العدالة الإجتماعية. وشكل النموذج الذى يمكن أن نصل به إلى تلك العدالة لابد أن يتناسب مع ظروف المجتمع تماما مثل الديمقراطية . أتصور أن المحاور الثلاثة .. التنمية الاقتصادية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية كمنظومة يمكن أن تحقق للمجتمع إنتاجًا متطورًا يترتب عليه توفير سلع وخدمات للجمهور بأسعار مناسبة ، كذلك توفير سلع وخدمات ذات جودة عالية يمكن تصديرها مما ينتج دخلا جيدا من عوائد التصدير تساعد فى زيادة الدخل القومى. وأعتقد أن المشكلة الاقتصادية الآن هى مشكلة إنتاج ، لكن الحكومة لا ترى إلا الضرائب وتطوير الضرائب قبل رؤيتها للإنتاج وتطوير الإنتاج. والغريب فى الأمر أن الضرائب تفرض على الإنتاج وبدلا من أن تقوم الدولة بالاهتمام بالإنتاج أولا ثم تبحث بعد ذلك عن الضرائب ، فالحكومة تبحث عن النتائج قبل المقدمات ! وطالما ليس لدى مقدمات أو معطيات فكيف أصل إلى نتائج أو براهين ؟ الجانب الآخر أنه لا توجد حرية اقتصادية بدون حرية سياسية .. لا يمكن ، فلا يوجد تسلط اقتصادى

ينتج حرية سياسية ، ولا يوجد كبت سياسى ينتج حرية اقتصادية ، لابد أن تسير الحرية السياسية بالتوازى مع الحرية الاقتصادية ، ثم نصل بعد ذلك إلى العدالة الاجتماعية التى تمثل ضرورة إنسانية واقتصادية وضرورة أمن واستقرارللمجتمع ، ولا يمكن أن يتحقق الأمن والاستقرار بالمجتمع طالما كانت العدالة الاجتماعية منقوصة .

● أستاذ فاروق :

هذا من وجهة نظرك هو جدول الأولويات وحزمة الإصلاحات المطلوبة.. لكن سؤالى الأهم ..

من أين نبدأ؟؟

●● أرى أن نقطة البداية يجب أن تكون اختيار البشر! فكل المهام والبرامج الإصلاحية إذا أسندت لبشر غير مؤهلين فلن تكون هناك نتائج على الإطلاق ، وقد تكون المهمة سليمة ولكن طريقة إسنادها خطأ ، وفى رأيى أن معظم البرامج الإصلاحية فشلت لأنها أسندت لأشخاص غير مؤهلين وغير جديرين بتحمل المسؤولية. وهنا نعود مرة أخرى إلى مشكلة الاختيار ، وهى مشكلة قديمة فى مصر ومنذ أكثر من خمسين سنة وهى إشكالية أهل الخبرة وأهل الثقة ، وفى تصورى أن أهل الثقة هم الذين يمسكون بمقاليد الأمور ، لكننا فى أمس الحاجة إلى أناس قادرين على تحمل المسؤولية ، فمشكلة مصر هى البشر .. ليس عدم وجود البشر ولكن سوء استخدام البشر. فالذين طبقوا الاشتراكية فى مصر هم الذين أساءوا للاشتراكية ، فالاشتراكية كانت بمثابة اشتراكية فقر وليست اشتراكية كفاية أو غنى. فهناك فارق كبير أن أساوى الناس فى الفقر أو أن أرفع الناس عن طريق العدالة الاجتماعية ويكون هناك كفاية وثراء. فهناك اشتراكية ثراء. فلماذا أخذنا الجانب السلبى من النظام الاشتراكى وتركنا بقية الجوانب ؟ لماذا أخذنا ما عند الأغنياء بحجة المساواة فتحققت المساواة بإفقار الجميع. والذين طبقوا سياسة الإنفتاح هم الذين أساءوا اليها ، والذين ينادون بتطبيق الأفكار الرأسمالية تقدموا بفهم خاطئ للرأسمالية الحقيقية ، وحدثت نفس الأخطاء التى حدثت أثناء تطبيق الاشتراكية فالرأسمالية المطبقة هى رأسمالية القادر على أن يجمع المال .. فالمجتمع تحول الى حيتان .. من يأكل الآخر.. فبالاشتراكية

أنت أكلت الأغنياء وبالرأسمالية أنت قتلت الفقراء. فالرأسمالية إنتاج أم ضرائب ؟ الحكومة اختارت الضرائب وتركت الإنتاج !

(وده شغل كتب ونظريات وليس شغل واقعى) لكن المهمة الأساسية للنظم الرأسمالية أن تزيد الإنتاج وتمنح الفرص وتنمى قدرات الناس وتشجع العمل والتميز والملكية الخاصة ، وبعد ذلك تبدأ الدولة فى السؤال عن المكسب والخسارة ومن ثم تبدأ فى المنظومة الضريبية. لكن الحقيقة أن هذه الحكومات حكومات جباية تختلف تماما عن حكومات الإنتاج ، ففى رأيى أن نقطة البداية هى أن نحسن اختيار الشخص المناسب فى كل المواقع ، فمثلا نظرية الأمن تقر أن الأمن يتحقق بالاستقرار ، لكن هناك من يرى أن الأمن لن يتحقق إلا بالردع ، (وإنت بتجيب ناس تؤمن بالردع .. إنت بتجيب رجال أعمال يكوشوا .. عايز ياخد حتة أرض عشان يبيعها عشان يعمل قرشين عشان ينام عليهم ..) النماذج التى تقوم باختيارها نماذج سيئة ، أنت تبحث عن اقتصاد الفرصة .. اغتنام الفرص التى قد تكون حقًّا وقد تكون غير ذلك ، فالنماذج الموجودة نماذج شرهة ومشوهة وتضع تقاليد مشوهة أيضا. واليوم نرى الشباب يبحث عن فرصة من أى نوع وعن أى طريق ولا يبحث عن مشروع. هو يبحث فقط عن الفلوس بأى طريقة .. بالانتهازية، بالنفاق، بالنصب، والتحايل ، لكننا فى حاجة إلى إنسان ينتج ويحقق طموحه من خلال العمل والإنجاز لا من خلال الفرص المشبوهة .

● من المسؤول يا أستاذ فاروق ؟ من الذى ربى هؤلاء خطأ ؟ من الذى ساعد على نمو هذه القيم داخل المجتمع ؟

●● النظام الحاكم طبعا ! فعندما ترى المفاهيم تبدلت والأماكن شغلت بغير مستحقيها فمن المسؤول ؟ عندما يكون ابن أستاذ الجامعة حاصل على تقدير ممتاز وهو لا يفهم شيئا على الإطلاق ، وعندما تجد ابن المستشار يلتحق بالنيابة وهو حاصل على تقدير مقبول ، وعندما تجد ابن اللواء يدخل كلية الشرطة بالوراثة ، فهذا يمثل إعداما لمبدأ تكافؤ الفرص وحق التميز .

• أستاذ فاروق ماذا حدث للمجتمع المصرى ؟

•• أرى ثلاث ظواهر خطيرة جدت على المجتمع المصرى ، أخطرها على الإطلاق هو انهيار الطبقة المتوسطة حيث تآكلت تلك الطبقة وذابت. وهذه الطبقة كانت هى العمود الفقرى الذى به يقوى المجتمع فكريا وثقافيا وأخلاقيا وسلوكيا. فالطبقة الوسطى هى رمانة الميزان داخل المجتمع. لكن ماحدث أن هذه الطبقة ووجهت بضغوط شديدة من أعلى ومن أسفل فتآكلت وهذه النقطة هى أخطر التغيرات التى حدثت داخل المجتمع المصرى خلال العقود الماضية. ونتيجة غياب هذه الطبقة تحللت مجموعة القيم التى ارتبطت بها فى السلوك وفى العمل وفى الرقى وفى الفنون وفى الثقافة، لأن هذه الطبقة كانت بمثابة المطبخ الذى يفرز القيادات والنخب المجتمعية ، بالإضافة إلى ظهور طبقة جديدة صنعتها الدولة وهى طبقة طفيلية بلا قيم أو أخلاقيات وتتميز بالجهل والسطحية ، وهذه الطبقة هى التى تحولت إلى أثرياء مصر اليوم ، ثم تسللوا إلى المواقع الأمامية للسلطة ، وأصبحوا هم الحزب الوطنى، وهم مجلس الشعب وهم الحكومة ! وكان لهذا تأثير سلبى جدا على قيم المجتمع ، وللأسف الشديد استطاعت تلك الطبقة الطفيلية الجديدة فرض قيمها ومبادئها على المجتمع. وهناك طبقة العشوائيات المطحونة حيث تجد قيمًا ومبادئ عشوائية أيضا، فالتحلل الأخلاقى والسلوكى هما العنوان الأساسى داخل هذه العشوائيات ، فنحن أمام مجموعة ظواهر سلبية ، حيث حدث اختلال فى منظومة القيم نتيجة لاختلال منظومة السلوكيات فى الشارع ، كما نستطيع أن نرصد بعض الظواهر السلبية مثل غياب الحوار الراقى، غياب السلوك المترفع، غياب الثقافة الجادة، غياب الفنون الراقية، غياب قيم احترام الكبير، غياب قيم ترابط الأسرة ، وزيادة العنف الذى انتشر فى الشارع.

• الأستاذ فاروق جويدة :

•• أين ذهبت الابتسامة المصرية ؟ لماذا صار التشاؤم شعورا سائدا داخل المجتمع المصرى ؟

كل هذا نتيجة للخلل فى المنظومة الاجتماعية ، غياب الابتسامة وحالة الإحباط والتشاؤم نتيجة هذا الخلل المجتمعى ، هذا بالإضافة إلى غياب القدوة فى جميع

المجالات .. فى السياسة حيث أصبحت السياسة فهلوة ، ولا توجد قدوة فى العمل لأنه لم يعد هناك أحد يعمل .. فإلى أين يصل العمل بمن يعمل الآن ؟ بالتأكيد لن يصل إلى شيء على الإطلاق ، والشيء الأخطر هنا أن المجتمع أصبح عصبيا جدا ففقد القدرة على أن يتحاور، فقد القدرة على القدرة على أن يقنع، فقد القدرة على أن يتجاوب مع أى شيء ثم فقد ثقته فى كل شيء حتى فى نفسه .

● **الأستاذ فاروق :**

أين الألفاظ والمفردات والعبارات التى تبعث على الأمل والتفاؤل؟ لقد تقابلت مع الكثيرين ولم أجد ذكرا لهذه العبارات والألفاظ ؟

ما هو المخرج من كل هذا؟

●● بالنسبة للألفاظ والعبارات التى تبحث عنها وتنتظرها ممن قابلت أقول لك من أين تأتى ؟ هل نقوم باستخدام عبارات فى غير موضعها ؟

أما المخرج فهو بالتحديد (حسن اختيار البشر)

لدينا موارد بشرية جيدة لكنها مهمشة ، هناك رجال داخل الجامعة، فى الصحافة، فى القضاء، فى كل المجالات ، هناك أناس يحاربون من أجل نهضة هذا المجتمع ، لكن كيف نلتقط هؤلاء ؟ فإذا تم تعيين وزير (نظيف) سيقوم بلا شك بتنظيف الوزارة بالكامل ، الرأس .. الرأس ، ابحث عن الرأس فى أى موقع

● **الأستاذ فاروق:**

ماذا أفعل؟ أنا شخصيا أبحث عن نصيحة .. ماذا أفعل؟

●● لابد أن تتمسك بمجموعة القيم التى تؤمن بها ، فأنا مثلا خارج نطاق الصحافة المصرية فى أحيان كثيرة ، أنا ضد المنظومة الموجودة ، هل أنت راض عن الصحافة المصرية سواء قومية أو غير قومية ! والسؤال الأهم :

كيف تصنع منظومة لنفسك ؟ وأنت قادر .. رغم الجهد الكبير المطلوب ورغم ضراوة المعركة إلا أن ذلك ممكنا وليس مستحيلا ، فلا يجب أن نيأس حتى لو كنا خارج السياق ، وخارج السرب كله .

إذن أكيد فيه أمل لا شك فى ذلك ،

● الأستاذ فاروق جويدة:

تاريخنا فى مصيدة المذكرات الشخصية والرؤى والأهواء السياسية.. أليس كذلك ؟

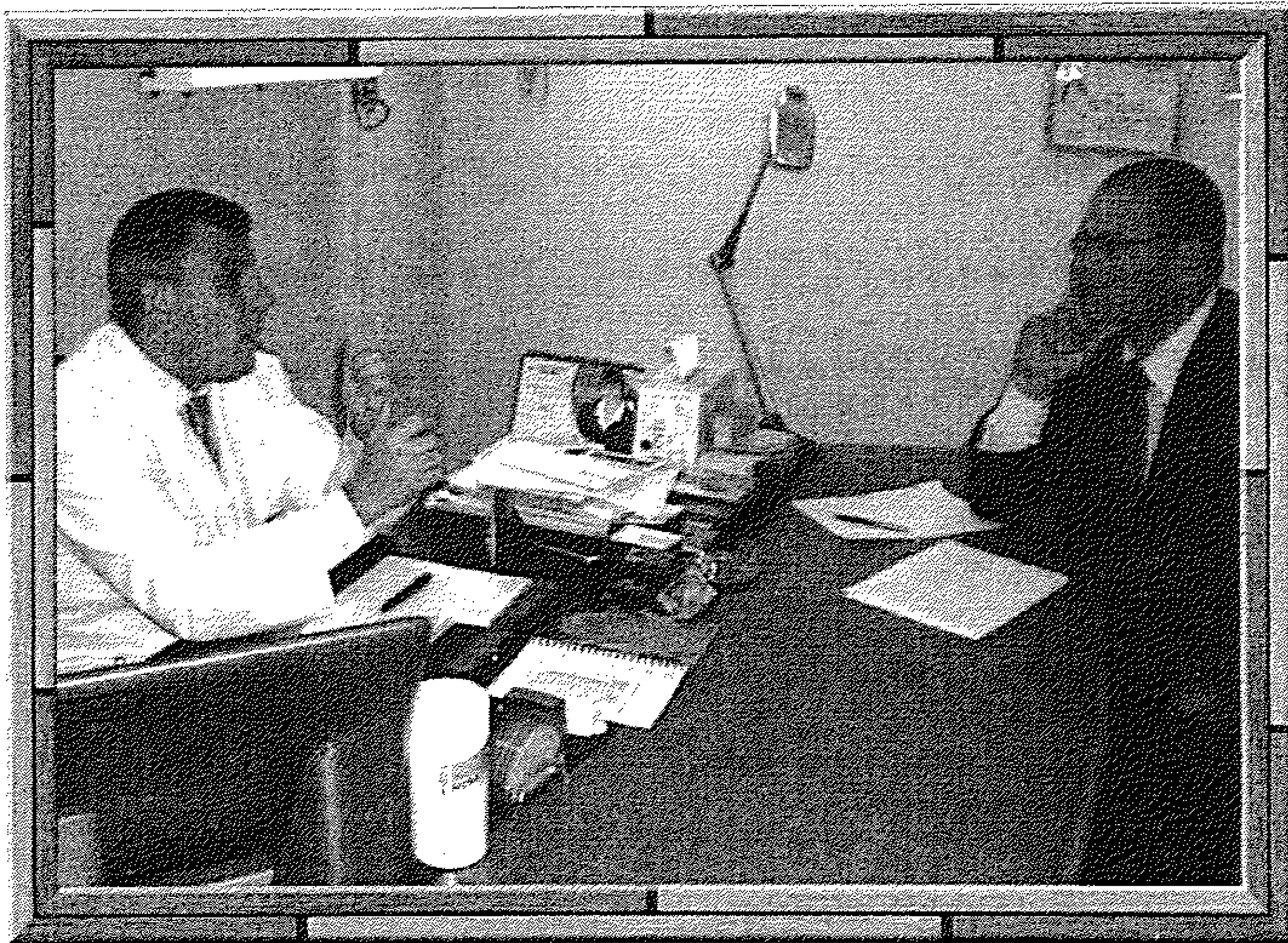
●● تاريخ مصر من أكثر المجالات التى انتهكت وأهينت ، وأنا لى كتاب اسمه من يكتب تاريخ ثورة يوليو ؟ وما زلت أعتقد أن تاريخ مصر من حيث الكتابة مشوه ، ومن حيث الحقائق مزيف ، ومن حيث الثقة لا يمكن أن يوثق فيه ، فما كتب عن ثورة يوليو عبارة عن وجهات نظر شخصية ، ولا ترقى تلك الآراء الشخصية أو المذكرات أن تكون تاريخا ، ويجب أن يتم إسقاط المذكرات الشخصية تماما أثناء كتابة التاريخ ، ولابد من إعادة تاريخ مصر كله ، فلا يعقل أن يرد ذكر حرب أكتوبر فى كتب التاريخ فى سطرين ، ولا يجب أن يتم تهميش الأحداث الكبيرة من تاريخ مصر فمثلا على مدار أكثر من عشرين سنة لم يتم ذكر محمد نجيب كأول رئيس لمصر ولا يتم ذكر يوسف صديق مثلا ، وكل من يسقط من المسيرة يتم إهالة التراب عليه ، وأتذكر أنه كانت هناك لجنة لكتابة التاريخ ولم تنعقد إلا مرة واحدة ، لكننى أعتقد أن تاريخ مصر سيكتب فى فترة ما بشكل آخر ، وهناك أناس لديهم جزء من الحقائق وهناك مصادر خارجية قد يكون عندها جزء من الحقائق ، وأنا أعتقد أن الشخص الوحيد الذى لديه جزء كبير من الوثائق هو الأستاذ محمد حسنين هيكل ، والذى أتمنى أن يجد الجهة التى تحافظ على هذه الوثائق التاريخية ، لأنه بالفعل خائف على هذه الوثائق ، لكن الحقيقة أنه من الأشياء التى ظلمت بقسوة كان تاريخ مصر .

● الأستاذ فاروق جويدة:

ماذا لو اجتمع كل المهمومين والمهتمين بمستقبل هذا الوطن بأى صورة من صور التجمع .. جمعية تأسيسية مثلا هل يمكن من خلال هذا التجمع أن تكتمل الصورة و نصنع شيئا؟

●● لا .. وهناك أشياء ثلاثة لابد أن نتخلص منها فورا إذا كنا جادين فى عملية الإصلاح ، أولها غياب الجدية، وثانيها افتقاد المشروع، وأخيرا افتقاد الإحساس بالمصلحة العامة ، والجدية تنبع أساسا من الإحساس الشخصى بجدية الآخرين. ومادام المجتمع لا يعكس القيم الجدية فلا تنتظر نتيجة ، وأتساءل لماذا لا تتفاعل أو تتعاطف الناس مع الانتخابات ؟ لأن الناس لا تشعر بجدية تلك الانتخابات ، لماذا لا تتعاطف الناس مع بعض القرارات الحكومية ؟ لأن الناس تشعر أن هذا القرارات تأتى لصالح جهات معينة. لماذا بدأ الناس فى البحث عن ملاذ فردى ؟ الأمن الخاص هو خير مثال على ذلك ، وبالنسبة للاعتماد على النخب فالبعض دخل فى دائرة المصالح والبعض الآخر انسحب من الصورة تماما ...

***



الدكتور

محمود المتيني

كانت عقارب الساعة تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليـل ، عنـدما كنت فى طريقى لمقابلـة الـدكتور محمـود المتينـى أسـتاذ جراحـة الأورام ومدير مركز زراعة الأعضاء بجامعة عين شمس .. الرجل الذى تتعلق بـه قلـوب الآلاف مـن المـصريين الـذين يقفـون فى طـابور طويـل انتظارًا لإجراء عمليات زراعة لأكباد جديدة مكان أكبادهم التى قـضت عليها الفيروسات اللعينة. فالأرقام المعلنة والإحصائيات المنـشورة عـن مرضى الكبد تثير الرعب والهلع وتهدد بضرب برامج التنميـة فى مقتـل. فكيف نـدير حـوارا جـادا حـول المـستقبل ولا نتحـدث عـن الخريطـة الصحية للشعب المصرى. تقابلت مع الرجل وكان المـستقبل هـو محـور حديثنا الذى امتد حتى الثلث الأخير من الليل ..

• قلـت للرجـل ونحـن نبحـث عـن بارقـة أمـل تقودنـا إلى المستقبل لابـد أن نتوقـف قـليلا لإلقـاء نظـرة علـى واقـع مريـر، ولكن يجـب ألا نتوقـف طـويلا أمـام تفاصيل الحاضـر بـل يجـب علينـا أن ننظـر للأمـام، حيـث المـستقبل وأنـت تلمـس مـرارة الحاضر من زوايا الفقـر والمرض والأميـة.. كيـف نـستطيع أن ننطلق إلى المستقبل؟

•• رغم أن هناك نية حقيقية للإصلاح وعلى جميع المستويات الرسمية والشعبية إلا أن أولويات ذلك الإصلاح غير واضحة المعالم وغير محدده، إننى أراها (ملخبطـة) إلى حد كبير. فالجميع يأمل فى الإصلاح الشامل ولكن كيف نبدأ؟ ما هـى ضربـة البدايـة الصحيحه التى ستقودنا إلى غايتنا النهائية؟

إننى أرى أن التعليم والصحة لابد وأن يكونـا فى مقدمـة الأولويـات التـى نبحـث عنها . . لابد وأن تبدأ الأجنـدة بـالتعليم، لابـد وأن يفتـتح جـدول الأعـمال الـوطنى بالتعليم ثم التعليم ثم التعليم.

فالتعليم والصحة هما الأساس ، فلا البورصة ولا الاستثمارات ولا بـرامج التنميـة المختلفة ولا الإصلاحات السياسية والمجتمعية أهـم مـن هـذين المحـورين : التعلـيم والصحة.

رئيس الجمهورية أعلن أمام البرلمان أن التعليم والصحة هما جناحا التنميـة المرتقبـة فى مصر . ورغم هذا الإعلان من رأس الدولة إلا أنـه لم يـتم تفعيـل ذلـك حتـى الآن. انظر إلى ميزانية الدولة التى وصلت إلى مئات المليارات ، ما هى حصة التعليم وما هـى حصة الصحة من تلك الميزانية؟

إن الدول التى سبقتنا وانطلقت لتزاحم الدول المتقدمة كانت إلى عهد قريب ترسل أبناءها لتلقى العلوم من مصر .. ماليزيا على سبيل المثال أين كانت وأيـن أصـبحت ؟ كل ذلك تم فيها لا يزيد عن عشرين عاما فقط ، ما هو السبب ؟ الإجابة تكمن ببساطة فى " مهاتير محمد " القائد الماليزى الرائع الذى أعلن فى مطلع الثمانينيات أن العـشرين عاما القادمة لابد وأن تكون للتعليم ، ولذلك خـصص ربـع الميزانيـة العامـة للتعلـيم فقط، وهنا نصل إلى ما أسميته فى مقدمتك (ترتيب الأولويات).

فالدفاع والأمن لا خلاف على الأهمية القصوى لكل مـنهما لكـن الواقـع وتجـارب الآخرين أثبتت أن وضع التعليم على قمة الأولويات مهـما كانـت ، سـيؤدى حـتما إلى إصلاح شامل .

وميزانية التعليم فى مصر أقل مما ينبغى بكثير ولا يوجد من يعلم على وجـه اليقـين الميزانية الحقيقية لقطاعى الأمن والدفاع.

مع كل الاحترام والتقدير لهذين القطاعين الحيويين :

فإذا كان لدى تعليم محترم سيكون لدى حتما دفاع محترم ، سيكون لدى حـتما أمـن محترم ، سيكون لدى صادرات محترمة، وأهم مـن كـل ذلـك : سـيكون لـدى مـواطن محترم!!!!

مواطن.. قادر على قيادة معركة التنمية الشاملة وسط عالم لا يرحم الضعفاء. فالتعليم الهابط أفرز ذوقا عاما هابطا. إننى على قناعة بأن كل الكوارث والأزمات والمشاكل التى تحيط بنا وتحاصرنا هى نتاج التعليم المصرى الذى يفتقد إلى غياب الأهداف الواضحة ويفتقر إلى معايير الجودة والإنتاجية.

لابد وأكرر لابد من فتح ملف التعليم بكل شجاعة وواقعية فلا يوجد ما يسمى بالتابوهات ، لابد من اقتحام تلك المشاكل بكل جرأة ونفتح باب الحوار الحقيقى حول قضايا مجانية التعليم، والتعليم الفنى وغيرها من القضايا الشائكة والمتداخله.

فالتعليم الفنى هو محور أساسى وركيزة أساسية. وبالنسبة لمجانية التعليم فهى مشكلة ونحن خائفون من الاقتراب منها وكأنها كتاب مقدس لا يجوز الاقتراب منه بالنقاش والحوار.

إننى أرى أن مجانية التعليم كعبارة ومنهج لا خلاف عليها أو حولها ولكن ومن وجهة نظرى أرى إضافة كلمة واحدة حتى تستقيم الأمور وهى لمن " يستحقها " بمعنى :

أن تصبح مجانية التعليم لمن يستحقها .

فلا يصح أن يكون هناك طالب فى إحدى الكليات يرسب خمس سنوات وأقوم كنظام بدعمه ورعايته ، ولكن الطالب المتفوق يجب أن يكون محور اهتمام الجميع حتى ولو وصل إلى الدكتوراة.

أعتقد أن أحدا لا يستطيع أن يعترض على هذا المنطق . ولكن مجانية التعليم المطلقة لمن يستحقها ومن لا يستحقها يجب أن تقتصر على المراحل الأساسية حتى يتعلم الجميع القراءة والكتابة حتى لو تحول إلى القطاعات الفنية فيما بعد وأصبح من أصحاب المهن والحرف المختلفة.

فالسباك والنجار والميكانيكى يجب أن يكون معه شهادة ، وهذا هو الموجود فى الدول المتقدمه ، فلابد من إعادة بناء الهرم التعليمى من جديد .... حيث يجب أن يكون التعليم الأساسى للجميع ثم التعليم الفنى للأغلبية العظمى ثم التعليم العالى

للأقلية المتميزة ، بذلك نستطيع أن نضبط الهرم ونضبط المفاهيم . وإذا حدث ذلك سنستطيع أن نتغلب على جميع مشكلاتنا بدءا من ازدحام الشوارع وحتى الفوضى التى انتشرت وتنتشر فى شتى مناحى الحياة.

فالتعليم هو المحور الأساسى لو كنا جادين فى الإصلاح وإن كان الحزب الوطنى جادا فى سيادة مبادئ الفكر الجديد. فلابد من سيادة فكر إصلاح التعليم كأحد أهم الركائز الأساسية للإصلاح.

والواضح أن الدول المتقدمة كالصين وسنغافورة وماليزيا وبقية الدول المتقدمة ما تقدمت إلا بامتلاكها ما يسمى "بحق المعرفة" . إن المعرفة هى الدعامة والضمانة الأساسية لاستمرار الدول وبقائها قوية عفية.

فالميزانية المصرية نراها تعتمد على مصادر غير آمنة مثل إيرادات قناة السويس التى يمكن أن تتوقف فى حالة نشوب حرب لا قدر الله ونحن نذكر جميعا ما حدث أثناء الحرب مع إسرائيل حيث تم إغلاق المجرى الملاحى.

والسياحة لو حدث إلقاء قنبلة فى أقصى القارة الأفريقية سوف تتأثر السياحة والدخل المتولد منها فورا ، تحويلات المصريين بالخارج ترتبط بموقف الدول الأخرى ولا ننسى ماذا فعلت أمريكا بعد أحداث ١١ سبتمبر .

لكن أين الزراعة و الصناعة ؟ أين الميزة النسبية لمصر ؟ أين حقوق المعرفه الفنيه ؟

إن التعليم الجيد سيقوم بتغذية الزراعة والصناعة وإمدادها بالعقول المبتكرة المتعلمه التى تستطيع أن تفكر وتطور حتى نصل إلى ما وصل إليه الآخرون ثم نتميز ويصبح لمصر حقوق معرفية ثابته لا تتأثر بالحوادث والأزمات .....

الخلاصه لا سبيل عن العلم .. والعلم يحتاج إلى مؤسسات قوية وطنية. فلا يصح أن نواجه مشكلة التعليم بالهروب إلى الجامعات الخاصة وهذا مسلك الأغنياء فى هذا الوطن ، وظاهرة السعى نحو بناء جامعات جديدة خاصة حيث تتكلف مئات الملايين على المبانى والإنشاءات ، والمضمون فقير إلى حد مخيف والسؤال : لماذا لا ننفق تلك الأموال على تطوير جامعاتنا العريقة (القاهرة وعين شمس والأسكندرية) ؟ إن

جامعات مثل هارفارد العريقة وأكسفورد وكامبريدج لم تتغير أماكنها ومنشآتها منذ ما يقرب من ٢٠٠ و ٣٠٠ و ٤٠٠ سنه . إنها جامعات تبدو عليها العراقة حيث قدم المبانى والإنشاءات، أما من الداخل فحدث ولا حرج، إمكانات ومضمون وعقول وأدوات ووسائل ودراسات وتطوير وبحوث وعلوم وتجديد. إنهم يستثمرون فى البشر لا فى المبانى والإنشاءات.

أما آخر نقطة فى التعليم أريد أن أذكرها فهى ربط جهات الإنتاج المختلفة بالبحث العلمى ، هل هناك مصنع من المصانع الشهيرة لديه اتفاقية تآخ مع إحدى الجامعات والأقسام العلمية كالطبيعة والكيمياء وخلافه لتبادل الخبرات ؟ فالمصانع تحتاج إلى دراسات وأفكار ، والمراكز العلمية تحتاج إلى نفقات وأموال .

فى الخارج نجد أن قسم الطبيعة فى هارفارد يتعاون مع مايكروسوفت لمدة ٢٠ سنه، صناعة أبحاث وصناعة تمويل ومصالح متبادلة، هكذا يكون الإصلاح .

أما حالة الانفصام الحاصلة حاليا بين وسائل الإنتاج ومراكز البحث العلمى فلن تصل بنا إلا إلى الهاوية .

● قلت للرجل يبدو أن هذا التراجع المعرفى والعلمى اثر على دور مصر وريادتها ودورها الإقليمى .

●● قال : بالنسبة لموضوع ريادة مصر الإقليمية أو الدولية فإننى أرى أن هذا الموضوع يشغلنا كثيرا ويأخذ من وقتنا الكثير والكثير.

مصر بالنسبة لنا هى كل شيء هى الماضى الجميل والحاضر والمستقبل .... هى كل شيء. ولكن أن ننشغل بموقع مصر الدولى وهل هى الرائدة والمؤثرة أم السعودية أم غير ذلك ، فأنا أرى ذلك غير مفيد على الإطلاق .. المهم هو وضع مصر الداخلى ، الإصلاح الداخلى هو الأساس.

إن ما يجب أن ننشغل به الآن هو وضع مصر من وجهة نظر المصريين فى الداخل ، لدينا مشاكل عديدة ومطلوب منا خطوات جادة لكى نصل إلى الطريق السليم الذى نأمل أن نسلكه حتى نصل إلى ما وصل إليه غيرنا .

إننى أرى أننا نشغل أنفسنا بالآخر كثيرا جدا فلا يجب أن نشغل أنفسنا بالآخر أكثر من هذا حتى نقوم بحل مشاكلنا أولا ، ونعتمد على أنفسنا أولا ونستغنى عن المساعدات الأجنبية ويكون قرارنا نابعًا من مصالحنا الوطنية. الأولوية يجب أن تكون لحل مشاكل التعليم والصحة والسكان ، والأولوية يجب أن تكون لحل مشاكل الذوق العام ، وبعد ذلك يمكن أن نهتم بمسألة الريادة والسيادة ، هذا رأى شخصى وقد أكون مخطئا فى هذا الرأى .

المواطن المصرى البسيط لا يهمه الريادة بل يهمه رغيف الخبز وشربة الماء وجرعات العلاج . هذه هى الأولويات الضرورية.

ومع كل ذلك أن يحس المواطن أنه محترم فى وطنه ، فالريادة لن تكون إلا إذا كنا أقوياء بأعمالنا الجادة ، وإصلاحاتنا الداخلية.

ومصر بتاريخها العريق على جميع المستويات لا ينقصها سوى أن يتحسن الحاضر إلى حد كبير . لكننا دولة صاحبة حضارات وعاها التاريخ ، أثرت فى كل من حولها بالإيجاب ، فلا وقت لدينا للبكاء على اللبن المسكوب ولكن الوقت كل الوقت للبناء والإصلاح من أجل النهضة المأمولة. وأريد أن أنصح أن الإصلاح لابد وأن يكون شاملا وسريعا وجادا ، فالإصلاح البطىء لن يجدى على الإطلاق .

فالأحوال فى مصر وصلت حالة لا أريد أن أقول من السوء ولكن وصلت إلى مرحلة لا تتحمل التأجيل أو التسويف .

(العقل السليم فى الجسم السليم)

ومرحلة البناء والإصلاح تحتاج إلى عقول مبدعة وخلاقة .. تلك العقول لن تعمل إذا لم يكن الجسم صحيحا ومعافى. والشعب المصرى يعيش حالة صحية تدعو للقلق بوجه عام وأمراض الكبد أصبحت أحد الأمراض القاتلة والمرعبة.

● د/ المتينى : هل من نظرة شاملة وعامة على الخريطة الصحية أو المرضية إن صح التعبير للمجتمع المصرى ؟ وما هو الوضع الراهن لأمراض الكبد التى تنتشر بسرعة فائقة؟ وهل من وسيلة عملية لمواجهة هذا المرض اللعين ؟ وأين وصلت

قضية زراعة الأعضاء على المستويين الفنى والتشريعى ؟ وما هى النصيحة التى يوجهها د/ المتينى لحاملى هذا المرض ولمن لا يحمله؟

●● عموما الوضع الصحى من واقع الأرقام فى تحسن دائم ... شلل الأطفال ... البلهارسيا ... تلك الأمراض التاريخية بدأت تنقرض وتتلاشى تماما ... ولكن نوعية الأمراض اختلفت وبدأت أمراض جديدة تظهر وتنتشر بكثرة بين الشباب .

وذلك لسوء التغذية ، فالمصريون لا يجيدون إدارة عمليات الغذاء ، فهم يأكلون كثيرا وبكميات رهيبة لكن هم أبعد ما يكونون عن الغذاء الصحى ، إنه أكل عشوائى مميت يؤدى إلى تصلب الشرايين وتزايد الدهون .

إن تلك العادات الغذائية السيئة لا يصاحبها أى نوع من أنواع الرياضة ... لذلك فالكارثة الصحية محققة إذا لم نصحر من هذه الغفلة ، ونعيد ترتيب الخريطة الغذائية ونعلى من شأن الرياضة. لأن أمراض القلب بين المصريين مرتفعة جدا ، وعلى المستوى العالمى وبطريقة مخيفة جدا جدا .

أما أمراض الكبد وهى تخصصى فهى تأتى فى المرتبة الثانية أو الأولى مكرر بعد أو مع أمراض القلب .

فمصر من أكبر بلاد العالم التى ينتشر فيها أمراض الكبد الوبائى فيروس (c) الذى يؤدى حتميا إلى فشل كبدى فى ٢٥٪ من الحالات الحاملة لهذا الفيروس ، هذا الفشل لا علاج له على الإطلاق حتى الآن إلا بزراعة الكبد . ومن هذه النسبة ١٠٪ إلى ١٥٪ سيصابون بأورام كبدية.

ومصر بها ما يقرب من ١٠٪ مصابون بفيروس (c) ومعنى ذلك أننا لدينا ٧ ملايين إلى ٨ ملايين مريض وهذا رقم مخيف ومرعب . منهم ٢ إلى ٣ ملايين مصرى يحتاجون الزراعة اليوم ... هذا الكم غير موجود فى العالم كله حتى فى أمريكا ، صحيح أن السبب الرئيسى للزراعة فى أمريكا هو فيروس (c) إلا أن نسبة الإصابة لا تتعدى ١٪ ، وهذا الرقم أكرر أنه مرعب ومخيف لأنه غير موجود فى العالم كله .

وأسباب هذا المرض عديدة منها ما هو موروث مثل البلهارسيا وطرق علاجها المختلفة ، نأمل خلال العشرين سنة القادمة أن تقل هذه النسبة .

وهناك عادات سيئة مثل الختان من غير متخصصين ، وأدوات الأظافر ، وأطباء الأسنان ، والدم ومشتقاته ... كل هذه المسببات هناك محاولات للسيطرة عليها ، هذه المحاولات ليست بالسرعة المطلوبة لكن هناك محاولات جادة من وزارة الصحة .

وأعتقد أن زيادة الوعى هى الأساس لكى نبدأ فى السيطرة على هذا الوباء الرهيب. إن أمراض الكبد المختلفة هى السبب المباشر لسوء معدلات المستوى الصحى فى مصر . إذن ما هو الحل لفيروس C.

الحل بالتأكيد ليس هو الزراعة ، لكن المطلوب هو برنامج قوى للوقاية ، وهنا نعود لقضية التعليم .... لو لم يكن هناك تعليم قوى لن نجد من يستوعب تلك البرامج الوقائية التى نخطط لها لأن غياب الوعى ناتج عن غياب التعليم ، ومن هنا تنتشر الأمراض.

ولابد وأن يتزامن مع ذلك البرنامج الوقائى برنامج علاجى قوى بالأدوية لحاملى الفيروس (B) و(c) وبرامج التطعيم للفيروس (B) ثم أخيرا زرع الأعضاء وزرع الكبد لمن وصلوا لمرحلة الفشل الكبدى .

ورغم صعوبة عمليات الزراعة التى بدأناها بمنتهى الصعوبة عام ٢٠٠١ ونحن ننادى منذ عام ١٩٩٣ بأن يكون لدينا قانون لزراعة الأعضاء والمملكة العربية السعودية التى تطبق الشريعة الإسلامية وافقت رسميا عام ١٩٩٥ على زراعة الأعضاء ويقومون به منذ ما يقرب من ١٣ سنة وكذلك إيران ، ومن ناحية أخرى الغرب كله يتم فيه عمليات الزراعه ووفقا لنصوص القانون ، وكذلك البلدان الإفريقية و العربية.

ونحن نقوم بعمليات الزراعة منذ عام ٢٠٠١ بدون قانون ولكن اعتمادا على الضمير والأعراف ليس إلا .. لأن جميع الممارسات الخاطئة وعمليات النصب والاحتيال كانت قائمة لعدم وجود القانون ، وعمليات الزراعة لن تحل المشكلة ولكن ستحل جزءا من المشكلة ، وما لا يدرك كله لا يترك كله.

وزراعة الأعضاء هى أعلى تقنية فى الطب من حيث التكنيك الجراحى وما حوله من تخدير ورعاية وكل الأقسام المساعدة ، فالزراعة ترفع مستوى المؤسسات الطبية بل وترفع مستوى الطب فى البلد بالكامل وتنمى البحث العلمى ، ومن الممكن أن يأتى اليوم الذى نستغنى فيه عن زراعة الأعضاء من خلال الخلايا الجزعية .

ولكن الزراعة وكما قلت تنمى حركة الطب فى البلد بالكامل ، فالعناية المركزة والمهارات الطبية لدى الجراحين ، والبحث العلمى ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى تقوم بعلاج بعض الحالات التى ليس لها حل سوى الزراعة ، إما الزراعة وإما الموت المحقق.

صحيح أنت تحتاج زراعة ٢ مليون حالة، المتاح منها ٢٠٠ ألف وهذا علاج جزئي للمشكله ، والمردود العلمى والمجتمعى والمعرفى عظيم جدا

● سألت د/ المتينى عن البرامج اللازمة التى قامت بها وزارة الصحة لمواجهة ذلك المرض وخصوصا فى الريف ... المطلوب حملة عامة يشترك فيها الجميع .

●● يقول د/ محمد المتينى : خطة وقائية عامة... وهناك خطة موجودة فى وزارة الصحة محترمة جدا لكنها غير واضحة .. هناك جهل وهناك تعليم متخلف تتحطم على صخرته كل برامج التوعية المختلفة .

●● سألت د/ المتينى عن دور المجتمع المدنى بمؤسساته المختلفة فى برامج التوعية اللازمة.

وأوضح المتينى أن مؤسسات المجتمع المدنى لم يكن لها وجود حتى فترة قريبة ، فمنذ ما يقرب من أربع أو خمس سنوات بدأت مؤسسات المجتمع المدنى فى الظهور والتأثير والتجاوب مع قضايا المجتمع المصرى .

وأصبحت مؤسسات المجتمع المدنى تستوعب العديد من المحاولات من جميع الفئات المجتمعية ، وأعتقد أنه كلما زاد دور مؤسسات المجتمع المدنى دل ذلك على تحضر المجتمع ، ففى المجتمعات المتقدمة نرى المؤسسات التعليمية والمؤسسات الصحيه تعتمد اعتمادا كبيرا على مؤسسات المجتمع المدنى ومشاركاته سواء المادية أو الفنية ، وأود الإشارة هنا إلى أنه فى بعض البلدان المتقدمة أصبح تعيين عميد كلية مثلا

خاضعا لجميع الأسس المتعارف عليها بالإضافة إلى إمكانية وقدرات هذا العميد فى جذب وجمع الأموال لمؤسسته العلمية حتى تستطيع الاستمرار والنهوض كمؤسسه علمية .

صحيح أن مجلس الأمناء من الممكن أن يقوم بنفس الدور لكن العملية تحتاج إلى تنظيم وحسن إدارة ونشر ثقافة المشاركة.

وبالنسبة لمجتمعاتنا الإسلامية نحن لدينا الزكاة والصدقات وهى ليست موجودة فى الغرب بالطبع وهذا يعطينا نسبية كبيرة نستطيع من خلالها تنمية قدراتنا العلمية والمعرفية .

● دعوت د/ المتينى إلى قيامه بتبنى فكرة برنامج توعية من أمراض الكبد بعيدا عن الإطار الرسمى ، ومن الممكن مشاركة العديد من رجال الأعمال والصناعة والتجارة فى حملة تبرعات لإنشاء صرح مؤسسى على غرار مستشفى السرطان خاص بزراعة الأعضاء .

●● فاجأنى د/ المتينى بقوله (برافو عليك)؛ هذا ما أقوم به الآن بالتحديد ، حيث قمنا بالاتفاق مع إدارة الجامعة (جامعة عين شمس) بإقامة مركز لزراعة الأعضاء : كبد وكلى وبنكرياس وما يستجد .

ستكون وحدة ذات طابع خاص تتبع رئيس الجامعة حيث سيكون هو رئيس مجلس إدارة المركز وأنا مدير المركز .

وقد صدر القرار بإنشائها منذ شهرين وحاليا نقوم بجمع التبرعات ، وتم فتح حساب خاص لذلك ، وتم مخاطبة جميع الجهات والمؤسسات المعنية للمساهمة فى وحدة زرع الأعضاء بجامعة عين شمس .

علقت بأننا انتقلنا من مرحلة الأحلام والطموحات إلى مرحلة العمل الجاد وهذا هو المطلوب بالتحديد .

● د/ المتينى : إن صناعة الأمل والتفاؤل من الصناعات المعقدة والصعبة التى تحتاج إلى فهم خاص من القائمين

عليها لذلك تأخرت مصر كثيرا فى هذه الصناعة ، فنحن بحاجة إلى الانتقال من حالة أزمة الفهم إلى مرحلة فهم الأزمة من وجهة نظركم .

●● كيف نصنع الأمل ونبث التفاؤل حتى ننتشل الشباب من دوامات الإحباط واليأس الذى يحطم إرادة الأمة ... أى أمة؟

أعتقد أن الشباب هم الأمل ؛ لكن ظروفهم صعبة ، لقد جاءوا فى ظروف مغايرة عن الظروف التى كنا نحن فيها فى أعمارهم .حيث كانت مصر فى حالة حروب ورغم ذلك كانت الأحوال والظروف أفضل كثيرا من الظروف الراهنة. ويمكن أن نرجع ذلك إلى زيادة السكان، تلك الزيادة الرهيبة .ورغم ذلك أفكر وأقول إن الصين بها أعداد رهيبة ، لكن البشر وزيادتهم إما أن تكون نقمة أو نعمة ، والصين تعتبر البشر نعمة ؛ لأن التعليم كان هناك على رأس الأولويات .أما عندنا فهناك من يعتبر زيادة السكان نقمة؛ وذلك لأن التعليم عندنا متراجع إلى حد كبير. ولكى نبعث الأمل فى الشباب أقول لا أمل إلا بالتعليم ثم التعليم ثم التعليم .لكن فى كل الأحوال هناك أمل؛ حيث هناك نماذج ممتازة رغم كل الظروف المحيطة ، وألمح أن هناك إجراءات وإصلاحات بدأت تظهر على السطح ، رغم أنها ليست واضحة بشكل كاف إلا أنها موجودة ويمكن أن تتسع وتفعل بشكل مدروس .

أدعو الشباب المصرى إلى أن يعمل ويتعلم ويحترم العلم والعلماء. إن أسوأ ظاهرة ألمسها هى التسفيه من العلم. إن الكارثة أن يكون القائمون على الأمور يسفهون من العلم والعلماء . وهذا يؤدى إلى كارثة حقيقية .

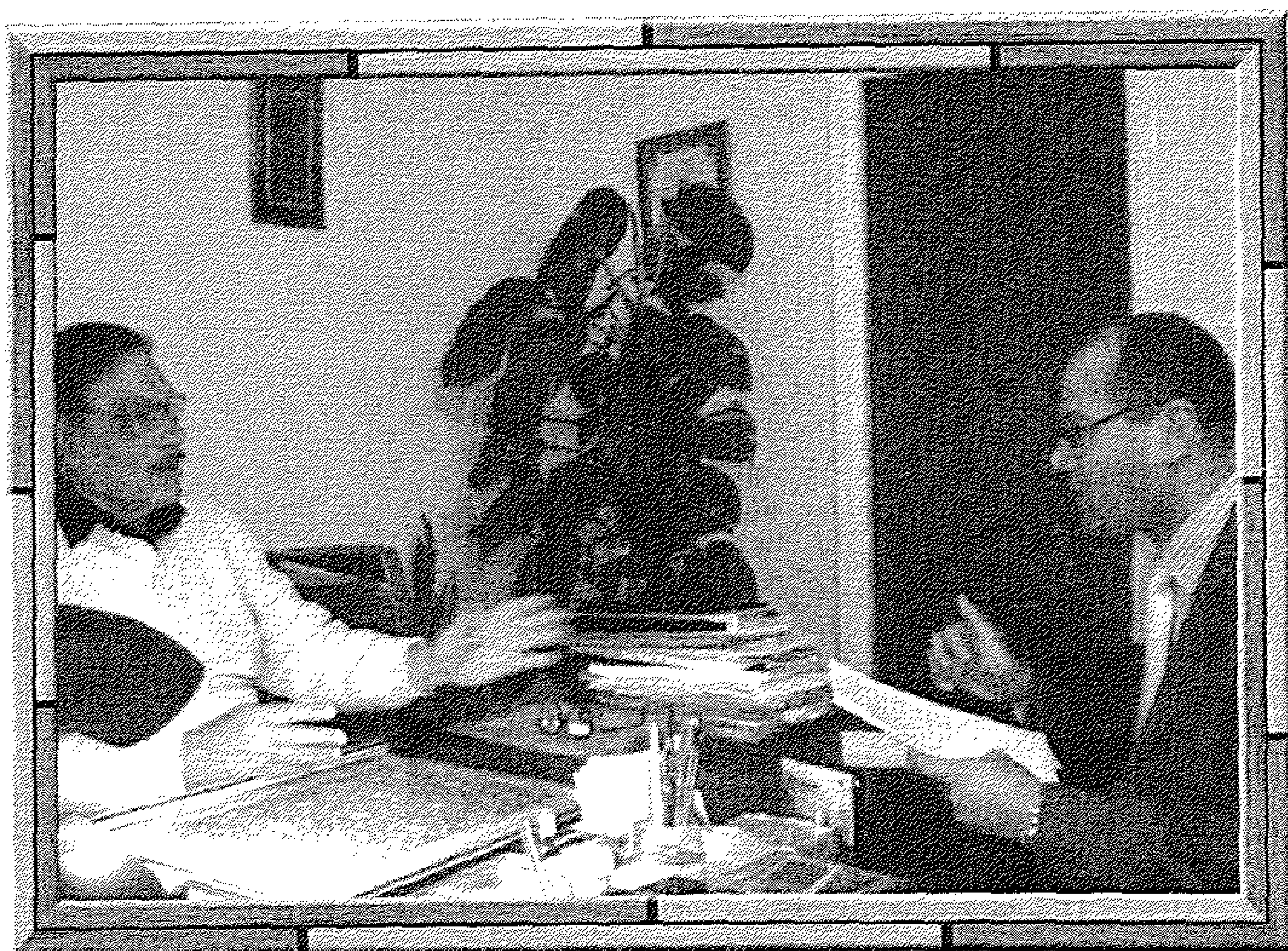
ونلاحظ أنه فى السنوات الأخيرة شهدت مصر طفرة فى الإنجازات الأدبية ، أما الإنجازات العلمية باستثناء د/ أحمد زويل فهى فقيرة للغاية .هناك الشعر والسينما والمسرح والنقد والأدب : متقدمة للغاية، أما العلوم التطبيقية فهى فى حالة توهان ، وهذه العلوم هى التى تصنع التقدم ؛ فالأمم والشعوب تحتاج إلى العقول الخلاقة المبدعه ، تلك العقول هى العقول العلميه المعملية ، فالعلم هو الأساس .انظر إلى المركز القومى للبحوث ، انظر إلى إكاديمية البحث العلمى ، انظر إلى الجامعات

والمراكز العلمية : ستجدها فى حالة يرثى لها . إذا أردت أن تصنع الأمل فعليك باحترام العلم .

● سألت د/ المتينى عن الأشياء الجميلة التى يراها فى مصر ....

●● قال : هناك أشياء كثيرة ، روابط اجتماعية ، أصالة ، عادات قديمة رائعة، المودة، الرحمة، التسامح .ولكن أرى أن هناك نقيصة خطيرة نفتقر إليها كمصريين ؛ وهى أننا لا نملك " الإصرار " حيث نيأس بسرعة ، إننى أدعو الشباب إلى التمسك بقواعد الإصرار وعدم اليأس وعدم الإستسلام للإخفاق والفشل ، فبالإصرار والعزيمة يتحقق النجاح . وأنا مثل حى لذلك حيث موضوع زراعة الأعضاء ؛ قوبلت برفض تام داخل جامعة عين شمس ، فلم أيأس، بل حاولت وذهبت خارج الجامعة وأجريت عمليات الزراعة التى أبهرت الجميع وها أنا أعود وأرى الجامعة تفتح أبوابها مؤمنة بالقضية .كان يمكن أن أصاب بالإحباط كما أصيب غيرى ، لكن بالإصرار والعزيمة أرى أن الحلم تحقق وقمنا بزراعة الأعضاء بين الأحياء ، وهو الأصعب ؛ حيث فى الخارج يتم الزراعة من متوفى إلى حى وهى أسهل .ورغم ذلك واجهنا التحديات والصعوبات فتحقق لنا النجاح .وهذا مثال صغير وهو الإصرار ، فالنجاح لا يأتى إلا بعد العديد من التجارب الفاشلة ، فعلى الشباب ألا ييأس وألا يخرج من الحلبة مع أول فشل ؛ فالفشل قد يكون هو بداية النجاح .

***



الأستاذ الدكتور

على لطفى

رئيس وزراء مصر الأسبق

أهم ما يميز الدكتور على لطفى أنه لا يقول إلا ما يؤمن به ويعتقد أنه صواب. ما يردده فى الحجرات المغلقة هو نفسه ما يردده فى الهواء الطلق، (يحمل) رأيا واحدا و(يتحمل) آراء عديدة ، تستطيع أن تحاوره وتناقشه بلا خطوط حمراء، يمكنك أن تختلف معه كثيرا دون أن تتأثر قضية الود ولا يشعرك بأن ضيقا قد تسرب إليه ، كنت أجلس أمام الرجل وظنى أنه يمثل جزءا من الماضى ، لكننى أيقنت أننى أمام جزء من المستقبل .. حيث الآراء الخلاقة والرؤية العميقة والتحليلات الموضوعية والقراءات المتزنة ..

أدعوك عزيزى القارئ أن تتفضل بالاطلاع على نص الحوار ..

● قلت للرجل إذا كنا جادين حقا فى معركة الإصلاح كيف ينظر الدكتور على لطفى إلى أولويات الإصلاح فى أجندة المستقبل؟

●● يقول الدكتور على لطفى ..

إن أولويات الإصلاح تنقسم إلى عدة أقسام :

القسم الأول : ـ استكمال الإصلاح السياسى

فالإصلاح السياسى منظومة بدأناها منذ عدة سنوات ولم تكتمل بعد وأعتقد أن استكمال ذلك الإصلاح فى المرحلة المقبلة أصبح فى غاية الأهمية وعلى وجه التحديد إذا أردنا أن نتحدث عن استكمالها فهى تحتاج إلى :

* إلغاء قانون الطوارئ وهذا أمر لابد منه وإلغاؤه لا يمنع من ضرورة وجود قانون بديل لمكافحة الإرهاب مثلما هو موجود فى كل دول العالم .

* تقوية الأحزاب السياسية فنحن لدينا عدد كبير من الأحزاب يصل حتى الآن إلى عشرين حزبًا سياسيًّا معظمها غير معروفة والحقيقة أنه بإستثناء الحزب الوطنى الديمقراطى نجد أن جميع الأحزاب الأخرى ضعيفة ، وهذه مسؤلية الأحزاب نفسها فى المقام الأول ، بالإضافة إلى أنها مسؤولية المجتمع بأسره حيث لابد من انضمام بعض الأفراد والشخصيات العامة لهذه الأحزاب. وكذلك الاعلام عليه ان يخصص مساحات إعلامية مناسبة لهذه الأحزاب حتى تستطيع أن تعرض برامجها السياسية لتصل إلى أكبر عدد من المواطنين.

إن وجود أحزاب قوية هو من مصلحة النظام ، وبعد أن يتم إلغاء الطوارئ وتقوية الأحزاب السياسية وزيادة قاعدة المشاركة وبالتالى تأتى مسألة تداول السلطة كى تكتمل الديمقراطية كما هو هو الحال فى الدول الديمقراطية العريقة.

* التوعية السياسية فنحن فى حاجة إلى توعية المواطنين توعية سياسية ليعرف كل مواطن ما له من حقوق وما عليه من واجبات. والتوعية المقصودة هنا لا تعنى قيام كل مواطن بمتابعة الصحف والأخبار ليصبح محللا سياسيا فالتحليل السياسى مهنة فى حد ذاته ، لكننى أريد مواطنا يعرف ما له من حقوق ويطالب بها بالطرق الشرعية ، ويعرف ما عليه من واجبات ويؤديها ، لأن مجموعة الحقوق يقابلها مجموعة من الواجبات

هذا هو الجانب الأول فى أجندة الإصلاح وهو الإصلاح السياسى

القسم الثانى : الجانب الاقتصادي

لقد قطعنا شوطا كبيرا فى هذا الجانب الهام وأعتقد أننا حققنا نتائج جيدة لعل من أهمها أن معدلات النمو وصلت إلى أكثر من ٧٪ بالإضافة إلى نسبة عجز الموازنة العامة للدولة إلى الناتج المحلى الإجمالى انخفضت ومعدلات التضخم انخفضت كذلك فإن احتياطى النقد الأجنبى اليوم وصل إلى ٣١مليار دولار وميزان المدفوعات تحول فيه العجز إلى فائض علاوة على ما تم من إصلاحات شاملة للبنية الأساسية . ولكن ما زالت لدينا مشاكل اقتصادية كثيرة وطالما أننا نتحدث عن المستقبل ونضع رؤية شاملة للإصلاح فلابد من التركيز على هذه المشاكل .. فى مقدمة هذه المشاكل تأتى مشكلة: (ارتفاع الأسعار)!!

حيث تشهد الأسعار لجميع السلع والخدمات ارتفاعات هائلة وهنا لابد من دراسة الأسباب التى أدت إلى هذه الارتفاعات وضرورة ضبط الأسعار من خلال تشديد الرقابة على الأسواق ومنع التلاعب وضبط المتلاعبين ، فالمسألة باتت من الخطورة بمكان أنها شملت الغذاء الرئيسى لمحدودى الدخل .

(تفاقم أزمة البطالة)

لا أعتقد أنه يوجد بيت واحد فى مصر لا يعانى من هذه المشكلة التى أعتبرها مشكلة المشاكل والأرقام المعلنة تقول إن نسبة البطالة حوالى ١٠٪ أو ٩٪ معنى ذلك أن لدينا ما يقرب من ٢مليون شاب لا يجدون عملا وواقع الأمر أن الرقم قد يكون أكبر من ذلك بكثير. المسألة خطيرة وأنا أعتبرها مسالة أمن قومى، لذلك لابد من إيجاد حلول عاجلة وسريعة وفعالة ، فالمشروعات الصغيرة والصندوق الاجتماعى والأسر المنتجة وغير ذلك من الجوانب التى تمثل حلولا غير تقليدية لهذه المشكلة الكبيرة .

(سوء توزيع الدخل القومى)

لدينا حقيقة ٧.١٪ معدل نمو من الناتج المحلى الإجمالى الذى يبلغ حوالى ٧٠٠مليار جنيه معنى ذلك أن هناك ٥٠ مليار جنيه نمو سنوى والسؤال الذى يفرض نفسه بقوة

أين ذهبت ال٥٠ مليار جنيه ؟؟؟؟؟؟

من أخذها ؟ من تمتع بها ؟ والسؤال الذى أطرحه بعمق

أين ذهبت ثمرة التنمية ؟

أنا أزعم أنها قلة محدودة هى التى تمتعت بثمار التنمية وبقيت الأكثرية تتمتع بالفقر حيث اتسعت دائرة الفقر وزاد ت معدلاته وأصبحت السينما تعبر عن هذا الواقع .. واقع الفقر والفقراء من خلال أفلام مثل (هى فوضى) و(حين ميسرة)

ولكن ماذا يمكن أن نصنع إزاء هذه المشكلة ـ سوء توزيع الدخل ـ لابد من إعادة النظر فى النظام الضريبى وفى منظومة الإنفاق العام والدعم والضمان الاجتماعى فى الصندوق الاجتماعي فى كل الآليات التى يمكن أن تؤدى إلى عدالة فى توزيع الدخل.

●دكتور على لطفى الأستاذ الجامعى والأمين الأسبق على خزائن مصر ورئيس حكومتها ..كيف ترى (شكل) و(مضمون) الحالة الاقتصادية المصرية وما هو تقييمك للأداء الحكومى فى إدارة ملفات ...(الخصخصة - التصدير- معدلات النمو - معدلات التضخم - إدارة الدين العام - حيث يرى البعض أن تجارب الإصلاح لم تؤتى ثمارها على المستوى الاجتماعى، ويرى البعض أن الدين العام تخطى الخطوط الحمراء وبات خارج نطاق السيطرة، ويرى البعض ان قطار الخصخصة يسير فى الاتجاه المعاكس، وترى الغالبية أن الصورة العامة (داكنة) تصل أحيانا لدرجة القتامة. فالناس تطالع التقارير والأرقام الحكومية (الوردية) وعندما تتذكر تلك الجماهير أحوالها المعيشية (السوداوية) تصبح تلك الجماهير على قناعة بأن الحكومة تبيع لهم الأوهام والأكاذيب .. دكتور .. اين الحقيقة ؟ من يجنى الزهور ؟ من تدميه الأشواك؟

●● يقول الدكتور على لطفى .. تعالى نأخذ نقطة نقطة وسأجيبك على كل النقاط بكل وضوح وموضوعية .. أولا بالنسبة لملف (الخصخصة)عموما أنا أول من نادى بالخصخصة فى مصر، والخصخصة ليست مسألة عقائدية .. حيث هذا رأسمالى يوافق وهذا اشتراكى يعترض وإنما لابد أن ننظر إلى الخصخصة من النواحى الاقتصادية حيث أن الهدف النهائى هو رفع الكفاءة الاقتصادية للبلد، لأنه ثبت بالأرقام أن القطاع الخاص أكثر كفاءة من القطاع العام .. هنا نحن نتكلم عن الكفاءة بصرف النظر عن المالك سواء قطاع عام أو قطاع خاص.

وعموما دور الحكومة لا ينتهى بعد الخصخصة وإنما يبدأ الدور الأكثر أهمية حيث الرقابة والمتابعة والتوجيه ومحاربة الاحتكار بالإضافة إلى المهام الأساسية للدولة وهى الدفاع والأمن.

ولكن الحقيقة أن عمليات الخصخصة تحتاج إلى مزيد من الشفافية والوضوح حيث من الممكن أن يتم الإعلان عن خطة الدولة للخصخصة، فمثلا يتم الإعلان عن

الشركات التى سيتم عرضها للبيع كذلك يتم الإعلان عن طرق التقييم المتبعة، وكذلك يتم الاعلان عن أسماء المكاتب التى قامت بعمليات التقييم كل ذلك يتم فى وضوح وشفافية وأمام الجميع .. هنا يمكن أن تتم عمليات الخصخصة ويتم توسيع قاعدة الملكية بعد موافقة مجلس إدارة تلك الشركات ووزارة الاستثمار ثم يعرض على مجلس الوزراء. بذلك أتيح الفرصة لمن لديه ملاحظة أن يبديها بالطرق الشرعية والأصول المعمول بها فى هذا الشان

(التصدير)

بالنسبة للتصدير أنا ألاحظ أنه خلال الفترة الأخيرة قد حدث تحسن واضح وملموس فى أرقام الصادرات المصرية وهذا يعود إلى :

١ -تحرير سعر الصرف - دعم الصادرات

حيث ان الدعم المقدم الى المصدرين أثر بالإيجاب على نمو الصادرات المصرية وخلق نوعًا من التميز للمصدر المصرى فى الأسواق الخارجية. الخلاصة إن وضع الصادرات المصرية الآن جيد.

(معدلات النمو)

معدلات النمو وصلت إلى ٧.١٪ من الناتج المحلى الإجمالى وهذا المعدل جيد لكن الأهم هو المحافظة على هذا المعدل ومحاولة زيادته .. خاصة وأن دولا مثل الصين والهند وماليزيا تصل معدلات النمو لديها إلى ١١٪ إذن من الممكن أن تزيد نسبة النمو الحالية فى مصر خاصة أن لدينا الموارد ولدينا الإمكانات، لكن على الأقل يجب ان نحافظ على النسبة الحالية

(معدل التضخم)

معدل التضخم كان قد انخفض ووصل إلى معدلات تقترب من ٥٪ لكننا فوجئنا أن هذا المعدل قد زاد زيادة كبيرة وبتحليل الأسباب وجدنا أن هناك ارتفاعا كبيرا قد ارتفع فى الأسعار العالمية .. فارتفاع سعر البترول على المستوى العالمى دفع العديد من دول العالم إلى البحث عن بدائل للطاقة وبالفعل بدأ هؤلاء فى استخلاص الوقود الحيوى من المنتجات الزراعية مثل الذرة وبعض المنتجات المماثلة وبالتالى قل المعروض

من هذه المنتجات فى الأسواق العالمية فكان من الطبيعى أن ترتفع الأسعار وانعكس ذلك على الأسواق المحلية ، ولكن دور الدولة هنا ضرورى حيث أن الأثر المباشر سيكون وكان بالفعل على الطبقات محدودة الدخل

(الدين العام)

هناك دين عام خارجى ودين عام داخلى. بالنسبة للدين العام الخارجى انخفض، فبعدما كان ٥٠ مليار دولار، أصبح ٣٠ مليار دولار. هذه الأرقام والنسب لا تقلق على الإطلاق .

أما بالنسبة للدين العام الداخلى فالوضع مختلف حيث يتزايد وبمعدلات كبيرة ووصل الى أرقام فلكية تجاوزت ٦٥٠ مليون جنيه والمشكلة ليست فى أصل الدين وإنما فى تكاليف خدمة الدين من فوائد وخلافه مع الوضع فى الاعتبار أن موارد الحكومة ضعيفة إلى حد ما لذلك نجد مشكلة الدين المحلى الداخلى حادة ومقلقة

فلو نظرنا إلى الموازنة العامة للدولة سنجد أن حوالى ٢٥٪ منها تذهب لخدمة الدين وأقساطه !! حوالى ٥٥ مليار جنيه لهذا الغرض لذلك لا نجد المخصصات اللازمة لرفع الأجور والمعاشات حتى نستطيع مواجهة معدلات التضخم المرتفعة .

● دكتور على لطفى .. كيف ترى حال التعليم والبحث العلمى فى مصر ؟ وهل الموارد البشرية بوضعها الحالى قادرة على خوض معركة الإصلاح والبناء ؟

●● مستوى التعليم فى مصر منخفض ولا خلاف على ذلك، وفى جميع المراحل من التعليم الأساسى وحتى الدراسات العليا. وأنا كأستاذ جامعى ألمس ذلك عن قرب اننى وللأسف الشديد عندما أقوم بمراجعة بعض رسائل الماجستير أوحتى الدكتوراه أجد العديد من الأخطاء اللغوية والاملائية شديدة الغرابة.

لابد أن نصارح أنفسنا حتى نستطيع أن نصلح حال التعليم فى مصر .. إن أمريكا عندما أصدرت تقريرًا بعنوان (أمة فى خطر) كانت قد بدأت العلاج الفورى وهذا.

ليس عيبا أن نقف ونقول نحن أيضا أمة فى خطر .

إن المناهج الموجودة كمحتوى لابد له من التغيير فبعد أن انتهينا من كادر المعلمين وضمان الجودة لابد أيضا من وجود لرقابة الدولة على العملية التعليمية بجميع مراحلها. ولابد من إعادة الدراسات التربوية وعلم النفس وطرق التدريس والمناهج حتى نستطيع أن ننهض بالمعلم على جميع المستويات ففاقد الشيء لا يعطيه بالتأكيد .

إذا نظرنا إلى أى كتاب حساب مثلا سنجد أن هناك برامج توعية وتربية داخل العمليات الحسابية البسيطة ..

إذن نحن فى حاجة ماسة إلى تغيير المحتوى المناهجى لجميع المراحل الدراسية.

لابد كذلك من الاهتمام بالرياضة البدنية والمكتبات وتنمية المهارات الفردية والاهتمام بالمواهب وصقلها من خلال الاهتمام بها مبكرا .

● الدكتور على لطفى .. شهدت مصر خلال العام المنصرم ميلاد ظاهرة الاعتصامات والاحتجاجات لتحقيق مطالب ما

ما هو تقييم سيادتكم لهذه الظاهرة ؟ وهل يصح أن نصنف تلك الظواهر على أنها نتاج طبيعى لحالات الاحتقان والضيق من الأزمات الاقتصادية أم أن الواجب أن تصنف كناتج لمناخ حرية التعبير ؟ وهل هناك علاقة ما بين تنامى هذه الظواهر وبين برنامج الخصخصة ؟

●● هى بالتأكيد ظاهرة تعبر عن وجود مشاكل وتعبر فى الوقت نفسه عن وجود حرية وديمقراطية فى البلد ، ولهؤلاء المتظاهرين من كافة الجهات والتيارات أقول هذا حقك فى أن تعبر عن رأيك وتطالب بحقك ولكن بالطرق الشرعية والسلمية الراقية.

وهنا أطالب الحكومة أن تبادر وترى ما هى المشكلة وما هو الحل. إننى أقول ذلك وفى ذهنى موضوع الضرائب العقارية بكل تفاصيله المحزنة !! كيف أترك هؤلاء فى الشارع لمدة ١٠ أيام ؟ كيف ستكون صورتنا أمام المستثمرين الاجانب ؟ كيف ستكون صورتنا أمام العالم الذى صار قرية صغيرة بفعل الآلة الإعلامية الجبارة ؟

إننى أقول إن الوقاية خير من العلاج فلنبحث فى أصل المشكلة ونحاول أن نجد لها حلولا فورية حتى لا نصل إلى مرحلة التظاهر والمواجهات .

● **الدكتور على لطفى**

إن صناعة اتخاذ القرار فى مصر من الصناعات المتأخرة الى حد ما وربما يعود ذلك إلى المركزية الشديدة للإدارة المصرية أو لأسلوب التربية والتعليم والتثقيف لذلك تصنف معظم مشاكلنا على أنها مشكلة إدارة وتكمن مشكلة الإدارة فى صناعة القرار.

كيف يمكن حل هذا اللغز ؟

وماهى القرارات المصيرية التى اتخذها د. لطفى خلال فترات توليه المسؤولية ويمكن اعتبارها نماذج عملية لكيفية صناعة القرار

●● رد الدكتور على لطفى هذا بالفعل بيت القصيد أنا سأجيب على هذا السؤال من خلال الدراسة التى أعددتها بنفسى بعنوان

(تجربتى مع الإدارة)

وفيما يلى أورد بعض التجارب التى قمت بتطبيقها وما أسفرت عنه من نتائج:

التجربة الأولى : المتابعة

نظراً لأن القائد الإدارى غالباً ما يكون مثقلاً بالأعباء فإن ما يتخذه من قرارات لا يتم تنفيذها حيث أن المستويات الأدنى من الإدارة تعلم ضخامة الأعباء التى تقع على كاهل القائد الإدارى متخذ القرار ومن ثم فإنه لن يتذكر ما اتخذه من قرارات. وحتى يمكن التغلب على هذه المشكلة قمت خلال فترة عملى كرئيس لمجلس الوزراء بإنشاء وحدة للمتابعة وعينت فيها مجموعة من الأفراد الأكفاء، وكانت المهمة الوحيدة لهذه الإدارة متابعة تنفيذ قرارات مجلس الوزراء واللجان الفرعية المنبثقة عنه وكذلك قرارات رئيس مجلس الوزراء. وقد دلت التجربة على نجاح الإدارة نجاحاً باهراً بحيث لم يتأخر تنفيذ أى القرارات المشار إليها.

ومن أهم الأمثلة التى أذكرها فى هذا الصدد ما يتعلق بصناعة الأسمنت فى مصر، ففى خلال الأسبوع الأول الذى توليت فيه العمل كرئيس ملجس الوزراء عقدت اجتماعاً حضره وزير الإسكان وجميع رؤساء شركات الأسمنت فى مصر وناقشنا

أسباب تأخر افتتاح المصانع وخطوط الإنتاج الجديدة ووضعنا الحلول واتفقنا على مواعيد محددة لافتتاح هذه المصانع الجديدة وخطوط الإنتاج الجديدة، وانتقل القرار إلى إدارة المتابعة التى راحت تلاحق رؤساء الشركات وتتابع معهم تقدم العمل طبقاً لما اتفق عليه، فكانت النتيجة تحقيق الأهداف للبرنامج الزمنى المحدد وانطلقت صناعة الأسمنت فى مصر وزاد الإنتاج من حوالى ٣ ملايين طن فى السنة عام ٨٥ إلى حوالى ١٦ مليون طن فى السنة عام ٩٢ وبذلك تحقق الأكتفاء الذاتى فى الأسمنت بل وبدأ يتحقق فائض للتصدير.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن صناعة الأسمنت فى مصر كانت خصصت لها استثمارات ضخمة خلال الفترة من عام ٧٨ حتى عام ٨٥ ولكن غياب المتابعة أدى إلى التراخى فى التنفيذ.

وفى مجال أهمية المتابعة أذكر مثالاً آخر عن تصنيع السجائر الأجنبية فى مصر حيث أن قراراً كان قد اتخذ عام ٨٤ لتصنيع السجائر الأجنبية فى مصر بترخيص من الشركات العالمية ، وعقد اجتماع بين المسئولين فى وزارة الصناعة ووزارة المالية للتفاهم على نصيب الخزانة العامة ولم تتم بعد ذلك متابعة هذا الموضوع ومن ثم فلم يبدأ تصنيع السجائر الأجنبية فى مصر.

وفى بدايةعملى كرئيس للوزراء أحلت هذا الموضوع للمتابعة التى لاحقت المسئولين بوزارة الصناعة ووزارة المالية وكانت النتيجة أنه خلال أقل من شهر واحد تم تصنيع السجائر الأجنبية فى مصر ومن ثم توفير ملايين الدولارات التى كانت تنفق على استيرادها السجائر الأجنبية من الخارج مع المحافظة على موارد الخزانة العامة.

التجربة الثانية : تحطيم الروتين

من المعروف أن الإدارة فى الدول النامية تعانى مجموعة من الأمراض من بينها بل أهمها الروتين والبيروقراطية وطول الإجراءات ، وأذكر هنا تجربة التراخيص الصناعية التى توضح وتؤكد أن تحطيم الروتين فى الدول النامية ليس بالأمر المستحيل، كانت هيئة التصنيع الملحقة بوزارة الصناعة تحتاج لفترة تتراوح بين ثلاثة وستة شهور لمنح ترخيص لأحد المشروعات الصناعية وهذه ولا شك فترة طويلة تعوق الاستثمار الصناعى وكانت هيئة التصنيع تحتاج إلى هذه الفترة الطويلة حتى يتمكن المسئولون

فيها من الاطلاع على دراسة الجدوى التى يقدمها المستثمر (وكان تقديمها شرطاً أساسياً) وحصول المستثمر على موافقة هيئة المجتمعات العمرانية الجديدة على تخصيص الأرض اللازمة لإقامة المشروع وحصوله كذلك على موافقةهيئة الكهرباء على تخصيص الطاقة اللازمة للمشروع، وفى يناير ١٩٨٦ صدر قرار رئيس مجلس الوزراء الذى يقضى بإنشاء مكتب للتراخيص بهيئة التصنيع وتنظيمه داخلياً طبقا للنظام المتبع فى البنوك (شبابك يتعامل من خلالها المستثمر). يتقدم المستثمر بورقة واحدةتتضمن بياناته الشخصية والبيانات الأساسية بالمشروع (شباك رقم ١) ثم ينتقل إلى (شباك رقم ٢) حيث يجد مندوب هيئة المجتمعات العمرانية الجديدة ليخصص له الأرض اللازمة للمشروع ثم ينتقل إلى (شباك رقم ٣) ليخصص له الطاقة اللازمة للمشروع .

ونص قرار رئيس مجلس الوزراء على صدور الترخيص الصناعى شاملاً الأرض والطاقة خلال أسبوع واحد على الأكثر من تاريخ تقديم الطلب ، ويلاحظ أن هذا النظام الجديد قد أعفى المستثمر من تقديم دراسة جدوى للمشروع حيث يحتاجها المستثمر نفسة ليطمئن مقدماً على جدوى المشروع وقد يحتاجها البنك إذا كان المشروع فى حاجة إلى قروض أما هيئة التصنيع فلا علاقة لها بدراسة الجدوى من قريب أو بعيد، وقد نجحت هذه التجربة فى تحطيم الروتين والقضاء على البيروقراطية وتبسيط الإجراءات، الأمر الذى أدى إلى تضاعف عدد التراخيص الصناعية عام ٨٦ عما كان عليه عام ٨٥ .

التجربة الثالثة : المشاركة فى الإدارة

لا شك أن القائد الإدارى فى أى موقع مهما أوتى من علم وخبرة فإنه لن يستطيع وحده أن يكون مبتكراً ومجدداً ، وبعبارة أخرى فإن التجديد والتطوير يحتاج إلى مشاركة من الآخرين سواء كانوا من داخل المنظمة التى تتعامل معها الإدارة أو من خارجها ، وخلال فترة عملى كرئيس للوزراء طبقت فكرة المشاركة على مستوى جميع المواطنين، وكان الهدف الأساسى من ذلك إيجاد شعور لدى المواطنين بأنهم يشاركون بالفعل فى الحكم ومن ثم يتولد لديهم الشعور بالولاء والانتماء للوطن ، كما أننى أعتقد أن من يعمل فى أى موقع بما فى ذلك من يعمل فى أول السلم الإدارى هو الأكثر قدرة على تطوير العمل فى هذا الموقع.

ومن هذا المنطلق فقد أنشأت بنكًا فى فبراير ٨٦ أطلقت عليه «بنك الأفكار» وأعلنت عنه فى مختلف وسائل الإعلام وكانت استجابة المواطنين مذهلة حيث كان هذا البنك (الملحق بالأمانة العامة لمجلس الوزراء) يتلقى يوميًا مئات الخطابات ومئات المكالمات التليفونية من المواطنين المخلصين الذين يقدمون الأفكار والاقتراحات البناءة وكان يتم بالفعل فحص هذه الآراء والاقتراحات وتطبيق ما يثبت جدواه مع تقديم خطاب شكر للمواطن صاحب الرأى أو الاقتراح.

التجربة الرابعة : حسن اختيار القيادات

على الرغم من أن هذا المبدأ معروف فى الإدارة إلا أنه للأسف الشديد غير مطبق فى كثير من الحالات، وكنت ومازلت أعتقد دائماً بأن نجاح أى عمل إدارى يتوقف أساساً على نجاح قائد العمل، وقد أتيحت لى الفرصة لتطبيق هذا المبدأ، وأذكر فى هذا الصدد أن مذكرة قد عرضت على عام ٨٦ عن إحدى شركات القطاع العام وتبينت من هذه المذكرة أن سوء الإدارة هو السبب الوحيد وراء فشل الشركة وتحقيقها خسائر ضخمة ومتلاحقة عاماً بعد آخر.

وقد اتخذت قراراً فورياً بتغيير شخص واحد فى هذه الشركة هو رئيس مجلس الإدارة حيث تولى إدارتها رجل يتميز بالعلم الغزير والتجربة العلمية والأمانة والنزاهة والفكر المتجدد، وكانت النتيجة أن أصبحت هذه الشركة شركة ناجحة وبدأت فى العام التالى مباشرة تحقق أرباحاً ومازلت أتابع أعمالها حتى اليوم التى تؤكد إستهلاك الخسائر المتراكمة وتحقيق أرباح صافية ضخمة ومازال رئيس مجلس الإدارة الجديد فى موقعه بل وتم تعيينة مفوضاً على شركة أخرى.

التجربة الخامسة : توفير المعلومات

لا شك أن اتخاذ القرار السليم لا يمكن أن يتم إلا إذا توافرت مجموعة من المعلومات لمتخذ القرار ، ومن الطبيعى أن تكون هذه المعلومات عن المنظمة ذاتها وكذلك معلومات عن المجتمع الذى تعمل فيه المنظمة إلى جانب معلومات عن المتغيرات العالمية التى يمكن أن تؤثرعلى إدارة هذه المنظمة ، وهناك ثلاثة شروط يجب أن تتوافر فى هذه المعلومات وهى :

الشرط الأول : أن تكون المعلومة دقيقة لأن المعلومات الخاطئة تؤدى إلى قرار خاطئ.

الشرط الثانى: أن تكون المعلومات تفصيلية لأن المعلومات القاصرة لا تساعد على اتخاذ القرار السليم.

الشرط الثالث: أن تكون المعلومات حديثة لأننا نعيش فى عصر سريع التغيير والإيقاع ومن ثم فإن عدم تحديث المعلومات والبيانات يؤدى إلى اتخاذ قرارات لا تمشى مع الواقع.

ومن هذا المنطلق فقد اتخذت قراراً عام ٨٥ بإنشاء " مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء" كما تقرر فى الوقت ذاته إنشاء مبنى حديث وتزويده بجميع الأجهزة الحديثة مجاور لمبنى مجلس الوزراء ذاته وتكوين فريق عمل على أعلى مستوى للعمل بهذا المركز، وكان الهدف هو إعادة التنظيم للأمانة العامة بمجلس الوزراء بحيث يكون أساس التنظيم الجديد هو المعرفة وتكون أغلب الوظائف متصلة بالمعلومات ومن ثم تقل الوظائف التى تعتمد على العمل اليدوى والكتابى ويكون النشاط الأهم فى التنظيم الجديد هو التحليل والتشخيص أى التعامل بالمعلومات، وبعبارة أخرى وفى ظل هذا النظام الجديد يصبح اتخاذ القرارات معتمداً أكثر على نظم المعلومات وتكنولوجيا الحاسب الآلى الأمر الذى يسمح باتخاذ قرارات أسرع من خلال بحث بدائل أكثر.

التجربة السادسة : لا مركزية الإدارة:

تعانى الدول النامية ومنها مصر من مركزية الإدارة بمعنى تركيز سلطة اتخاذ القرار فى يد القائد الإدارى فى المنظمة ، وهذا يؤدى بطبيعة الحال إلى تأخير اتخاذ القرار حتى يصل من المستويات الأدنى إلى المستويات الأعلى ويؤدى كذلك إلى أن يفقد العاملون فى المستويات الأدنى الثقة فى أنفسهم.

لذلك أصبحت اللامركزية عنصرًا أساسيا من عناصر الإدارة الحديثة وفى خلال المناصب المختلفة التى تقلدتها طبقت هذا المبدأ حيث كنت منذ اليوم الأول لتولى أى نصب أستدعى المستشار القانونى وأطلب منه إعداد قرارات تفويض السلطات للمستويات الأدنى كلما كان ذلك ممكنا طبقاً لنص القانون ، وقد أثبتت هذه التجربة

نجاحاً كبيراً حيث كانت القرارات تصدر فى زمن قياسى وزادت ثقة العاملين فى المستوى الأدنى فى أنفسهم. أما الميزة الكبرى لهذا النظام فهى زيادة الوقت المتاح للتفكير فى السياسات والمسائل الهامة بدلاً من ضياع الوقت فى توقيعات عديدة يمكن أن تتم فى المستويات الأدنى.

التجربة السابعة : سياسة الباب المفتوح

هناك خطأ شائع عن سياسة الباب المفتوح حيث يعتبر الكثيرون أن السياسةتعنى ترك باب القائد الإدارى مفتوحاً طوال الوقت لاستقبال العاملين والمتعاملين والاستماع إلى آرائهم وشكواهم والواقع أن هذا المفهوم خاطئ لأن تطبيقة غير ممكن عملياً حيث يؤدى إلى ارتباك العمل. أما سياسة الباب المفتوح التى نقصدها فهى وجود صلة أو اتصال بطرق منظمة بين القائد الإدارى من جهة والعاملين والمتعاملين مع المنظمة من جهة أخرى.

وخلال فترة عملى فى مجلس الوزراء أوجدت صلة بينى وبين المستثمرين الذين كانوا قبل ذلك يضجون بالشكوى من مختلف الجهات الحكومية ومن القوانين والنظم المطبقة، وقد اخترت موضوع الاستثمار بالذات باعتبار أن مشكلة مصر الأساسية هى مشكلة ضعف الإنتاج ومن الطبيعى أنه لا يمكن زيادة الإنتاج إلا بزيادة الاستثمار، من أجل هذا أنشأت مكتباً ملحقاً بالأمانة العامة بمجلس الوزراء تحت اسم "مكتب شكاوى المستثمرين" وعينت به مجموعة من الأفراد على مستوى عال من الكفاءة والخبرة . وكانوا يستقبلون المستثمرين بابتسامة لم يعهدوها من قبل ويستمعون إلى شكواهم وآرائهم ومطالبهم ثم يقومون بعد ذلك باتخاذ القرار المناسب.

وقد نجحت هذه التجربة نجاحاً كبيراً حيث تم القضاء على الكثير من شكاوى المستثمرين، وتلقيت العديد من خطابات الشكوى منهم وأتذكر من بينها خطابا يقول فيه المستثمر إن مشكلته التى لم يتمكن من حلها خلال فترة ثلاث سنوات قد تم التوصل إلى حل لها خلال أسبوع واحد من تقدمه لمكتب شكاوى المستثمرين.

التجربة الثامنة : أهمية التدريب:

من الأمور المؤسفة فى الدول النامية بصفة عامة ومنها مصر عدم الاهتمام بالتدريب. وحتى إذا وجدنا اهتماماً فى إحدى المنظمات بالتدريب فإنه فى أغلب الأحيان لا يكون

فعالاً بسبب ضعف مستوى المتدربين أو ضعف البرامج التدريبية أو عدم اقتناع المتدربين بالتدريب وأهميته أو عدم كفاية الاعتمادات المخصصة للتدريب .. إلخ.

ولست فى حاجة إلى أن أؤكد أهمية التدريب للمستويات الإدارية المختلفة حتى يكونوا على علم بأحدث الأساليب الإدارية من جهة وحتى يتمكنوا من متابعة التطورات السريعة المتلاحقة سواء فى المجتمع الذى تعمل فيه المنظمة أو المتغيرات العالية ومن هذا المنطلق فى جميع المناصب التى تقلدتها كنت أولى التدريب أهمية كبيرة.

وأذكر فى هذا الصدد تجربة قمت بها حينما كنت رئيساً للوزراء فقد لاحظت أن ممثلى المنظمات الدولية بصفة خاصة البنك الدولى وصندوق النقد الدولى يأتون إلى مصر بصفة دورية ويلتقون بالمسئولين فى الأجهزة المختلفة (مجلس الوزراء، الوزارات ، البنك المركزي.. إلخ) ولكنهم لا يجدون المستويات الإدارية المناسبة التى يمكن أن يتلقون بها ويتناقشون معها.

ولذلك فقد وضعت نظاما لتدريب مجموعة كبيرة من العاملين فى الخارج للتعرف على نظم العمل بالمؤسسات الدولية وعادوا إلى العمل بمواقعهم بمصر ليلتقوا بممثلى المنظمات الدولية ويناقشون معهم على أعلى مستوى مما أدى إلى ارتفاع كبير فى مستوى الأداء فيما يتعلق بالمفاوضات الدولية.

التجربة التاسعة : ترشيد النفقات

لا شك أن القائد الإدارى فى أى منظمة يحاول دائما تعظيم نتائج أعمال المنظمة التى يرأسها. ولكن يلاحظ أنه فى معظم الحالات يتم الالتجاء إلى الأساليب السهلة لتحقيق هذا الهدف الذى قد يتحقق فى الأجل القصير ولكنه لا يمكن أن يستمر فى الأجل الطويل.

فالقائد الإدارى فى إحدى الشركات قد يلجأ إلى رفع أسعار المنتجات لزيادة الأرباح التى قد تتحقق فى الأجل القصير ولكنها ستختفى حتماً فى الأجل الطويل بسبب المنافسة. أما القائد الإدارى الناجح فهو الذى يلجأ إلى الحل السليم على الرغم من صعوبته ألا وهو ترشيد النفقات.

وتجربتى فى هذا الصدد حينما كنت وزيراً للمالية وجدت أن الموازنة العامة للدولة تعانى من عجز كبير وهو كما نعلم السبب الرئيسى فى ارتفاع الأسعار ، ولعلاج هذا لم

ألجأ إلى الحل السهل وهو فرض ضرائب جديدة أو زيادة معدلات الضرائب القائمة أو رفع الأسعار لأننى أعلم أن هذا الحل - رغم سهولته ، قد يقلل من العجز فى الأجل القصير ولكنه يؤدى حتماً إلى زيادة العجز فى الأجل الطويل لأنه يؤدى إلى نقص الاستثمار ومن ثم الوعاء الضريبى وبالتالى نقص الحصيلة الضريبية ، أى زيادةعجز الموازنة العامة للدولة. وعلى هذا الأساس فقد قررت علاج عجز الموازنة العامة للدولة عن طريق ترشيد ا لنفقات الذى يتضمن إلغاء جميع الاعتمادات غير الضرورية أى التى لا تؤثر على الإنتاج أو مستوى أداء الخدمات (السيارات الحكومية، السفر إلى الخارج، إعلانات النفاق ، الحفلات والمهرجانات ... إلخ) وقد أدى ذلك إلى تحسن ملموس فى عجز الموزانه العامة للدولة دون التأثير على الاستثمار.

التجربة العاشرة : الحوافز

خلق الله تعالى الإنسان كما خلق الجنة والنار فإذا سار الإنسان على الصراط المستقيم فإنه ينعم بجنات النعيم، إما إذا حاد عن الصراط المستقيم، فإنه يتقلب فى نار الجحيم.. ذلك هو النظام الإلهى للكون الذى وضعه المولى عز وجل بميزان دقيق. وإذا أمعنا النظر والفكر فى هذا النظام فسنجد أنه نظام للحوافز الإيجابية والسلبية، فالجنة هى الحافز الإيجابى والنار هى الحافز السلبي.

وقد علمتنى التجارب أن أى نظام وضعى لا يمكن أن ينجح فى تحقيق أهدافه ما لم يتضمن نظاماً دقيقاً للحوافز بأنواعها المختلفة، وتنقسم الحوافز إلى ستة أنواع تضمها ثلاث مجموعات : حوافز إيجابية وحوافز سلبية، حوافز جماعية وحوافز فردية، حوافز مادية وحوافز معنوية.

وفى جميع المناصب التى توليتها ، طبقت هذه الأنواع المختلفة للحوافز، وكانت النتائج مبهرة إلى حد بعيد:

فحينما كنت وزيراً للمالية، كانت الموزانه العامة للدولة تعانى من عجز كبير، فبدأت كما سبق أن ذكرت فى ترشيد ا لنفقات العامة للدولة ، ولكن هذا الإجراء وحده لم يكن كافياً لمواجهة العجز وفى نفس الوقت لم ألجأ إلى فرض ضرائب جديدة أو زيادة معدلات الضرائب القائمة حتى لا ينخفض الاستثمار ومن ثم يتأثر الإنتاج وتنتشر البطالة، ولذلك اتجه تفكيرى نحو القضاء على التهرب الضريبى ورفع كفاءة

تحصيل المتأخرات للضريبة، وكان من بين السياسات التى اتبعت لتحقيق هـذا الهـدف تطبيق نظام جديد للحوافز للعاملين فى مصلحة الضرائب وبشرط ألا تكون هناك مبالغة فى تقدير الضرائب أو تعسف فى التحصيل.. وكانت النتيجة أن زادت الحصيلة زيادة كبيرة ومن ثم انخفض العجز فى الموازنة العامة للدولة.

وبعد استعراض هذه التجارب العشر فى الإدارة فإننا نخلص إلى أن الدولة النامية ومنها مصر فى حاجة إلى جهاز إدارى قادر على التعامل بلغة العصر.

إن الإدارة أصبحت علماً له أصوله التى يتعين الإحاطة بها عن وعى وإدراك، فهى عملية فنية مركبة ومهنة تحتاج إلى تأهيل خاص، فالإدارة لم تعد موهبة شخصية فقط، وإنما هى قدرات ومهارات يتم تأصيلها بالعلم والدراسة، ويتم صقلهابالتدريب الجاد، وتتم تنميتها بالثقافة الشاملة، كما أن الإدارة ليست مجرد نظم وقوانين وإنما هى أيضاً عملية ترتبط بمجموعة من المبادئ والسلوكيات والمفاهيم الأخلاقية التى ينبغى تعميقها استناداً إلى القيم والتقاليد والعقائد والاتجاهات والمثل السائدة فى المجتمع.

والإصلاح الإدارى لا يعنى مجرد استبدال أفراد بآخرين أو إجراءات بغيرها أو قانون بآخر، وإنما يستدعى الأمر قبل كل ذلك أن يكون هناك فكر إدارى حديث وملائم، وكذلك قيادات إدارية تقتنع بهذا الفكر وتتمناه بل وتتحمس له، ومن ثم فإننا اليوم أكثر من أى وقت مضى فى حاجة إلى وضع فلسفة ورؤية شاملة واضحة للإصلاح الإدارى تأخذ فى اعتبارها الظروف الساسية والاقتصادية السائدة ومتطلبات الإصلاح الاقتصادى وتحسين وتطوير النظم الإدارية إلى جانب إعادة تنظيم أجهزة الحكومة المركزية وترشيدها.

إننا كذلك فى حاجة إلى إعادة النظر فى القوانين واللوائح المنظمة للعمل فى مختلف أجهزةالدولة، وبصفة خاصة القوانين التى وضعت فى ظل ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية مختلفة لأن هذه القوانين تتعارض فى كثير من الأحيان مع متطلبات الإصلاح الاقتصادى حيث أن كثيراً منها يعوق حركة الإنتاج والادخار والاستثمار والتجارة.

كما أننا فى حاجة إلى إعادة تنظيم الجهاز الإدارى للدولة للحد من تضخمه وتخفيف حدة البيروقراطية العقيمة، كما أننا فى حاجة إلى تبسيط الإجراءات الإداريةالخاصة

بالمعاملات المختلفة وعدم تكبيل الوحدات الإدارية التى تتعامل مع الجمهور بالقوانين والنظم واللوائح المتعددة والمعقدة، وهذا علاوة على ضرورة الارتقاء بالأسلوب الذى تقدم به الخدمةالإدارية للمواطن بحيث يشعر بكرامته وآدميته وأهميته ومن ثـم يتولـد لديه الشعور بالانتماء ، مما يجعله يتجاوب مع متطلبات برنامج الإصلاح الاقتـصادي، وفى الإصلاح الإدارى أيضاً لا بد من الحد من ظاهرة العجز فى قيادات الصف الثاني.

تلك الظاهرة التى اتـسعت فى الـسنوات الأخـيرة وأصـبحت تـشمل العديـد مـن القطاعات الإنتاجية والخدمية وتزايدت حدتها بشكل كبـير، وإذا كـان مـستوى الأداء فى أى وحدة إنتاجية أو خدمية يتوقف أساساً على من يشغلون المناصـب القياديـة فـإن الأمر يستدعى اختيار هـؤلاء طبقـاً لأسـس موضـوعية تخـضع لمعـايير الحيـدة التامـة وتسقط معيار الأقدمية المطلقة ، كما أن تقييم من يشغلون المناصب القيادية لا يجـب أن يقتصر على ما يبديه الرؤساء من آراء لا تخرج فى معظم الأحيان عن العبارات الإنشائية وإنما يجب أن يتم التقويم من خلال اختيارات للقدرات تبين مـدى القـدرة عـلى اتخـاذ القرار وقيادة الأفراد وحل المشكلات وكذلك مـن خـلال دورات تدريبيـة تتفـق مـع متطلبات الوظيفة القيادية.

وهكذا يمكن القول بأنه لا مجال للحديث عن أى إصلاح اقتصادى ما لم يواكبه بل يسبقة إصلاح إدارى شامل.

وإذا كانت التجارب العشر التى أشرنا إليها فى هذه الورقة تتعلـق بالعمـل الإدارى فى الأجهزة الحكومية ، فإن الأمر لا يختلف كثيراً عنه فى حالة المشروعات الخاصة حيث يمكن أن تستفيد إلى حد بعيد من هذه التجارب.

وفى ختام هذه الورقة نورد نص ما ذكره بيتر دروكر **Peter Druker** أستاذ الإدارة فى جامعة هارفارد بالولايات المتحدة ، عـن دور الإدارة فى التنميـة الاقتـصادية حيـث يقول يمكن القول دون إمعان فى التبسيط أنه ليس هناك دول متخلفة اقتـصادياً ، وإنـما هنك دول متخلفة إداريا فقط ، فكـل تجاربنـا فى الـدول الناميـة تؤكـد أن الإدارة هـى المحرك الأساسى للتنمية وبدون توافر هذا العنصر لا يمكـن تحقيـق التنميـة حتـى لـو توافرت جميع عناصر الإنتاج الأخرى.

• الدعم يخصص للفقراء ومحدودى الدخل، لكن طريقة إدارة الدعم الخاطئة والموروثة تعطى من لا يستحق على حساب من يستحق مما أحدث تشوها فى الموازنة العامة للدولة، كذلك فإن محاولة لإعادة ترتيب الأولويات فى مسألة الدعم محفوفة حتما بمقاومة أتوقعها شرسة من المجتمع .. ما هى الطريقة المثلى لحل هذا اللغز الشائك ؟؟

●● الدعم ضرورة ولا يمكن لأى إنسان عاقل أن ينادى بإلغائه ولكن فى الوقت نفسه أنا لا يمكن أن أقبل الوضع كما هو عليه الان .. لماذا ؟ لأن نظام الدعم المطبق فى مصر يتم تطبيقه منذ أكثر من نصف قرن من الزمان وعلى وجه التحديد مع الحرب العالمية الثانية ، بدأ الدعم بمبالغ بسيطة جدا عبارة عن عدة ملايين أما الآن فقد وصل الى ١٠٠ مليار حيث الدعم المباشر والدعم غير المباشر والدعم الضمنى .

هل المشكلة فقط أن حجم الدعم كبير بالتاكيد لا ، أما المشكلة الحقيقية هى أنه فى ظل نظام الدعم العينى الحالى جزء كبير منه لا يصل إلى مستحقيه .. إن هناك مهانة فى الحصول على الدعم .. انظر الى الطوابير والمشاكل المترتبة على ذلك

استيلاء الكثيرين من غير المستحقين للدعم على نسبة كبيرة كانت فى الأساس موجهة للفقراء والمستحقين لهذا الدعم

• السؤال كيف نوصل الدعم إلى مستحقيه ؟ كيف نضمن عدالة فى التوزيع ؟ ومن أين نبدأ ؟

● هنا لابد من اتباع الملاحظات الآتية :

أولا أن تتم عملية تحويل الدعم العينى إلى نقدى بالتدريج اللازم

ونبتعد عن الخبز لآخر مرحلة ثم نحدد بدقة من يستحق ونوصل الدعم بكرامة بعيدا عن امتهان كرامة الناس .

• الدكتور على لطفى..

إن صناعة الأمل والتفاؤل من الصناعات المعقدة والصعبة التى تحتاج إلى فهم خاص من القائمين عليها لذلك تأخرت مصر كثيرا فى هذه الصناعة.

كيف نصنع الأمل ونبث التفاؤل حتى ننتشل الشباب من دوامات الإحباط واليأس الذى يحطم إرادة الأمة .. أى أمة ؟؟

●● بداية الأمل ليس وهمًا !!!

إننا لن نضحك على الناس حتى نعطيهم جرعات الأمل المطلوبة.

أنا أسير بمبدأ أن الحياة أمل فبلا أمل لا يكون هناك حياة وأقول قولة أعتد بها وأعمل بها فى حياتى وهى :

(الحياة أمل يلازمها ألم يفاجئها أجل) هذه هى فلسفتى فى الحياة

إننى ضد أن نضحك على الناس بحجة إشاعة الأمل وبث الطمأنينة. لا يصح أن نحضر علماء نفس وعلماء اجتماع ونجعل مهمتهم إشاعة الأمل .. لابد وأن تكون هناك مؤشرات تعطى الناس الأمل وتشيع التفاؤل عندما يجد الناس أن هناك تحسنا فى معدلات المعيشة وأن هناك تحسنا فى حالة البلد عموما من كافة النواحى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، عندما يرتفع المستوى الصحى والتعليمى والثقافى سيصل الأمل إلى الناس دون وسطاء. بهذا أستطيع أن أبث الأمل ، وهنا أذكر بعض الكتابات فى بعض الصحف والقنوات الفضائية قد تكون محبطة والمطلوب هنا ليس قصف تلك الأقلام أبدًا وإنما المطلوب هو أن يحس هؤلاء بمدى تأثير المغالاة والتضخيم للسلبيات. إننا نقدس الحرية وندافع عنها بشراسة ولكن الحرية يجب أن تكون حرية مسؤولة بأن تفعل ما تشاء فى حدود القانون وبما لا يمس الآخرين، فالحرية أبدا لا تعنى الفوضى فلا يجب أن ننظر إلى نصف الكوب الفارغ فلا ننسى أن هناك نصفًا آخر ممتلئًا. الواجب أن ننظر إلى الاثنين معا بموضوعية وإيجابية .

● **الكتور على لطفى**

كيف ترى مصر الآن ؟ وكيف ترى الشعب المصرى؟ هل هى فى وضعها الملائم وحجمها الطبيعى ؟هل هى فى مكانها ومكانتها؟

●● أرى أن هناك تقدما حدث بالمجتمع فى معظم المجالات وأرى أن هناك أرقامًا حقيقية تذاع عن حقيقة الأوضاع. عموما أنا أرى أن هناك أملا فى الحياة ولكن بالتأكيد هناك مشاكل ما زالت قائمة وكل ما أرجوه فى المستقبل أن نركز على حل تلك المشاكل وأن يكون هناك مزيد من محاربة الفساد الذى زاد زيادة لا جدال فيها وأعتقد أن أهم الأسباب فى زيادة الفساد هو عدم التمسك بالقيم الدينية. وهنا دور المؤسسة الدينية فى التوعية فلا يكفى أن نصلى ونصوم ونحج وتكون سلوكياتنا ومعاملاتنا عليها علامات استفهام .

كما أرى أن تقارير الجهاز المركزى للمحاسبات يجب أن نتعامل معها بطريقة مغايرة تماما ، فتلك التقارير يجب أن يتم نشرها ولا يتم التزرع بأن عمليات النشر ستصيب الناس بالإحباط واليأس ، الناس يجب أن تعرف كل شيء. فمحاربة الفساد ليست مسؤولية جهة ما بعينها وإنما هى مسؤولية المجتمع بأسره. وهنا أقول إن تلك التقارير عندما تعرض على المجالس النيابية لابد من اتخاذ إجراء ما عاجل وسريع تجاه ما ينشر حتى لا تتحول تلك التقارير إلى حبر على ورق. لابد من إبلاغ النيابة ، لابد من نشر كل التفاصيل على الملأ وهذا هو الضمانة الأساسية لمحاصرة الفساد والقضاء عليه. لابد من تفعيل الأدوات الرقابية (الجهاز المركزى للمحاسبات ، الرقابة الإدارية، النيابة الإدارية ، مباحث الاموال العامة ... إلخ) علاوة على التوعية الدينية فى دور العبادة فللدين وتعاليمه دور مهم فى دولة مثل مصر

يقول الدكتور على لطفى فى ختام اللقاء ....

عموما إن كان لى أن أقول كلمة ختامية فى هذا الكتاب التاريخى الذى يستشرف المستقبل فإننى أقول للشعب المصرى الأصيل يجب أن نتعاون ونضع أيدينا جميعا كيد واحدة ونعمل كفريق واحد فالاعمال الفردية دائما لا تكون جيدة ولا مفيدة ، وعندما سُئل الدكتور زويل كيف وصلت إلى ما وصلت اليه من أبحاث ونظريات ونجاحات قال هذا جهد أكثر من ثلاثين شخصا ، وهذا هو العمل الجماعى كفريق واحد وحقيقة

العمل كفريق هو ما ينقصنا فى مصر وفى هذا السياق يقول رب العزة (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان).

وأقول للمواطن المصرى من حقك أن تشتكى لكن ليس من حقك أن تظل تشتكى وتشتكى دون أن تقدم حلولا ورؤى وأفكارًا وأطروحات. إنه من السهل أن نقوم بانتقاد كل شيء لكن الأهم هو كيف نقدم حلولا للمشاكل القائمة والمزمنة

أقول مقولة (فلنقم جميعا من مقاعد المتفرجين الى قواعد المنتجين .. نعمل وننتج وننتقد).

أقول للمواطن المصرى كذلك عليك أن تطالب ولا تتخاذل ولا تتنازل عن حقك ولكن شرط أن يتم كل ذلك بالطرق المشروعة ، وفى نفس الوقت عليك واجبات لابد وأن تؤديها .. كل شخص فى موقعه عليه دور .. العامل والمهندس والطبيب والفلاح والكاتب واستاذ الجامعة والجندى، كل هؤلاء لا يجب عليهم أن يعملوا بجد واجتهاد ولا يكتفى كل منهم بتوجيه النقد إلى الآخرين دون أن يركز كل منا على تطوير نفسه وانتقاد نفسه أولا حتى لا نستمر فى دوامات نقد الآخر دون تقديم حلول بديلة للمشاكل التى نقوم بانتقادها.

فليسأل كل منا نفسه ماذا فعلت وماذا كان يجب على أن أفعل !!

والكلمة الأخيرة أقوم بتوجيهها للحكومة المصرية فمهما قام الأفراد بأدوارهم بقى الدور الأهم وهو دور الحكومة التى تقود دفة الأمور، إنها هى القائد والرائد إنها تقوم بإدارة الأفراد وليس العكس، الأفراد لا يقودون الحكومات

وعلى الحكومة المصرية أن تسارع فى حل المشاكل السابق ذكرها من بطالة وتضخم وسوء توزيع الدخل وانتشار العشوائيات كما على الحكومة أن تتعامل بشفافية ووضوح ومشاركة فى كل أعمالها .

***



الكاتبة

فتحية العسال

هذه المرأة المصرية تمثل (حالة استثنائية) .. رحلة طويلة من الكفاح والتمرد .. تمردت أولا على الجهل والأمية والتخلف ، ثم واصلت رحلة التمرد على الجمود السياسى والفكرى والتنويرى حتى وصل بها قطار التمرد إلى غياهب السجون وخرجت من سجنها لتواصل تمردها على الكثير من الأوضاع القائمة ، إنتاجها الأدبى والفنى مثار إعجاب واحترام كل الوطنيين من كافة التيارات والاتجاهات.. امرأة مصرية وسط مجتمع ذكورى .. تواجه الأزمات بصلابة نادرة.. تحمل رأسا به أفكار ومبادئ وثوابت ولها قلب عاشق للحرية يفيض حبا وحنانا للجميع

دخلت معارك عديدة دفاعا عن ما تعتقد أنه الصواب .. دخلت السجن بسبب صلابة مواقفها المناهضة لاتفاقيات كامب ديفيد ليس ذلك فحسب بل وصل بها الأمر إلى الانفصال عن زوجها .. حيث تضاربت الرؤى والقراءات للقضايا والاحداث الوطنية خاصة مبادرة السلام واتفاقيات كامب دافيد وغيرها من القضايا العامة .. إن من يقرأ السيرة الذاتية لهذه المرأة المصرية لابد وأن يتذكر ذلك الزمن الجميل .. زمن التنوير والثقافة والأدب ، زمن القمم الوطنية الأصيلة. قرأت سيرتها الذاتية فلمست كل معانى العزيمة والتحدى والكفاح والإصرار. لكن التمرد كان هو الصفة الأكثر وضوحا فى حياة هذه المرأة المصرية الرائعة ..

● فتحية العسال .. سألتها بوضوح عن المستقبل .. كيف نعبر للمستقبل ؟ كيف نستطيع أن نقضى على معوقات الانطلاق؟ كيف نستطيع أن ننحى خلافاتنا جانبا ؟ والأهم كيف نستطيع أن نتفق على الأولويات الوطنية فى هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ مصر؟

●● أجابتنى بمنتهى الوضوح قائلة :

مستقبل مصر فى يد الشعب المصرى ، الشعب المصرى الذى يعانى أشد المعاناة من الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، فالظروف الاقتصادية الراهنة ألقت بظلالها على معظم جموع الشعب المصرى وتركت آثارا سلبية على جميع المجالات ولم يعد هناك مد ثقافى فى البلد. هذا المد الذى نتجه منه صوب المستقبل. وهنا أتذكر عصر التنوير الذى كان بمثابة إضاءة حقيقية للمستقبل . واليوم نحن فى أمسّ الحاجة إلى بعث جديد لعصر التنوير ، وهذا لن يتأتى مصادفة ولكن لابد من تطور فكرى واجتماعى وسياسى ، وتجربتى الذاتية فى صناعة التطور خلاصتها هى أن تتمرد أولا ثم تثور، ثم تقوم بالتحضير لثورة. وهذا هو المسار الطبيعى للتطور . أما اليوم فنحن لسنا فى تحضير لثورة، فالتحضير لثورة طويل جدا وهذا ليس موضوعنا الآن .. نحن اليوم نعيش ظروفًا حياتية يومية تحتاج منا أن نثور عليها وعلى تطبيقها . نحن كذلك فى حاجة ماسة إلى أن (تتجمع) كافة التيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. لابد أن نتجمع فى بوتقة واحدة لنجيب عن سؤال واحد (مصر رايحة فين) و (علينا نعمل إيه) لأن (ما حدش ها يعمل لنا حاجة .. ما حدش ها ييجى يغير لنا البلد دى .. إحنا اللى لازم نقوم بالتغيير وهنا لازم نعرف إحنا ها نغير لإيه وإزاى وهانروح فين).

ولكن من ينبغى له أن يقوم بعملية التغيير ؟ التغيير مسؤولية من ؟

إننى أدعو إلى إنشاء وتشكيل جبهة جماهيرية ضخمة من كافة التيارات والاتجاهات لمناقشة الأوضاع فى مصر .

● قاطعتها للمرة الثانية ـ علينا أن ننظر إلى المستقبل ونترك مرارة الواقع ومآسيه قليلا ..

●● نحن لا نستطيع أن ننظر الى المستقبل قبل أن نعرف ماذا يدور فى الحاضر، لا أستطيع أن أبنى (بكرة) دون أن أنظر إلى (النهاردة) .

علينا أن نفتش فى الماضى والحاضر ونعرف الأسباب الحقيقية لأزماتنا، حتى نستطيع أن نقوم بعلاجها جذريا. لابد كذلك أن نعرف المتسبب فى تلك الأزمات حتى نستطيع أن نصل إلى جذور المشكلة، وننظر إليها نظرة شاملة ومن كافة الجوانب، وهنا أتذكر مهزلة الانفتاح التى تمت دون ترتيب وتخطيط ودون غطاء قانونى ومؤسسى. لذلك فسياسة الانفتاح أفرزت طبقة طفيلية من أصحاب المصالح الذين

ليس لهم هم سوى تحقيق المكاسب العاجلة بأى وسيلة . وكان من تداعيات تلك السياسة ضياع صوت العمال. فلم يعد هناك حركات عمالية بالمعنى السليم. وأصبح العمال يتحركون فرادى، فلا يوجد لدينا الآن طبقة عمالية. وتعمقت المشكلة بعد بيع وإغلاق العديد من المصانع. ومن هذه النقطة تحديدا أدعو إلى الاستقلال الاقتصادى حتى نستطيع استيعاب الشباب داخل سوق العمل من خلال مشروعات حقيقية وطنية .

● قاطعت الكاتبة فتحية العسال للمرة الثالثة

كيف نستطيع تحقيق الاستقلال الاقتصادى ؟

●● ردت بسرعة .. يتحقق الاستقلال الاقتصادى بتطبيق منظومة (شبه القطاع العام) ولكن ليس القطاع العام. ويتم ذلك بشكل مدروس حيث يتم إنشاء مؤسسات تابعة للدولة برؤوس أموال وطنية تعمل لمصلحة الوطن وليست رؤوس أموال خائنة تعمل لمصلحة جهة خارجية . فلابد أن أساعد وأشجع الرأسمال الوطنى لا أن أحاربه وأقف ضده وأحابى رأس المال الأجنبى .

● بالمناسبة أين ذهبت الطبقة الوسطى فى المجتمع المصرى؟

●● الطبقة المتوسطة (انفرمت) بين الرأسمالية المتوحشة والدولة التى تعمل من أجل مصالح الرأسمال الأجنبى. الدولة تركت التعليم والصحة بلا ضابط، وأصبح المواطن البسيط لا يجد تعليما جيدا ولا صحة ولا رعاية، ومع أول معاناة صحية يعجز عن التعامل مع المنظومة الصحية الاستثمارية التى تتعامل بلا رحمة، فتكون النتيجة الحتمية أن تنتشر الأمراض وتعتل صحة المواطنين والدولة غائبة وليس لها وجود على الإطلاق .

● أعود إلى النقطة الأهم وهى تحقيق الاستقلال الاقتصادى حتى نتمكن من العبور الحقيقى للمستقبل من خلال تفعيل دور الرأسمال الوطنى.

●● لابد من إنقاذ الغلابة من أبناء هذا البلد والدولة لن تسعف أحدا ولن تنقذ أحدًا بسياستها الحالية. لكن الذى يستطيع أن ينقذ هؤلاء هو الرأسمال الوطنى الحر

من خلال وجود شكل من أشكال الوحدة والترابط بين حلقات الرأسمالية الوطنية ، وهنا سنجد قيادات حقيقية وفى شتى المجالات الثقافية والفكرية والسياسية والاقتصادية ، وهنا لابد من وجود أحزاب قوية حتى تستوعب هذه القيادات وتثقلها وتربيها سياسيا وتوفر لها أدوات العمل السياسى والمنابر المختلفة ، وأنا شخصيا موجودة فى حزب التجمع من أجل أن أجد منبرا أتحدث من خلاله كمنبر وتنظيم.

وهنا لابد من التأكيد على أن الحرية والديمقراطية هى التى تعطينا الفرصة أن ننظم أنفسنا وأن نعبر عن آرائنا وأن نتظاهر من أجل لقمة العيش. لابد أن تسمح الدولة لنا بأن نقول رأينا فيها وفى أدائها بكل حرية. لكن واقع الأمر أن الحكومة تقوم بصياغة وتمرير القوانين المختلفة دون أية مشاركة من جانب الشعب. هذه النقاط لابد من مواجهتها أولا وقبل الحديث عن المستقبل بأى صورة.

● سألت الكاتبة فتحية العسال :

ما هى الآثار المترتبة على انتهاج سياسة الانفتاح العشوائى الذى أسميتيه (مهزلة)؟

●● لقد تحولت قيم الإنسان إلى قيم انتهازية استهلاكية من أجل لقمة العيش والمتطلبات الحياتية اليومية فالمواطن يعيش فى دوامة مستمرة وبالتالى إذا جاءت فرصة لأحد هؤلاء ليبيع نفسه فسوف يبيع نفسه بلا تردد !

هذا هو الواقع الذى نعيشه .. ولابد من تغييره .. ونتساءل من المسؤول عن هذا الواقع الأليم الذى نعيشه ؟هل هى الدولة والنظام ؟ أبدا لن نقول الدولة والنظام ولكن لابد أن نقول ونعترف أننا نحن المسؤولون!! سنقول نحن المسؤولين .. لماذا .. لأننا ببساطة ساكتين للدولة !

وهنا أوضح أننا ـ كأصحاب فكر ـ يجب علينا أن نبدأ فى تنوير الفقراء ، فليس من المقبول أننى وباسم الفقر أبيع أى شيء مع أول عرض !!

لابد من إعادة عصر التنوير فى مصر ، وهذا لن يتأتى إلا بالتجميع الجماهيرى والعمل يدًا واحدة فى صورة حركة .. هذه الحركة لن تصنع نفسها ولكن يتم صناعتها ببذل الجهد وهذا الجهد من الممكن أن يكون خارق للقوانين. فأنت عليك

أن تمرر هذا الاصطدام ومن الممكن أن تدخل السجن (إيه يعنى .. ما تدخل السجن وإيه يعنى).

الخلاصة :

مصر تحتاج انتفاضة .. انتفاضة ضد النظام والدولة .

● **قاطعت الكاتبة فتحية العسال:**

انتفاضة وضد النظام ؟؟!!

●● قالت (إذا ما كانتش ضد الدولة هتبقى ضد مين)

فالدولة هى التى سمحت لرؤوس الأموال العميلة بالتسلل إلى المجتمع المصرى والتأثير فى مجريات الاقتصاد المصري

وأتساءل من الذى سهل لأحمد عز كل هذه التسهيلات إذا لم تكن الدولة هى المسؤولة ؟؟!!

وهنا لابد من الثورة ضد الواقع .. لابد أن أثور على الواقع وأتحمل حتى، نستطيع أن نغير .

لابد أن نتجمع ونثور وننتفض .. ونعرف أننا نقوم بمواجهة أنفسنا لأننا استسلمنا تماما، لا أدرى كيف ولماذا وصلنا إلى تلك الحالة .. عقم فى التعليم ، انهيار فى الصحة ، تراجع فى كل شيء.

هناك حالة غريبة فى البلد ، (هما عايزين إيه ؟ عايزين يعموك عن الحقيقة .. عايزين يشتروك .. عايزين يبطلوك تتساءل .. عايزينك ترضى بالموجود وإنت ساكت.. كل ذلك بيعملوله أفلام وكليبات).

وهنا نرى الرأسمالية غير الوطنية تتحكم فى الفكر والثقافة والتنوير وتقوم بتطويعها لمصلحتها وبالتالى نحن ندور فى حلقة مفرغة .

الحل والخلاصة هى الانتفاضة من أصحاب المصالح ، وهذا لن يتأتى إلا بالتجميع على أسس قوية .

● شـهدت مـصر خـلال الفـترة الماضـية سلـسلة مـن الإعتـصامات والإضـرابات كانـت بمثابـة حـراك اجتمـاعى ملحوظ..

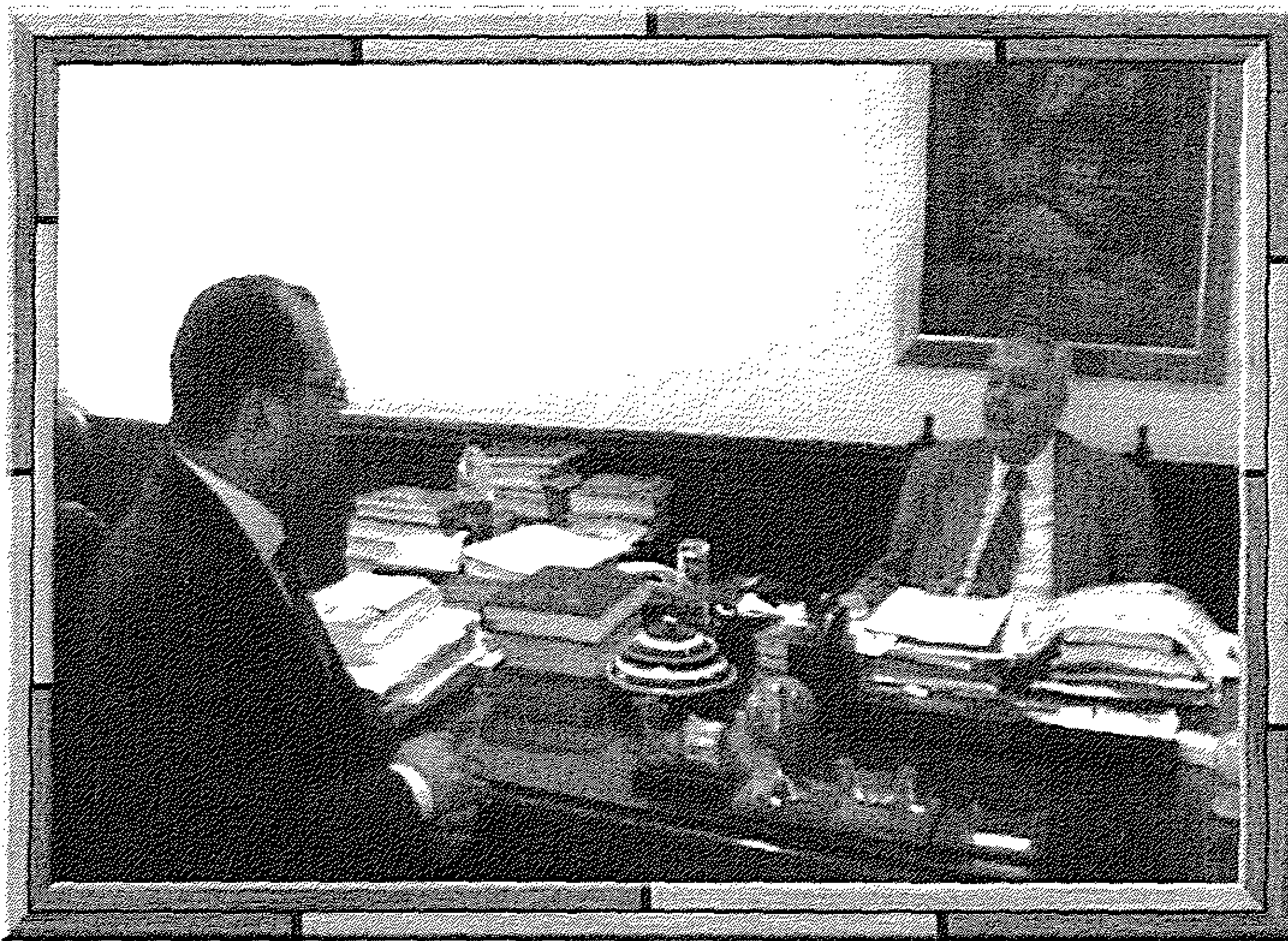
كيف تنظر الكاتبة فتحية العسال إلى هذا الموضوع ؟

●● أنا عموما أفرح جدا عندما أجد خمسة أو ستة أفراد متجمعين. هناك العديد من المبررات لهذا السلوك.. فارتفاع الأسعار، وعدم عدالة توزيع الدخل، وما يدور من انتهاكات للسيادة لبعض الدول المحيطة التى لسنا بعيدين عنها وتؤثر فينا بطريقة مباشرة

لقد تآكل دورمصر تماما بعد كامب دافيد ، وأنا شخصيا كنت ضد هذه الاتفاقية حتى وصل الخلاف بينى وبين زوجى الحبيب إلى الطلاق بسبب هذه الإتفاقية. فأنا أرى أن هناك انعكاسات سلبية خطيرة، أما زوجى فكان شخصًا رومانسيًّا ووطنيًّا وعظيمًا، لكنه كان يستبشع ما أقوله وهذا ألقى بظلاله على كل حياتنا وتم الطلاق.

واليوم لا بد من التنوير والعمل الجماعى والتحرر الاقتصادى إذا كنا حقا جادين فى العبور للمستقبل.

***



الدكتور

يحيى الجمل

بكلمات جادة وعبارات صارمة جاءت رؤية الدكتور يحيى الجمل لمستقبل مصر ، فالرجل أحد أساطين القانون .. أستاذا ومعلما وفقيها دستوريا ومرجعا موثقا ، لذلك كانت الصراحة والموضوعية هى العنوان الأبرز لرؤية الرجل ، فالصورة العامة تبدو ضبابية إلى حد بعيد، وكان الرجل يحاول أن يستشرف ملامح المستقبل بصعوبة شديدة، بيد أن الرجل حاول أن يبدد قلقا بدا على ملامحى عندما تحدثنا عن اللحظة الراهنة لوطن يسير بلا جدول أعمال. لقد وضع الدكتور يحيى الجمل يده على بيت الداء وبدأ فى وصف جرعات الدواء ..

● قلت للدكتور يحيى الجمل إننى أجريت سلسلة من الحوارات مع عدد كبير من الشخصيات وقد اتفق الجميع على خطورة الوضع الراهن وعلى حتمية اتخاذ خطوات جادة نحو الإصلاح ، لكن أولويات الإصلاح تباينت حسب الرؤية الخاصة لكل شخصية ، فما هى ملامح خريطة المستقبل فى ضوء الرؤية المستقبلية للفقيه الدستورى الدكتور / يحيى الجمل؟

●● يقول الدكتور يحيى الجمل:

بداءة أنا أتفق مع كل من قال لك إن الوضع فى مصر خطير، وأن مصر تعيش أزمة حقيقية على جميع المستويات سياسيا واقتصاديا وثقافيا ، أزمة متعددة الوجوه وفى تقديرى لابد أن تسارع مصر بالخروج من هذه الأزمة ، والخروج من هذه الأزمة له أحد طريقين .. طريق أنا أرفضه بداءة وأرجو أن يجنبنا الله إياه ، ويتمثل هذا الطريق فى تراكم الاحتقان وتراكم الإضرابات وتراكم الغضب لكى يؤدى فى النهاية الى انفجارمدمر لكل شيء. وهذا ليس فى مصلحة أحد على الإطلاق ، لا فى مصلحة النظام الحاكم ولا فى مصلحة الشعب المصرى ، إذن لابد من محاولة جادة وحقيقية

لتفادى الانفجار، فكيف نتفادى الانفجار الذى يبدو أنه قادم حتما ما لم تكن هناك وقفة جادة لإصلاح حقيقى وجاد ؟

وأنت تقدم الموضوع ذكرت عبارة أنا كتبتها على رأس مقال بعنوان (يحسبون أنهم يحسنون صنعا). أيضا عندما تكلمت عن الرؤية أنا دائما أقول لابد من (بوصلة) نهتدى بها. وكتبت مقالًا فى الأهرام منذ فترة بعنوان (غياب البوصلة). وأى نظام لابد وأن يكون له بوصلة. وسأبدأ الحديث معك بقضية بسيطة جدًا، ففى الأيام الأخيرة جرت الانتخابات فى زيمبابوى، وهى من أكثر بلاد العالم تخلفا وعلى رأسها حاكم مستبد فى نفس الوقت الذى جرت فيه الانتخابات فى بريطانيا. فى زيمبابوى جاءت الانتخابات برئيس جديد والانتخابات فى بريطانيا جاءت بحزب المحافظين فى الانتخابات المحلية. فى نفس الوقت التى جرت فى مصر ما يسمى بالانتخابات المحلية، والجميع يعرف - بما فيهم السلطة- ما جرى من عبث فى هذه الانتخابات حيث لم يذهب أحد إلى لجان الانتخابات ، وفى أحسن التقديرات فإن النسبة لا تتعدى ٢٪ ، فهل من المعقول أن مصر لا تستطيع أن تكون مثل زيمبابوى ! وأنا أتصور أن يقوم الرئيس حسنى مبارك الذى أعطى لمصر الكثير .. فخاض حرب أكتوبر وعرض حياته للخطر، وكانت روحه على كفيه ، وعندما جاء إلى الحكم كانت مصر تمر بظروف قاسية واستطاع أن يمتص التوتر ، و ساهم فى إنشاء البنية الأساسية و أتاح مساحة واسعة من حرية التعبير. أنا أتوجه للرئيس حسنى مبارك وأقول له بيدك تحول دون حدوث الانفجار ، ولا يمكن أن تحول دون حدوثه بالعلاوات ومانشيتات الجرائد. كذلك لا يمكن أن تحول دون حدوث هذا الانفجار عن طريق الأمن. وكل هذه الأمور مجتمعة لا يمكن أن تحول دون حدوث هذا الانفجار. وإذا ظلت الأمور على ما هى عليه فالانفجار قادم لا ريب فيه. لكن كيف نتفادى الانفجار؟ كيف نتفادى الدمار والعياذ بالله ؟ كيف نتفادى مزيدًا من التخلف ؟ أنا أقول إن تجارب العالم واضحة أمامنا، فالعالم نهض على قدمين .. الأولى هى الديمقراطية وحقوق الإنسان، والقدم الثانية هى البحث العلمى. والسؤال الذى يطرح نفسه الآن ، ماذا لدينا من هاتين القدمين ؟ الإجابة ليس لدينا منهما شيء على الإطلاق. ليس لدينا ديمقراطية ولا حقوق إنسان ولا بحث علمى ، لذلك أدعو الرئيس أن يعلن غدا - وليس بعد غد - الدعوة إلى جمعية تأسيسية منتخبة تحت إشراف قضائى لكى تضع دستورا جديدا لمصر. وفى نفس الإعلان يعلن الرئيس أنه باق فى السلطة لمدة سنة واحدة إلى أن يوضع

هذا الدستور. فالجمعية التأسيسية تنتخب تحت إشراف قضائى ثم تضع الدستور الجديد، ومن الممكن أن تستفيد من دستور ١٩٧١ قبل التشوهات التى حدثت به فى الفترة الأخيرة ، فهذه ليست تعديلات دستورية لكنها تشوهات دستورية. لقد أسميتها خطيئة دستورية ، نخلص من ذلك أنه يمكن الإستفادة من دستور ١٩٧١ ودستور ١٩٥٤ . وكذلك يمكن الاستفادة من تجارب دول أوربا الشرقية . فكثير من دول أوربا الشرقية مرت بتجارب إصلاحية واستطاعت التغلب على عوامل التخلف بالديمقراطية. فوضع دستور جديد يتيح حرية تكوين الأحزاب بغير قيود ، أما الرأى الذى يقول إن ذلك سيجعل عدد الأحزاب يزيد بطريقة مثيرة ومن الممكن أن يصل العدد إلى أكثر من مائة حزب ، أقول ليس هناك مشكلة فعدد الأحزاب الفاعلة لن يزيد على أربعة أو خمسة أحزاب ، فنحن لدينا الآن ثلاثة وعشرين حزبا لا وجود لهم ولا أحد يذكر أسماءهم ، فالجزائر بها أكثر من مائة وثلاثين حزبا، وكذلك أسبانيا بها نفس العدد تقريبا ، لكن الذى يعمل على الساحة أربعة أو خمسة أحزاب. إذن لابد من إطلاق حرية تكوين الأحزاب.. هذا أولا ، أما النقطة الثانية فلابد من نصوص فى الدستور تمنع بقاء رئيس الجمهورية فى موقعه أكثر من مدتين. وهذه النقطة أخذنا بها فى دستور ١٩٧١ خلال أول سنتين ، لكن تم تعديل الدستور ليتيح لرئيس الجمهورية البقاء فى منصبه مدى الحياة !! لكن لم يستفد الرئيس الذى عدل النص فى عهده لأن قضاء الله كان أسبق ! وجاء الرئيس حسنى مبارك.. وأنا أعلم يقينا أنه لم يكن سعيدا بالمنصب فى بدايات حكمه ، وكان راغبا ألا يبقى فى المنصب فترة طويلة .. الرئيس كان يقول ذلك فى البداية .. لكن ما حدث بعد ذلك أنه تصور أو صور له من حوله أن مصر ليس فيها غيره ، وهذا غير صحيح فمصر مليئة بالكفاءات ومليئة بالشخصيات المخلصة التى يمكن أن تعطى عطاء حقيقيا لهذا البلد. أنا أقول لابد من حرية تكوين الأحزاب ولابد من تداول السلطة ، ولابد من استقلا ل القضاء ، فمنصب وزير العدل ليس له معنى فهو وزير للمحاكم ولا يجب أن يتدخل فى عمل القضاة، فيجب أن يكون هناك استقلال حقيقى للقضاة . وبعد ذلك فالشعب من حقه أن يقرر مصيره بنفسه ، فميزانية جامعة القاهرة يتم إنفاقها بالكامل على مرتبات الموظفين والأساتذة ولا يبقى للبحث العلمى شىء على الإطلاق . وهكذا كل المؤسسات العلمية. فلابد أن يأخذ البحث العلمى حقه ، فميزانية الأمن المركزى أكبر من ميزانية الجامعات مجتمعة. فالنظام يعتمد اليوم على الأمن ، لكن التاريخ علمنا أن الأمن لا يمكن أن

يحمى نظامًا ما من أنظمة الحكم على الإطلاق ، فرجال الأمن جزء من المجتمع منهم الغاضب والساخط والقلق والرافض، وإن كانوا لا يصرحوا بذلك أو يبدونه . نخلص من ذلك أن حماة النظام أصبحوا ينظرون الى النظام نظرة إرتياب، ويشعرون أنهم مسخرون لغير ما يريدون فى داخلهم. كل هذا يمكن أن نتفاداه بمزيد من الديمقرطية الحقيقية وليس بالكلام عن الديمقراطية . فالهدف هو تجنيب مصر الانفجار عن طريق وجود بوصلة تقودنا الى الديمقراطية والبحث العلمى، كقدمين يمكن أن تنطلق مصر بهما إلى المستقبل وذلك اهتداءً بالعديد من تجارب الدول التى سبقتنا. ولنا فى الهند القدوة والمثل .. حيث خرجت الهند من استعمار مرير، وكذلك انفصال الباكستان عنها. والهند مشاكلها لا تحصى لكن نهرو وحزب المؤتمر آمنوا بالديمقراطية. ورغم كثرة وتعدد العرقيات واللغات والديانات فى الهند إلا أن الهند انتفضت. بالديمقراطية والبحث العلمى استطاعت الهند أن تكون دولة نووية ودولة مصدرة للبرمجيات والعمالة للعالم كله ، فالهند تصدر موارد بشرية متدربة ومتعلمة. فلابد من المصدر الحقيقى للتقدم وهو الديمقراطية والبحث العلمى .

● قلت للدكتور يحيى الجمل

هناك من يعبث بذاكرة الأمة عبر الكتابات الخاطئة للتاريخ .. فمن يحمى ذاكرة هذه الأمة ؟

●● يقول الدكتور يحيى الجمل ، لنجيب محفوظ كلمة جميلة فى هذا الصدد، حيث يقول (إن التاريخ لا يكتب إلا عندما ينتهى الفرقاء جميعا). وحتى نستطيع أن نكتب التاريخ بطريقة موضوعية لا يمكننا أن نكتبه إلا بعد مرور فترة من الزمن. فلا يمكن أن نكتب تاريخ حسنى مبارك وهو موجود ، ولا يمكن أن نكتب التاريخ منذ عهد الثورة حتى الآن بأمانة وموضوعية إلا بعد فترة. فعموما الثورة كانت حتمية بعد أن تخلى الوفد القديم عن دوره فى مواجهة القصر وحماية الدستور ، فحدث الانقلاب العسكرى الذى احتضنه الشعب فأصبح ثورة.وفى الفترة الأولى للثورة كان هناك توجه وبوصلة تتجه نحو خدمة الكادحين حقيقة، وكان هناك زعيم كاريزمى لا يتكرر.. لكن ماذا بقى من النظام التى وضعته ثورة ٢٣ يوليو ؟ فى الحقيقة لم يبق إلا النظام الشمولى حيث انتهت كل الحسنات والإيجابيات، ولم يبق إلا السيئات. فمثلا دور مصر الذى صنعه عبد الناصر انتهى. حماية محدودى الدخل والعدالة الاجتماعية

ذهبت ولم يبق منها إلا الشكل فقط. كل هذا ذهب وولى والسبب أنه لم يكن هناك نظام ديمقراطى يحمى تلك المنجزات مثل ديمقراطية الهند . فلابد أن يكتب التاريخ بموضوعية ، وعموما أنا كنت أحد الذين آمنوا بضرورة التغيير فى الخمسينيات ، وأنا أحد الذين آمنوا أن عبد الناصر غير وجه المجتمع المصرى تغييرا حقيقيا ، لكن تبقى قضية الانفراد بالسلطة وقضية الديمقراطية قضايا غائبة واستمر غيابها مع غياب العدل الاجتماعى وتآكل دور مصر الإقليمى والدولى.

● سألت الدكتور يحيى الجمل عن انهيار بعض قيم المجتمع المصرى الذى واكب تآكل الطبقة الوسطى فقال..

●● اتفق معك تماما أن الطبقة الوسطى تتآكل لصالح مزيد من الفقر، ومزيد من الثراء لشريحة صغيرة جدا فى أعلى قمة المجتمع. فنحن لدينا شريحة لا تتعدى مائة ألف.. هذه الشريحة تملك مقدرات مصر الاقتصادية.. مائة ألف من بين خمسة وسبعين مليون ، والطبقة الوسطى تتآكل شيئا فشيئا حيث يصعد منها أفراد قليلون إلى أعلى، أما الغالبية العظمى تهبط إلى أسفل حيث الطبقات محدودة الدخل. فالطبقة الوسطى كما تفضلت هى مخزن القيم داخل المجتمع .. هى رمانة الميزان .. هى الضابط، وباختفاء الطبقة الوسطى تختفى معظم القيم المجتمعية ويظهر الفساد من ناحية والتطرف من ناحية أخرى، فكلاهما سبب ونتيجة فى نفس الوقت.

● قلت للدكتور يحيى الجمل :

يبدو أن مشاكل مصر تكمن فى مشكلة الإدارة ، ومشكلة الإدارة تكمن فى مشكلة اتخاذ القرار .. نريد إلقاء الضوء على تجربتك فى الإدارة واتخاذ القرار ؟

●● يقول الدكتور يحيى الجمل :

أنا دائما ما أقول إن الإدارة الحسنة تخلق ثروة والإدارة السيئة تبدد ثروة.

وخير مثال على ذلك اليابان ومصر. فاليابان بها إدارة حسنة ولا يوجد بها موارد طبيعية وبها اقتصاد من أفضل اقتصادات العالم . لكن فى مصر نحن لدينا موارد طبيعية ومناخ وموقع فى نفس الوقت الذى لدينا إدارة بالغة السوء ! لذلك فحجم الاستثمارات الواردة إلى مصر محدودة للغاية مقارنة ببعض البلاد العربية مثل الأردن وتونس وذلك نتيجة الإدارة بالغة السوء فى معظم الدوائر الحكومية ذات الصلة.

وأنا عملت كوزير للتنمية الإدارية ؛ وأذكر أننى تقدمت لمجلس الوزراء بمشروع قرار بأن يقوم الوزراء بتفويض وكلاء الوزارات فى أغلب اختصاصاتهم ، حتى يتفرغ الوزراء للتفكير الإستراتيجى والعمل السياسى بعيدا عن روتين العمل اليومى ، لكننى ووجهت بثورة من الوزراء ومجلس الوزراء وقد قال لى أحد الوزراء يا دكتور : لن نستطيع أن نحكم وكلاء الوزارة لو طبق هذا الاقتراح ! فعندما تلزمنى بالتفويض لن أستطيع أن أوجهه . وهذه نظرة قاصرة فى تقديرى . أنا أتصور أن الوزير رجل سياسة وبوصلة وتخطيط وليس رجل تنفيذ . وتم رفض القرار فى مجلس الوزراء. وهناك قرار آخر حيث وجدنا أن وقتا كبيرا للغاية يضيع من الوزراء فى الإجراءات البروتوكولية فى استقبال ووداع ضيوف الدولة وكذلك هناك العديد من الالتزامات الاجتماعية والشعبية الأخرى؛ لذلك اقترحت اقتراحا يقضى بتخصيص ثلاثة وزراء يوميا للقيام بتلك المهام ويستمر بقية الوزراء فى مكاتبهم للقيام بشئون ومسؤوليات وزاراتهم إلى أن يأتى دور كل منهم وهكذا ، واستمر هذا القرار ستة أشهر تقريبا، وكان الوزراء فى غاية السعادة من هذا النظام ، لكن فجاة اتصل بى رئيس الديوان فى ذلك الوقت، وأبلغنى أن هناك زيارة لملك عربى للقاهرة وأن رئيس الجمهورية طلب خروج الوزارة بالكامل لاستقبال الضيف، فطلبت من رئيس الديوان أن يشرح للسيد رئيس الجمهورية أن هذا النظام نريد أن نحافظ عليه بدون استثناءات، ولا نريد أن يهدم النظام بالتدريج. ولكن كان للرئيس رأى آخر حيث كان الملك حسين فى زيارة للقاهرة لتنقية الأجواء مع الرئيس السادات الذى أراد أن يظهر مدى الحفاوة بضيفه الكبير من خلال خروج مجلس الوزراء بالكامل فى استقباله. وبعدها بثلاثة أسابيع جاء الشيخ زايد فى زيارة مماثلة وكان من الطبيعى أن يكون الاستقبال على نفس المستوى. وبذلك انتهى النظام الموضوع ، وأنا لا أقول إن قرار الرئيس خاطئ فبالتأكيد كان لديه اعتبارات أخرى ، لكن يجب أن ننظر إلى ما يحدث فى أوربا أثناء استقبال مسؤول ما، فوقت الوزراء وكبار المسؤولين يجب أن يكون مخصصا للعمل الحقيقى .

***



الفنان

نور الشريف

كان دوره فى المسلسل التاريخى (عمر بن عبد العزيز) هو النقطة الأكثر إضاءة فى حياته الفنية الطويلة. لقد ترك هذا المسلسل أثرا إيجابيا رائعا فى كل من تابعه وكنت واحدا من هؤلاء الذين تأثروا كثيرا بعمر ابن عبد العزيز (الأصل) و(الصورة). لقد تفوق نور الشريف على نفسه وهو يؤدى هذا الدور التاريخى لشخصية من أعظم الشخصيات فى التاريخ الإسلامى فى عصوره الأولى . لقد كان حديث الحق والعدل والمساواة هو الحديث الأبرز على لسان هذا الفنان ، بيد أن هذه الأحاديث قد تركت أثرا فى شخصية هذا الرجل ، لذلك كان لزاما على وأنا أجرى حوارا مفتوحا حول المستقبل أن ألتقى به .. وكنت على يقين بان هذا الرجل لديه ما يقوله للمستقبل

● فى بداية اللقاء قلت للفنان نور الشريف ..الوضع الراهن والعبور إلى المستقبل هى القضية التى تشغل كل المهمومين بمستقبل هذا الوطن. وحتى تنجح عملية العبور لابد من وجود قواعد ننطلق منها صوب هذا المستقبل..كيف ينظر الفنان نور الشريف إلى مستقبل مصر وما هى القواعد التى يجب أن نقوم بتجهيزها من الآن حتى ننطلق منها إلى المستقبل المأمول؟؟

●● رد قائلا ... الحقيقة أنا أرى أننا نعيش مرحلة من أسوأ المراحل فى تاريخ الأمة العربية. وعندما أتأمل الوضع العربى أشعر بفزع وخوف ، فما يحدث على أرض الواقع فى لبنان والعراق وسورية والأراضى الفلسطينية، وبين المغرب والجزائر ، كل هذه المشاكل تسبب نوعا من الفزع المرعب ، أما فى مصر فإن أهم مشاكل مصر هى المشكلة الاقتصادية ، والتى تتمثل فى هذه القنبلة الجبارة وهى نسبة بطالة الشباب ومن ثم نسبة العنوسة بين الجنسين ، وهى تمثل قنبلة أخرى تهدد المجتمع ، ومن وجهة نظرى إذا أردنا أن نحقق مستقبلًا أفضل، فلابد أن نبدأ فورا فى وضع خطة فعلية وليس خطة على الورق لحل مشاكل الشباب أولا ومن وجهة نظرى فإن حل مشاكل الشباب لابد وأن تكون فى مقدمة جدول الأعمال ، وهذا لن يتأتى إلا بمساهمة فعلية حقيقية من رأس المال الوطنى ، لأن الدولة تم قص ريشها بالخصخصة وبيع ممتلكات وأصول لا نعلم أين ذهبت عوائدها ، وأنا كمواطن أخشى أن تكون تلك العوائد قد

تم استخدامها فى سداد ديون ما .. المواطن المصرى غير مسؤول عنها ، وأتمنى أن يكون هناك شفافية كما يتحدثون .. فتقوم الحكومة بتقديم كشف حساب يتضمن مصروفات وإيرادات عمليات الخصخصة ، وأتمنى كمواطن أن يحدث هذا ، ويبقى من وجهة نظرى أهم شيء للعبور إلى المستقبل وهو (ثبات التشريعات و القوانين)، وأن يوضع القانون لصالح كافة فئات المجتمع فلا يجب أن يكون هناك تمييز لأحد على حساب أحد ، وأن يختفى التحايل من حياتنا تماما . لا أفهم المغزى من مصادرة رأى الشعب وقراراته فى الانتخابات، وذلك بتحجيم وتعطيل أشخاص اختارهم الشعب عبر صناديق الانتخابات. فالممارسة الديمقراطية تحتاج إلى مزيد من الحرية وهذا لن يتأتى إلا بثبات القوانين كما أوضحت من قبل ، وأن لا يكون هناك أحد فوق القانون. وأعتقد أنه لا يوجد مستقبل حقيقى إلا بتغيير المادة ٧٦ من الدستور وأن تكون المدة القصوى لحكم رئيس الجمهورية مدتين فقط كحد أقصى. فإذا تم تحقيق ذلك فإن الوضع سيتغير تماما ، وبالنسبة لما يشاع فى الصحف ووسائل الإعلام عن قدوم السيد جمال مبارك كرئيس للجمهورية .. أنا كمواطن لست ضد هذا الطرح إذا حدث ذلك عن طريق الانتخاب ، وقد يكون هذا الطرح بداية لأن يكون الحكم مدنيا ، فأنا مع قدوم جمال مبارك رئيسا للجمهورية .. ليكون أول مدنى يحكم مصر بعد الثورة، لأن الحكم العسكرى مع كامل احترامنا للمؤسسة العسكرية بكل قياداتها وخبراؤها ، حيث إن الهدف الأساسى المطلوب من الجيش هو الدفاع عن أرض الوطن لكنه لا يجب أن يكون سلطة تخيف الحاكم ، فلابد أن نصل فى التربية السياسية إلى أن كل أفراد القوات المسلحة على وعى بأنهم يحملون أشرف رسالة داخل الوطن، حيث شرف الدفاع عن الأرض والعرض ، وعلى الجيش ألا يتدخل نهائيا فى الجانب السياسى وأن يحترم القرار السياسى الذى يختاره الشعب عن طريق انتخابات نزيهة يشرف عليها القضاء ، أتمنى أن يحدث هذا ولو بالتدريج وهذا هو تصورى ورؤيتى لمستقبل مصر.

● قلت للفنان نور الشريف .. إن الوطن يسير بلا جدول أعمال .. بلا أجندة .. بلا أولويات، فإذا كانت تحديات المستقبل تحتم علينا أن نتحرك وفق مخطط عام وجدول واضح وأجندة يتفق عليها الجميع ، كيف يرى الفنان نور الشريف شكل ومضمون ذلك الجدول ؟

●● البداية لابد أن تكون إنقاذ الاقتصاد المصرى ، وأن تكون هناك مدة محددة فى توجيه الاقتصاد مع الاستعانة بالقطاع الخاص بضوابط تحمى حقوق الفقراء وتحمى

الاستثمارات القائمة والواردة ، ويتم الاستغناء عن المعونة الأمريكية خلال خمس سنوات على الأكثر ، حتى يتحرر القرار السياسى المصرى ولا يأتى يوم يشعر فيه بالخوف من إلغاء أو تخفيض تلك المعونة .

وهنا نأتى للنقطة الثانية وهى ترشيد بنود الميزانية لكل الوزارات وأتمنى أن نكون فى كل أعيادنا الوطنية والدينية المقبلة أكثر رشدا حيث يجب أن نتوقف فورا كوزارات ومؤسسات حكومية عن إنفاق الملايين فى توجيه التهنئة للسيد الرئيس وكبار المسؤولين فى الدولة بمناسبة أعياد أكتوبر وأعياد التحرير وبقية المناسبات الدينية والاجتماعية .. لابد أن نتوقف فورا عن هذا السفه الإنفاقى غير المبرر. ولو قمنا بحساب تلك الملايين التى يتم إنفاقها من كل الوزارات على هذه التهانى ، وقمنا بتوجيهها إلى إنشاء شقق للشباب العاملين داخل تلك الوزارات والذين لا يملكون شققًا تساعد كلًّا منهم على الزواج وتكوين أسرة ، هذا بند واحد يمكن أن يحل مشكلة أو حتى جزء من مشكلة. وهنا أذكر للرئيس مبارك فى بداية حكمه أنه صرح بأنه لا يريد منافقة ولا يرحب بتلك التهانى التى تحمل قدرا كبيرا من البزخ والإسراف، وللأسف الشديد فقد استطاع هؤلاء وبالتدريج أن تتضاعف مساحات التهانى والإعلان ، وأعتقد أن الرئيس مبارك لن يرضيه ذلك ولو استمع إلى رأيى هذا فمن الممكن أن يأخذ قرارًا فعليًّا بتوجيه الأموال المخصصة لتهنئته بالمناسبات والأعياد إلى بناء مساكن للشباب العاملين داخل كل وزارة ، لأننى أرى أن أخطر شيء على أى مجتمع هو أن يكون الشباب مجهض الأحلام. وفى رأيى الشخصى أن التطرف أو ما يسميه البعض بالتطرف ناتج من الاحتياج ومن الفقر ومن تبديد الأحلام ، وصدقونى أن الشاب - أى شاب- إذا استطاع أن يتزوج الفتاة التى يحبها فى شقة معقولة وحياته تكون مضمونة، حيث يضمن فرصة لتعليم أولاده فى المدارس الحكومية وعلاجهم فى مستشفيات الحكومة ، عندئذ سنلاحظ اختفاء التطرف والإرهاب من المجتمع. وأى مجتمع يحدث فيه استقرار بتحقيق الأحلام البسيطة للشباب فحتما سيختفى منها العنف ويختفى منها الإرهاب. أما النقطة الخطيرة والتى تحتاج إلى سنوات فهى إعادة المناهج الدراسية بمعنى أن نقوم بتربية أولادنا ليس على الطريقة الأمريكية ؛ فالديمقراطية لابد أن تكون نابعة من الداخل فأنا لست مع الديمقراطية على الطريقة الأمريكية ، أنا مع الديمقراطية بدون أمريكا ، لابد من تربية أبنائنا على صفتين .. الأولى ألا يكذب، والثانية، لا يخاف. لو استطعنا أن نربى أبناءنا على ذلك فبالتأكيد سيكونون مواطنين لهم صوت فى المستقبل سواء فى صناديق

الانتخابات أو فى الحوار أو فى التعامل مع قضايا المستقبل. ولكن هناك شرطًا أن يكون الأب متمتعًا بتأمين اجتماعى وتأمين صحى وتأمين ضد البطالة ، فإذا قال رأيه ونفرض أنه تجاوز فى هذا الرأى فحينئذ يكون قلقا على أسرته وأولاده ، لو تحقق بند التأمينات سيكون لدينا ممارسة ديمقراطية حقيقية نستطيع أن نفرز من خلالها العبقريات التى تتناسب مع تاريخ هذا البلد العظيم . هذا بالنسبة للتعليم، أما النقطة الأهم من وجهة نظرى والتى يصعب تحقيقها الآن أنه لا يمكن أن تكون هناك سيادة للدولة ولن يكون لها تأثير فى السياسة الخارجية إلا إذا كانت الدولة قادرة على تصنيع جزء كبير من احتياجاتها من السلاح ، لأن استيراد السلاح معناه ـ حتى لو كان هناك تنوع لمصادر الشراء ـ معناه أن هذه الشركات سوف تعلم على وجه الدقة إمكانات الجيش المصرى والأعداد النوعية للأسلحة والمعدات ومنشأ ومصدر كل نوع من تلك الأنواع ، بمعنى آخر سنكون مكشوفين أمام شركات السلاح التى نستعين بها فى توريد السلاح للقوات المسلحة ، أما إذا كانت الدولة تنتج سلاحها ـ وأتمنى أن يحدث ـ وهذا عموما لن يحدث بين يوم وليلة ، وهذا هو الشيء الوحيد الذى يفرض على عدوك إحترامك، لأنه لا يكون على علم بإمكاناتك العسكرية، حيث لا يعلم ماذا تنتج وكم تنتج وكيف تنتج ، أما الاستيراد من الخارج عن طريق الدول والشركات فكل التفاصيل معلومة ومنشورة ومباحة للجميع .. أصدقاء وأعداء على حد سواء ، ناهيك عن إمكانية عدم إمدادنا بقطع الغيار أو برامج الصيانة حال وجود أزمات ومشاكل

● **إذا افترضنا وجود (مرصد اجتماعي) على غرار مرصد الزلازل .. كيف يرصد الفنان نور الشريف التغيرات التى طرات على المجتمع المصرى سواء تلك التغيرات التى تصب فى خانة الإيجابية أو تلك التى تصب فى خانة السلبية ؟؟**

●● أعتقد أنه خلال الفترة الماضية هناك مؤشران فى منتهى الخطورة :

المؤشر الأول .. وجود نقص حاد فى مياه الشرب فى بعض الأماكن القريبة من القاهرة، المؤشر الثانى .. مشكلة رغيف العيش، وطوابير رغيف العيش، وسوء حالة رغيف العيش ، وأنا كمواطن مصرى وكفنان دائما ما أفكر فى آلام الشعب والتعبير عنها ، والمرصد الخاص بى يقول إن هذين المؤشرين فى منتهى الخطورة ولهما من الأبعاد الاجتماعية الكثير ، ولا يصلح فيهما مسكنات وعلى الدولة أن تتحرك فى منتهى

السرعة، لأن تخوفى من انفجار قادم ، هذا الإنفجار لا يقف خلفه جهة سياسية داخلية أو خارجية بل هو إنفجار الفقراء.

وهناك اشياء إيجابية كثيرة حدثت ولكن أمامنا الكثير لابد أن يحدث. وهناك ظاهرة أرصدها لكننى لا أفهمها وهى كم السيارات الجديدة فى شوارع القاهرة والمدن الرئيسية فى المحافظات ، هذا الكم الضخم من السيارات الجديدة يدل على أن هناك درجة من الانتعاش الاقتصادى، هذه الدرجة من الإنتعاش الإقتصادى تتوزع ثمارها على كل فئات المجتمع أم على الطبقة الغنية والمتوسطة فقط لا غير ، وهذه النقطة تحديدا لا أستطيع أن أفهمها ومع نقص المياه ومشكلة رغيف العيش أكون قد رصدت ثلاثة مشكلات طرأت على المجتمع المصرى خلال الفترة الماضية تؤكد وجود خلل ، وعلينا أن نعرف عدد المظلومين وأماكنهم لكى نسرع بوضع خطة سريعة وعلمية بعيدا عن المسكنات ، أتمنى أن يحكم حياتنا العلم ثم العلم ثم العلم .

والعلم لا يتناقض مع الدين حيث يقول ربنا سبحانه (علم الإنسان مالم يعلم) فبخطط علمية نستطيع أن نحل كل مشاكلنا ونكون صرحاء مع أنفسنا ومع الناس ، فعندما نقول للناس أنا بعد سنة سوف أعمل كذا وكذا وسوف يحدث كذا وكذا فلن يكون هناك أية مشكلة خصوصا أن المواطن المصرى صبور صبور إلى أبعد الحدود وسوف يتحمل لنستطيع أن نطبق خططنا الموضوعة .

كذلك مرصدى يقول أن هناك أشياء خطرة منها على سبيل المثال شبه الاحتكار السرى لبعض السلع الر ئيسية ومعظمها يتعلق بمواد البناء وهذا يتعارض مع فكرة إنشاء مساكن للشباب لحل مشاكل مجتمعية عميقة ، وهنا أذكر أول نقطة ذكرتها فى حديثى وهى ثبات القوانين وسريانها على الجميع ، إذا حدث ذلك من الممكن أن يستقيم الوضع ويمكن الوصول لحلول عملية

● أن الطبقة الوسطى تآكلت وذهبت إلى مثواها الأخير حيث تم دفنها على أنغام الرأسمالية المتوحشة بمساعدة الحكومات الحالمة وأصبح الحراك الاجتماعى فى حالة شلل شبه تام ! أين ذهبت الطبقة الوسطى ؟ كيف يحدث الحراك الاجتماعى فى مصر؟

●● لابد أن ندرك أن تراجع الطبقة الوسطى لم يحدث اليوم ، لأن الطبقة الوسطى أصبحت هى الشريحة العليا من الطبقة الفقيرة ، وهذا يعنى أن هذه الطبقة التى هى المحرك الحقيقى للمجتمع رغم كل ما تحويه من متناقضات وتراكمات ، وهذ الطبقة

فيها القوة المحركة للمجتمع فى كافة الاتجاهات ، فى السياسة والرياضة والفن ، وأنا أرى أن الانفتاح غير المدروس بعد اتفاقية كامب دافيد فى عهد الرئيس السادات رحمه الله ، بدأت الطبقة الوسطى تتراجع نفسيا لأن الأسعار كانت مستقرة ولم يحدث لها اختلال ، وكانت المرتبات ما زالت معقولة بالنسبة للطبقة الوسطى.. ضابط .. مدرس.. مهندس .. دكتور .. كان هؤلاء مازالوا يحتفظون بمكانتهم الإجتماعية ، والذى حدث نتيجة الانفتاح غير المدروس هو صعود الطبقة الطفيلية المتمثلة فى الحرفيين – مع إحترامى لكل الحرفيين – لكن هذه الطبقة الحرفية أفرزت ثقافة مختلفة، وفى رأيى أن الثقافة هى أخطر شيء فى التأثير على المجتمع. وبدراسة متأنية سوف نكتشف أن الأغانى الهابطة بدأت فى هذا الوقت (السح الدح امبو) مثلا وغيرها من الأغانى التى هبطت بالذوق العام الى مستويات متدنية ، كل هذا كان نتيجة الانفتاح غير المدروس. واستمر كل ذلك مع ظهور قوة شرائية جديدة هى العمالة المصرية التى هاجرت الى الخليج . وفى رأيى أن تلك العمالة أثرت فى المجتمع المصرى بالسلب ، فالمفروض أن هذه الطبقة بتنوعاتها والتى سافرت لتحقيق أحلامها المادية كانت ما بين عامل بناء وعامل نظافة إلى طباخ ومهندس ومدرس وطبيب وأستاذ جامعة وكيميائى، كل هذه الفئات والطبقات التى ذهبت لتكوين رأس مال بعد ارتفاع سعر البترول عقب حرب أكتوبر، لكن لفت نظرى أن غياب الأب عن الأسرة المصرية قد أفقد الأسرة توازنها فى أى مستوى من مستويات المسافرين سواء الفقراء أو الأغنياء ، لأن رمز السلطة وهو الأب قد اختفى وقد تحول إلى حوالة بريدية أول كل شهر ، وعندما يحضر فى أجازة يتم استقباله والترحيب به فى أول يوم حتى يتم فتح الشنط وتوزيع الهدايا ، وابتداء من اليوم الثانى يبدأ فى ممارسة سلطته كأب ، فيسأل البنت (إنتى لابسة قصير ليه) ، (إنتى خارجة الساعة دى إزاى) ويسأل الولد (إنت كنت فين) وفجأة وبعد مرور أول يوم يبدأ الأولاد يكرهون مجيء الأب ويتمنون سفره بأسرع وقت لكى يعيشوا حياتهم بحرية. والأم سواء كانت موظفة أو ربة منزل تعانى من فقدان وغياب هذا الزوج ، تعانى منه إنسانيا وجسمانيا بالإضافة إلى المسؤلية الكبيرة التى تحملتها نيابة عن زوجها، وكثيرا ما تفقد هذه الأم القدرة على السيطرة على تصرفات الأبناء .

فللأسف تراجعت الطبقة الوسطى إلى درجة الموت ، لكن فى رأيى أنها لم تمت بعد ، فقط هى تحتاج إلى إعادة التوازن المالى ، بحيث تستطيع أن تكون تلك الطبقة مؤثرة فى المجتمع كما كانت من قبل .

● إن صناعة الأمل والتفاؤل لدى الشعوب من الصناعات المعقدة والتى تحتاج إلى فهم خاص من القائمين عليها ، بيد أن تلك الصناعة من الصناعات المتأخرة فى مصر المحروسة رغم أن مصر تتمتع بمزايا نسبية غير مستغلة فى هذا الصدد ، ورغم ذلك يشعر المرء أن التشاؤم هو الشعور الرسمى فى هذا الوطن ، كيف يرى الفنان نور الشريف هذه الإشكالية وكيف نصنع منتجا اسمه التفاؤل يتم تداوله داخل المجتمع المصرى؟؟

●● أنا أختلف مع حضرتك فى هذا الطرح ، فإشاعة الأمل أنا ضدها إذا كانت كاذبة ، والفرحة فى مباراة كرة قدم ناتجة عن افتقاد الحلم ، هو بحث عن حلم مفقود وجده الشعب المصرى للحظة . وفى اليوم الثانى ينسى هذا تماما لأن ذلك لم يرتبط بحياة المواطن اليومية . هذه فرحة مؤقتة ولحظية سرعان ما تزول وتتلاشى. أما الفرحة الحقيقية فهى أن يكون إبنى متعلمًا ويكبر أمام عينى فى ظروف معيشية جيدة ومعقولة ، الفرحة الحقيقية أن أشترى بيتا ويكبر معى هذا البيت، أنا أعتقد أن الإعلام ارتكب خطأ بالترويج للحزب الحاكم فقط ، ولم يروج للأحزاب الأخرى. وفى الوقت نفسه فإن صحف المعارضة تبالغ كثيرا فى إظهار السلبيات فى المجتمع ، وأنا أعتقد أن الجيل الذى أنتمى إليه وبالذات فى أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات قد ساهمنا فى إحباط الشعب المصرى، رغم أننا كنا حسنى النية . أنا وعاطف الطيب وخيرى بشارة ومحمد خان وعلى بدرخان وأشرف فهمى وداوود عبد السيد ومحمد عبد العزيز وسمير سيف ورضوان الكاشف، كل هذا الجيل من المخرجين الواعين أصحاب الموقف السياسى والإجتماعى . لقد حاولنا أن نفضح الفساد ، وقوانين الدراما لم نجعل البطل الخيّر ينتصر ، جعلنا الحرامى والنصاب والشرير هو الذى ينتصر على أساس أن ذلك سيصنع زلزالا فى المجتمع . اكتشفت متأخرًا جدا أنا وعاطف الطيب أننا بحسن نية وليس بسوء نية ساهمنا فى إحباط الشباب فى المستقبل فى المجتمع المصرى ، وأن المستقبل للنصابين والحرامية . ولقد وجدت الرغبة أنا وعاطف وبشير الديك فى إشاعة الحلم غير الكاذب ، لأن الإعلام الأمريكى والهندى يبيع أحلامًا كاذبة، وأنا أرى أن الحلم الكاذب أخطر كثيرا من المخدرات وأخطر كثيرا من الأزمة الاقتصادية لأنه يصيب المواطن بالبلادة . أنا أعتقد أننا نحتاج جيل جديد من الكتاب والمخرجين .. سوف تسألنى لماذا جيلًا جديدًا من الكتاب والمخرجين ؟ سأجيبك بأن ما يحدث الآن

فى القنوات الفضائية الإخبارية يتجاوز جرأة أى مسرحية أو فيلم ، من سباب إلى شتائم إلى انتقاد للنظم إلى تشويه تاريخ. وما يحدث فى البرامج الحوارية لا يمكن الوصول لجرأته فى أى فيلم ، وأنا ضد هذه البرامج وكنت حريصًا على مشاهدتها فى البداية إلى أن اكتشفت أن تلك البرامج فى النهاية وبعد نهاية أى حلقة من أى برنامج أقوم بمراجعة نفسى فلا أجدنى استفدت شيئا على الإطلاق ، بل ازددت بلبلة .. فكل شخص يدافع عن وجهة نظره وبمنطقه وفى النهاية هذه البرامج صراخية و أشبه بمباريات الكرة. لذلك إننى أرى أننا فى حاجة إلى جيل جديد من الكتاب يملك القدرة الإبداعية على صياغة آراء سياسية فيها تحميل المسؤولين المسؤلية بدون خطابة وبدون صراخ. لكن لابد أن تكون ببعد إنسانى. وأنا أرى أن ذلك سيأخذ بعض الوقت ، لأن الجيل اليوم معرض لأخطر شيء من وجهة نظرى وهو إلغاء الانتماء وذلك عن طريق وسائل الإعلام. وأنا أعتقد أنه بعد حرب أكتوبر بدأ منهج إعلامى موجه إلينا ولن أقول إنه إعلام أمريكى أو يهودى ولكن أستطيع أن أؤكد أنه إعلام تابع للرأسمالية الحديثة ، وهذا الإعلام هدفه الانتماء وتحويل البشر فى جميع أنحاء العالم إلى قوة شرائية للمنتجات التى تنتجها الشركات متعددة الجنسيات. والتى ليس لأى دولة حتى أمريكا سلطة على رأس المال الخاص بهذه الشركات ، لأن رأس المال الموجود داخل الدول من رأس مال الشركات متعددة الجنسيات لا يتعدى ٢٠ ٪، والباقى يبحث عن فرص استثمارية فى أى دولة من دول العالم ، ومع احترامى فقوانين الاستثمار هى قوانين تهريب الأموال وعدم دفع ضرائب للفقراء. المصرى يرسل بأمواله إلى البرازيل للاستفادة من الإعفاءات الضريبية ، والبرازيلى يحضر أمواله إلى مصر لنفس الغرض. وعلى البرازيل أن تحمى أموال المصرى وعلى مصر أن تحمى أموال البرازيلى ، ويتم كل ذلك بدعوى الاقتصاد الحر وحرية حركة الأموال ، ولماذا لا أعطى هذه الامتيازات لرأس المال الوطنى وكذلك أعطيه الأمان. لابد أن أمنح رأس المال الوطنى كل الضمانات مع وضع الضوابط اللازمة ، فالدولة لها حقوق لا خلاف عليها ، فى نفس الوقت الذى يجب أن تتمتع فيه القوانين بالمرونة الكافية .

وأعود هنا لنقطة الإعلانات وهى أخطر شيء فى تاريخ البشرية ، وقبل الإعلانات كانت المجتمعات أكثر تماسكا وأكثر قناعة ، وانا لست مع القناعة الغبية ، لكن مع القناعة الواعية ، هذه الإعلانات ألغت القناعة الواعية عند أولادنا ، والآباء استمروا فى المقاومة ، (لكن الأولاد إتربوا على جزمة بتنور ، تخيل إن دى بتوديه الجنة).

والأطعمة الأمريكية والغربية المليئة بالدهون والهرمونات ، أضرت بالرجولة ونسب الهرمون لدى البنات ، فتكون الأجسام مشوهة وضعيفة ، فى حين أن الأكل المصرى الشعبى (الكشرى ، البصارة ، المسقعة ، الفول ، الطعمية) أفضل كثيرا من هذه الموضة من الوجبات السريعة (الهامبورجر ، البيتزا) .

أنا أرى أن هذ الإعلانات ثم يليها الفيديو كليب ثم يليها البرامج الحوارية ، هذه المراحل أدت إلى مسح العقل وعززت فى داخله شهوة الشراء، وتخيل أن السعادة فى أشياء مادية . وهذا أدى إلى أخطر شيء من وجهة نظرى فى تاريخ البشرية وهو إلغاء الإنتماء . وهذه القضية دائما ما أضرب المثل بحسام حسن وإبراهيم حسن فهما كانا رمز الأهلى وفجأة النادى الأهلى قال لهما مع السلامة ، ففجأة أصبحا رمزًا للزمالك ، وجمهور الزمالك الذى كان يشتم حسامًا عندما يحرز هدفا فى الزمالك ، أصبح هو الذى يهلل له عندما يحرزحسام هدفا فى النادى الأهلى. وأنا عندما فكرت فى ذلك وجدت أن ذلك مؤشر خطر ، فحسام تحول انتماؤه إلى نفسه ، ولم يعر أى اهتمام للملايين من جماهير الأهلى ، وبدأ يشتغل لحساب نفسه ، وعلى نفس المستوى فى العالم زين الدين زيدان الجزائرى الذى أصبح كابتن فرنسا، وعلى نفس المستوى هناك بلد عربى يلعب له ٣ لاعبين برازيليين ، هذه المؤشرات توصل الشباب العربى أن يحلم ألا يكون عربيا ، من أجل المال والشهرة ، والشباب الأوربى محبط كذلك ، فكيف يعقل أن يتم استيراد لاعب يلعب باسم بلدى كى نحصل على ميدالية فى الأوليمبياد ، وهو ليس من بلدى ولا حتى قمت بتربيته . الخلاصة حدث اختلال للعالم ولم يعد هناك انتماء للوطن وبالتالى لم يعد هناك إنتماء للأسرة ، وأصبح هناك تغذية للسلوك الفردى ، وأعتقد أن هذا هو أخطر شيء نتعرض له الآن . بالإضافة إلى محاولة التدخل فى المناهج التعليمية والسيطرة الإعلامية من خلال وسائل الإعلام والأفلام والمسلسلات والمسرحيات ، وهذه الكذبة المساة بالعولمة بدأت تتكشف أمام الأجيال الحالية ، ورغم تخوفنا من التيار الدينى، سيظل التيار الدينى هو الحصن الأساسى ضد العولمة .

● قلت للفنان نور الشريف على ذكر التيار الدينى الذى يقف كحصن حصين أمام رياح العولمة .. هل ترى فى التواجد الشرعى للإخوان المسلمين على الساحة السياسية مشكلة .. فهم الذين تمكنوا من السيطرة على قطاع كبير من المجتمع بأدوات وآليات مرنة وحديثة هل هناك مشكلة فى ذلك ؟؟

●● يقول الفنان نور الشريف ..

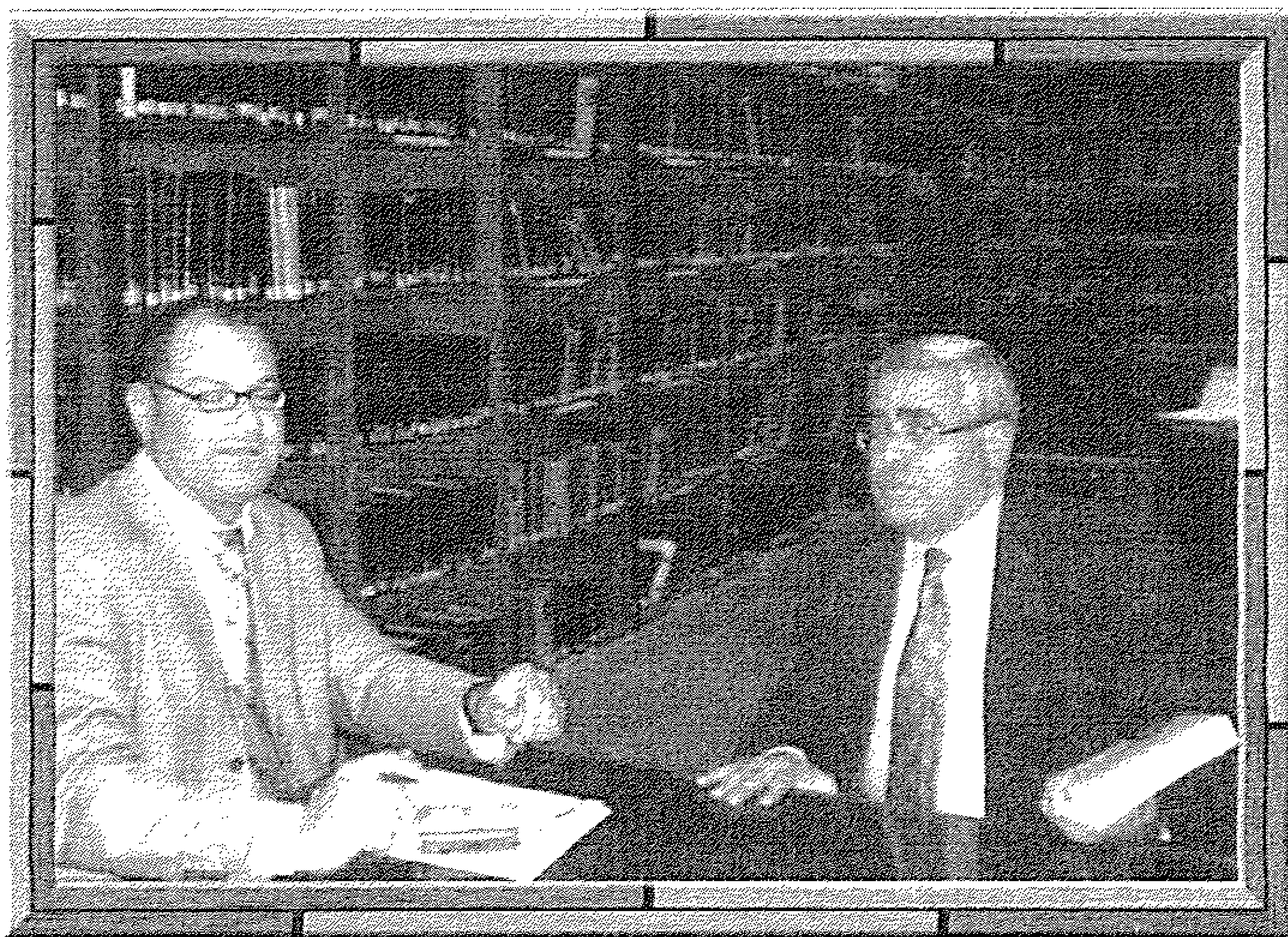
لماذا لا نعطى فرصة للإخوان المسلمين طالما نجحوا بشكل شرعى ، وأنا وقعت مع العدو إتفاقية سلام، أما الإخوان كفئة من فئات المجتمع لماذا لا أمنحهم الفرصة كى تمارس الديمقراطية، لكن بشرط ثبات القوانين ، بمعنى أنه إذا سمح للإخوان فى مرحلة ما أن يشكلوا الوزارة ، وأخشى ما أخشاه أن تقوم تلك الحكومة الإخوانية بتغيير القوانين والدساتير فور توليها المسؤولية ، فيكون الإخوان حينئذ بمثابة قوة قاهرة لغيرها مثلما تفعل السلطة الحالية مع الإخوان . ثبات القوانين فوق الجميع هو الأمل، ولا يتم تغيير القوانين إلا باستفتاء شعبى حقيقي.

● لا تستطيع الأمم والشعوب أن تغير الماضى لكنها تراهن على تغيير المستقبل إلى الأفضل، بيد أننا نعيش حالة مغايرة ، إننا تركنا مستقبلنا ليصنعه غيرنا وبدأنا رحلة تغيير الماضى عبر الكتابات الخاطئة للتاريخ، الفنان نور الشريف من يكتب تاريخ هذا الوطن ؟

●● بالنسبة لكتابة التاريخ أتذكر قول ابن خلدون ، فابن خلدون يرى أنه لا يوجد تاريخ صحيح ، إلا بدرجات.. لكن ممكن أن نستشف صحة التاريخ بدرجة ما،

ابن خلدون قام بتقسيم المؤرخين إلى ثلاثة .. مؤرخ ينافق النظام لأنه كسب منه ، مؤرخ كاره للنظام لأنه لم يكسب منه ، و مؤرخ جاهل ، وفى رأى ابن خلدون فإن أخطرهؤلاء هو المؤرخ الجاهل ، ومع ذلك نستطيع أن نستشف بعض الحقائق من المؤرخ المنافق والمؤرخ الكاره للنظام ، الإنسان الموضوعى يستطيع أن يستشف جزء من التاريخ من هؤلاء ، وأنا أرى أن كتابة التاريخ الآن تنقسم نفس تقسيمة ابن خلدون ، وأعتقد أن جزءا من التاريخ يمكن ان نستشفه من الأفلام التسجيلية والبرامج الحوارية ، فإذا أردت أن تحافظ على ذاكرة الأمة فلابد من تقديم أفلام تسجيلية تعكس الواقع المصرى الراهن.

***



الدكتور

حسن نافعة

فى أحد أركان المكتبة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة كان يجلس الدكتور حسن نافعة أستاذ العلوم السياسية ممسكا بكتابه الموسوعى حول التجربة الأوروبية فى الوحدة، حيث كان يتحدث لإحدى الفضائيات مجيبا عن السؤال الشائك ..

لماذا نجحت التجربة الأوروبية فى الوحدة بينما كانت التجارب العربية بمثابة محاولات فاشلة ومحبطة ؟ كانت ردود الرجل صادقة وصادمة ولا تحتمل التأويل .. فغياب الديمقراطية والجمود السياسى فى البلدان العربية جعل من تداول السلطة ضربًا من الخيال ، لذلك تظل الآراء والرؤى الشخصية للحكام هى الأساس أما آراء الشعوب فلا وزن لها داخل أنظمة الحكم العربية !!

وبعد أن إنتهى الرجل من مقابلته التلفزيونية جلست أمامه فى محاولة جادة لاستشراف المستقبل ودار بيننا الحوار التالى :

● **الأستاذ الدكتور حسن نافعة :**

نظرة الى المستقبل.. نريد أن نتناقش ونتحاور حول المستقبل ، فمصر تمتلك من النخب والعقول والمفكرين ما يمثل رصيدا هائلا يستطيع أن يخوض معركة المستقبل بكل قوة .. فالحاضر بكل ما فيه من مآس يستنزف قوانا فى الوصف والشرح والتشخيص ، ناهيك عما يثار من خلافات واختلافات بين التيارات المختلفة حول قراءة الأحداث التاريخية ..

لذلك أحاول الآن أن أنظر إلى المستقبل، فلا وقت للبكاء على اللبن المسكوب أواللبن المسلوب، ولكن يجب أن نخصص كل وقتنا صوب المستقبل

●● بدأ الدكتور حسن نافعة بقوله : المستقبل .. المستقبل

دعنا نتفق على أن تكون نظرتنا للمستقبل نظرة واقعية ، وحتى لا تكون نظرتنا لهذا المستقبل نظرة خيالية فلابد أن تنطلق من الواقع.. لابد من تشخيص سليم لهذا الواقع حتى نستطيع أن نحدد الطريق الذى يجب أن نسلكه للخروج من هذا الواقع الكئيب إلى آفاق أرحب ، لأن المستقبل مليء بالسيناريوهات .. فهناك أكثر من سيناريو إذا تحققت ظروف معينة يمكن أن تدخل فى طريق معين يفضى بك إلى كارثة ، ويمكن ان تدخل فى طريق آخر تتقدم من خلاله وتحقق إنجازات مهمة جدا كذلك من الممكن أن تقف فى منتصف الطريق فلن تغرق ولن تنطلق و تحلق فى سماء النسور ، إذن :

المستقبل محكوم بقدرتنا على أن نشخص الواقع تشخيصًا صحيحًا وأن نبلور الآليات القادرة على انتشال المجتمع من هذا الواقع الكئيب الذى يعيشه .

وأنا فى تقديرى الشخصى أن الوضع العام سيئ للغاية ولكن السؤال الأهم هو لماذا الوضع سيئ لهذا الحد ؟

فالمشكلة فى جوهرها تكمن فى شكل النظام السياسى فى مصر ، وبوضوح شديد ما لم يكن هناك نظام سياسى (تمثيلى) يعبر عن الإرادة الشعبية بصدق، به انتخابات حرة ونزيهة، به آلية إنتقال للسلطة، به أجهزة للمحاسبة و للرقابة والشفافية، ما لم يكن هناك كل ذلك فلن نخرج أبدا من تلك الازمة ، فى نفس الوقت فالنظام السياسى ليس أداة سحرية للانطلاق ، فإذا استطعت أن تقيم نظاما سياسيا معبرا عن إرادة الشعب فهذه وسيلة لكى تنطلق. على النخبة إذن عندما تتيقن وتتأكد أن النظام السياسى هو نظام معبر عن الإرادة الشعبية وممثل له تمثيلا حقيقيا فعلى النظام السياسى أن يبحث عن طريق لتحقيق أمن مصر وتحقيق تنمية مصر، ولتحقيق تقدم علمى وتكنولوجى شامل فى مصر. وأنا أرى أن الكارثة التى حلت بمصر كان سببها الأساسى أنها لم تدرك كما ينبغى ان أمن مصر مرتبط ارتباطا عضويا بأمن العالم العربى، ولذلك أنا من الذين إنتقدوا الرئيس السادات بشدة بسبب سياساته وهذا الانتقاد ليس لأننى أرفض فكرة السلام مع إسرائيل لكن لأننى على يقين من أن إسرائيل لا تريد السلام ، وليست ناضجة بعد للسلام، وأنها لن تدخل فى سلام أو فى تسوية ونحن

يجب على الأرجح أن نتحدث عن تسوية وليس سلاما ، فالسلام مستحيل مع إسرائيل ومنذ ما يقرب من ربع قرن تقريبا أصدرت كتابا بعنوان [مصر والصراع العربى الإسرائيلى من الصراع المستحيل إلى التسوية المستحيلة] . وكان تقديرى أن الطريقة التى أدارت بها مصر هذا الصراع لم تكن مرتكزة على الدبلوماسية وحدها، فوزارة الخارجية لم يكن لديها حول ولا قوة ، لأن الذى اتخذ قرار زيارة إسرائيل هو السادات، والذى قرر أن يوقع على اتفاقية كامب دافيد هو السادات . أما وزارة الخارجية فلم تلعب دورًا فاعلًا على الإطلاق وليس ذلك فحسب بل كانت معترضة من الأساس؛ فوزير الخارجية إسماعيل فهمى استقال، ومحمد رياض وزير الدولة للشئون الخارجية استقال فى نفس الوقت . ليس ذلك فحسب بل عندما ذهب محمد إبراهيم كامل وحضر المفاوضات قدم استقالته فى نهاية المؤتمر ولم تعلن إلا بعد التوقيع، وذلك بسبب اتفاقيات كامب دافيد أيضا . ونبيل العربى أيضا لفت نظر السادات بأن هناك أوجه خلل كثيرة فى الاتفاقية ولم يأخذ بها السادات كذلك .

وهنا أعلن أننى كنت مستعدًا لقبول فكرة السلام مع إسرائيل، وحتى اتفاقيات كامب دافيد رغم أوجه القصور فيها، وهى كثيرة جدا ، كنت مستعدًا أن أقبلها إذا كان فى ذهن صاحب القرار أن يدخل فى مرحلة هدنة طويلة يستطيع أن يبنى خلالها مصر. لكن انظر ماذا حدث منذ زيارة السادات للقدس وقد مر على تلك الأحداث ما يقرب من ثلاثين عاما ، انظر إلى المانيا مثلا التى دمرت تدميرا هائلا خلال الحرب العالمية الثانية، انظر إليها الآن وبعد مرور ثلاثين عاما نجد أن ألمانيا حققت إنجازات ضخمة وضعتها فى مصاف الدول على المستوى العالمى ، وهنا لو كانت معاهدة السلام حقيقية وتفرغت مصر للبناء لكانت قد وصلت الآن إلى دولة كبرى يعمل لها ألف حساب وكانت إسرائيل قد تنبهت الى حجمها الطبيعى فى المنطقة ، وهنا نتساءل لماذا تستأسد إسرائيل علينا إلى هذه الدرجة؟

لأنها استخدمت اتفاقيات كامب دافيد لتحييد وشل دور مصر وللدخول والتغلغل فى أحشاء مصر بهدف إضعافها . ولم ينجح النظام المصرى فى أن يتحصن بأسباب المناعة الحقيقية التى تمكنه من مقاومة هذه الفيروسات التى دخلت فى جسده. ودخلنا فى متاهات حول مصر أولا ، ودخلنا فى صدامات مع الآخرين ، ولم نصنع

سلاما حقيقيا مع إسرائيل ودخلنا فى مشكلات كثيرة مع الآخرين . إذن أنا كنت على استعداد لقبول فكرة السلام حتى بمنطق كامب دافيد وحتى مع زيارة القدس إذا كانت فى إطار هدنة طويلة الأجل نستغلها فى بناء مصر .

والناتج أنك لم تستطع أن تبنى مصر ولم تحقق سلاما حقيقيا .. هذا الاتفاق أضعفك و أضعف مناعتك الداخلية، أعطى الفرصة لشريحة معينة من النخبة أن تستحوز على الثروة وعلى السلطة فى البلاد وأن تفقد الغالبية العظمى من المجتمع من حقوقها المختلفة ، وهذا هو الخلل والتشوه الكبير جدا فى التركيبة الاجتماعية فى مصر حيث تآكلت الطبقة الوسطى وضاعت معالمها ولم يرتق من هذه الطبقة إلى أعلى إلا شريحة صغيرة جدا وفتحت أمامها بعض الأبواب ولكن الأغلبية الساحقة من الشريحة المتوسطة تم إفقارها ومعظم موظفى الدولة الآن أصبحوا من الفقراء الذين لم يستطيعوا أن يعيشوا إلا على حد الكفاف.

وهنا يجب أن نتطرق إلى أخطر ما حدث وهو تدهور العملية التعليمية بكافة أركانها وأشكالها . ناهيك عن التدهور المخيف فى الخدمات الصحية . علاوة على تدهور منظومة النقل والمواصلات رغم كل ما يقال عن إعادة بناء البنية الأساسية .

فما تم هو نجاح نسبى فى البنية الأساسية مقارنة بما كان قائما ، لكن المقارنة بما كان ينبغى أن يتم .

الخلاصة :

هناك انهيار تقريبا فى كل شيء، و أخطر ما أصاب مصر على الإطلاق هو انهيار التعليم.

أولا عجزت الدولة عن إقامة الجامعات ومراكز البحوث التى تستوعب تلك الأعداد الهائلة من الشباب المصرى وحدث تكدث رهيب داخل الجامعات وتزداد الأمور تعقيدا يوما بعد يوم ولا تستطيع حتى أن تسير على قدميك داخل الحرم الجامعى، ولك أن تتخيل هذا الوضع وما ينبغى أن يكون، حيث أنه من الضرورى أن يكون هناك نشاط ثقافى واجتماعى، وتكون هناك علاقة جيدة بين الأساتذة والطلاب، ويكون الأساتذة أنفسهم مؤهلين علميا وتربويا . الآن تجد المعلم وأستاذ الجامعة

مشغول بأموره الخاصة سواء المادية أو غير المادية. وفى نفس الوقت لا يوجد لدينا ملاعب ولا مسارح لممارسة الأنشطة المختلفة للطلاب والأخطر أننا ليس لدينا أسلوب للتربية واتحادات الطلاب مقيدة داخل الجامعات. والطالب لا يستطيع أن يتنفس فإذا قام الطلاب بمظاهرة ما وجد حشود الأمن المركزى له بالمرصاد وأنا أتساءل وكما قلت فى مقالاتى .. هل تحولت جامعة القاهرة إلى ثكنة عسكرية ؟!

فالجامعة لا تستطيع أن تنهض إطلاقا إلا إذا توافر لها أمران:

- الاستقلال المؤسسى

بمعنى أن الجامعة تدير نفسها بنفسها ويكون لها الموارد الخاصة التى يمكن من خلالها أن يتم الإنفاق على البرامج التعليمية والبحثية وكافة الأنشطة الطلابية

- سقف الحريات

لابد أن يكون هناك حريات أكاديمية مطلقة وكاملة، بمعنى أن الباحث يستطيع طالما أنه يفعل المنهج العلمى ويبحث عن الحقيقة فى أى فرع من فروع المعرفة فليست هناك محرمات وليست هناك تابوهات وليست هناك أوامر ، لكن يمكن للدولة أن تقيم علاقة أكاديمية مع الجامعة، ويجب أن يتم هذا حيث توضح الدولة أولوياتها التنموية لكى تصبح الجامعة جزءًا من أسلوب وطريقة الحل العلمى للمشكلات القائمة لكن لا تملى الدولة على الجامعة منهجا أو رأيا أو قرارا أو تتدخل فى الإدارة أو تدخل فى الشأن العلمى، وبالتالى أنا أرى أن أحد الكوارث التى ألمت بمصر هى الجامعات الخاصة. وأبدا ليس مجانية التعليم مشكلة. ففرنسا بها مجانية تعليم كاملة والتعليم ليس متدهورا ، فعندما حاولنا أن نطور التعليم قيل إن الجامعات الخاصة ستسهم فى الحل فتحول التعليم الخاص إلى كارثة كبيرة ، فلا توجد دولة واحدة فى العالم، التعليم بها مدر للربح ، حتى التعليم الخاص فى الولايات المتحدة الأمريكية التى تعتبر معقل الرأسمالية والحرية الاقتصادية هو تعليم أهلى بمعنى أن هناك جمعا للتبرعات وما يدفعه الطالب لا يمثل إلا جزءًا بسيطًا جدا من التكلفة الحقيقية، وباقى التكلفة تغطى من التبرعات والمساهمات وهذا يحدث حتى فى جامعة عريقة مثل هارفارد ، بالإضافة إلى أنه فى كل جامعة مراكز بحوث علمية ضخمة خاصة بها تمول من

الفوائض والتبرعات والمساهمات لذلك تجد عددا كبيرا من أساتذة الجامعة الأمريكية يحصلون على جوائز نوبل فى شتى المجالات.

و النتيجة أن هناك من بين كل ٢٠ جامعة متطورة من أرقى الجامعات فى العالم تجد ١٨ منها جامعات أمريكية ، فالإمكانات هائلة والاستقلال المؤسسى والحريات الأكاديمية هى بالتأكيد التى أوصلت الجامعات الأمريكية إلى ذلك. وهنا نتذكر الانتفاضة الأمريكية بعد أن حقق الاتحاد السوفيتى سبقا فضائيا فى مطلع الخمسينيات تلك الانتفاضة العلمية والإجتماعية والثقافية الشاملة ، وأيقنت الولايات المتحدة أن كارثة ستلحق بها ما لم تنهض وبالتالى انطلقت ثورة علمية لا مثيل لها فى تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية وبالفعل خلال سنوات قليلة استطاعت أمريكا أن تنزل إنسانًا على سطح القمر وبالتالى استطاعت أن تلحق بالاتحاد السوفيتى فى المجالات التى تفوق فيها وتتفوق عليه ثم يصبح هذا التفوق الأمريكى المذهل هوسبب انهيار الاتحاد السوفييتى فيما بعد .

عموما فالنهضة لابد وأن تكون شاملة وفى جميع المجالات وبطريقة متوازية ولا يمكن أن تكون قطاعية، لكن فى كل الأحوال (البداية لابد وأن تكون فى المعمل). فأنت تستطيع أن تبنى جيشًا وتعده لخوض معركة مثلا وتحوله إلى جزيرة معزولة نسبيا للقيام بمهمة معينة ، لكن المجتمع لا يمكن أن ينهض من خلال جزر معزولة. فلابد أن تتكامل كل القطاعات وتغذى بعضها بعضا وتدعم بعضها بعضا وتنهض مع بعضها البعض.

● قلت للدكتور حسن نافعة .. بالتأكيد هذا هو دور الدولة ؟

●● هذا الدور هو دور الدولة والمجتمع معا ، وأنا لا أؤمن بدور الدولة فقط. لكن أؤمن بدور المجتمع المدنى ، حيث إن دور المجتمع المدنى فى غاية الأهمية ، لأن النهوض بالمجتمع ككل لا تستطيع أن تقوم به الدولة بمفردها. وعلينا أن نفجر كل طاقات المجتمع. ولكى تتحول تلك القدرات الشعبية الهائلة إلى طاقات تنموية عليك أن توجه وترشد وتحدد الأولويات، وأن يكون النظام السياسى نظاما ممثلا ومنتخبا وشرعيا حتى تستطيع أن تجعل هذه الجماهير تثق فى النظام السياسى، وبالتالى تطمئن إلى أن ما ستقوم به سيصب فى النهاية فى مصلحة الجميع. وفى كثير من الأحيان، الدولة تقمع المجتمع المدنى وتحاول أن تجهضه وتدخل فى منافسة معه ، وتتصور أن المجتمع

المدنى ينقص من هيبتها ، مع أن العكس هو الصحيح إذا كان النظام معبرا عن إرادة الشعب من خلال تمثيل حقيقى فيفترض أن أحد مظاهر قوة النظام أن يحرك جموع الشعب معه ويشجعه ويعطيه حوافز ويفسح له الطريق ويمنحه مساحة الحرية المطلوبة ويطلعه على الأولويات، لأن العمل العام من خلال مشاركة شريحة من النخب تمثل ١٠٪ مثلا سيكون مختلفا عن مشاركة مليون أو عشرة ملايين مواطن فى منظومة العمل العام .

● قاطعت الدكتور حسن نافعة :

لقد وصلنا الآن إلى التشخيص الحقيقى للحالة المصرية ووضعنا أيدينا على المشاكل والأزمات المتنوعة .

ونحن الآن نسير كوطن ودولة وشعب بدون جدول أعمال والأولويات غير واضحة ومن ثم لا يوجد اتفاق عام حول أى من المشروعات القائمة .. وببساطة شديدة ودون الدخول فى تعقيدات أكاديمية لو طلبت من الأستاذ الدكتور حسن نافعة أستاذ العلوم السياسية والكاتب والمحلل والمثقف أن يضع لنا جدولا للأعمال لهذا الوطن وأن يوضح الأولويات ..

دكتور نافعة من أين نبدأ ؟؟؟

●● البداية لابد وأن تنطلق من النظام السياسى ، انتخاب رئيس الدولة . إذا أجريت انتخابات حقيقية لرئيس الدولة أو أجريت انتخابات حقيقية لممثلى الشعب دون أن يتدخل جهاز الأمن ، مع اتخاذ كافة الإجراءات والتدابير اللازمة لضمان نزاهة العمليات الإنتخابية بدءا من الإشراف القضائى الكامل وعدم تدخل الأجهزة الأمنية فهنا سوف تبدأ العجلة فى الدوران ، وأنا من الذين طالبوا وبشدة بوضع خطة ولو على مدار ١٠ سنوات، ونقول مطلوب فترة تحول إلى الديمقراطية الكاملة خلال ١٠ سنوات، وبالتالى أبدأ بحرية تشكيل الأحزاب دون أية قيود على الإطلاق إلا القيود المفروضة لصالح المجتمع ، فعندما نقول لا للأحزاب الدينية فلا يعنى ذلك أن تتحول المسألة إلى قمع للإخوان المسلمين ، ولا أقول أنه يجب أن يتم فصل الدين عن السياسة والدولة تتدخل كل يوم من خلال فتاوى ! فالدولة هى التى تسيس الدين فى واقع الأمر ، فلو منحنا الأزهر الحرية الكاملة لاختيار علمائه، ولو تركنا لكل التيارات بما

فيها التيار الإسلامى الحرية فى تشكيل أحزاب بحيث إن تلك الأحزاب لا يجب أن تكون أحزابًا دينية بل أحزابًا ذات مرجعية دينية فقط

الخلاصة

يجب أن يتم حل مشكلة النظام السياسى أولا :

■ حرية تشكيل وتكوين الأحزاب السياسية.

■ تكون هناك انتخابات نزيهة ومتدرجة بمعنى أنه ليس بالضرورة أن أطلق كل الحريات وأستطيع أن أطلق كل الحريات ، أنا لن أستطيع أن أتحول فجأة إلى بلد ديمقراطى كامل، لكن أستطيع أن أقوم بصياغة برنامج ديمقراطى للانتقال من النظام السلطوى إلى النظام الديمقراطى على مدى عشر سنوات وهذا أمر ممكن ، لكن يجب أن تكون سليم النية ومنزه عن الغرض فى أن تكون لديك الرغبة الحقيقية فى التحول الديمقراطى

(مش أحجز البلد كلها علشان إبنى ييجى رئيس جمهورية أو فلان ييجى أو الحزب الفلانى هو اللى يمسك)

لابد من أن نترك الحرية والمنافسة الكاملة ونترك للجميع فرصًا متكافئة، ولكى يختار الشعب من يعبر عنه ويكون رئيس الدولة صمام أمان لكى يضبط الأمور وحتى لا تتحول هذه الحرية إلى فوضى، وإذا حدث هذا المناخ ستتبلور تيارات سياسية جديدة وحقيقية. وهنا لن يكون عندك حزب الوفد بمفهومه القديم، ولا حزب التجمع بمفهومة القديم، ولا الماركسية بمفهومها القديم، وهكذا. وهنا سيكون لديك أفكار جديدة عاكسة للمجتمع ثم نستطيع أن نفرز نخبة تم تدريبها خلال هذه السنوات العشر يكون لها جماهيرية حقيقية فى الشارع، ولها برامج ولديها قدرة على القيادة وهنا يبدأ المجتمع فى التفاعل وتبدأ الأغلبية الصامتة ــ التى لم تكن تنزل الى الانتخابات ولم تشارك بالرأى - عندما تحس تلك الجموع أن تغييرا حقيقيا قد حدث ستشارك وبفاعلية فى كل ما يخص العمل العام. وهذه المشاركة ستمكنك من إفراز نخبة قادرة على أن تقود البلد . إذن أنا أرى أن المفتاح هو عملية التحول الديمقراطى ثم بعد أن يكون هناك نظام ديمقراطى لابد من وجود سياسات ، ولأننا لا يوجد لدينا موارد كى نسير بقفزات هائلة لابد وأن نأتى على الأولويات كما يلى :

الأولوية لابد وأن تكون .. التعليم ثم التعليم ثم التعليم .

فلو استطعنا أن ننفق ٥٠٪ من ميزانية مصر على التعليم سيكون ذلك لا شك هو بداية الإصلاح ، لأن مصر لن تبنى إلا بالتعليم والبحث العلمى والتكنولوجيا ، ولابد من إقامة مراكز ضخمة للبحث العلمى. ولابد من اقتحام المجالات التى تمثل الريادة فى البحث العلمى الحالى، فلابد من الدخول مباشرة فيها يسمى بالجيل الرابع للثورة العلمية والتكنولوجية مثل الهندسة الوراثية والنانوتكنولوجى والبرمجيات والاتصالات والذرة. هذه القطاعات التى تمثل قاطرة حقيقية للنهضة المجتمعية الشاملة .

ونحن نحتاج إلى نوعين من القيادات فى مصر :

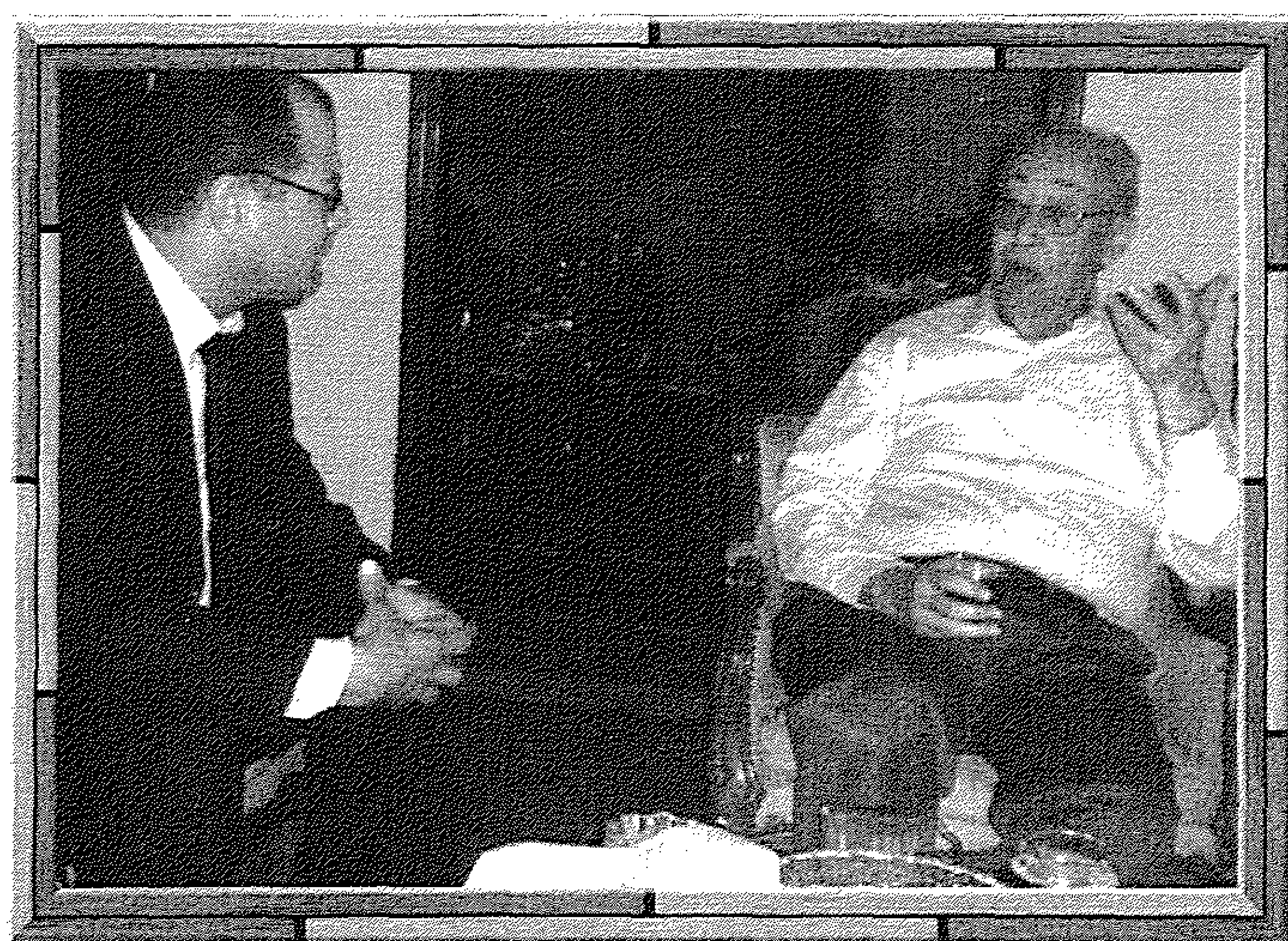
- نحتاج إلى قيادات سياسية لها شعبية ومدربة وتستطيع أن تقود الجماهير بعقل، وهذا لن يأتى إلا بالممارسة السياسية والتحول الديمقراطى

- نحتاج إلى تكنوقراط ومهنيين، وهذا لن يتحقق إلا إذا كان هناك تعليم متميز. ولابد أن يكون طموحنا أن نحقق أعلى مستوى نموذج فى التعليم ، ولحسن الحظ أننا فى مصر لدينا عناصر كثيرة جدا على درجة عالية جدا فى المهارات الفردية.

فالشعب المصرى أستطيع أن أشبهه بالمعدن النفيس المدفون الذى تراكم عليه التراب ، فقط يريد من يزيل هذا التراب البسيط ، فالنوابغ الموجودة فى المجتمع المصرى مدفونة وهى حية فى القرى والنجوع وهى تريد فقط من يلتقطها ويمنحها حدًّا أدنى من الرعاية حتى تنطلق بالمجتمع .

إذن مطلوب ديمقراطية لبناء الكوادر السياسية ، ومطلوب تعليم جيد لبناء الكوادر الفنية ذات المهارات التى نستطيع بها أن نبنى المجتمع .

***



اللواء

فؤاد علام

الخبير الأمني

كنت أبحث عن شخصية تنتمى إلى مؤسسة الأمن المصرية ، رجل أمن محترف ، ذي رؤية إستراتيجية شاملة ، لديه قدرة على الاتصال والتواصل مع مؤسسات المجتمع المدنى ، يجيد الحوار ويؤمن به ، قمت باستشارة الكثير من أصدقائى من العاملين بالمؤسسة الأمنية ، وبالفعل اتفقت الآراء والرؤى على اسم اللواء / فؤاد علام الخبير الأمنى المعروف والمسؤول الكبير بجهاز مباحث أمن الدولة سابقا . قد تختلف كثيرا معه، لكنك فى كل الأحوال لابد أن تحترمه ، اتصلت به وحددنا معا موعد اللقاء ومكانه ، ذهبت إليه، وعلى مدار ثلاث ساعات دار بيننا الحوار التالى :

قلت للواء/ فؤاد علام:

الوضع الراهن والعبور إلى المستقبل هما القضية التى تشغل كل المهمومين بمستقبل هذا الوطن، وحتى تنجح عملية العبور لابد من وجود قواعد ننطلق منها صوب هذا المستقبل .. كيف ينظر اللواء / فؤاد علام إلى مستقبل مصر وما هى القواعد التى يجب أن نقوم بإعدادها من الآن حتى ننطلق منها إلى المستقبل المأمول ؟؟؟

بصفة عامة أنا لست متشائما ، لكن فى المرحلة الحالية أرى حولى العديد من الضغوط التى تبدد كثيرا من التفاؤل الذى عشت كثيرا متمسكا به وكنت أتمناه طوال حياتى ، كنت دائما أعشق التفاؤل ولم أرتد نظارة سوداء يوما ما ، لكن الحقيقة أن هناك مشاكل عديدة وهناك تعقيدات كثيرة لحل هذه المشاكل ، هناك مناخ عام غير مريح الى حد ما ، إلى جانب هذا هناك محاولات مستميتة لإيجاد معالجات لكثير من القضايا السياسية أو الاقتصادية ، **لكن أصعب ما هو موجود هو غياب التفاعل الشعبى** ، بمعنى أن أى شيء تقوم به الدولة أو النظام أو الحكومة أو أى مجموعة من الناس ، لابد أن يلقى القبول من الناس ، لكن المشكلة الآن أن بعض النجاحات فى بعض المجالات لا تلقى

القبول الشعبى ، إما لأن الناس غير متقبلة فكرة تحقيق نجاح بأى حال من الأحوال ، أو لأن الضغوط أكبر من أن تستوعبها، وأصبحت أوضاعهم متردية فى كثير من المجالات المعيشية والحياتية والتعليمية. فالمواطن المصرى ليس لديه ثقة فى الأنظمة التعليمية ولا فى أنظمة التأمين الصحى ، ما أريد أن أقوله أن التفاعل مع محاولات الإصلاح لا تلقى صدى لدى المواطنين حتى لو كانت بعض السياسات صحيحة وجادة. ومن هنا فكثير من النجاحات تفقد قيمتها لأن المواطن غير متفاعل معها ، فمثلا نحن نرى محاولات جادة للتغلب على مشكلة القمح، ومن ثم المشكلة الأساسية لدى المصريين وهى مشكلة رغيف الخبز . وبالرغم من تحقيق بعض النجاحات فى بعض المناطق والأقاليم فإن الغريب حقا أن الناس لا تريد أن تصدق !! وهذا فى رأيى يعود إلى كثرة الضغوط والتجارب السابقة ، هناك نوع من الإحباط الشديد يسود خلال هذه المرحلة ، وهذه النقطة تحديدا هى أخطر ما يواجه المجتمع المصرى الآن .

والقضية الثانية التى تمثل خطرا حقيقيا على المجتمع المصرى هى قضية فقدان الولاء والانتماء للأسرة ومن ثم للمجتمع ومن ثم للوطن ككل فى النهاية ، وأشعر فى بعض الاحيان بأن بعض المواطنين يقصد ألا يؤدى أداءً جيدا (إننى أشعر أن هؤلاء يستخسرون العمل). فهذا المواطن ليس لديه مشروع يلتف حوله، وغابت عنه فكرة الإنتماء والولاء، وحتى على مستوى الأسرة فالمواطن ليس لديه مشروع خاص. لذلك هذا المواطن يفقد الأمل فى المستقبل.

المشكلة الثالثة التى أرى أنها تؤثر سلبا على المجتمع المصرى وهى مشكلة تعقيد وجمود الجهاز الإدارى للدولة على كل المستويات ، ليس على مستوى الموظفين صغارا أو كبارا فقط بل يصل الأمر إلى بعض الوزراء والمحافظين ، هناك أمثلة عديدة على قصر نظر وجمود التفكير لبعض كبار المسؤولين ، مما يؤثر سلبا على سير العمل داخل الدولاب الحكومى ، وكذلك نرى بعض المسؤولين خاصة فى مجلس الشعب يستخفون بعقول الجماهير اثناء مناقشات أخطر القضايا التى تهم المواطنين .

المشكلة الرابعة غياب فكرة المراجعة والمحاسبة للسادة المسؤولين الذين اتخذوا من القرارات ما أضر بالمجتمع والدولة، ومنهم من يستمر فى منصبه لفترات طويلة دون مراجعة أو محاسبة رغم أن سياساته لها نتائج وخيمة على الجميع ، ففكرة بيع القطاع

العام على سبيل المثال ورغم الطنطنة الشديدة حول هذا الموضـوع إلا أننـا وجـدنا آراء تعارض هذا التوجه، ولم يستمع إليها أحد، ولم يناقشها أحد ، حيث يـتم اتخـاذ القـرار دون مناقشة أو مشاركة فى اتخاذ القرار . والغريب أننا ما زلنا نتـساءل مـن الـذى اتخـذ القرار ؟ ومن الذى ينفذه ؟ ومن الذى يراجع ما يتم تنفيذه ؟

أنا اليوم أقوم بمراجعة نفسى أجد أن بعض نتـائج بيـع القطـاع العـام قـد تتسبب فى إشعال نار الفتنة الأهلية والثورة الشعبية، وأضرب مثلا حيا على ذلـك وهـو موضـوع المجمعات الاستهلاكية التى كانت تحدث توازنـا فى الـسوق خاصـة فى تـوفير الـسلع الضرورية ، وكان لهذه المجمعات دور بارز فى ضبط الأسواق ، ومن ناحية أخرى فـإن هذه المجمعات بمثابة أحد الأدوات الهامة فى يد الدولة لمنع أية تلاعبات فى الأسـعار ، وعندما نوقشت فكرة إلغاء تلك المجمعات أطيح بالوزير الذى عارض هـذا الإلغـاء وكان هذا الوزير من أعظم العقـول وأنـزه الشخـصيات عـى الـساحة المـصرية وهـو بالتحديد الدكتور أحمد جويلى ، من هنا وطالما نحن نتحدث عن المـستقبل فلابـد مـن مراجعة بعض السياسات والقرارات التـى تمـت وكـان لهـا تـأثير سـلبى ، ثـم نـرى المسؤولين الذين أقدموا على مثل هذه السياسات إما بعجرفـة أو بجهـل أو عـن عمـد ومن تصرف عن عمد، وهو يعلم المردود السلبى لقراراته فهو مسؤول يخـرب فى هـذا البلد ، ما هى نتائج هذه القرارات ؟ ويـتم دراسـة ومراجعـة ومحاسـبة المـسؤول - أى مسؤول - إنما يجب ألا تترك الأمور هكذا بدون حساب ، حتى يكون هؤلاء المسؤولون عبرة لمن يـأتى بعـدهم فـلا يجـب أن تكـون الأهـواء الشخـصية متحكمـة فى الأمـور والقضايا الوطنية. فإذا كان هذا المسؤول متعمدا وسيئ النية ولا يحاسب فسيأتى بعده من هو أسوأ. وعند هذه النقطة أتذكر قضية مقتل الـرئيس الـسادا ت ، حيـث كانـت هناك أخطاء جسيمة فى الخطة الأمنية ، وأى رجل أمن عادى عاش هذه المرحلة وكـان قريبًا من الأحداث كان لابد وأن يتوقع مقتل السادات، ومع ذلـك خرجـت أصـوات محذرة وأنا منهم، كيف لانقوم بتقييم ما حدث وما هى الأسباب ومن هو المسؤول عـما حدث؟ لابد من المحاسبة والمراجعة. الخلاصة فى هذه النقطة أن الجهاز الإدارى معقـد جدًا. لـذلك لابـد أن يـتم تفعيـل مبـدأ الثـواب والعقـاب لتفعيـل مبـدأى المحاسـبة والمراجعة.

القضية الرابعة وهى المشكلة الاقتصادية وحلها لـيس مستعـصيا فـنحن يجـب أن نكون فى مصاف الدول المحترمة لأننا نملك مقومات النجاح بـلا حـدود لكـن هنـاك

تراجع بصورة خطيرة جدا جدا جدا وفوق ما تتصور ، فمنذ أكثر من ثلاثين أو أربعين سنة ونحن نقرأ ونسمع عن قضية المياه التى تتفاقم يومًا بعد يوم. وكل التوقعات تؤكد أن حروب المياه قادمة لا محالة ، ومع ذلك فهناك برامج علاجية لهذه المشكلة لا أدرى لماذا لم يؤخذ بها حتى الآن ، ويأتى فى مقدمة هذا ضرورة تعديل نظام الرى فورا وبدون تأجيل ، فأزمة المياه الطاحنة قادمة لا محالة ، والله يكون فى عون الأجيال القادمة! عندما لا يجد هؤلاء كوب المياه .. عندما لا يجد هؤلاء مياهًا تكفى للزراعة ، لابد من التعديل الفورى لنظم الرى الحالية لترشيد استخدام المياه، ومن ناحية أخرى فالدراسات العلمية تؤكد وتوضح أن هناك تغيرات مناخية حادة ستتسبب فى ارتفاع منسوب المياه فى البحار والمحيطات ، والسواحل الشمالية لمصر معرضة للغرق بدءا من العريش وحتى مرسى مطروح، وبنسب متفاوتة تصل أحيانا إلى عمق ثلاثين كيلو مترًا، الخلاصة أن هناك دراسات علمية متداولة وأبسط شيء يجب ان نقوم بدراسة الموقف الراهن ووضع الحلول للازمة والسيناريوهات البديلة .

وأنا فى حواراتى مع وسائل الإعلام المختلفة أحاول أن أكون مدافعا عن الحقيقة باستماتة ، فى بعض الأحيان هذه الحقيقة تكون بجانب الحكومة ، الناس تكره ذلك وأجد عتابًا من بعض المقربين. والغريب أن هؤلاء المقربين يعترفون أن كلامى موضوعى جدا ومنطقى جدا لكنهم يعلقون .. لكنك تدافع عن الحكومة!! ، ومن الناحية الموضوعية أنا أهاجم الحزب الوطنى بعنف لأننى غير مؤمن به بالمرة.

الناس لا تتقبل حتى الآراء الموضوعية طالما تأتى فى صف الحكومة ، وهذا يبين مدى كراهية الرأى العام لكل ما هو حكومى وهذه كارثة ومصيبة المصائب ، إننى أحس فى كثير من الأحيان أن الرؤية السياسية فى كثير من القضايا محدودة حيث أن البعد السياسى غير موجود وخصوصا فى بعض الوزارات ، والمثل الحى لذلك هو ما حدث فى مؤتمر القمة العربية الذي عقد منذ فترة قصيرة بسوريا ، وأرى أن مقاطعة المؤتمر كان كارثة حقيقية، فكيف أقبل بالجلوس مع إسرائيل من أجل التفاوض معها ولا أقبل بالجلوس مع الدول العربية لتصفية أية خلافات إن وجدت ، وأنا الآن أهاجم السياسة الخارجية فى مصر والتى أراها متراجعة تماما بعد عمرو موسى ، أنا لا أستطيع أن أفهم أو أتقبل ما يحدث فكيف أجلس مع العدو الحقيقى، وهو أكبر مخادع فى العالم ولا أجلس مع الدول العربية ، وما حدث فى هذه القمة إهانة للشعوب العربية بالكامل ، وهو فشل

ذريع للسياسة الخارجية لمصر ، فكيف لمصر وهى الأم والقلب والعقل و الثقافة ، لماذا تتنازل مصر عن موقع الريادة طواعية ودون مبرر ؟ كيف أقاطع القمة التى يجب أن أكون الكبير لها وفيها ، **ويبدو أننا نقترب من خط النار بأيدينا ، والزعماء العرب لا يشعرون أن حبل المشنقة يقترب من رقابهم الواحد تلو الآخر ، والذى لم يحاسب اليوم سيحاسب غدا** ، وما يحدث فى لبنان لا تفسير له إلا تحطيم اى صوت يرتفع فى مواجهة إسرائيل. المقصود هو قتل ما تبقى من قلة قليلة ظلت تقاوم العدو الإسرائيلى ، وسوريا هى الدولة الوحيدة الباقية بعيدا عن الحظيرة الأمريكية وتقف بجوارها إيران كمحور من محاور الشر كما تقول أمريكا ، والأدوات المستخدمة فى يد كل من سوريا وإيران هى حزب الله فى لبنان وحركة حماس فى فلسطين ، فما يحدث على أرض لبنان ليس له علاقة بلبنان وإنما القصة تبدأ من سوريا وتنتهى بإيران والخيوط فى يد الولايات المتحدة الأمريكية فى كل الأحوال ، إن هدف الولايات المتحدة وإسرائيل هو القضاء على حزب الله وحركة حماس ولن يتم القضاء على هاتين القوتين إلا عن طريق قطع خطوط الاتصال وإيقاف الدعم السورى لهما ، وإذا تم القضاء على كل من حماس وحزب الله فهذا يعنى القضاء على مشروع المقاومة فى المنطقة وفى نفس الوقت يعنى ذلك أننا نفرش الأرض ورودا للمشروع الذى لا ننتبه إليه كثيرا وهو إسرائيل الكبرى، وإذا كان البعض ناسيا لابد أن يذكر بعضنا البعض بأن إسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات ، وهذا موجود بوضوح فى الخريطة الموجودة فى الكنيست الإسرائيلى وعلى العملة الإسرائيلية (الشيكل).

● قاطعت اللواء فؤاد علام :

الدور المصرى والسعودى والأردنى داخل منظومة العمل العربى يمثل لغزا محيرا للمراقبين والمحللين ما هى قراءة اللواء فؤاد علام لهذا الدور ؟

●● أقول لك إن ملف السياسة الخارجية المصرية الآن ليس صفرا فحسب ولكنه يعود علينا بالسالب. فالعمل العربى والمنظومة العربية تحتاج إلى إعادة تشغيل بعد فترات التوقف الطويلة والذى يعود فى المقام الأول الى عدم قيام مصر بدورها الإقليمى العربى كما تمليه اعتبارات الأمن القومى .

وهنا أود أن ألقى الضوء على قضية المعابر .. وأنا كرجل أمن محترف أقول إن المعابر بين مصر وقطاع غزة لا يمكن أن تستمر مغلقة لمدة شهور . ليس هناك سبيل بأى حال من الأحوال أن تستطيع أن تسيطر على الحدود بين أى دولتين متجاورتين فى العالم مهما أوتيت من قوة ، نحن لدينا أكثر من ١٨٠ كيلومترًا كمنطقة حدودية لا يمكن أن تحكم السيطرة عليها بأى حال من الأحوال حتى لو وضعت ١٠ عساكر على كل كيلومتر ، وإحدى وسائل تأمين الحدود هو عدم تفجير الأمور والحفاظ الدائم والمستمر على ضبط النفس . وهنا أتذكر المشكلة التى تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية فى حدودها مع المكسيك حيث الهجرة المستمرة والعشوائية من المكسيك ولم تستطع أمريكا معالجة الموضوع من الناحية الحدودية والأمنية فقط لكنها اتخذت سلسلة من الإجراءات والتدابير ليس من بينها المواجهة والتصعيد ، حيث قامت الولايات المتحدة بتقنين وضع الحالات الموجودة على أراضيها وتسمح بدخول أعداد أخرى محددة وفق ضوابط محددة ، فالمنع غير كاف على الإطلاق فى تلك المسائل المعقدة، فلا يمكن أن نتعاون مع إسرائيل فى إحكام الحصار على غزة فهذه الإجراءات بمثابة كارثة حقيقية .

● سألت اللواء فؤاد علام :

هل الأمن كان ضحية القرار السياسى أم أن القرار السياسى كان ضحية التقصير الأمنى ؟

●● رد اللواء فؤاد علام دون تردد .. بالتأكيد الأمن كان ضحية للقرار السياسى وليس العكس ، وهذا الملف يقع تحت مسؤولية وزارة الخارجية التى كان يجب أن تقوم بالتنسيق مع الجوانب الأمنية ، وهنا يجب أن نوضح أن اهتمام مصر بالقضية الفلسطينية ليس مبعثه المسؤولية العربية ولكن فلسطين تمثل بعدا للأمن القومى المصرى ، فالتاريخ علمنا أن كل التهديدات التى تعرضت لها مصر على مر التاريخ كانت تأتى دائما من الحدود الشرقية .

● قلت للواء فؤاد علام :

البعض لا يرى أن هناك أجندة واضحة للأمن القومى المصرى، فأبعاد الأمن القومى ومحدداته غير واضحة إلى حد

كبير ما هو تعليق الخبير الأمنى اللواء فؤاد علام على عدم وضوح أجندة الأمن القومى المصرى ؟

●● الأجندة موجودة لكن نحن ننظر تحت أقدامنا أحيانا ، ولا نريد أن نفجر مشاكل فى أحيان أخرى ، والمشكلة الحقيقية أن هناك تصورا (خاطئا) بأننا لو أغضبنا إسرائيل وأمريكا ستزداد احتمالات نشوب حرب تكون مصر طرفا فيها ، وأعتقد أن هذا التصور يمثل خطأ إستراتيجيا كبيرا جدا ، **لأن السلوك الإسرائيلى وفلسفة الحكم والشخصية الأمريكية لايجب أن يتم التعامل معها إلا (بالقوة)** وأدعو الجميع إلى دراسة كل القضايا والأزمات مع أمريكا وإسرائيل لن نجد أى قضية تم حلها بالحوار أو عن طريق المفاوضات . والأمثلة الصارخة هنا عديدة مثل فيتنام والصومال هذا بالنسبة لأمريكا ، أما إسرائيل فحرب أكتوبر هى التى أجبرت إسرائيل على الدخول فى مفاوضات السلام مع مصر، والمقاومة اللبنانية هى التى أجبرت إسرائيل على الانسحاب من لبنان .

ومائة بالمائة لن تستطيع أن تأخذ من إسرائيل أو أمريكا شيئا بالسياسة أو المنطق أو الحق أو الحوار ولكن بالقوة والمواجهة والضغط تستطيع أن تتعامل مع هذه العقليات فهم الذين ينطبق عليهم قول (يخافوا ما يختشوش).

ولابد أن نهتم كثيرا بتحليل الشخصية الإسرائيلية والأمريكية حتى نستطيع أن نتعامل معها بطريقة سليمة ، فإسرائيل تردد دائما أن الأمن يأتى على جدول أولوياتها فالأمن والهاجس الأمنى هو كل ما يشغل كل اهتماماتهم وهذا يعنى أن الخوف يسيطر عليهم الى أبعد الحدود . فإسرائيل ترتجف خوفا من الصواريخ اللبنانية التى يطلقها حزب الله وكذلك الصواريخ البدائية التى تطلقها حركة حماس من الأراضى الفلسطينية ،

والشخصية الأمريكية تتشابه مع الشخصية الإسرائيلية فى سيطرة ثقافة الخوف والرعب على تصرفاتها وسلوكياتها، وإذا تعاملت مع هاتين الشخصيتين بثقة وقوة ستجدهما من أجبن ما يمكن فهذه شخصيات هشة وضحلة إلى حد بعيد . الخلاصة أن الشعور بالخوف من احتمال أن تقوم إسرائيل بالاعتداء عسكريا على مصر قد لا يجعلنى أتخذ بعض القرارات التى أ تصور أنها تمثل تراجعا عن ما يجب أن تقوم به

مصر، وتجد بعض المتشدقين يقولون إن عبد الناصر كان يجيد الصراخ والصوت العالى، لكن الحقيقة أنه لولا هذه الشخصية التى بثت الروح فى الشعب المصرى لكانت إسرائيل قد سيطرت على نصف مصر وسوريا .. لقد ساعد عبد الناصر على بناء حاجز نفسى فى وجه العدو الأول لمصر وهو إسرائيل . الخلاصة أن الشعور بالخوف يجعل قراراتنا ليست بالصورة التى يجب أن تكون عليها تلك القرارات ، ربما كانت هناك توازنات أو أمور لا نعلمها ، لكن من الممكن أن يكون الدور الشعبى هو البديل لفكرة أن يكون القرار متراجعا لهذه الدرجة ، وهناك مشاركات شعبية كثيرة ظهرت على الساحة خلال المرحلة الماضية ، وأنا عموما ضد المظاهرات الهمجية. وأقدم اقتراحًا فى هذا الصدد ، لماذا لا نقوم بعمل ما يمكن أن نسميه (هايد بارك مصر) فى حديقة الحرية أو الحديقة الدولية بالقاهرة، وكل من يريد أن يتكلم أو يتظاهر أو يعتصم يذهب الى هذا المكان، ويجب أن يحدث كل هذا بدون تجاوز أو تعطيل لحركة المرورومن المنظور الأمنى فإن الهايد بارك المصرى المقترح سيساعد الأمن كثيرا فى إحكام السيطرة والرقابة والتنظيم ، ومن هذا المكان تنطلق كل وسائل الإعلام تنقل الحدث وتنقل نبض الشارع المصرى وتنقل وجهة النظر الأخرى إلى العالم ، هذا الشكل وهذا العمل سيجعل أمريكا تتراجع وستجعل إسرائيل تتراجع وترضخ إلى الشرعية وإرادة الشعوب التى تمارس الديمقراطية الحقيقية .

ومن القضايا الخطيرة جدا والتى ألاحظها الآن .. هو تهميش دور الشباب ، فالشباب المصرى فى الجامعات لا يشعر بأنه مشارك فى الشأن العام ، لذلك يشعر بأنه مهمش وليس له دور فى وطنه .

● **سألت اللواء فؤاد علام**

هل من الممكن أن يندمج الإخوان المسلمون فى التركيبة السياسية المصرية ؟ هل من الممكن أن تسمح الدولة للإخوان المسلمين أن يمارسوا العمل العام فى النور بلا مضايقات أو مطاردات أو محاكمات ؟

●● رضينا أم لم نرض فالإخوان قوة سياسية فكرية أدبية اجتماعية موجودة ، وحتى يندمج الإخوان المسلمون داخل منظومة العمل العام فهناك واجب عليهم أن يقوموا

به أولا وهناك واجب على النظام يجب أن يقوم به كذلك ، بالنسبة لواجبات الإخوان الآن لابد أن تعترف الجماعة بأخطائها. وهذا خطأ وقعت الجماعة فيه فى عهد الأخ مهدى عاكف ، وكان عمر التلمسانى رحمة الله عليه رجلًا عاقلًا ومحترمًا ، لابد أن تعترف الجماعة بالأخطاء التى ارتكبت فى الماضى حتى يعلم الشباب الصورة الحقيقية ويعلمون الصواب والخطأ . لابد من تراجع واعتراف الإخوان بالفتاوى الخاطئة والتنظيم السرى . لابد للإخوان أن يغسلوا أيديهم من كل الأخطاء حتى لا يقع الشباب فيها الآن . ولابد أن يعترف الإخوان بشرعية الدولة والنظام والقانون ، وأنا أرى أن الإخوان المسلمين نظام ديكتاتورى بحت ، فمبدأ السمع والطاعة هو أساس العمل لدى الإخوان ، وأنا لدى علاقات مع بعض الشخصيات الإخوانية المتفتحة جدا ، وهنا أذكر الدكتور سيد عبد الستار المليجى وهذا الرجل شخصية من أروع ما يمكن، وأعتبره خليفة عمر التلمسانى وهو عضو مجلس الشورى وله آراء ورؤى متفتحة إلى أقصى درجة ، وهنا أذكر للمرحوم عمر التلمسانى تلك الرؤية العميقة التى جعلته يؤمن أن الصدام مع الدولة يمثل خسارة بكل المقاييس لذلك كانت رؤية التلمسانى هى ضرورة الانتشار شعبيا وجماهيريا وبناء قاعدة جماهيرية عريضة. وجعل الإخوان يسيرون فى محاور متعددة سياسيا وإعلاميا وثقافيا وإقتصاديا ، وهذا ما حدث بالفعل ونرى نتيجته الآن على المسرح السياسى كجزء من المشهد المجتمعى .

وبالنسبة للأسباب الحقيقية لوصول عدد كبير من الإخوان إلى المجلس التشريعى فهو يعود فى الأساس إلى فشل الحزب الوطنى فى كل شيء بداية من الاختيار مرورا بإدارة العملية الانتخابية والأداء الحزبى نفسه فهذا .. صفر .. صفر .. صفر .

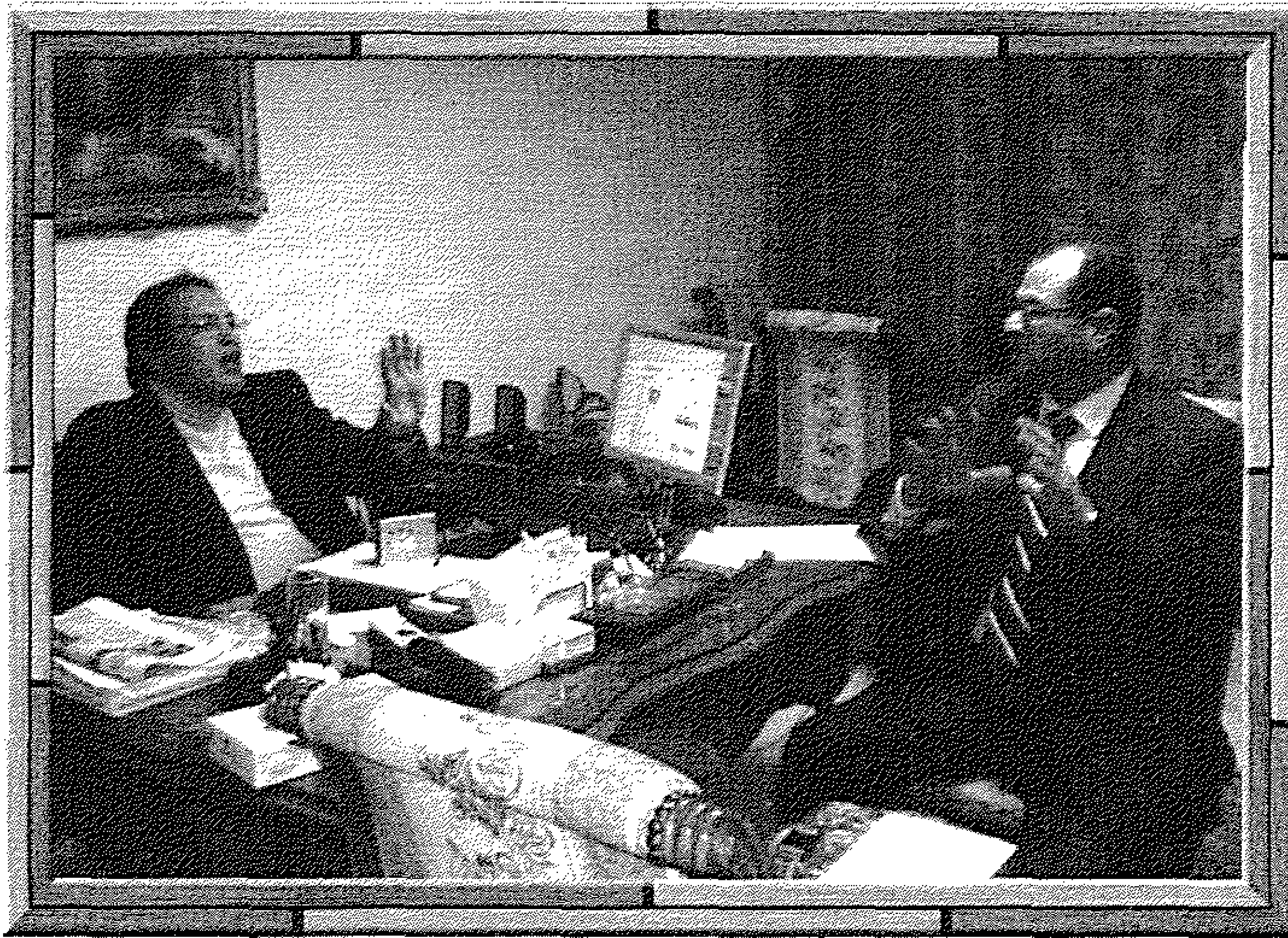
وعلى الجانب الآخر فإن الإخوان يبدأون فى إعداد مرشحيهم قبل الانتخابات بسنوات طويلة وذلك بالنزول والاحتكاك بالشارع، ومعايشة معاناته اليومية، وبذل الجهد الوفير لتخفيف تلك المعاناة . الإخوان يبدأون الرحلة السياسية عبر الأدء الاجتماعى. هم يخططون جيدا للعملية الانتخابية ويحسنون الاختيار لكل دائرة حسب ظروفها ، وهنا أتحداك لو وجدت هذه الرؤية عند أى مستوى تنظيمى بالحزب الوطنى الديمقراطى .

اذهب إلى صفوت الشريف شخصيا فإذا وجدت لديه هذا التصور سأرفع الراية فورا وأوقف الهجوم على الحزب الوطنى ، لو سألته عن خطة الحزب للانتخابات القادمة (لو عرف يبقالك الكلام).

الخلاصة لابد من استيعاب الإخوان المسلمين بالجلوس معهم وفتح حوار واضح وصريح ويتم توضيح كل الأمور بشفافية شديدة .. ونقول لهم إذا أردتم الاندماج فى منظومة العمل السياسى عليكم الاعتراف بأخطاء الماضى والاعتراف بشرعية الدولة والنظام ، وفى نفس الوقت لابد وأن يكون للنظام نظرة تقدمية فى هذا الإطار .

طالما أننا نتحدث عن المستقبل فلابد أن نكون أمناء وصرحاء مع الجميع والأهم أن نكون صرحاء مع أنفسنا حتى يكون لنا مكان على خريطة المستقبل بإذن الله .

***



حافظ أبو سعدة

الأمين العام للمنظمة المصرية لحقوق الإنسان

(إحنا بتوع الأتوبيس) ..

لا أدرى لماذا يغلبنى البكاء وتفضحنى الدموع كلما شاهدت الفنان القدير عبد المنعم مدبولى خلال أدائه لدوره الرائع فى هذا الفيلم العبقرى (إحنا بتوع الأتوبيس) كان القهر هو العنوان الكبير وكان التعذيب هو التفاصيل .. كل ألوان التعذيب بكل صنوف العذاب ، بيد أن ما شاهدناه فى هذا الفيلم صورة أليمة لواقع أكثر ألما .. أنفجر فى البكاء عندما أرى هذا المشهد العبقرى للفنان القدير وهو يسير على أربع، وهو مربوط فى حبل يلتف على رقبته، يمسك به أحد الجلادين ويسأله (إنت إيه؟) فيقول الفنان القدير .. (أنا كلب)..

ما هذا القهر؟ كيف يتحمل الإنسان أن يعذب أخاه الإنسان بكل هذه القسوة ؟ كيف يتجرد الإنسان من كل مشاعر الإنسانية وهو يتفنن فى البحث عن أساليب مبتكرة للتعذيب ، والكارثة أن التعذيب لا يتم إلا فى القضايا المرتبطة بالرأى والفكر والسياسة !!

وكلما جلست مع أحد الضباط الكبار الذين خرجوا من الخدمة لأتحدث معه عن التعذيب والقهر الموجود فى هذا الفيلم يصدمنى الرد بأن تلك الصور موجودة بالفعل داخل السجون وأقسام الشرطة لكن بطريقة وأشكال مبتكرة تماما ..

لذلك كان قرارى بضرورة مقابلة «حافظ أبو سعدة» أمين عام المنظمة المصرية لحقوق الإنسان وعضو المجلس القومى لحقوق الإنسان فكان هذا اللقاء.

● جلست أمام الرجل وسألته .. من أين نبدأ رحلة الإصلاح الشامل فى مصر ؟ ما هى الأجندة المقترحة ؟ ما هى الأولويات؟

●● يقول الأستاذ حافظ أبو سعدة

إن تغيير البنية السياسية فى مصر يجب أن يكون هو الجزء الأهم فى الوقت الراهن ، وهذا التغيير يجب أن يحدث من خلال تفعيل مبدأي المحاسبة والشفافية فى إدارة الشأن العام.

إن الاهتمام بحقوق الإنسان يأتى أيضا فى مقدمة الأجندة الوطنية ولكن يجب ألا نهتم بالحقوق المدنية والسياسية على حساب الحقوق الاقتصادية والاجتماعية.

وهنا نلاحظ أن الصفوة وهم النخب المثقفة داخل المجتمع هى التى تهتم بقضايا حقوق الإنسان ، أما الأغلبية الكاسحة من الجماهير فتصب جل اهتمامها على المشاكل اليومية الحياتية من عمل وتعليم وصحة وخلافه ، بمعنى أدق فإن الحقوق الاجتماعية والاقتصادية هى كل ما يهم المواطن البسيط ، فالاهتمام بالحقوق المدنية والسياسية هامة جدا .. لكن الأهم هو الحقوق الاقتصادية والاجتماعية ، ذلك حتى يكون هناك شعبية وجماهيرية لفكرة حقوق الإنسان ونستطيع أن نسوق تلك الأفكار داخل المجتمع حتى يستطيع الجميع أن يشارك مشاركة إيجابية.

وبالنسبة لحرية التعبير فهى - و للحقيقة - تشهد نقلة هائلة لا يستطيع أحد أن ينكرها

وبالنسبة للحكومة - وبصرف النظر عن كيفية وصولها للحكم - إذا لم يكن هناك جهة تحاسبها وتراقب أعمالها سيأكل الفساد كل ما يمكن تحقيقه من عوائد تنمية. الحكومة إذا لم تعلم أنها جاءت بإرادة الناخبين وتذهب بإرادة الناخبين فلن تعمل ولن نجد من نحاسبه.

وهنا يجب أن نؤكد على أن اعتبارات الكفاءة والعمل والجدية يجب أن تكون هى الأساس ويجب أن تختفى من حياتنا مفردات الواسطة والمحسوبية والمجاملات، ويجب أن يكون مفهوم تداول السلطة واضحًا بمعناه الحقيقي.

إذن جدول الأعمال لابد أن يكون واضحا ومحددا وقابلا للتطبيق، والأهم من كل ذلك أن يكون هناك جدول زمني للانتهاء من تنفيذ بنود جدول الأعمال ويكون هناك جدول عمل يومى قابل للقياس، فلن يكون مقبولا أن نقول إنه بعد عشر سنوات

ستكون الأمور جيدة !! لابد أن يعرف الجميع التفاصيل اليومية لجدول الإصلاح وبذلك يكون هناك متابعة دقيقة لبرامج التنفيذ حتى يرى الناس أشياء ملموسة.

● حاولت أن استعرض رأى الأستاذ أبوسعدة فيما شهدته الساحة من (حراك سياسى) وقلت له:

شهدت مصر خلال العام المنصرم سلسلة من الظواهر الجديدة على المجتمع المصرى .. حيث الاحتجاجات والمظاهرات والاعتصامات التى أصبحت سمة من سمات الشارع المصرى ، الأستاذ حافظ أبو سعدة .. ماذا حدث للمجتمع المصرى ؟ وهل ما حدث ويحدث ناتج من فرط احتقان شعبى أم ناتج عن وجود انفراجة سياسية سمحت بمثل هذه الممارسات ؟ وهل ما يحدث ظاهرة صحية على المستوى السياسى ام هى مقدمات لاعمال سلبية منتظرة ؟

●● بداءة وبلا شك ما حدث ويحدث هو مسألة إيجابية جدا ! لماذا ؟ لأن الديمقراطية هى أن ننظم طريقة الاحتجاج ، فالديمقراطية حتى بالتعريف غير النظرى هى أداة لإدارة الصراعات فى المجتمع وهذه الصراعات قد تكون إجتماعية أو سياسية أو اقتصادية وآلية الديمقراطية هى آلية لحل هذه المنازعات ، فإذا تكلمت عن حكومة لها الحق أن تأخذ سياسات محددة فإذا لم تراع تلك الحكومة حقوق فئة معينة من الناس؟ فكيف يمكن لتلك الفئة أن تعبر عن نفسها ؟

أولا حق الاجتماع هو فرع أصيل من حرية الرأى والتعبير، فحق الناس فى أن تتجمع فى أن تعبر عن رأيها، فى أن تمارس الضغط على السلطة العامة، كل هذا مسائل إيجابية جدا، وكل ما عدا ذلك سيمثل ضغطا شديدا مما يولد الانفجار الذى لا يمكن ان تتوقع إلى أى مدى ستصل آثاره ، إذن هناك وسائل جيدة للاستماع إلى صوت الناس ومعرفة مطالبهم عن طريق الاحتجاج والاجتماع والتظاهر والاعتصام.

كل هذا حدث بعد الانفراجة التى شهدتها مصر منذ عام ٢٠٠٤ مع الحديث عن تعديل الدستوروتعديل نظام انتخاب رئيس الجمهورية وبصراحة .. ظهور حركة

كفاية على الساحة السياسية المصرية، فلتلك الحركة دور كبير جدا فى نشر ثقافة الاحتجاج ونتج عن ذلك رسالتان:

الأولى - قناعة الحكومة أن الناس تستطيع أن تتظاهر مع عدم استطاعة الحكومة قمع تلك المظاهرات نظرا لوجود الصحافة والتلفزيون والفضائيات وبقية وسائل الإعلام.

الثانية - أثبت الشعب المصرى والمثقفون أنهم يمكن أن يمارسوا الاحتجاج دون أن تكون آثاره هى تكسير أو تحطيم ملكية عامة أو خاصة.

لذلك نلاحظ أن معظم التجمعات الاحتجاجية تكون بلا صدامات ويحرص القائمون عليها على عدم حدوث أية صدامات حتى لا يكون هناك مبررا ت تعطى الحكومة الحق فى قمع تلك المظاهرات أو الإحتجاجات ، إن الهدف أن تكون هناك طريقة من طرق الاستجابة.

ولا يجب أن تنظر الحكومة إلى تلك الاستجابات على أنها (لوى دراع) مع أن الحكومات موجودة فى الأساس لكى يتم (لوى دراعها). والغرب له مصطلحات جميلة فى هذا الصدد فتجد مثلا تعبير (لوبى) ففى أمريكا تستطيع أى مجموعة أن تسجل نفسها (لوبى) السكان من أصل صينى ، السكان من أصل عربى ، السكان من أصل إفريقى ، مزارعى الذرة ، مزارعى البطاطس .. يتم تشكيل وتكوين جمعيات ويخطر بها الكونجرس الأمريكى ، كل هذا من أجل خلق آلية للتأثير فى القرار السياسى الذى له علاقة بأصحاب مصلحة معينة من أجل حماية مصالحهم.

فمثلا هل يصح أن أكون موجودًا ويتم اتخاذ قرار فى البرلمان ضد إرادتنا وضد مصالحنا ونجلس نتفرج

وهنا الدولة تقوم بخلق قنوات للتصرف مسموح بها حتى لا يتم اللجوء إلى قنوات أخرى خارج منظومة القانون. إذن الحكومات يجب أن تكون قابلة بمبدأ الضغط عليها بطرق هى نفسها تقوم بتنظيمها عبر القانون والدستور.

لذلك فالنظم الديمقراطية لا تخشى الانقلابات أو الثورات الشعبية ، لأن هناك تنظيمًا دقيقًا لكل أدوات الاحتجاج والتأثير فى القرار السياسى لكى يخرج القرار فى النهاية فى مصلحة الأغلبية الحقيقية فى المجتمع وليس الأغلبية المصطنعة.

● **قاطعت الأستاذ حافظ أبوسعدة**

إن ثقافة النخبة الحاكمة دائما ما تضرب عرض الحائط بآراء الجماهير خاصة فى مسألة اختيار شخصية ما لمنصب ما .. فإذا كانت وسائل الإعلام والجماهير تؤيد شخصية ما فإن القرارات تأتى دائما خلاف التوقعات التى بنيت على أساس قياسات الراى العام.

●● رد أبو سعدة قائلا .. هذه التصرفات تخص النظم السلطوية ولا تخص النظم الديمقراطية ، وتأتى هذه التصرفات أحيانا تطبيقا لفكرة (التسريبات).

التى تقوم بها الدولة لاختبار قرار ما ، وأحيانا لا تجد الدولة أن قرارها لن يكون به عنصر المفاجأة المطلوبة.

الخلاصة أننى أرى أن ما يحدث هو تطور إيجابى يجب أن نؤطره فى أشكال عملية فمثلا وعلى سبيل المثال .. لابد من تفعيل آلية لجان الاستماع داخل البرلمان ، والفائدة الأساسية لهذه اللجان أنها ستجعل القرارات مدروسة ومقبولة مجتمعيا حيث أن من شارك لابد وأنه أصبح مؤمنا بنتيجة تلك المناقشات.

بيد أن تلك المشاركات الإيجابية لها أكثر من فائدة :

أولا - استقرار النظام السياسي.

ثانيا - عدم قدرة الأطراف الخارجية فى التأثيروالتدخل فى القرار السياسى حيث أن متخذ القرار سيكون فى حماية إرادة الجماهير التى ستسير وراءه طالما تم إشراك تلك الجماهير.

ثالثا - القبول العام للدولة أو النظام.

رابعا - عدم خشية التقلبات والانقلابات المفاجئة.

خامسا- السماح للناس بالمشاركة فى اتخاذ القرار.

● **قلت للأستاذ حافظ أبو سعدة**

نحن نتحدث والجميع يتحدث عن (حقوق الإنسان) لكننا لم نسمع عن أحد ما يتحدث عن (واجبات الإنسان) فالإنسان والمواطن المصرى يعيش دوامة من الكسل والإحباط مما خلق لديه حتمية الاعتماد على الآخرين وتراجعت قيم العمل وتلاشت دوافع الإنجاز ..

●● أنا عموما أفكر فى هذا الموضوع بصفة مستمرة لكن اسمح لى أن أختلف معك قليلا خاصة فى نقطة أن الإنسان المصرى كسول ..وأسالك .. ماذا تفسر النجاحات التى حققها المصريون فى الخارج ؟

أقول لك إن بيئة العمل سواء اجتماعيا أو سياسيا أو اقتصاديا تسمح للعمل والإنتاج والابداع.

وأسألك سؤالًا آخر .. ما هو تصورك لو لم يسافر الدكتور أحمد زويل إلى الخارج؟ أعتقد أن أحمد زويل وغيره من العلماء ما كان لهم أن يحققوا ما حققوه لأنهم عملوا فى بيئة أكاديمية ملائمة حيث حرية البحث العلمي

● قلت للأستاذ حافظ أبو سعدة

هناك قول للعالم المصرى «محمد النشائى» أعجبنى كثيرا حيث يقول إن (العبقرية ليست عبقرية العقول ولكنها عبقرية الظروف)

●● يقول الأستاذ حافظ أبوسعدة أنا أقدر مايسمى بتواضع العلماء .. الدكتور محمدالنشائى رجل متواضع لا شك فى ذلك وكانت ظروفه عبقرية كما يقول هو شخصيا لكن بالتأكيد هو كذلك عبقرى فهناك الكثيرون أتيحت لهم نفس الظروف التى أتيحت للنشائى لكنهم ليسوا عباقرة ولم تكن لهم اسهامات ملموسة.

إذن هناك تلاق ما بين الفرص التى يمكن أن تتاح للأشخاص وبين قدرة الأشخاص على اقتناص تلك الفرص وتطويرها.

أعود مرة أخرى للإنسان المصرى الذى إذا أتيحت له الفرصة وكانت هناك بيئة عمل جيدة بالتأكيد سوف ينجح ويحقق إنجازات ، وسوف أضرب لك مثلا يؤيد ما

أقول .. انظر إلى شركات التليفون الأرضي وإلى شركات التليفون المحمول .. فعندما تدخل على موظفى الشركة الأولى فى السنترالات العمومية تحس أن الموظفين مهموم تشعر أنهم فى أزمة ، وعندما تدخل على الموظفين فى الشركة الثانية تجد هؤلاء الموظفين سعداء ويستقبلونك بترحاب شديد ووجه بشوش ، والسبب واضح وهو البيئة المحيطة بمعناها الواسع من مكاتب ومرتبات وتجهيزات توافرت على أحسن ما يكون فى الشركة الثانية ولم تتوافر فى الأولى. وكذلك قارن بين الموظفين فى حديد عز الدخيلة والحديد والصلب المصرية ستجد نفس الفارق لنفس الأسباب وهو البيئة المحيطة،

الإنسان المصرى يقوم بعمل كل ما تطلبه منه الدولة .. الدولة تطلب منه أن يدخل المدرسة ويتعلم، فيدخل المدرسة ويتعلم. ثم تطلب منه أن يدخل الجامعة، فيدخل الجامعة. ثم تطلب منه أن يدخل الجيش للخدمة فى القوات المسلحة، فيلبى فورا نداء الوطن ويخدم فى الجيش. وفى حالة وجود حرب يتقدم الإنسان المصرى ليقدم روحه فداء لوطنه ، أي أنه لم يحدث تقصير من الناس فيما يطلب منهم تجاه وطنهم وبلادهم.

و بعد ذلك المواطن المصرى يريد أن يأكل ويسكن ويجد فرصة عمل ويجد العلاج المناسب و يشارك فى صناعة القرار السياسى.

أنا عموما لا أجد تقصيرا من الناس فى مصر رغم أننى مع ضرورة التركيز على الأشياء الإيجابية الموجودة لدى الشعب المصرى. لكن ذلك يحتاج إلى محفز ودافع. هذا الدافع يجب أن يكون أولا دافعًا شخصيًّا يعود مباشرة على الفرد مع تقديرنا للقضايا الوطنية الكبرى مثل الحروب أو حتى مباريات الكرة التى يلتف حولها الجميع ، فطالما أقوم بدفع الضرائب لابد وأن أجد مستشفى تعالجنى. طالما أدفع ضرائب لابد أن أجد طريقًا أسير عليه وهكذا ..

● قلت للأستاذ حافظ تركز على الحقوق المدنية والسياسية ليتم وضعها على راس جدول الأعمال والأجندة الوطنية.

●● رد قائلا الأهم من الحقوق المدنية والسياسية هى الحقوق الاجتماعية والاقتصادية، فمثلا العشوائيات تؤثر سلبا أكثر من التعذيب داخل السجون.

فالأرقام المتوافرة لدى المنظمة المصرية لحقوق الإنسان عن المواطنين الذين يعانون من التعذيب داخل السجون المصرية حوالى ٤٠٠ مواطن ولو افترضنا أن الأرقام غير دقيقة سنفترض أن الرقم ٨٠٠ مواطن يعانون من التعذيب داخل السجون المصرية ، وهنا أتساءل كم مواطن فى المناطق العشوائية يعانى من المرض والجهل والتخلف والفقر والجوع ؟؟

وهنا أؤكد أن أحد أسباب انتهاك حقوق الإنسان المصرى فى تلك العشوائيات هو غياب معايير الشفافية والمحاسبة .. المحاسبة فى الإنفاق العام وهذه هى المشاركة السياسية ... فهولاء لا يقومون بإختيار ممثليهم. فالسلطة هى التى تقوم بالاختيار نيابة عنهم ، ولو كان هناك ممثلون حقيقيون لهؤلاء المواطنين لكان الوضع مختلفًا تماما. هناك إساءة استخدام للموارد المحدودة أساسا فى هذا البلد.

● الأستاذ حافظ أبو سعدة كيف ترى خريطة الجريمة فى مصر ؟

●● الفقر وانعدام فرص الحياة تؤدى إلى شيوع وانتشار الجريمة. وكلما زادت نسبة البطالة داخل المجتمع زادت نسبة الجريمة داخل المجتمع . والعكس صحيح كلما زادت فرص العمل وانخفضت نسبة البطالة انخفضت نسبة ومعدلات الجريمة داخل المجتمع. فالنمو الاقتصادى هو القاطرة التى تقود المجتمع للتقدم وتراجع كل الاشكال السلبية فى أداء اى مجتمع.

إذن الاقتصاد المصرى يحتاج إلى جذب المزيد من الاستثمارات وحتى نستطيع ذلك لابد من القضاء على كل أشكال الرشوة والفساد والمحسوبية والتى تضرب قواعد تكافؤ الفرص فى الصميم ، والرشوة تمثل أحد المعايير الهامة التى تؤثر فى جذب الاستثمار الأجنبى وهى فى مصر تسجل نسبة ٣٠ ٪ من تكلفة الأعمال فى مصر . وفى الأردن مثلا ٢٠ ٪ أما فى إسرائيل فتمثل الرشوة نسب ١٠ ٪ من تكلفة الأعمال ، وعندما تنشر تلك الأرقام فلابد أن تتردد الاستثمارات فى التحرك إلى المناطق التى ترتفع فيه نسبة الرشوة والفساد. فغياب قواعد المحاسبة والشفافية يؤدى إلى انتشار الفساد والرشوة ومن ثم طرد الاستثمارات الأجنبية ، وتصبح التنافسية الحقيقية لرأس المال غير موجودة ، لذلك لن تجد شركات أجنبية كبيرة ومحترمة تأتى إليك كى

تستثمر، والشركات التى تحاول أن تدخل السوق المصرى لابد وان تبحث عن سلطة تحميها سواء عن طريق علاقة مباشرة أو غير مباشرة وهنا يحدث الزواج المحرم بين السلطة والثروة فيتوالد الفساد من جديد وهكذا ، ومن هنا تخرج الشركات المحترمة من السوق وتبدأ تلك الشركات فى البحث عن فرص استثمارية فى مناطق تحترم حقوق الإنسان وتحارب الرشوة وتتمتع بالشفافية يساعد على ذلك عولمية الاقتصاد والاستثمار. ولايستطيع الاستمرار سوى الشركات التى نجحت فى الاقتراب من السلطة وهذا الاقتراب بالتأكيد له ثمن تتحمله هذه الشركات ثم تحمل به أسعار المنتجات أو الخدمات التى تنتجها أو تقدمها، وبطبيعة الحال فى النهاية يتحملها المستهلك النهائى. معنى ذلك أن المواطن البسيط يتحمل نتيجة فساد الكبار.

● الأستاذ حافظ أبو سعدة .. كيف ترى حال العدالة فى مصر ؟

●● أعتقد أنها الآن فى وضع جيد رغم وجود بعد الظواهر السلبية ، حيث تحتاج إلى بعض الدعم حتى تصل إلى المستوى المطلوب. وبالفعل هناك مخاطر فى المستقبل فلابد من تعزيز ورفع الكفاءة الخاصة بالقضاة، من خلال التعليم والتدريب المستمر حتى يتم مسايرة التطورات العالمية المذهلة.

فالقضاء يحتاج إلى تعزيز كى يستمر فى وضعه الريادى بالمنطقة. فللقضاء المصرى سمعة وتاريخ مشرف يجب أن ندعمه من الاهتمام بالعناصر الشابة، ومن العناصر السلبية الموجودة فى الحقل القضائى عملية انتداب القضاة للعمل فى جهات حكومية فلا يجوز انتداب القضاة للعمل فى مؤسسات الدولة .. وهذه مسألة مرفوضة تماما ، ولابد أن ننظر إلى الكادر المالى للقضاة نظرة أخرى حتى يكون القاضى فى مأمن من الحاجة. فالقضاة يرحبون بالانتدابات من أجل النواحى المادية.

● الأستاذ حافظ أبو سعدة

ماذا عن التاريخ ؟ ماذا عن ذاكرة الأمة ؟ من يحفظ الوثائق التى تمثل المادة الأساسية لكتابة التاريخ ؟

●● أعتقد أن التاريخ الذى يكتب الآن ليس هو التاريخ. التاريخ لم يكتب بعد ، لكن فى رأيى أن المهم هو الحفاظ على الوثائق التاريخية ، فليس المهم أن نكتب التاريخ الآن، لكن المهم هو .. كيف نحافظ على الوثائق ؟ وسوف يأتى من يكتب التاريخ يوما ما ،المهم أن نحفظ الذاكرة من خلال الحفاظ على الوثائق التاريخية ، لابد من الحفاظ على وثائق أسرة محمد على ووثائق الثورة ووثائق العهود التالية ، أما ما يتم كتابته الآن فهو عبارة عن صراع فكرى يفتقد إلى الموضوعية وأصول التأريخ حيث أن أطراف الصراع ما زالوا على قيد الحياة. فأنا مثلا عندى إنحياز لجمال عبد الناصر، والثورة لذلك احاول أن أدعم وجهات نظرى من خلال رؤيتى التى تقبل كل ما صنعه عبد الناصر وكل ما قامت به الثورة والعكس صحيح تماما ، وهناك مثل آخر فالملك فاروق اقترض من أجل شراء جهاز زواجه. هذا الموضوع بصرف النظر عن صحته أو عدم صحته فإن صاحب التوجه الموالى للملك فاروق سيكون على قناعة بأن هذا الإقتراض يدل على نظافة يد الملك وعلى بساطته ، أما الفريق الآخر فسينظر إلى هذا السلوك بأن الملك لا يوجد له حدود فاصلة بين ميزانيته وميزانية الدولة ، وبأن الملك رجل مسرف وقام بصرف كل أمواله، وبدأ يسحب ويقترض من أموال الدولة ، وعموما فإن الأدوات التى استخدمت فى الدفاع عن الملك كانت مبالغة جدا والعكس صحيح تماما فالأدوات التى استخدمت فى الهجوم على الملك كانت مبالغة أيضا. هذا يحدث نظرا لوجود البعض من أطراف التوجهين على قيد الحياة وعندما يذهب هؤلاء جميعا ستذهب أيضا التوجهات الشخصية ولن يبقى بعد ذلك إلا الحقائق والوثائق التى معها يمكن أن نكتب التاريخ الحقيقى ، وهناك مثلا موضوع السد العالى.. هذا المشروع العظيم الذى حما مصر أرضا وشعبا ، هناك من أخذ يهاجم هذا المشروع العملاق بحجة أنه حرمنا من الطمى، وأخذ هؤلاء يبكون ويولولون على الطمى المفقود ، وبعد أن مرت السبع سنوات العجاف سكت الجميع وما عاد يتحدث أحد ، وهنا أتذكر أن المرحوم فؤاد سراج الدين كان أكثر الشخصيات التى تهاجم السد العالي.

● **الأستاذ حافظ أبو سعدة**

كيف نستطيع أن نشرك الشباب فى منظومة العمل العام؟
وكيف يمكن أن يكون قطار الأمل متاحا للشباب؟

●● الطريقة الوحيدة لذلك من وجهة نظرى هو إشراك الشباب فى صناعة حاضره ومستقبله ، لابد أن يتحول الفكر من فكر التلقى إلى فكر المشاركة. وعموما أنا أرى أن كل مقومات الأمل فى المستقبل موجودة. فمصر لـديها القـدرة عـلى التحليـق فى آفـاق المستقبل بأحسن ما يكون .. ولكن ..

أتخيل مصر كالسيارة ذات الموتور الجيد لكنها تحتاج إلى العديـد مـن الإصـلاحات حتى تتناغم السرعات ويحدث التناغم بين قوة الموتور وسرعـة الـسيارة ، ففـى مـصر هناك أشياء تسير بسرعات فائقة، فى نفس الوقت الذى يوجد فيه أشـياء أخـرى تـسير ببطء شديد !! والمطلوب هو توحيـد الـسرعات حتـى تنـتظم الأمـور وتـسير العربـة بانتظام .

فمثلا أنا لدى ثورة هائلة فى التشريعات الضريبية والجمركية، وهذه الثورة لن تثمر بالقدر الكافى إلا بمحاربة الفساد والرشوة والمحسوبية ، فسرعة الإصلاح المالى لابد أن يواكبه سرعة فى محاربة الفساد والمحسوبية والرشوة ، عموما مصر تحتاج إلى عمل جـاد من أناس مخلصين بعقول خلاقة مبدعة

● **الأستاذ حافظ أبو سعدة**

كيف ترى الحياة الحزبية فى مصر ؟؟

●● الحياة الحزبية فى مصر تحتاج إلى تفعيل وتطوير، وهذا يقع تحت مسؤولية الدولة وكثيرا ما أثير هذا الموضوع مع بعض المسؤولين الذين يرددون دائما أن عـلى الأحـزاب أن تطور نفسها وكنت على الدوام أقول إن ذلك هو مسؤولية الدولة ، فالحياة السياسية من عناصرها الأساسية الأحزاب، فإذا لم يكن هناك أحزاب، يعنى ذلـك أنـه لا يوجـد حياة سياسية من الأساس ولا يوجـد نظـام حكـم ، إذن الدولـة دورهـا تعزيـز الأداء الحزبى، فالأحزاب تحتاج إلى أموال ومقار ومـوظفين ليكـون لـديها قـدرة عـلى إقامـة مؤتمرات ومهرجانات ، لذلك فالـدعم الحكـومى بمبلـغ الخمـسين ألـف جنيـه شيء مضحك، وهذا جعل الأحـزاب مجـرد «يفـط» ومقـرات وصـحف ولا وجـود لهـا فى الشارع ووسط الجماهير ، ومن ناحية أخرى فإن الأحزاب نفسها ليس لديها خطة عمـل واضحة لاجتذاب الجماهير على مبادئ الحـزب وكـان لى شخـصيا تجربـة مـع الحـزب الناصرى انتهت بابتعادى عن العمل الحزبى نهائيا، وهنا لابـد وأن تنتبـه الأحـزاب إلى

ضرورة المشاركة الفعالة فى الانتخابات وبخاصة إنتخابات المحليات التى يجب أن تكون هى البداية والأساس للمشاركة السياسية ،أما الآن فالحزب الوطنى يسيطر على جميع المجالس المحلية فى ٤٥٠٠ قرية وفى المراكز والمحافظات كذلك ..

(إيه الحكاية هو الحزب الوطنى لا يختلف عليه أحد؟)

● أستاذ حافظ أبوسعدة

على ذكر الأحزاب والكيانات المؤسسية المعارضة .. ماذا عن الإخوان المسلمين ؟؟

●● الإخوان المسلمون جماعة استطاعت أن تبنى رأس مال اجتماعى كبير، وبعد سنوات حولت هذا الرصيد الاجتماعى إلى عمل واستثمار سياسى !! هناك قواعد وأسس للعمل الديمقراطى تلك القواعد أخلاقية فى المقام الأول ، كل من له سلطة أخلاقية على جمهور أو مجتمع لا يمكن أن يستثمرها سياسيا.

فالإخوان المسلمون عندما بدأوا فى العمل الاجتماعى من خلال إنشاء الجمعيات الأهلية حدث تركيم رأسمالى اجتماعى كبير وعندما يأتى الإخوان الآن للعمل بالسياسة فلابد ان يتوقفوا عن العمل الاجتماعى والعمل الدعوى تماما. والإخوان لديهم قدرة تنظيمية ويمتلكون قوة مادية ولهم رصيد مجتمعى لا بأس به فى نفس الوقت الذى فيه غياب وتغييب للحركة السياسية المصرية من أن تتواجد فى الشارع المصري.

***



الكاتب الكبير

أسامة أنور عكاشة

فى واحدة من ليالى الإسكندرية الرائعة كان اللقاء مع الكاتب الكبير أسامة أنور عكاشة .. فى شقته المطلة على كورنيش المدينة العريقة ، كان الموعد المحدد تمام السابعة من مساء إحدى ليالى الربيع القمرية ، طرقت الباب وسمح لى بالدخول حيث كان فى استقبالى الكاتب الكبير.. تبادلنا التحية وجلست كى أبدأ حوارى مع تلك القيمة الفكرية والثقافية والفنية الشامخة .. كان الرجل يبدو متعبا ومرهقا وكأنه جاء لتوه من سفر طويل .. لكن الحقيقة أن هموم الوطن الضاغطة تغتال النخب الوطنية الواحد تلو الآخر ، فكلما ازدادت الهموم وارتفعت الضغوط كلما اعتلت الصحة واحترقت الأعصاب وخارت القوى.. لقد أيقنت أن جريمة جديدة يجب أن تضاف إلى جرائم هذا العصر وهى جريمة قهر النخب الوطنية حتى تتضافر عليها الأمراض ثم تتآكل رويدا رويدا، ولما كان الكاتب الكبير أسامة أنور عكاشة واحدًا من هذه النخب الوطنية النادرة ..

● بدأت حوارى مع الرجل بالسؤال عن الطريق المفقود للمستقبل فبدأ يقول ..

●● ونحن نتحدث عن المستقبل .. ونبحث عن الأجندة والخريطة المفقودة للطريق الذى يصل بنا إلى هذا المستقبل ويخرج الوطن من هذا المأزق الراهن الذى يعيش فيه .. لابد أولا من خلق توافق عام على مبادئ أساسية ، هذا التوافق يمثل مشكلة حقيقية .. فليس هناك آلية سياسية أو حزبية تستطيع أن تجمع الجماهير فى اتجاه ما ، حيث أن غياب الرؤية أحدث نوعا من العشوائية الشديدة التى باتت تحكم العمل العام ، ولكى يكون حديثنا عن المستقبل ذا مردود إيجابى، فلابد أن يكون هناك توافق حول (الرؤية للمستقبل) ، ونستطيع من خلال تلك الرؤية أن نضع الخطط والبرامج التى توضح معالم الطريق ، لذلك علينا أن نبحث فورا عن وسيلة للتوافق ، حتى تكون القوى السياسية فى المجتمع المصرى متوافقة حول منهج محدد ، لكن الحقيقة أن

هذا التوافق صعب جدا فى ظل غياب ما يسمى بالمشروع القومى الذى تجتمع عليه آمال الأمة ويتجه الجميع فى مسار واحد تجاهه. وإن اختلفت وجهات النظر والوسائل، وفى تصورى أنه يجب أن يحدث التوافق حول مبدأ أساسى وهو الديمقراطية الكاملة، فلن نستطيع أن نخلص مصر من أزماتها ومن الموقف الحرج الذي أصبحت فيه إلا إذا حدث توافق على الديمقراطية، ولابد أن نؤمن جميعا أن الديمقراطية هى السبيل الوحيد وان فترات الحكم الشمولى التى استمرت من بداية الخمسينيات وحتى الآن أضرت بتماسك ووحدة الكتلة الوطنية ،وعلى مدار أكثر من نصف قرن من الحكم الشمولى تم تحجيم الحركة الشعبية وتقليم الأظافر وكبت الروح الديمقراطية، والمواطن المصرى تحول إلى متفرج بعدما كان مشاركا وفاعلا على الساحة، وساعد على ذلك إلغاء الأحزاب وبقاء مصر مدة طويلة بدون فرز للقوى السياسية الموجودة على الساحة وتكميم الأفواه عن طريق تأميم الصحافة ، أصبحنا نسير بلا بوصلة فى حالة من التخبط والعشوائية واللاوعى ، فأصبح هناك جو من مناخ الفوضى .. الفوضى التى نتجت عن فقدان خريطة الطريق ، وهذا يقودنا إلى أن نقوم بتغيير النظام العام من بلد شمولى إلى بلد يؤمن بالتعددية والمشاركة من خلال الإيمان بالفكر الليبرالى بشقيه السياسى من ناحية والاقتصادى والاجتماعى من ناحية أخرى ، **والشيء الملفت حقا أننا فى الأزمنة الأخيرة عندما نتكلم كثيرا عما يسمى بالشفافية نقع فى تناقض مزعج ، لأننا ننادى بالشفافية ونعمل بعكسها تماما** ، فهناك ازدواجية فى التعبير وازدواجية فى التفكير ، ولم يعد هناك إحساس بأن هناك هدفا واحدا يجمع المصريين ليلتفوا حوله ، لا توجد قضية وطنية تجمعنا كمصريين ، فقبل الثورة كان هناك إجماع وطنى على ضرورة طرد الإنجليز وتطهير البلاد من الاستعمار والاحتلال الغاشم ، فكانت كل القوى تدور حول هدف واحد فالأحزاب .. الوفد والسعديين والدستوريين والإخوان المسلمين .. كانت هناك روح وحركة فى الحياة السياسية، وكان أعضاء القوى السياسية تتمتع بالحيوية ولم تكن تعانى من التيبس الموجود حاليا. لقد مر وقت طويل على المصريين عبر أجيال مختلفة وهم بعيدين تماما عن المشاركة الحقيقية فى الحياة السياسية والعامة ، لقد سيطر على المصريين نوع من الإحساس بأن المشاركة السياسية وتقرير مصير الوطن تعرضهم للخطر فابتعد الجميع خوفا وإيثارا للسلامة ، لقد زرع الخوف داخل الملكات السياسية للمصريين ،

فالشعب المصرى كان من أوائل شعوب المنطقة التى مارست العمل السياسى بحرية وديمقراطية ، **هذا الشعب الذى قام بمظاهرات واحتجاجات عام ١٩٣٥ مطالبا بعودة دستور ١٩٢٣، هذا الشعب ذو التاريخ المشرف يوصف الآن بأنه شعب سلبى !!**

هل يعقل هذا .. الشعب الذى ثار منذ أكثر من ٧٣ سنة مطالبا بعودة دستور ١٩٢٣ يوصف الآن بأنه شعب سلبى وغير مؤهل لممارسة الديمقراطية .. هل يعقل هذا ؟؟

هذا الشعب الذى قام سنة ١٩٢٤ بأول انتخابات عامة فى ظل دستور ١٩٢٣ ، هذا الشعب الذى كان يرأس وزراءه عبد الفتاح يحيى باشا، ودخل الانتخابات وهو فى السلطة بدرجة رئيس وزراء وكانت النتيجة أنه خسر المعركة الانتخابية !! قمة الممارسة الديمقراطية الحقيقية حيث التداول الحقيقى للسلطة عبر انتخابات حرة ونزيهة ومعبرة عن رأى الشعب ، والآن نشكو من عجز شديد من فاعلية المشاركة .. فلا يوجد مشاركة ، لقد تعودنا على الإسطمبات السياسية الخاصة بالحكم الشمولى ، حيث هناك حزب أو هيئة تابعة للنظام العسكرى الحاكم لاتمارس الديمقراطية إلا من خلال لافتات معلقة على الحوائط تطبيقا لمبادئ الديمقراطية الديكورية الصورية الخالية من المضمون ..والسؤال الذى يطرح نفسه بقوة هو .. كيف تتحقق ديمقراطية مصرية حقيقية من خلال نظام جمهورى برلمانى حقيقى غير مزيف ، فالجمهورية الرئاسية كنظام سياسى لم يعد صالحا لمصر حيث غابت الشفافية والحرية والممارسة الديمقراطية الحقيقية. ولكى نصل إلى الشفافية المفقودة لابد لنا من تطبيق قواعد الديمقراطية ، لأن القوى السياسية المتواجدة فى أى نظام سياسى يكشف بعضها بعضا ولن يكون هناك صمت على فساد هنا أو هناك .. ذلك لأن هناك تداولا حقيقيا للسلطة وهناك أعين مفتوحة مراقبة لكل ما يحدث ، إذن لو استطعنا تأسيس نظام ديمقراطى حقيقى من خلال الطريق المعروف وهو جمعية تأسيسية تضع دستورا جديدا يليق بمصر .. الآن نحن نعيش حالة ندم على دستور ١٩٢٣ ويحلم الجميع به كدستور صالح لهذا العصر ، مع وضع الإضافات اللازمة على اعتبار أن هذا الدستور قد وضع فى العهد الملكى ، وهنا لابد أن نعود إلى مسألة فرز القوى من خلال فتح النوافذ أمام الناس لكى ترى ماذا يجرى وماذا جرى !! إلى الآن الناس لا تدرى لماذا ذهبت هذه الحكومة ولماذا جاءت تلك الحكومة ؟ لماذا أقيل الوزير فلان ولماذا عين الوزير علان ؟

لماذا تم إضافة محافظتين جديدتين الى المحافظات المصرية ؟ ما هى الفلسفة التى تم اتخاذ القرار على أساسها ؟ ما هو المردود الإيجابى لمثل هذا القرار وماهو المردود السلبى ؟ (أنا أعتقد أن مافيش فى مصر حد فاهم) سوى أن ذلك يعد تجاوبا مع مصالح معينة .. مصالح ضاغطة على الاقتصاد المصرى ! أنا لم أجد تفسيرًا سوى هذا ، وهذا ناتج عن إنعدام الشفافية التى نتحدث عنها ، الشفافية التى تجعلنى أعرف لماذا جاء نظيف ولماذا ذهب عبيد ! يا عزيزى هذه ليست أسرارًا ، لسنا فى العصور الوسطى ، لابد أن يعلم الناس ويقفوا على حقائق الأشياء ، فالمعرفة هى البداية .. هى النقطة الأولى للانطلاق نحو المستقبل ، بدون ذلك سنستمر ندور فى دائرة مفرغة وخبيثة إلى مالا نهاية. فى تصورى أن الديمقراطية هى البنية الأساسية لإنشاء وطن حر ، فالتوافق ووضع دستور جديد وتشكيل جمعية وطنية أو لجنة تأسيسية لوضع دستور جديد نابع من الرؤية الليبرالية الحقيقية ، وينهض أساسا مع الإعلان العالمى لحقوق الإنسان ويتجاوب معه ويتيح المعنى الحقيقى للديمقراطية وهى أن يحكم الشعب نفسه بنفسه ، إن الخطوة الديمقراطية هى الخطوة التأسيسية الأولى وهى بمثابة خطوة ضرورية ولازمة ولابد منها فهى ليست خطوة مجانية ، (غير ذلك نبقى بنهرج) ، وما حدث سوف يحدث مرة أخرى ، فمثلا نحن نعيش حالة الإجابة عن سؤال .. ماذا بعد مبارك؟ لايوجد أحد يملك الإجابة عن هذا السؤال ، ولا يستطيع أحد أن يزعم أنه يستطيع أن يكتب روشتة للإصلاح بمفرده ، فالمبدأ العام الذى تناولناه يتفرع منه العديد من البرامج والخطط التنفيذية .. لأننا نحاول البحث عن حل لتحقيق الخطوة الأولى.. فكيف نستطيع أن نحقق الخطوة الأولى فى ظل الوضع الذى نعيشه الأن ؟ فالسلطة الرئاسية الوحدانية التى لا تقبل شريك ، لدرجة أن أعضاء السلطة لا يعلمون الكثير من التفاصيل لما يدور فى المطبخ السياسى ، فالمفاجآت والصدمات هى السياسة المتبعة داخل المطبخ السياسى المصري ، **وليت هذه الصدمات مثل صدمات السادات مثلا لكنها صدمات بعيدة تماما عن مسار تفكير الناس ، إننا أمام سلطة اعتادت مبدأ العناد وكلما اتضحت رغبة الناس فى شيء تصدر هذه السلطة شيئا بعكسه تماما** ، إذا كانت هناك تكهنات بتعديل وزارى - حتى لو كان فى نيته ذلك - يقوم بتأجيله ، لو ظهرت على السطح شخصيات يصلحون كوزراء، فيكون القرار الأكيد ألا يأتى هؤلاء وزراء على الإطلاق ، فالعقلية العسكرية هى التى تسيطر على الحكم فى مصر ،

إنه نظام حديدى يتبع أسلوب التأمين أو الأمن.. الأمن السياسى وأمن النظام ، فكيف نستطيع من خلال هذه المنظومة ودون الخروج على الشرعية أن نحقق شيئا ، هذا هو اللغز والعقدة !! والسؤال الصادم الآن ..

(**إحنا عرفنا إحنا عايزين إيه .. وعرفنا كمان إيه اللى ممكن يصلح البلد .. لكن كيف السبيل لتحقيق ذلك والنظام الذى تسبب فى هذه السلبيات التى نشكو منها مازال يحكمنا إلى الآن**) ، وهو نظام لا يقتنع بغير ما يفعله ، فهو محتكر الحقيقة والحكمة !! فكيف السبيل إلى منفذ تستطيع أن تخرج البلد منه ؟ كل هذا يهدد بانفجار غير محسوب تماما مثل نظرية البخار، فكلما كان غلق الإناء وهو على النار محكما كان الانفجار حتميا وعنيفا إلى أقصى درجة، فالانفجار سيكون عشوائيا وليس محسوبا ولا توجد قوة ترشده وهنا تكون الكارثة الحقيقية ، فالمسألة ليست بيدك وحدك لكنها محكومة بإرادات قوى أخرى خارج مصر. فأعتقد أن الأمريكان من المستحيل أن يسمحوا بمثل هذا الانفجار لأن انفجار كهذا يهدد لا شك إسرائيل فى المقام الأول. فمصر بمثابة غصة فى حلق إسرائيل ، والى الآن وبعد اتفاقات السلام وكامب ديفيد ورغم وضع مصر الراهن ما زالت مصر بمثابة العائق الأول أمام الرغبة الجامحة لإسرائيل فى السيطرة على المنطقة بالكامل حتى تستطيع تحقيق طموحاتها التوسعية ، إذن لابد أن تكون مصر تحت السيطرة ، **وأعتقد أنه استباقا للانفجار الشعبى سيكون هناك انقلاب عسكري مرة أخرى،** وهذه سياسة أمريكية سبق تطبيقها فى العديد من الدول خاصة فى دول أمريكا الجنوبية ، فنحن بين فكى وحش ، فالأحداث تتوالى ونحن فى حالة سكون وننتظر ما تسفر عنه تلك الأحداث ونقف أمامها حائرين. وهناك احتمال أن يكون النموذج التركى فى الصورة بأن يصبح الجيش وصيا وضامنا لمبادئ معينة حيث يكون مراقبا للديكور السياسى من بعيد وهذا السيناريو هو الأقرب للتحقيق ، وغير ذلك سيكون الحريق !! البديل هو الحريق !! والبروفة ما زالت أمامنا حية .. **فأحداث المحلة (أبريل ٢٠٠٨) بكل تفاصيلها توضح لنا بجلاء صورة الحريق المنتظر إذا استمرت الأمور عند هذا الحد ، والمدهش أننا ما زلنا نعالج الأزمة بنفس الغباء الذى اتبعناه عام ١٩٧٧ حيال الانتفاضة الشعبية التى أسموها انتفاضة حرامية.**

الخوف كل الخوف أن تنطلق موجات الغضب بلا ضابط ولا رابط وبلا لجام فلا يوجد أحد يستطيع أن يمسك اللجام إلا التدخل العسكرى .

وهذه هى المصيبة ، وستكون الاختيارات كلها بين خيار مُرّ وخيار أمَرّ. سوف نبحث عن أخف الأذى وأخف المرارة ، وأبدا لن نجد مائدة تنزل من السماء تحمل المن والسلوى وتحقق لنا كل ما نريده وسيكون هناك قبول بالحد الأدنى من الطموحات ، لكن الأهم أن نبدأ ونبدأ فورا وبالتدريج .. فالتغيير المفاجئ أخطر ما يمكن على الإطلاق ، فالثورة الجماهيرية التى من المتوقع أن تنقلب إلى ثورة غوغائية هى الخطر الرهيب الذى يجب أن نتنبه إليه جميعا ، فلو تأملنا التناقض الرهيب فى المستويات المعيشية سنجد فى مدينة مثل القاهرة مثلا مرتفعات القطامية وجولف القطامية والزمالك ومصر الجديدة، ونجد على الجانب الآخر أحياء الأباجية وعزبة الورد وعزبة الهجانة ومنشية ناصر والدويقة وأبو قتادة وساقية مكى، تلك العشوائيات تحزم القاهرة من كل مكان، عشوائيات ملتهبة .. ملتهبة ، فإذا عمت الفوضى و نزل هؤلاء بالأسلحة البيضاء فى موجات من الفوضى العارمة .. ماذا ستكون النتيجة ؟ فالغضب الجماهيرى لا يمكن أن يصد أو يرد إذا لم يكن منضبطا ، وبالنسبة للمثقفين فهم دعاة فكر يمهدون للتحركات الشعبية عبر بث أفكار إصلاحية ، لكن المثقفين ليس شرطا ان يشاركوا بطريقة مباشرة فى الثورة .. هم بمثابة محرك للثورة ، وهنا نذكر الثورة الفرنسية التى دعا إليها فولتير وجان جاك روسو والعديد من المثقفين بينما الذين قاموا بها هم الرعاع ، وهنا نقول بكل وضوح .. (**عندما تنفصل الرأس الحاكمة عن الجسد المحكوم فهذا هو بداية النهاية**).

● سألت الكاتب الكبير أسامة أنور عكاشة عن رؤيته للتغيرات التى حدثت فى المجتمع المصرى فقال..

●● بالفعل هناك العديد من التغيرات التى حدثت داخل المجتمع المصرى ولكن للأسف كلها تغيرات سلبية ، وأهم السلبيات التى حدثت هى انقلاب المفاهيم .. ذلك الانهيار القيمي الذى كان بمثابة السيف الذى قسم ظهر الطبقة الوسطى التى تآكلت وذهبت الى مثواها الأخير. لقد انهارت القيم التى تحكم العلاقة بين الناس. لقد أصبح الفساد مؤسسة كبيرة ومترامية ليس على مستوى الحكومات والأنظمة والطبقات الملاصقة لها، وإنما أصبح الفساد منتشرا على مستوى الشعوب والأفراد .. الفساد أصبح مؤسسة حاكمة ولها مبرراتها وقوانينها ، إن أسوأ شيء أن تجد للفساد مبررا ، أسوأ شيء أن تلتمس عذرا للفاسد (أنا مش لاقى آكل .. هاعمل إيه) عجبت

لمن لا يجد قوت يومه .. كيف لا يخرج على الناس شاهرا سيفه ؟ هذه كلمة أبوذر الغفارى ما زالت صادقة وصالحة حتى الآن !! فانهيار الأواصر والروابط الاجتماعية فى مصر هو الملمح الأكثر خطورة على الإطلاق ، لقد كنا نفخر دائما بأن مصر شعب واحد وكتلة واحدة. أما الآن فلا نستطيع أن نقول هذا الكلام ، الآن أصبح هناك مِصران بدلا من مصر واحدة .. مصر تناقض مصر الأخرى ، فالطبقة الحاكمة هى طبقة (شرمارينا) شرم الشيخ ومارينا فهؤلاء هم المتحكمون فى أرزاق أهل مصر. انظر إلى طبقة النصف فى المائة التى دفعت جمال عبد الناصر إلى القيام بالتأميم من أجل العدالة الاجتماعية ، ما زالت تلك الطبقة هى التى تحكم وازدادت فداحة وجبروتًا!! ومصر الثانية فى قلعة الكبش وأبو قتادة وبقية الأحياء العشوائية الأخرى التى تحدثنا عنها من قبل ، فمصر تحتاج إلى طفرة حقيقية وقفزة هائلة إلى الأمام ، من أجل تعويض عهود الضنك التى مرت بها البلاد خلال العقود الماضية

● سألت الكاتب الكبيرأسامة انور عكاشة

هل فقدت مصر مكانها ومكانتها إقليميا ودوليا ؟

●● مصر طوال تاريخها كان لها دور يؤدى .. كان لها دورفى المنطقة، دور ريادى قيادى فاعل مؤثر على المستوى الإقليمى والدولى ، أما الآن فمصر أصبحت دولة من دول الدرجة الثالثة فى منطقتها ، تسبقها دول القوى المالية فى الخليج، وتسبقها إسرائيل وتركيا وإيران وبعض الدول الإفريقية ، وبروفة صفر المونديال خير دليل على ذلك ، فمصر فقدت هيبتها فى المنطقة ، ولم يعد لها وزن ولا يعمل لها حساب من أى قوة إقليمية ، وهذا شيء يورث الحسرة والحيرة .

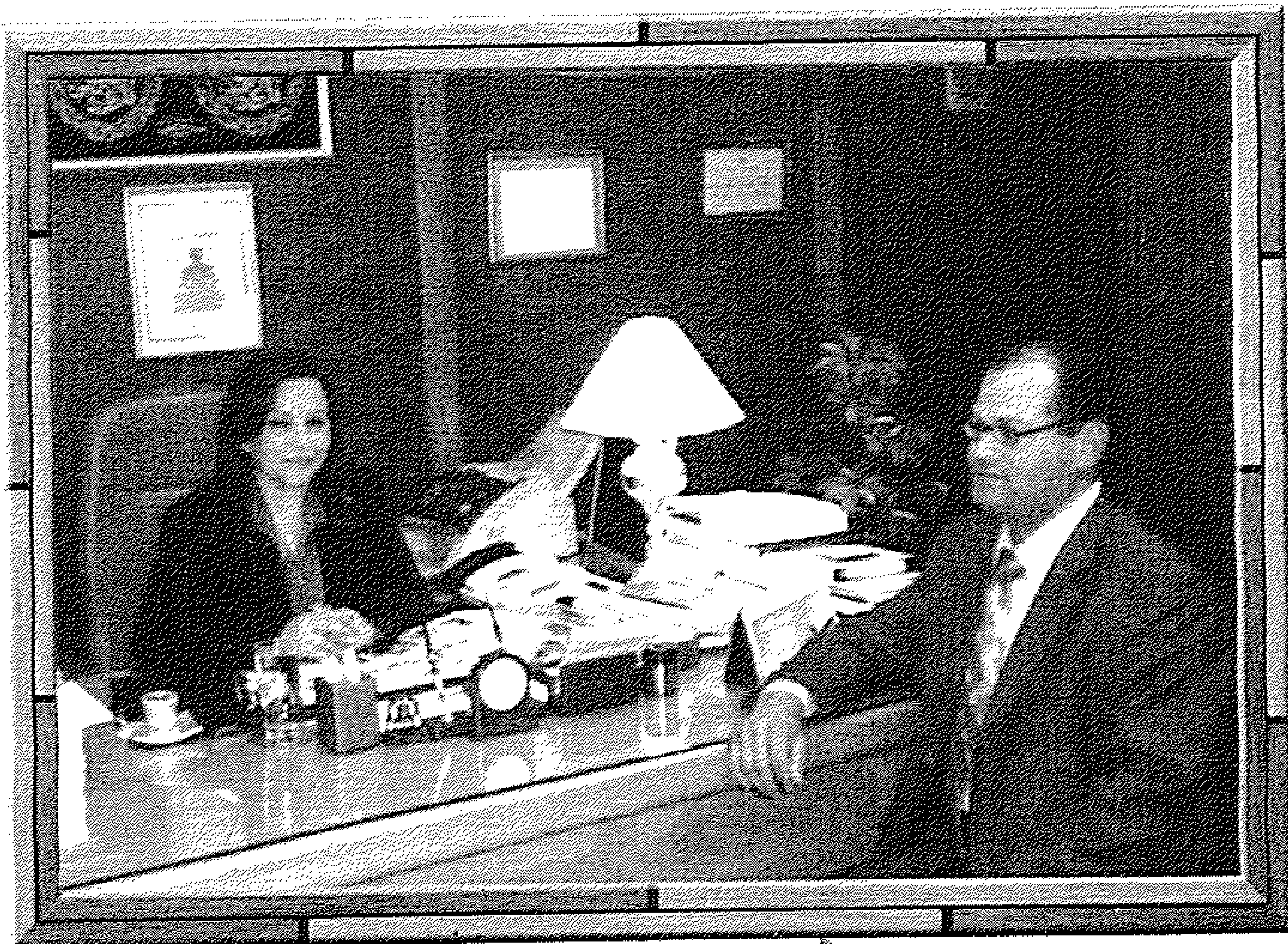
● لا تستطيع الأمم والشعوب ان تغير الماضى لكنها تراهن على تغيير المستقبل إلى الأفضل، بيد أننا نعيش حالة مغايرة، إننا تركنا مستقبلنا ليصنعه غيرنا، وبدأنا رحلة تغيير الماضى عبر الكتابات الخاطئة للتاريخ والسؤال الملحّ: الأستاذ أسامة أنور عكاشة من يكتب تاريخ هذا الوطن ؟

●● يا عزيزى ماقلته للأسف الشديد صحيح مائة بالمائة وهو عرض لمرض ، هو ليس مرضا ، إنما هو عرض المرض، أنت تعلم ان الجسد إذا أصيب بمرض فهو يعبر

عن مرضه بأعراض معينة ، فالمرض يستفحل ولا نبحث عن علاج ولأن العلاج ليس فى أيدى الجماهير بل فى أيدى الحكام الشموليين ، وهذا كله مرهون بالإصلاح من أعلى حيث تداول السلطة وهى قمة الديمقراطية أو الثمرة النهائية للديمقراطية .

عموما أنا على قناعة بأنه لا يوجد فاسد سيوافق على التغيير لأنه بموافقته على التغيير سيضر نفسه ، لأن عملية الإصلاح الحقيقية لابد أن تبدأ بمحاسبة الفاسدين الذين دمروا البلد. فالجميع يتكتل الآن لمقاومة عملية الإصلاح ، ويلتفوا حولها لتتحول إلى لعبة ليس إلا. إن الإصلاح من داخل النظام يحتاج إلى جهاد وعمل جاد وهذا دور القادة الحقيقيين .. القادة الكاريزميين ، أمثال محمد البرادعى أو أحمد زويل أو عمرو موسى، لو تخيلنا أحد هؤلاء الثلاثة تولى رئاسة الجمهورية ويصبح رمزًا للجمهورية ويكون رئيس الوزراء بالانتخاب الحر المباشر ، من خلال الأحزاب الحقيقية التى تستطيع أن تشكل الحكومات ، من هنا يمكن أن نرى شخصيات كاريزمية فى منصب رئيس الحكومة مثل الدكتور أحمد جويلى مثلا ، المهم لابد أن يكون هناك مطبخ لتخريج القادة السياسيين ، فلا يوجد وزير سياسى فى مصر لأنه ببساطة لا يوجد مطبخ سياسى فى مصر، لكن الحقيقة أنا ليس لدى أمل فى حدوث التغيير من داخل النظام.

***



الكاتبة الصحفية

نوال مصطفى

كانت صورة عميد الصحافة العربية الراحل (مصطفى أمين) هى أهم ما شد انتباهى لحظة دخولى مكتب الكاتبة الصحفية ـ نوال مصطفى بمبنى مؤسسة أخبار اليوم ، صورة رائعة بحجم كبير هو حجم الوفاء والعرفان والحب الذى يحظى به هذا الراحل العظيم من أبنائه وتلاميذه ومحبيه ، أخذت أنظر إلى الصورة عن قرب وأتطلع إلى وجه هذا الرجل الذى سطر أنصع الصفحات فى تاريخ الصحافة المصرية ، نظرته الحانية و ملامحه المصرية الأصيلة يستطيع المرء أن يقرأ منها الكثير..

لقد صنع الأخوان مصطفى وعلى أمين صحافة جديدة فى الشكل والمضمون فكانت مدرسة الصحافة الخبرية التى ما زالت قائمة ومتجددة رغم رحيل الأساتذة العظام الذين أسسوها .. لكن تلاميذ أوفياء لهذه المدرسة صانوا العهد وحملوا الراية وصاروا أساتذة ، استقبلتنى الأستاذة نوال مصطفى بترحاب شديد أظنه سمة من سمات أبناء مدرسة أخبار اليوم .. شكرتها كثيرا على روعة الاستقبال وبدأت أرتشف مشروبى المفضل الينسون فى نفس الوقت الذى بدأت حوارى مع نوال مصطفى ... المستقبل .. المستقبل

● كيف تنظر الكاتبة الصحفية نوال مصطفى إلى مستقبل مصر وكيف تتحقق النهضة الشاملة ؟ وكيف نستطيع أن نخرج من النفق المظلم الذى نعيش فيه الآن ؟

●● تقول الأستاذة نوال مصطفى - لكى نحقق النهضة لا بد أن تكون النسبة التى تخصصها الدولة للتعليم هى النسبة الأكبر من الميزانية، من أجل وضع التعليم كأولوية قصوى لأن ذلك هو مفتاح التقدم "كما فعلت ماليزيا".

كما أن أولويات الإصلاح فى مصر لا تحتاج إلى حكومة أو حزب أو تنظيمات سياسية قدر احتياجها إلى إصلاح المصريين أنفسهم، حيث أرى أن الإنسان المصرى هو الأولى بالإصلاح إذا كنا نريد أن نعيد بناء نهضة جديدة لمصر. هذا هو بالفعل ما

ينقصنا، لكن ما يحدث – على سبيل المثال – أن المواطن الذى يسب ويلعن الحكومة التى لا تنظف الشوارع هو نفسه من يلقى القمامة فيها، ومن لا تعجبه المخالفة التى يسجلها ضده عسكرى المرور، هو نفسه من يكسر الإشارة. قس على هذين المثالين حياة كل المصريين أو معظمهم إذا أردنا الدقة.

● إن الشخصية المصرية تغيرت كثيرا خلال السنوات الأخيرة .. كيف ترى الأستاذة نوال مصطفى اتجاه ومضمون تلك التغيرات ؟

●● تقول الأستاذة نوال مصطفى يبدو وللأسف الشديد أن الشخصية المصرية بشكل عام هى شخصية –رغم طيبتها الشديدة– مهملة إلى حد كبير ومُضيّعة للوقت، وتنقصها فضيلة الإتقان، والثقافة.. لا أعنى هنا الثقافة بمعناها المعرفى الضيق، لكننى أقصد ثقافة الحوار.. ثقافة الحياة.. ثقافة احترام القانون.... إلى آخره.

● مصر الشعب .. مصر الأرض ..مصر الحضارة .. مصر المواقف

هل هى فى مكانها ومكانتها ؟ هل هى فى حجمها الطبيعى؟ هل مواقفها تتناغم مع حجمها الإقليمى والدولى ؟

●● بالتأكيد مصر ليست الآن فى وضعها الملائم مقارنة ببلاد أخرى أقل منها حضارة وتاريخًا، إلا أنها سبقت مصر بمراحل فى ركب التقدم والتطور، وليس أدل على ذلك من النمور الآسيوية التى استطاعت أن تبنى نهضتها فى سنوات وسبقت مصر بعشرات السنين، معتمدة على مقومات تقل عن مقومات أخرى تملكها مصر بكثير.

● الأستاذة نوال مصطفى

ماذا عن الأمل ؟ هل هو سلعة شحيحة أم نحن الذين لا نجيد صناعتها من الأساس ؟

●● تقول الأستاذة/ نوال مصطفى.

الأمل موجود طبعًا، وإذا لم يكن موجودًا فأوْلى بنا أن نرمى أنفسنا فى البحر، لأن الحياة لا تصلح بلا أمل كما علمنا مصطفى كامل، ولكن الإشكالية تكمن فى كيفية بث هذا الأمل فى قلوب وعقول الناس لاسيما الشباب، حتى ننتشلهم -كما قلت- من دوامات الإحباط التى تكاد تدمرهم.

- أولاً أقول إن شبابنا ينقصه القدوة التى يسير على خطاها ونهجها.. يتمنى أن يجد فى أبيه أو أستاذه وعيه المفقود.. انشغل الكبار بجمع المال أو للاحتفاظ بمنصب ونفوذ ونسوا الأهم.. من سيستفيد بذلك!

- أما الحكومة فعليها الدور الأكبر فى ذلك.. كيف تستغل هذه الطاقة الجبارة شبه المهدرة فى الإفادة والاستفادة.. كيف تفعل وتعظم الدور الذى تلعبه الفئة العمرية الأكبر ليس فى مصر فقط بل فى العالم أجمع.. كيف تخرج بهم من مشاكلهم إلى التشغيل الصحيح لهم.

- والأهم هو كيف يعرف الشباب أن خيرهم فى هذا البلد.. أن يفجروا طاقاتهم فى هذه الأرض، بدلاً من أن نفقد شبابنا على شواطئ الأغراب مثلهم مثل الطيور المهاجرة التى ضلت طريقها وأسقطها الإعياء لتغرق فى بحر بلا شطآن.

- فأنا عرفت بالصدفة عن مشروعات ممتازة تمنحها الدولة للشباب كمشروعات الصندوق الاجتماعى للتنمية، وأتعجب لماذا لا يتم الإعلان عنها بشكل كاف ومتكرر.. لماذا لا تكون هناك حملة إعلانية مدروسة تشرح وتبسط الإجراءات؟ فإذا كنت أنا صحفية ورئيسة تحرير وعرفت بالصدفة، فكيف لهذا الشباب أن يعرف؟!

- الأمل موجود.. لكن الشباب لم يجدوا من يعطيهم إياه، وبالتالى فهو غائب عن أعينهم ولا يرونه، وشبابنا متعطش لأن يمسك بهذا الأمل.. أنا واثقة من ذلك.

● الأستاذة نوال مصطفى

من يكتب تاريخ مصر الآن؟ هل تكفى المذكرات الشخصية؟ هل تكفى القصاصات الصحفية؟

●● أعتقد أن تاريخ مصر الآن لا يكتبه أحد، فأين هم أمثال هيكل ومصطفى أمين وجلال الحمامصي وموسى صبري، وذلك في مجال تخصصي على سبيل المثال، وأين هم أمثال أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وإبراهيم ناجي وبيرم التونسي، وأين هم أمثال عبد الحليم حافظ وأم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وبليغ حمدي والموجي، وأين هم أمثال شادي عبد السلام وأحمد كمال ومحمد كريم وبركات وعز الدين ذو الفقار، وأين هم أمثال رشدي أباظة وشكري سرحان وحسين رياض.

● هؤلاء الشخصيات هم من سطروا تاريخ مصر كلٌ في مجاله، فأين هم الآن؟ أين من يكمل مسيرتهم؟ قس على ذلك كل المجالات.

● كيف ترى الأستاذة نوال مصطفى المشهد الصحفي الراهن ؟

●● ما يدور في الوسط الصحفي مهزلة بكل المقاييس، وفخ ينصبه الزملاء بعضهم لبعض، فهل يعقل أن يصل مستوى الحوار بين الصحفيين إلى الحضيض؟ وأن تتدنى اللغة المستخدمة إلى هذه الدرجة التي يندى لها الجبين؟

● أعتقد أن الصحافة المصرية في مأزق أخلاقي ومهني قبل كل شيء، فإذا كنا نرفض حبس الصحفي في جرائم النشر، ونعتبر الحكم على صحفي بالسجن طعنة في قلب الديمقراطية ووصمة لحرية الصحافة والفكر والتعبير، فلا بد أن نرفض في الوقت ذاته هذا الانحطاط في لغة الخطاب، وتلك البذاءات التي يتراشق بها الصحفيون بعضهم لبعض.

● استوقفتني الفقرة الأولى من ميثاق الشرف الصحفي التي تقول: "نحن الصحفيين أسرة مهنية واحدة، تستمد كرامتها من ارتباطها بضمير الشعب، وتكسب شرفها من الولاء للحقيقة، وتمسكها بالقيم الوطنية والأخلاقية للمجتمع المصري".

● أتأمل هذه الفقرة وأتساءل أين هي هذه الأسرة المهنية الواحدة؟ أين هي التي كنا نطلق عليها حتى زمن قريب "الجماعة الصحفية"؟ صحيح أننا كنا داخل هذه الجماعة مختلفي التيارات والاتجاهات الفكرية إلا أننا كنا نشعر بكيان اسمه الصحافة وأننا -الصحفيون- حراس لهذا الكيان.

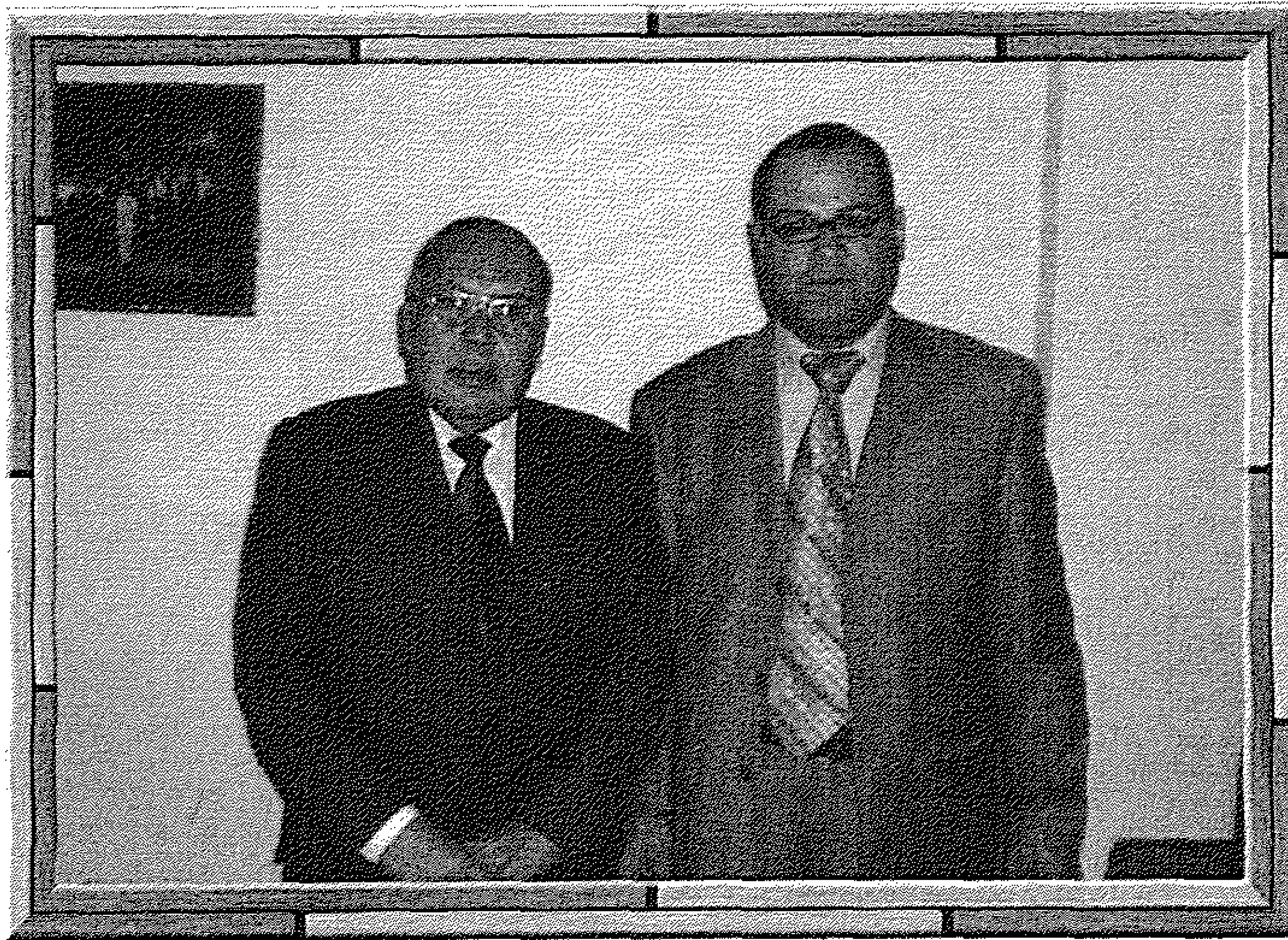
● وأعجبنى رأى الكاتب الكبير مكرم محمد أحمد عندما قال إننا فى حاجة إلى "كود أخلاقى" نعرف من خلاله الخط الرفيع بين حرية الصحافة والتجاوز، وأن نعود من خلاله إلى المبادئ الصحفية التى لا تستقيم الأمور فى غيابها.

● الإخوان المسلمون .. بين القبول الحذر والحظر التام .. كيف تنظر الأستاذة نوال مصطفى إلى هذا الملف الشائك ؟

●● أرى أن جماعة الإخوان فكر مختلف يجب أن يحترم، وأى فكر يجب أن يحترم.. هذا مبدأ لا بد من الاتفاق عليه، وأنا على استعداد لأن أدفع نصف عمرى فى مقابل أن يعبر غيرى عن رأيه حتى لو كان مخالفًا لرأيى، فأنا لا أرفضهم، لكننى فى الوقت نفسه أختلف معهم، لأنهم يستخدمون الدين وسيلة ضغط على السياسة، ويمزجون بين الاثنين مزجًا إجباريًا، ويضعون كلًّا منهما فى مقابل الآخر.. أنا لا أطالب بعزل الدين عن السياسة عزلاً تامًا، فاستفادة كل منهما من الآخر ضرورية ولكن فى إطارات معينة، ولكن الفصل بينهما فى أمور أخرى ضرورى أيضًا فى إطارات أخرى.

● كما أننى أرفض أن يكون الإسلام هو المصدر الوحيد لسن القوانين، نعم هو المصدر الأساسى لكنه ليس الأوحد، كما أرفض ممارسة الإرهاب الفكرى بوضع الدين سيفًا على رقبة المبدعين فى كل المجالات.

***



السفير

أحمد حجاج

تلقيت اتصالا تليفونيا من السفير محمد الغمراوى سكرتير المنتدى الثقافى المصرى يدعونى لحضور الندوة التى ينظمها المنتدى عن العلاقات المصرية الإفريقية بحضور السفير أحمد حجاج الأمين العام المساعد للاتحاد الإفريقى وسكرتير الجمعية الإفريقية بالقاهرة وأحد الدبلوماسيين القلائل الذين صنعوا تاريخا مشرفا فى مجال العلاقات الإفريقية المصرية ..

دون تردد قبلت الدعوة ودون تفكير أيقنت أن كتابًا تدور محاوره حول المستقبل لا يصح أن يغفل مستقبل العلاقات المصرية الإفريقية بيد أن فجر المستقبل قد يبزغ من الجنوب ، لقد كانت لى اهتمامات محدودة بالشأن الإفريقى من خلال مجموعة مقالات حول مشاكل جنوب السودان ودارفور وتجمع الإيجاد والكوميسا ودول حوض النيل والاتحاد الإفريقى ومباريات الكرة بين الأندية والمنتخبات المصرية والإفريقية .. ومع بداية الحوار بينى وسعادة السفير أحمد حجاج أيقنت مدى التقصير الإعلامى حيال الشأن الإفريقى ومدى تقصير منظمات المجتمع المدنى فى لفت أنظار الجماهير إلى الشأن الإفريقى ومدى قصور النظرة الإستراتيجية المصرية عموما تجاه الجنوب .. دار حوار بينى وبين الرجل فى مكتبه الذى يطل على نيل القاهرة وكان بداية اللقاء مع تباشير الصباح وكان الحديث عن الشأن الإفريقى ممتعا مع رجل يؤمن حقا بحتمية الاتجاه جنوبا ..

● **سألت السفير أحمد حجاج**

كيف ننطلق صوب المستقبل ؟ ما هى القواعد التى يجب أن نتحرك سريعا من خلالها حتى يكون لنا موضع قدم على خريطة المستقبل ؟

●● يقول السفير حجاج

نحن فى مصر مشغولون أكثر من اللازم - وإن كان ذلك ضروريا- بالهموم اليومية، وردود الفعل على بعض الأزمات ، ولم نصل بعد إلى ثقافة النظر إلى المستقبل والتنبؤ بالمستقبل والتعامل مع الخطط طويلة ومتوسطة الأجل . وحتى لا نفاجأ بعد سنوات بمشكلة لم نكن نتوقعها حتى نستعد لها جيدا ، والدول التى تقدمت كثيرا تعاملت مع المستقبل بطريقة مغايرة ووضعت ذلك فى اعتبارها ، وخصصت لها علماء متخصصين ومتفرغين لاستشراف آفاق المستقبل. وهذا ما نحتاجه فى مصر والعالم العربى عموما ، ومصر لديها كفاءات كثيرة تستطيع أن تعمل فى هذا المجال ، وهنا لابد وأن أذكر أن جيل العواجيز يسيطرون على الكثير من مقاليد الأمور فى كافة أجهزة الدولة وفى نفس الوقت لا يريدون إعطاء أية فرصة للشباب، وقد يبرر هذا الجيل - جيل العواجيز - أن هذا الجيل من الشباب غير مؤهل لتحمل المسؤولية ولكن الحقيقة أنهم لم يعطوا الفرصة لذلك ، وفى معظم دول العالم نجد أن متوسط أعمار كبار المسؤولين لا تتعدى الأربعين ، لذلك فهذه الدول تتمتع بالحيوية وتجديد الدماء وضخ دماء جديدة، ولذلك توجد فجوة عدم ثقة بين الأجيال ، فالأجيال القديمة ترى أن الأجيال الحالية غير مؤهلة لتولى المسؤولية وقد يؤدى بمستقبل هذا البلد إلى كوارث، لذلك أبى الجيل القديم أن يعتمد على هذا الجيل ، لذلك يجب أن يكون هناك إعداد وتجهيز لهذا الجيل حتى يستطيع أن يتولى المسؤلية وهذا لن يتم بدون بناء صف ثان من القيادات القادرة على تحمل المسؤولية ، وهناك ملاحظة جديرة بالإهتمام وهى أننا لم نتمكن من تعبئة مخيلة الشباب الحالى فى خدمة الوطن لذلك نجد أنه عزوف عن المشاركة السياسية خصوصا الانتخابات.

أما التحدى الآخر فهو أننا ما زلنا مجتمع ذكورى فى المقام الأول رغم كل ما يقال عن تقدم المرأة ، صحيح حدثت بعض التطورات فى هذا المجال ولكنها تبقى غير كافية. المشكلة أنه لا يوجد تقبل من المجتمع بصفة عامة لمشاركة المرأة فى الحياة السياسية والاقتصادية وحتى داخل الأسرة ، لا زالت التقاليد المتوارثة تمنع هذه المشاركات رغم كل تشدقنا بالشعارات فى هذ الصدد ، وللأسف حتى داخل بعض الفئات أصبحت المرأة على قناعة أن دورها لابد وأن يكون فى المنزل ولا يجب أن

تشارك فى الحياة العامة حتى لا يحدث ضرر بمستقبل الأسرة ، ولكن لا يمكن لأى مجتمع فى العالم أن يتقدم إلا إذا كانت هناك مشاركة كاملة من نصف هذا المجتمع وهو المرأة.

● **سعادة السفير أحمد حجاج**

عندما حكم محمد على مصر اكتشف أن الجنوب حيث منابع النيل يرتبط ارتباطا وثيقا بأمن مصر القومى فكانت رحلات وحملات إلى منابع النيل ومحاولة السيطرة على منابعه ، وما تلا ذلك من إجراءات وتدابير لا يسع المجال لذكرها الآن ، وعندما حكم عبد الناصر كان الاهتمام بالشؤون الإفريقية خيارًا إستراتيجيًّا.

سعادة السفير

ما هو تقييمكم لوضع مصر على الخريطة الإفريقية فى هذه المرحلة وما هى الروشتة التى تقدمها لإحياء الدور المصرى فى القارة الإفريقية وما هو دور الدبلوماسية المصرية فى هذا الصدد ؟

●● الاهتمام المصرى بمنابع النيل والقارة الإفريقية لم يبدأ فقط فى عهد محمد على ولكن بدأ منذ قدماء المصريين أنفسهم الذين تملكهم الفضول لرؤية هذا النهر العظيم الذى يفيض بخيره كل عام فتنتعش مصر ويشعر أهلها بالرخاء ، وعندما تنقص المياه يعم القحط كافة أنحاء البلاد ، ولذلك أرسلوا بعض البعثات الاستكشافية ووصلت الاستكشافات المصرية فى عهد الملكة حتشبسوت إلى سواحل الصومال ويشهد على ذلك النقوش الموجودة على جدران المعابد المصرية. وفى عهد البطالمة والرومان أرسلت بعض البعثات الاستكشافية ولكن لم تكن بطريقة منظمة ، وخلال العهد الإسلامى كانت القاهرة هى نقطة الانطلاق نحو تلك القارة وكان الأزهر الشريف مقصد كل الباحثين عن الدراسات الإسلامية من كافة أنحاء القارة الإفريقية مترامية الأطراف.

أما الاهتمام الحقيقى المنظم فقد بدأ وكما ذكرت فى عهد محمد على الذى تنبه إلى أهمية منابع النيل بالنسبة للاقتصاد المصرى ، وأراد أن يفتح أسواقا جديدة للمنتجات المصرية بالإضافة إلى الهدف الاسمى وهو تقوية الجيش المصرى بإلحاق عدد من الأفارقة فى الجيش المصرى وخاصة من السودان ، ووصلت ذروة هذا الموضوع فى عهد الخديوى إسماعيل الذى أرسل بعثاته الاستكشافية وكان من بينها ضباط مصريون وبعض الضباط الأمريكيين الذين شاركوا فى الحرب الأهلية الامريكية ثم تم إلحاقهم بالجيش المصرى لرفع كفاءته ، ووصلت الاستكشافات المصرية إلى وسط أوغندا وأثيوبيا وإريتريا والصومال. كل هذه الأمور توضح مدى ضرورة اهتمام مصر بالجنوب ، ورغم اقتناعنا الكامل بأهمية القضية الفلسطينية لمصر إلا أننى على قناعة تامة بأن اهتمام مصر فى المقام الأول يجب أن يكون هو الجنوب .. الجنوب.

العلاقات مع الدول الإفريقية مسألة حياة أو موت ، لأنه بدون استمرار جريان نهر النيل لن يكون هناك حياة لمصر ، وللأسف الشديد ففى الوقت الحالى الرأى العام المصرى غير مقتنع وغير مطلع على هذا الموضوع ، فالتعبئة التى حدثت للمجتمع المصرى تجاه قضايا الشرق ـ رغم أهميتها ـ جاءت على حساب الجنوب الذى يعد أمرا مفصليا فى الطرح الإستراتيجى المصرى .

الاهتمام بإفريقيا الذى ظهر فى عهد الزعيم جمال عبد الناصر كان فى ذروة حركات التحرير التى اتخذت من القاهرة مركزا لها فى مقاومة الاستعمار الأوربى والعديد من رؤساء مكاتب التحرير التى انطلقت من القاهرة أصبحوا فيما بعد هم زعماء ورؤساء فى دولهم بعد الاستقلال وأصبح هؤلاء يشعرون بالجميل تجاه مصر. وإفريقيا ليست بعدا سياسيا وأمنيا فقط بل تعد بعدا اقتصاديا فى غاية الأهمية لمصر حيث أن إفريقيا تعد بمثابة السوق الأكثر اتساعا للمنتجات المصرية ، وظهر ذلك فى انضمام مصر إلى تجمع الكوميسا.

ومصر ورغم انشغالها الكامل بالقضية الفلسطينية تقوم بجهد كبير فى القارة الإفريقية قد لا يعلم الكثيرين أن لدينا أكثر من ١٥٠٠٠ طالب إفريقى يدرسون فى مصر من خلال منح دراسية ، وهذا الرقم غير موجود حتى فى أكبر دول العالم حتى فى

الولايات المتحدة الأمريكية ، بالإضافة إلى المئات من الخبراء المصريين الذين يعملون فى مختلف التخصصات فى القارة الإفريقية عن طريق الصندوق المصرى للتعاون الفنى مع أفريقيا ، لا زالت العلاقات المصرية الأفريقية يشوبها بعض اللبس ، فالأفارقة يطلبون منا أن نتفرغ للقضاياالإفريقية ، لكننا نقول دائما إن مصر بحكم التاريخ والجغرافيا لا تستطيع أن تنفصل عن المنطقة العربية ، وفى نفس الوقت لا بد وأن تكون مصر هى حلقة الوصل بين المنطقة العربية والقارة الإفريقية نظرا للأبعاد الإستراتيجة.

● قاطعت السفير أحمد حجاج

سعادة السفير ما هى الروشتة التى يمكن أن تقدمها لمتخذى القرار لإعادة بعث دور مصر فى إفريقيا

●● يجب ألا يكون الإهتمام بإفريقيا منصبا على الدور الحكومى فقط، فالحكومة تستطيع القيام ببعض الجهود ولكنها جهود غير كافية طالما غير مؤيدة بتيار شعبى. أعتقد أن خلق هذا التيار لابد أن يكون عن طريق نشر الثقافة الإفريقية ، فهناك العديد من القضايا الإفريقية لا يعرف الكثيرمن المصريين عنها شيئا ، ومنظمات المجتمع المدنى التى تهتم بالشأن الأفريقى أقل مما ينبغى فهناك معهد الدراسات الأفريقية وهناك الجمعية الأفريقية التى كانت مقرا لكل حركات التحرر فى القارة الإفريقية ، يجب أن تهتم بقية منظمات المجتمع المدنى بكل ما يدور فى هذه القارة الإفريقية ، وهناك أيضا دور هام لرجال الأعمال وهو أن يكونوا أكثر إقداما فى الاستثمار واقتحام الأسواق فى هذه القارة السوداء.

وهناك العديد من دول العالم من جنوب شرق آسيا مثل ماليزيا وأندونسيا وحتى الصين التى كانت تتخذ من مصر بوابة لدخول هذه القارة. وهنا أتذكر فى عام ١٩٥٦ كان رئيس وزراء الصين شواون لاى فى زيارة إلى مصر لمقابلة الرئيس عبد الناصروطلب منه أن تقوم مصر بتقديم الصين لإفريقيا. وكانت تلك هى البداية الصينية للانتشار داخل القارة الإفريقية حيث كانت مصر حينئذ بوابة العالم لدخول هذه القارة

● قاطعت السفير أحمد حجاج

إن الاهتمام الأمريكى والصينى والأوروبى هو اهتمام اقتصادى بالدرجة الأولى، أما الاهتمام المصرى فهو لابد أن

يكون إهتماما إستراتيجيا وأمنيا وسياسيا ، فلابد من تعبئة الرأى العام للاهتمام بالشأن الأفريقى وتوجيه بوصلة الاهتمام الشعبى تجاه الجنوب.

●● يقول السفير حجاج بالفعل هذا ما يجب القيام به فورا ولابد أن يكون هناك دور لمنظمات المجتمع المدنى للقيام بالدور التعبوى الذى تفضلت بذكره . وهنا أود أن أشير إلى بعد فى غاية الأهمية وهو تنامى الاهتمام بالسياحة الإفريقية. وأعتقد أن أحداث ١١ سبتمبر قد أفادت السياحة الإفريقية بطريقة غير مقصودة ، حيث بدأت إجراءات الدخول إلى أوروبا وأمريكا أكثر تعقيدا، لذلك بدأت الأفواج السياحية تتجه صوب هذه القارة التى يوجد بها مناطق وأماكن ساحرة أصبحت مقصدا للكثيرين بما فيهم المصريين ، وفى نفس الوقت اكتشف الأفارقة الإمكانات السياحية المصرية فبدأوا فى الاتجاه نحوها.

● السفير حجاج

علاقة مصر بدول حوض النيل قضية إستراتيجية فى المقام الأول

كيف ترى المشهد فى دول حوض النيل وخاصة العلاقة مع مصر ؟

●● فى الوقت الحالى وبالرغم مما كان يشوبها من توترات كانت تظهر بين الحين والآخر وبعضها مدفوع من جهات أجنبية . الآن أعتقد أن العلاقات أفضل حيث اتخذت مصر سياسة دؤوبة وصبورة تقوم على محورين :

الأول .. أنه من الأفضل التعاون بين دول حوض النيل بدلا من التشاحن بين دوله، لأن كمية الأمطار المتساقطة على مصادر النهر تكفى كل دول حوض النيل وتفيض، وبعض الدول لا تحتاج إلى مياه بل تحتاج إلى طاقة ، وبعض الدول تحتاج الى مياه فقط، وهناك من يحتاج الى المياة والطاقة مثل مصر ،لذلك يجب أن يكون هناك تعاون مشترك بين دول حوض النيل ،وبالفعل نحن توصلنا إلى ما يقرب من ٩٥٪ من الاتفاقات فى هذا الصدد. ودول حوض النيل هى مصر والسودان وكينيا وتنزانيا وأثيوبيا آريتريا وبورندى وأوغندا والكونغو ورواندا. ويقوم خبراء الري المصريون بدور رائع على جميع المستويات ، سواء الفنية أو السياسية ، ولهم حس سياسى حيث

استطاعوا أن يكونوا علاقات قوية جدا مع زملائهم فى دول الحوض وأمكنهم تذليل العديد من العقبات من خلال تلك العلاقات القوية. وكان يمكن لمصر ونتيجة للاتفاقات السابقة أن تمنع إقامة أى مشروعات فى أى من هذه الدول إذا ما ارتأت أنها قد تضر بحصة مصر فى مياه النيل ، لكن بفضل التفاهم لا نريد أن نمنع تنمية هذه الدول، لكن نريد زيادة التعاون بيننا وبين هذه الدول ، وأعتقد أن هذه السياسة سياسة سليمة.

● السفير حجاج

الا يوجد تنظيم او منظمة تجمع دول حوض النيل على غرار المنظمات المثيلة للأنهار الأخرى على مستوى العالم ؟

●● نهر النيل من الأنهار القليلة فى العالم التى لا يوجد منظمة تجمع دوله فى تجمع ما. الموضوع لا يتعلق فقط بالمياه وحصص المياه بل هناك العديد من القضايا مثل صيانة النهر من التلوث، والملاحة النهرية، والسياحة إلى غير ذلك. فالمفروض أن يكون هناك منظمة وفى إفريقيا هناك أنهار لها منظمات مثل نهر السنغال ونهر السمبيزى، لذلك يجب أن نسرع فى إنشاء مثل هذه المنظمة التى يمكن أن تتلقى دعما دوليا غير محدود ، وهناك اقتراحات لإنشاء برلمان لدول حوض النيل وهناك مقترح آخر لإنشاء تجمع شبابى ورياضى لدول حوض النيل ، هذه الأمور فى غاية الأهمية لكن لا يجب أن نتسرع أو نتباطأ .. يجب أن نسير بخطى واضحة وثابتة ومدروسة حتى نلقى قبولا طيبا فى هذا الموضوع وخاصة أن الصندوق المصرى للتعاون الفنى مع إفريقيا يركز بصفة خاصة على دول حوض النيل حيث يستقبل المئات من الخبراء الأفارقة للتدرب على مختلف التخصصات بما فيها هندسة الري.

● السفير حجاج

يبدو أن هناك أصابع إسرائيلية تعبث فى منابع النيل من خلال الاتفاقات السرية أو المعلنة مع بعض دول حوض النيل ، هل هناك من قلق مصرى فى هذا الاتجاه ؟

●● يجب أن أتوقع مثل هذه الممارسات الإسرائيلية ، لكن فى كل الأحوال إسرائيل تعلم جيدا أن هناك خطوطًا حمراء لا يمكن أن تسمح مصر لإسرائيل أو غيرها

بتجاوزها ، وإسرائيل بالفعل حاولت كثيرا أن تؤثر على بعض الدول فى حوض النيل من خلال تقديمها لبعض الخبرات الفنية فى هذه الدول ،ولكن غير صحيح أنها تقوم بتمويل إقامة مشروعات كبرى لحجز المياه والإضرار بمصر ، فقد تدفع فى بعض الأحيان بعدد من أعضاء البرلمانات فى بعض الدول الإفريقية للإدلاء ببعض التصريحات منتقدة لمصر من حين لآخر ، لكن هذه الأمور تخمد بعد فترة طويلة ، لأن الحكومات الإفريقية تعلم جيدا مدى أهمية مصر فى علاقاتها الثنائية ، وأن العلاقات مع مصر أهم بكثير من أى مستوى من العلاقات مع إسرائيل.

● **السفير حجاج**

كيف تنظر إلى التغيرات الإجتماعية التى طرأت على المجتمع المصرى خلال النصف قرن المنصرم ؟

●● هناك تصور من بعض الجهات الشعبية وكذلك بعض الجهات المسؤولة بأن ملفات حقوق الإنسان خاصة إذا جاءت من الخارج ، تعد تدخلا فى الشؤون الداخلية للبلاد وأنها قد تمثل مؤامرة مفروضة على الشعب المصرى تمهيدا لزيادة مثل هذا التدخل ، لكن يجب أن يكون لدينا قناعة أن احترام حقوق الإنسان وعدم السماح بانتهاكها هو أمر يهم مصر فى المقام الأول ، فمشروع دعم القدرات فى مجال حقوق الإنسان، وكذلك المجلس القومى لحقوق الإنسان الذى أتشرف بعضويته حيث تهدف تلك المنظمات والبرامج إلى نشر ثقافة حقوق الإنسان بين ضباط الشرطة، والقضاة ووسائل الإعلام، ومنظمات المجتمع المدنى، والجامعات، والمدارس.وفى بداية كل دورة يكون هناك تساؤل عن الازدواجية فى مجال حقوق الإنسان ، فكيف لنا أن نتحدث عن ثقافة حقوق الإنسان ونرى هذه الإزدواجية من جانب المجتمع الدولى خصوصا من الدول الكبرى والولايات المتحدة بصفة خاصة حول القضية الفلسطينية والانتهاكات اليومية فى العراق وغيرها من الدول. فنقول لهم صحيح هناك ازدواجية واستغلال لموضوع حقوق الإنسان للتأثير والضغط على بعض الدول، لكن هذا يجب ألا يكون مبررا لانتهاك حقوق الإنسان بالنسبة لمواطنينا ، لأنه لن يحدث تطور حقيقى سواء فى المجال السياسى أو الاقتصادى أو الاجتماعى أو الثقافى دون احترام حقيقى لحقوق الإنسان . وحقوق الإنسان ليست كما يظن البعض فكرة ابتدعتها الدول الغربية بعد الحرب العالمية الثانية، ولكن هى موجودة منذ عهد قدماء المصريين مرورا

بالتعاليم السماوية للديانات المختلفة. ومصر كانت دائما من الدول التى ساهمت فى كافة التجمعات والهيئات والمنظمات التى تدافع عن حقوق الإنسان. ووقعت مصر وصدقت على جميع الاتفاقيات الدولية، وبذلك أصبحت جزءا لا يتجزأ من التشريعات والقوانين المصرية التى يتوجب تطبيقها. والاتفاقيات الدولية المختلفة والإعلان العالمى لحقوق الإنسان الذى صاغه الدكتور محمود عزمى سنة ١٩٤٨ والذى يتغنى به العالم ونحتفل الآن بمرور ٦٠ سنة على إنشائه الى كل الاتفاقيات الخاصة بالمرأة والطفل ، لذلك يجب أن نكون فخورين بهذا الإنجاز المصرى ولكن يتوجب علينا أيضا أن نعمل على تطبيقه. فالموضوع يحتاج إلى نشر ثقافة حقوق الإنسان فى المجتمع أكثر من أى وقت مضى ولابد أن نعمل بصبر ودأب فى هذا المجال، لأنه وللأسف الشديد هناك شريحة كبيرة من المجتمع المصرى لا يقرأون ولا يكتبون لذلك فبرامج التوعية لها أهمية خاصة فى المجتمع المصري.

● **السفير حجاج**

إن المفهوم السائد لحقوق الإنسان لدى القطاع العريض من الشعب المصرى وحتى بين جموع المثقفين ينصب اساسا على الحقوق المدنية والسياسية ، أما الحقوق الاقتصادية والاجتماعية فتتوارى فى مؤخرة الأولويات الحقوقية

سعادة السفير

كيف يحصل المواطن المصرى على حقوقه الاقتصادية والاجتماعية ، وهل هناك تنازع بين الأولويات الحقوقية خلال تلك المرحلة؟

●● الحقوق حزمة متكاملة لا يمكن أن تنفصل عن بعضها البعض ، وخاصة بعد تجربة الاتحاد السوفيتى حيث كان الاهتمام بالحقوق السياسية على حساب الحقوق الإقتصادية ، الصين تعلمت من ذلك وركزت على الحقوق الاقتصادية والاجتماعية. فى رأيى يجب أن نحدث توازنا بين هذه الحقوق ، لأن المواطن إذا شعر أنه يحصل على حقوقه الأساسية من مسكن ومأكل ومشرب فإن ذلك سيؤدى حتما إلى حصول ذلك المواطن على حقوقه الأخرى خصوصا المدنية والسياسية. أكرر أنه يجب علينا أن نسرع في نشر ثقافة حقوق الإنسان بأقصى سرعة. وهناك تقدم ملموس يجب أن نقر به فى مجال حقوق الإنسان في مصر فى السنوات الأخيرة ولكننا نحتاج المزيد والمزيد.

● **السفير حجاج**

كيف نصنع الأمل والتفاؤل لدى جموع الشعب المصرى؟

●● الأمل مسألة ضرورية للمجتمع أفرادا وجماعات ، لابد أن يكون هناك أمل فى مستقبل أكثر إشراقا ، والأمل لايصنعه الأفراد وحدهم ولا تصنعه الحكومة وحدها بل يصنعه المجتمع بأكمله ، لذلك فإن نبرة التشاؤم التى قد تبثها بعض القطاعات وبعض الصحف ووسائل الإعلام تضر أشد الضرر بمصالح البلاد لكن فى نفس الوقت يجب أن نكون موضوعيين فلا يجوز أن نقول إن كل شيء يسير على ما يرام ولكن لابد أن نشير إلى مواضع الخلل والقصورالتى تؤثر فى المجتمع وكذلك يجب أن نبحث فى طرق وبدائل الإصلاح ، ولا يجب أن نركز فقط على مواضع الخلل والسلبيات ، لابد أن ننظر للأمور بواقعية شديدة وبعيدا عن الآراء المتحيزة.

● **السفير حجاج**

ونحن نتحدث عن المستقبل لابد أن نستلهم العبر والعظات من الماضى فالتاريخ يعيد نفسه ؟

●● لذلك أنا أقول إننا أهملنا كثيرا دراسة التاريخ سواء من جانب الأفراد أو من جانب المؤسسات ، يجب ان تكون دراسة التاريخ دراسة متأنية ومتعمقة وأنا أعتقد أن دراسة وكتابة التاريخ بمثابة متعة شخصية للقائم بها.

***



الدكتور

رفعت السعيد

رئيس حزب التجمع

كانت الأمطار تتساقط بغزارة .. البرد القارص يغلف الأجواء .. شوارع العاصمة فى حالة فوضى وزحام فوق المعتاد ، مياه الأمطار المتساقطة أحدثت شللا كاملا على كافة المحاور المرورية ، كانت سلبية الأجهزة الحكومية وفشلها فى التعامل مع حبات المطر المتساقط مستفزة إلى درجة لا يفوقها إلا تلك السلوكيات الفوضوية الأكثر استفزازا والتى اعتاد عليها الجميع وجعلت من الشارع المصرى شارع بلا حرمة على طول الخط !! ، قطعت المسافة من (ميدان لبنان) إلى (ميدان طلعت حرب) فى ساعتين ونصف الساعة ، حيث كنت على موعد مع الدكتور رفعت السعيد رئيس حزب التجمع بمكتبه ...

كنت مسرعا وأنا أصعد درجات ذ لك السلم القديم فى تلك البناية العتيقة ولم يستوقفنى سوى تلك العبارة المكتوبة على أحد جدران الحزب (دور الشعوب فى مواجهة الرأسمالية المتوحشة) ثم صورة كبيرة لخالد محيى الدين الزعيم التاريخى للحزب مكتوب عليها (ثمانون عاما من العطاء) كان المقر كخلية نحل تموج بالحركة والنشاط ، فلاحون وعمال .. أناس بسطاء .. كل منهم يحمل هما ومرارة لكن نظرات التحدى والإصرار كانت بادية فى أعينهم .. تساءلت .. من هؤلاء ؟ من منهم جاء قاصدا الحزب و لديه رغبة فى ممارسة العمل السياسى من معسكر الاشتراكية ؟ من منهم جاء لأجل تقديم شكوى أو استغاثة عبر جريدة الأهالى الناطقة بلسان الحزب ؟ لحظات وكنت أجلس مع الرجل أحتسى فنجان القهوة العربية ،

وبادرته بسؤالى عن أولويات الإصلاح كما يراها .. عن الخريطة الإصلاحية المفقودة ، بيد أننا لا نجيد إلا فعل الكلام.. و كل منا يريد أن يصبح أميرا فى دولة الكلام و آخر

ما نفكر فيه هو العمل.. فالعمل لدينا كقيمة ودافع تراجع كثيرا.. كثيرا .. فمتى الخلاص وكيف السبيل..

(العقل) (العلم) (الحرية) تلك هى أولويات الإصلاح .. والتى يجب أن تكون على رأس جدول أعمال هذا الوطن الذى يسير بلا جدول أعمال ..

●● بهذه الثلاثية يبدأ الدكتور رفعت السعيد حديثه معى مؤكدا ومشددا على حتمية البدء فورا فى العمل على تطبيق البرامج الإصلاحية مهما كانت توجهات أصحابها فالمهم هو أن نبدأ. ليس ذلك فحسب بل يجب أن نبدأ فورا ..

يقول الدكتور رفعت: أولا هذا الموضوع يتعلق بأشياء كثيرة ، يتعلق أولا برؤية النظام لما يدور على أرض الواقع.

إن تساقط ثمار التنمية يجب أن يكون مدروسا لتضمن الحكومة حل مشاكل الفقراء، لكن عملية سوء توزيع تلك الثمار له العديد من الأسباب :

أولا هناك مجموعة من القوانين والمعايير و الاستهدافات والأولويات يخيل إلى الحكومة من خلالها أنه كلما أثرى الأثرياء تم حل المشكلة وهذا غير صحيح ، فقوانين الضرائب والجمارك وغير ذلك تجامل الأغنياء على حساب الفقراء!!

إن ثمة قوانين تصدر ، ومن أصدرها يعلم أنه لن يطبقها !مثل قانون الاحتكار وقانون حماية المستهلك ، تلك القوانين صدرت ويعلم من أصدرها أنها أبدا لن تطبق.

هى قوانين لمجرد ذر للرماد فى العيون ، مجرد برامج وقوانين للاستهلاك المحلى ، مجرد مغازلة للعالم الخارجى، مجرد عمليات تجميل فاشلة لوجه أصبح كقالب من الشمع .. لا تصلح معه إلا عمليات جذرية .. الخلاصة أن الفقراء ليسوا هم الهدف .. ليسوا هم الغاية المنشودة لهذه القوانين الإصلاحية..بعد ذلك نكتشف أن الحكومة فى حيرة شديدة وهى توهمنا أنها تبحث حقا عن مستحقى الدعم والمساعدة ، وهذه هى المصيبة الجديدة التى يجب أن ينتبه إليها الجميع!!

إن الحكومات تقوم بقراءات خاطئة للوضع الراهن للمجتمع المصرى ، هم لم يقوموا بقراءة خاطئة لكتب النظام الرأسمالى لكنهم يخطؤون فى قراءة الواقع المجتمعى لهذا الوطن .

كيف ذلك ؟.ما هو المطلوب ؟

الرئيس يتكلم كثيرا جدا عن العدل الاجتماعى ، والعدل الاجتماعى سوف يتحقق عبر منظومة صحيحة للدعم .. أولا ما هو العدل الاجتماعى ؟ العدل الاجتماعى يعنى إشباع حاجات ومتطلبات العيش الإنسانى للمواطن ولو فى حدها الأدنى. ولكى تقوم بعملية الإشباع للاحتياجات الإنسانية للمواطن المصرى ، من مسكن وملبس ومأكل وتعليم وصحة. وأظن أن من يحتاج إلى إشباع من مواطنى هذا البلد سيصل حتما إلى ٦٠٪ من المجتمع. وبالنسبة لموضوع الدعم اكتشفنا ظاهرة خطيرة جدا وهى أن الدعم المقدم للسلع الغذائية الأساسية يساوى ١٩.٥٪ من قيمة الدعم ، أما الباقى وهو ٧٤.٦٪ يذهب لدعم البترول ، بما يعادل ٥٩ مليار جنيه ، منها ٩ مليارات لأنبوبة البوتاجاز وهذه هى التى يستخدمها الفقراء ورغم الدعم إلا أن سعر الأنبوبة تباع بثلاثة أضعاف سعرها ، أما الخمسين مليارًا المتبقية فتذهب الى دعم الطاقة للمصانع!! والغريب ان تلك المصانع تأخذ المدخلات ومستلزمات الإنتاج بالسعر المدعوم فى نفس الوقت الذى تبيع فيه المنتج النهائى بالأسعار العالمية !! فتكون النتيجة أننا فى حالة من الارتباك غير المنطقى. الخلاصة أن هذه النظرية فى جوهرها خاطئة .. لماذا ؟ لأنه لوكانت النظرية أننا نقوم بعمل تنمية فقط فسوف نكتشف من خلال الأرقام التى أذاعتها الحكومة أن معدل النمو ٧.١٪ فى العام ٢٠٠٦، ٢٠٠٧، أما العام الحالى سيصبح معدل التنمية ٧.٥٪ ، وإذا سرنا بهذا المعدل ووفق نظرية الحكومة ينتهى الفقر خلال بضع سنوات.

إذن نحن أمام نظرية ثبت ويثبت خطؤها فى الواقع العملى و هذه النظرية ليست جديدة بالمناسبة ، لأنها كانت نفس نظرية المستعمر الأوروبى الذى كان يهدف إلى امتصاص موارد مستعمراتها، وسقطت هذه النظرية بنجاح حركات التحرر من

الاستعمار. والآن يتم إعادة نفس النظرية ولكن بدون مستعمر أجنبى وها هى النتيجة سلسلة من الاعتصامات والاحتجاجات وطلبات زيادة الأجور وتزداد الأسعار فتزداد الاجور لتزداد الاسعار من جديد وهكذا ندور فى دوامة ودائرة خبيثة.

وهذا صحيح لكن هناك مشكلة أخرى .. أولا هى تعالج القضية بطريقة غير ذكية، فكلما ذهب العمال أو موظفو الضرائب العقارية وقالوا (إحنا مش لاقيين ناكل) فتقول الحكومة (معنديش فلوس) وتضيف الحكومة أنا لو طبعت فلوس زيادة سوف ترتفع الأسعار ، وتبدأ المباراة بين الجماهير والحكومة .. (أنا عايز .. لا مفيش .. أنا عايز .. لا مفيش). وهنا تبدأ عملية الاعتصامات فتقول الحكومة أنا (ما حدش يلوى دراعى) فيواصلون الاعتصام (فيتلوى دراع الحكومة) بعد ذلك ، إذن هم يعلمون أنه لا مخرج لها إلا أن تنتزع ما تريد عبر الاحتجاجات أو الاعتصامات ويسرى فى هذا المناخ أن الحكومة (تخاف ما تختشيش). إذن نحن نعانى من نظرية خاطئة من الأساس إنها خاطئة جذريا حيث تقوم على أساس ممالأة الأغنياء وزيادة ما يحصلون عليه من إجمالى الدخل القومى .. إن نسبة الأجور إلى إجمالى الدخل القومى العام كانت عام ١٩٧٥ نسبة ٤٧ ٪ أما الآن فإن النسبة اصبحت ٢٦ ٪ ، إذن تمركز الثروة فى يدى مجموعة قليلة وتمركز الفقر عند غالبية الشعب ، هذا الوضع لا يمكن أن يستمر لأنه من الممكن أن يحدث ما لا يحمد عقباه ، لأننى أعتقد أنه إذا تراكم ما هو (فِئوى) بمعنى أن المعلمين والأطباء والمهندسين والمحامين كفئات (مجتمعية) لكل منهم مطالبه الخاصة والتى يعبر عنها بشكل فئوى .. وهنا بالضرورة سيتحول الموقف إلى ما هو مجتمعى بمعنى أنك لن تجد فئة واحدة تتحرك وإنما ستجد أن المجتمع كله سوف يتحرك فى اتجاه واحد .. وهذه هى المشكلة الحقيقية ..

إن هناك جذورا تاريخية وثقافية وعقائدية ألقت بظلالها على منظومة الفكر السائد ومن ثم منظومة الحكم وآلية التعامل بين الحكام والمحكومين ، فلا يجب أن نلغى العقل وننحى المنطق ..

والآن أنت تتكلم عن تعديل للدستور وعن قانون لمنع الاحتكار وقانون لمحاكمة الوزراء وقانون للكسب غير المشروع وقانون لحماية المستهلك لكن فى النهاية هل يتم تطبيق تلك القوانين؟

وهكذا خلقت فكرة التقية عند المثقفين وهم الفقهاء و العلماء والشعراء فسمعنا أبيات شعر بقيت شاهدة على تلك العصور ..

ما شئت لا ما شاءت الأقدار　　فاحكم فأنت الواحد القهار

فكأنما أنت النبى محمد　　وكأنما أنصارك الأنصار

تلك هى الطريقة التى أديرت بها العلاقة بين الحاكم والمحكوم

إذن العلماء والفقهاء كرسوا أفكارهم لخدمة السلطان ويقولون العكس تقية بينهم وهكذا تنتهى عملية تدمير المثقف لكى يستنسخ هذه الأيام فتولد عندنا (المثقف الحرباء) الذى يتلون ويتغير ويتبدل مع كل حاكم. هذا المثقف هو أخطر وأشر أنواع البشر فى مجتمع مثل المجتمع المصرى والعربي.

ووصل الأمر بالعلماء أن يقوموا بمجاراة السلطان ويسخرون علمهم لخدمة أفكار غبية عند السلطان فمثلا فى دولة مثل السودان تقدم أحد العلماء وقال إن لديه وسيلة لمضاعفة الدخل القومى بما لا يتوقف .. كيف ذلك ؟ قال (نسخر الجان كما سخره سيدنا سليمان)

هذه هى الخرافات وهذا هومستوى الفكر.

يا سيدى يجب أن يتم تحرير العقل من هذه الخرافات .

ويجب ألا يكون هناك قيد على العقل إلا العقل ذاته ، وإعمال العقل أبدا لن يقودنا إلى الكفر كما يخاف البعض ، انظر معى إلى المصريين البسطاء هم أفضل المؤمنين فى العالم قالوا (ربنا عرفوه بالعقل).

إذن تنمية العقل من تنمية الايمان لأن الإيمان عندما يأتي ليس فقط عن طريق التسليم وإنما عن طريق إعمال العقل وإذا استعمل العقل بحرية سيكون هناك إمكانية للتقدم العلمى ولنا فى باكستان العبرة والعظة.

إذن العقل والعلم والحرية هما معا السبيل الوحيد للنهوض بهذا المجتمع فالعقل النابه سيصل بنا إلى قواعد العلم والعلم حتما سيصل بنا إلى آفاق الحرية وبالثلاثة سنصل حتما إلى ما نريد .

ولأن الدكتور رفعت السعيد رئيس أهم حزب سياسى فى مصر من حيث الاستقرار والهدوء وعدم وجود صراعات وقضايا بين قياداته فكان من الضرورى أن أسأله عن الأداء الحزبى فى مصر فقلت له ..

● يقول الكثيرون عن الأحزاب المصرية إنها أحزاب ورقية و لا وجود لها فى الشارع سوى أنها (يافطة) و(صحيفة) و(مقر).

ويقول البعض إن النظام الحاكم هو سبب تهميش دور الأحزاب ويقول البعض الآخر إن الأحزاب ذاتها غير مؤهلة لممارسة السياسة بطريقة ديمقراطية .. دكتور رفعت كيف ترى الخريطة الحزبية فى مصر ؟؟

●● تقول إن الحياة الحزبية ضعيفة أقول لك فورا .. نعم ..وهناك أسباب عديدة منها ما هو ذاتى ومنها ما هو راجع إلى النظام ، فهناك بالفعل مشاكل حقيقية فى العمل الحزبى فى مصر. فمنذ خمسين سنة ونحن نتكلم عن العمل الحزبى ، فالاتحاد الاشتراكى وقبله هيئة التحرير إلى لآن وصلنا إلى الحزب الوطنى ، فنظام الحزب الواحد الذى لا يتلقى شيئا من أسفل اللهم إلا التقارير ، لكن لا يستجيب لأى شيء يأتى من أسفل فكل التعليمات تأتى من أعلى ، ولا أحد يتعلم من التجربة . وكانت العناصر التى ناوءت السادات هى قيادات الاتحاد الاشتراكى. وكانوا يقولون إن معهم أكثر من ستة ملايين مواطن، وكانوا يقولون إن التنظيم الطليعى معهم أيضا، وكذلك قالوا ان القوات المسلحة والإعلام والمخابرات حيث إن فوزى وفايق وأحمد كامل معهم كذلك ، وما أن جلس السادات على الكرسى اكتشفوا أن المثقف الحرباء ما زال

موجودًا وهنا لا أجد أظرف من المثل المصرى (اللى يجوز أمى أقوله يا عمى) الستة ملايين مواطن خرجوا يهتفون للسادات ..

(افرم .. افرم ياسادات) فالحياة الحزبية اجتثت من جذورها مع قيام الثورة عام ١٩٥٢ وقام نخبة من كبار الكتاب والمفكرين بإدانة الحياة الحزبية وإدانة التعددية الحزبية ، وكبار كتاب يكتبون الآن عن الديمقراطية والحرية والتعددية و(الزفت !!) **وانفعل الدكتور رفعت السعيد إلى أقصى درجة وقال** .. هؤلاء هم الذين كرسوا فكرة الحاكم الواحد المتحكم فى كل شيء. وهم أنفسهم الذين جاءوا بفكرة أهل الثقة وأهل الخبرة فكأن أهل الثقة شرط ألا يكون لديهم خبرة ، وأهل الخبرة دائما غير موثوق بهم!! إنه عبث وتهريج إلى أقصى درجة.

ونأتى للأسباب الموضوعية التى أثرت على الحياة الحزبية فى مصر وهنا أعتبر أن لجنة شؤون الأحزاب- التى تجعل الأحزاب يخرجون منها وكأنهم يخرجون من ثقب إبرة- فتكون النتيجة أن هناك ترخيصا أو رخصة - سجل تجارى- إذا حضرتك أخذت هذه الرخصة ووضعتها فى جيبك معنى ذلك أن الحزب أصبح فى جيبك!! وتبحث عن شقة مفروشة ومجموعة من الشباب ليعملوا فى جريدة الحزب التى لن يقرأها أحد. وهنا نأتى للسبب الثانى والذى أعتبره من أهم اسباب ضعف الأحزاب، وهو انحياز وسائل الإعلام للحزب الحاكم وهو الحزب الوطنى الديمقراطى. وإذا حدث وتمت دعوة أحد قيادات الأحزاب فى أحد البرامج التليفزيونية ستكون بالتأكيد لمدة لا تزيد عن ست دقائق مثلا وتجد أن نوعية الأسئلة من عينة ما رأيك فى الرئيس بوش؟ ما رأيك فى الإخوان المسلمين؟ ما رأيك فى أولمرت؟ ويبدأ الضيف الذى يمثل حزبا من الأحزاب فى الهجوم على أمريكا وعلى الإخوان وعلى إسرائيل وينفعل ويتفاعل مع الأسئلة ومع مقدمى البرامج ومن المحتمل أن يكون الكلام من النوعية التى تعجب الجماهير ، لكنه لا يسألك ويقول لك (ما رأيك فى الحكومة مثلا؟) وهذا يذكرنى بالنكتة الشهيرة (أن واحد امريكى بيقول لواحد سوفييتى انا أقدر أقف فى البيت الأبيض وأقول .. يسقط ترومان !!) فرد عليه السوفيتى ما أنا أقدر أقف فى الكرملين وأقول يسقط ترومان !! إذن احتجاز الإعلام وتصور البعض أن الإعلام

خاص به وبحزبه وبحكومته دون غيره فهذا غير صحيح لأن وسائل الأعلام القومية ملكية قومية وليست ملكية أحد.

فإذا كنت تعجز عن مخاطبة الجماهير فكيف تصل إليها؟؟ هنا يجب أن أنزل إلى الجماهير .. إلى الشارع ولكن ... ممنوع التظاهر.. ممنوع المؤتمرات خارج مقر الأحزاب.. ممنوع التواصل مع الجماهير. التعددية الحزبية تحتاج إلى تكافؤ حقيقى للفرص وأنا أشبه ما يدور بمباراة فى كرة القدم، والكأس محجوز مقدما للفريق الوطنى الديمقراطى، وإذا افترضنا جدلا أن الفريق الآخر أحرز هدفا تجد أن الحكم وحاملى الراية والمراقب يقومون بإلغاء ا لهدف فورا وبلا تفكير وإذا اعترض أحد يقوم الحكم بإخراج الكارت الأحمر وبلا تفكير فورا.

ومع ذلك فهناك أخطاء داخل الأحزاب وهنا فى حزب التجمع لدينا أخطاء.

والمشكلة أن تركن الأحزاب إلى ذلك وترجع مشاكلها إلى الأسباب الخارجية، ويتم إلصاق كل أنواع الفشل الحزبى إلى الحكومة والحزب الحاكم ، ونحن فى حزب التجمع نحاول أن نبنى بناءً ديمقراطيا سليما ، ونحاول أن نكون نموذجًا يحتذى به ، حيث قررنا ألا يستمر أحد فى موقعه التنظيمى والقيادى أكثر من دورتين ، كذلك نحاول ان نؤثر فى الشارع ، نحاول أن نكون حزبا محترما ، نحاول أن نكون جريدة محترمة لا تباع ولا تشترى ولا تبتز ولا تبتذل وهذه المبادئ تحملنا أعباء كثيرة.

إذن هى منظومة متكاملة ومع سياسة الإفقار أنت تقع فريسة لزيادة أسعار ورق الصحف وزيادة المرتبات وزيادة تكلفة الطباعة والتجهيزات. كل هذا ونجد أن السوق مكدس بأشكال ونماذج صحفية مجهولة التمويل. من الممكن أن تكون ستارا لعمليات غسيل الأموال فتكون الإعلانات شبه مجانية ، حيث يستفيد الجميع أما الخاسر الأوحد فهى الصحافة المصرية.

فالحياة الحزبية من الممكن أن تنهض من خلال شيئين :

الأول: هو النهوض بالحزب الوطنى لأننا ندعو للمعاملة بالمثل فإذا قام الحزب الوطنى بمظاهرة لابد وأن أقوم كحزب بعمل مظاهرة مثيلة.

الثانى: تغير المناخ العام فى المجتمع.

• شجعنى حديث الرجل عن الحياة الحزبية وعن سياسة الإفقار أن أتحدث عن الطبقة الوسطى فى المجتمع المصري

دكتور رفعت السعيد:

لقد انتقلت الطبقة الوسطى إلى مثواها الأخير ولم يشارك حزب التجمع فى تلك الجنازة.

دكتور.. أين ذهبت الطبقة الوسطى فى المجتمع المصرى؟؟

●● عندما تتمركز الثروة تصبح حالة الإشباع غير ممكنة بالنسبة للطبقة الوسطى .. ونتيجة لذلك تنتشر الرشوة والمحسوبية وتزداد معدلات الجريمة .. وإذا أرادت الدولة أن تقوم بعملية إصلاح اجتماعى أو سياسي لابد من إعادة النظر فى توزيع الدخل القومى العام بحيث أن يصبح نصيب الأجورفى الموازنة العامة للدولة أكبر مما هو الآن ، وبالفعل تلاشت الطبقة الوسطى التى كانت تقود المجتمع ويكون الحراك الاجتماعى، ناتجًا عن التعليم والعمل. أما الآن فالمعايير قد تبدلت وتغيرت إلى حد بعيد ، وأصبحت الطبقة الوسطى فى خبر كان نتيجة التغيرات الحادة التى شهدتها الساحة المصرية.

• دكتور رفعت السعيد إن مصر شهدت خلال الفترة الماضية سلسلة من الاحتجاجات أخذت أشكالا عديدة منها الاعتصامات والإضرابات والمظاهرات كيف يرى الدكتور رفعت السعيد هذه الظاهرة ؟

هل هى فرط احتقان شعبى أم هى فرط حرية وديمقراطية؟

وفي كل الأحوال هل هذه التغيرات تصب في مربع الإيجابيات أم مربع السلبيات ؟

●● إن فرط الافتقاد إلى الإشباع يبقى هو السبب الأقوى ، وهو تعامل غير ذكى من الحكومة تدفعهم دفعا إلى الاعتصامات والإضرابات ، وأتذكر أننى تلقيت سؤالا.. هل اليسار هو الذى ينظم الاعتصامات ويحرك الشارع فقلت (يا ريت) إن الذى يحرك الاعتصامات والإضرابات هو الدكتور يوسف بطرس غالى !! الذى يقول للجماهير الغاضبة (لا) حيث يذهب إليه الناس ويقولون له (عايزين) يقول لهم (ما فيش) (ماعنديش) وعندما يعتصمون يقول لهم وزير المالية (أنا محدش يلوى دراعى) فلما (يتلوى دراعه) وتتحقق مطالبهم تصبح سياسة لى الذراع هى الأجدى لدى من يبحث عن حقه فى هذا البلد.

● قلت للدكتور رفعت هل يعنى ذلك أنها ظاهرة إيجابية؟

●● قال بالتأكيد هى كذلك لكن فى النهاية هى مخيفة .. مخيفة جدا ، فكما قلت إذا لم يتحول ما هو(فئوي) إلى ما هو(مجتمعي) فهنا تكمن الخطورة التى أحذر منها ، ويجب أن يعيها الجميع

● دكتور رفعت السعيد (الإخوان .. الإخوان) لماذا كل هذا العداء ولماذا كل هذا الرفض ؟؟

●● قال لى بسرعة - اسمع - الإخوان المسلمين إذا كانوا جماعة دعوية أهلا بهم ومرحبا ، وإذا كانت لديهم الرغبة فى تكوين حزب سياسى فلابد أن يتخلوا عن التمسح بالدين. الدين لا يجب أن يتداخل مع السياسة ، فالسياسة هى تسليم بالخصومة ، فلو أننا متفقون لماذا نقوم إذن بتكوين وتشكيل أحزاب سياسية ، ومن جعل السياسة دينا فكأنما جعله خصومة ، وكل أزمة اقتصادية خانقة بالتأكيد لا مخرج منها إلا السماء لا مخرج منها إلا الله . وكلما ذهبت يمينا أو يسارا فلن تجد إلا طريق الله.. والوصول إلى طريق الله لا يحتاج إلى وساطة ولا يحتاج إلى وسيط .. إذن لن نقبل من يأتى وينصب نفسه ممثلا للسماء. فالخلط بين الدين والسياسة كارثة .. ليس على

السياسة فقط ولكن على الدين أيضا ، وهنا أذكر قول حسن البنا بأن هذا المنهاج كله من الإسلام وكل نقص منه هو نقص من الدين ذاته ، بمعنى أنك إذا كانت لك ملاحظة ما على سطر فى هذا المنهج فإن ملاحظتك ينظر إليها على أنها ملاحظة على الدين والشريعة الإسلامية وهذه هى الخطورة .. إذا قلت إن هذا السطر فى هذه المسألة خطأ تجد من يقول لك .. (يا كافر هو فيه حاجة فى الدين غلط) وإذا قلت إن موضوع الإسكان غير مناسب وفقا لمنهاجكم قال قائل (يا كافر .. وهل هناك فى الإسلام شيء غيرمناسب) وهذا يؤدى إلى قيام فكرة الدولة الدينية ، والآن نحن نتكلم عن الحاكم الذى جعل المثقف كالحرباء يتلونون فما بالك لو أن الحاكم ذاته وقال أنا أيضا ممثل السماء ، فإذا وصل حزب إسلامى إلى السلطة هل يعنى ذلك أن الإسلام نفسه هو الذى وصل للسلطة ؟؟ وإذا سقط مرشح ما يرفع شعار (الإسلام هو الحل) هل يعنى ذلك أن الإسلام هو الذى سقط أم أن الشخص هو الذى سقط ؟؟ وبالنسبة للناخب الذى يريد ألا يعطى صوته لمرشح يرفع راية الإسلام تجد من يقول له أنت تريد أن تسقط الإسلام طالما لن تعطى صوتك لمرشح يرفع راية الإسلام !! وبالتالى أنا ضد مبدأ الخلط بين الدين والسياسة ، فالإخوان إذا جاءك كحزب سياسى بشعار لابد أن يبتعد ليس عن تعاليم الدين وإنما عن رفع شعارات دينية كشعار الإسلام هو الحل الذى أعتبره شعارًا مضللًا.. وهنا أذكر أننى كنت فى أحد البرامج التلفزيونية وكان معى أحد قادة الإخوان وكان شعار الإسلام هو الحل هو محور الحوار وكان أمامى كوب من الشاى فقلت لهم: (الشاى ده ما فيهوش سكر) فقالت مقدمة البرنامج هاتوا السكر للدكتور بسرعة.. قلت إذن يبقى (السكر هو الحل) قالت لى المذيعة (يعنى إيه)؟ قلت إذا أفتقد شيئًا صار وجوده هو الحل ، فإذا قلنا إن الإسلام هو الحل هذا معناه أنه لا يوجد إسلام فى هذا المجتمع من الأساس!! هل نحن مجتمع كافر إذن؟ إنه شعار يدغدغ أحلام الناس ولكن الناس لا تتأمل هذا الشعار !! فطالما أن الإسلام موجود فكيف يكون هو الحل إذن ؟؟والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هل يمكن قيام حزب سياسى للإخوان المسلمين ؟ وفقا للقانون والدستور لا يمكن قيام حزب سياسى على أساس دينى وذلك طبقا للمادة الثانية من الدستور وفى قانون الأحزاب لا

يجوز أن يقوم حزب وهوفرع لهيئة دولية .. والإخوان فرع للتنظيم الدولى للإخوان المسلمين ، ولا يجوز لهذا الحزب أن يكون له تنظيم سرى .. والإخوان لهم تنظيم سري.

ويجب أن يقدم هذا الحزب ميزانيته للجهاز المركزى للمحاسبات ، لابد أن نعرف مصادر تمويل ذلك الحزب ، وبالتأكيد هناك تمويل خارجى .. فكيف سيتم إثبات ذلك أمام الجهاز الرقابى ؟؟لذلك هم يقولون إنهم سيعلنون حزبا سياسيا ولكن دون عرضه على لجنة شؤون الأحزاب ، وهنا تكمن الخطورة الحقيقية .. هم يفكرون فى إنشاءوتشكيل حزب سياسى لكنه لن يكون حزبا شرعيا وفق رؤيتهم الخاصة

وهذا هو العبث الحقيقى فى الملعب السياسى المصرى. عموما إذا أرادوا أن يكونوا حزبا سياسيا عليهم أن يذهبوا إلى لجنة شؤون الأحزاب ويتقدموا كحزب سياسى (مدنى) يحترم القانون والدستور الوضعى ويحترموا معطيات قانون الأحزاب. وإذا لم يناسبهم تلك المعايير الموضوعية عليهم أن يستمروا فى مربع النشاط الدعوى بعيدا عن ممارسة النشاط السياسي.

وكانت هذه النقطة هى آخر ما دار من حوار بينى وبين الرجل الذى يجلس على على كرسى الرئاسة بحزب التجمع ، ذلك الحزب الذى يقف حارسا أمينا على الأفكار اليسارية وحاضنا للمعطيات الوحدوية المبعثرة فى زمن لا يعرف ولا يحترم إلا الأقوياء

***



العالم المصري الدكتور

محمد النشائي

الفوضى المنظمة - توحيد قوى الطبيعة -
النانو تكنولوجي

كان ينظر إلى النهر وكأنه ينظر إلى معشوقته ، يتحدث الفصحى كـدرعمى ملك ناصية اللغة ، يحفظ الشعر كأنه أمير فى دولة بلا حدود ، يستشهد بآيـات القرآن ونصوص الأحاديث النبوية كأنه فقيه متفتح ، كنـت أجلـس أمامـه فى شقة رائعة على نيل القاهرة الخالد لكى أجرى معه هذا الحوار ، ولم يكن صعبا أن ألاحظ ومن أول نظرة أننى امام شخصية من طراز فريد يجمع صاحبها بين العلم والإيمان بين البساطة والعبقرية بين الروح المصرية والجدية الغربيـة .. كنت قد تجولت داخل الشبكة العنكبوتية المعروفة باسم (الإنترنـت) وكتبـت فى خانة البحث (النشائى) فوجدت عجبا !! كل هذه المعلومـات وكـل هـذه الإنجازات العلمية وكل هذا التاريخ المشرف لهـذه الشخـصية المتواضـعة !! بدأت حوارى مع الرجل بهذه الكلمات (فى هـذا العـالم لا مكـان للـضعفاء .. فالأقوياء يفرضون شروطهم على الجميع وفق قوانينهم الخاصة.فقوة القـانون تتآكل أمام قانون القوة. وبناة الحضارات من رواد البشرية أسسوا دولهـم عـلى قواعد " العلم " و "العمل" وعندما يمتزج الاثنان تتفجر طاقات (القـوة) فإذا وضعت تلك القوة فى قوالب أخلاقية كانت الحضارة فى أبهى صورها) .

الدكتور النشائى يصف نفسه بأنه يمتلك روحين يسكنان جسدا واحـداً ، روح أدبية فلسفية وروح هندسية علمية ويقول عن حياته: إنها نموذج مثالي (للفوضى المحددة) ويعتبر أن العبقرية هى (فن تنظيم الفوضى).

صاحب نظرية غيرت من رؤيتنا للأشياء إنها نظرية " الفوضى المحـددة " التى يقول عنها (هى اكتشاف القوانين التى تحكـم أى شـىء فى الكـون عنـد ثورته، ومن خلال اكتشاف تلك القوانين يمكن التنبؤ بمداه لان أى شئ نـراه موضوعيا إنما هو يسير وفق قانون محكـم اسـتطاع حـساب مـايعرف بطيـف الكتل الذرية وهو مالم تستطع معادلات ميكانيكا الكم تحقيقـه إلا مـن خـلال التجارب المعملية فقط .

تنبأت نظريتة باكتشاف ٦٩ جسيما ذريا تعد اللبنات الأساسية للكـون بـما يزيد عن توقعات نظرية الكم التى قالت بوجود ٦٠ جسيما فقط. إن اكتشاف

ولو جسيم واحد من بين ٩ جسيمات دون ذرية ستصعد به الى منصة جائزة نوبل فى الفيزياء .

- لقد أحدثت أبحاثه ثورة فى مجالات العلوم الذرية وعلوم النانوتكنولوجى

- استطاع تحديد قيم الثوابت الطبيعية فى الكون فى محاولة لتوحيد قوى الطبيعة فى قانون واحد وذلك تقييما لنظرية النسبية لألبرت أينشتاين .

بدأت محاور النقاش مع الدكتور محمد صلاح الدين النشائى

● نريد إلقاء الضوء على إسهامات د/ محمد النشائى العلمية ودورها فى خدمة البشرية بطريقة مبسطة ؟

●● يقول : العالم المصرى (محمد النشائى)

بداية أشكرك من كل قلبى على هذه المقدمة الرائعة والتى أشعر من أعماقى أننى لا أستحقها .

وأقول : دون تواضع كاذب وعن صدق وعن فهم عميق كلمة أعتبرها رسالة مهمة فى حياتى يجب أن تصل واضحة لكل شاب عربى وهى أن تلك الأسماء اللامعة والشهيرة لاتتميز عنهم فى شىء سوى فى وجود الفرصة والظروف والجو الملائم .

فالعبقرية هى عبقرية الفرص والظروف الملائمة ..

وأنا على قناعة بأن هناك مئات بل الآلاف من العلماء العرب يتميزون عنا فى كل شىء إلافى شىء واحد وهو أنهم لم يعطوا الفرصة .. لم يعطوا الفرصة لأسباب عديدة أولها الاسباب المادية فكونك مولود فى أسرة غنية بالتأكيد غير كونك ولدت فى أسرة فقيرة، إن ذلك يؤدى إلى تحديد المستقبل بشكل كبير. وبالإضافة للأسباب المادية هناك المعايير السياسية حيث التميزات الواضحة فكونك مولود فى العالم العربى غير كونك مولود فى العالم الغربى .

وعموما هناك حزمة من الظروف قد تساعد الإنسان على الانطلاق، فإذا أتيحت لك الظروف لتسافر فى سن مبكرة إلى الغرب بالتأكيد ستكون النتائج أفضل، وهذا ماينطبق على حالتى تقريبا فأنا سافرت منذ كان سنى ١٢ سنة لتكون البداية قوية فى بلد متقدم.

عموما أنا أشكرك مرة ثانية على هذه المقدمة فأنت أوضحت ببلاغة شديدة أن الموضوع لايقتصر على القوة وأضيف وأؤكد على كلامك .

من كلام العظماء الذين أنجبتهم هذه الأرض :

وعلمنا بناء المجد حتى اتخذنا إمرة الأرض اغتصابا
ومانيل المطالب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

وقال حافظ .

وارفعوا رايتى بالعلم والأخلاق إن العلم وحده ليس يجدى

وبالفعل نحن متقدمون على الأوروبيين أخلاقيا وبقى أن نرفع البناء العلمى المادى على تلك القواعد الاخلاقية .

وليس هناك تعارض بين العلم والأخلاق وبين الروح والمادة فلاغنى لأحدهما عن الآخر .

فالإنسان يتكون من جسد وروح وقد يبدو هذا متعارضًا للوهلة الأولى . ونفس هذا التعارض نجده فى كلمة " الفوضى المحددة " .

فكيف تكون فوضى ومحددة فى نفس الوقت ؟

وهذا هو الكلام الذى قدمه هيجل فى الجدلية .

وهو أن الشيء وعكسه ممكن أن يرتفعا أو يسموا إلى شيء حقيقى أعلى من الاثنين.

وكان أحد أساتذتنا العظام الذين أسسوا على الميكانيكا الكم وهو"نيسبور" الدنماركى .

يقول عكس الخطأ هو الصحيح وعكس الصحيح فهو شيء أصح منه .لذلك يجب ألا تأخذ الأشياء بسطحيتها وإنما لابد وأن نغطس تحت السطح لرؤية أشياء غيرواضحة فوق السطح.

عموما أنا شخصيا توافرت لى ظروف ملائمة يصعب جدا أن تتكررحيث أن انتقالى من مجال الهندسة إلى بعض العلوم النظرية تشبها بالغرب دون أن أدرى حيث

الانبهار الذى أصابنى فنظرية النسبية والأسماء الرنانة والجوائز العالمية التى تعود على صاحبها بالفخر والعظمة.

ولم ألاحظ وقتها أننى قادم من بلد متأخر علميا وذلك التأخير العلمى أخرها اقتصاديا ، لذلك أحسست أن العلم الحقيقى الذى يجب أن نعمل فيه هو العلم الذى ينصب فى الاقتصاد أولا، لو أنا صحيح وطنى كما أتصور وكما أدعى أو كما حقيقة فى قرارة نفسى وفى قلبى أن مصر أهم شىء فى حياتى ولو خيرت بين أبى وبين مصر لاخترت بدون تردد مصر .

وللأسف وجدت نفسى مثل كل العلماء والمنتمين للعالم الثالث أعمل فى مشاكل وموضوعات تهم العالم الأول. حقيقة حزنت وتساءلت بينى وبين نفسى وقلت (ليه؟؟) رغم كل الإمكانات المتوافرة بين يدى، وكذلك حرية الاختيار لماذا أخترت موضوعات تهم العالم الأول ؟

أحسست أنها أنانية مفرطة مني تجاه عالمى ووطنى وأهلى

لقد حزنت حيث كانت أهدافى منافسة أينشتاين، حيث أردت التميز والتفرد لذلك أصبحت ضحية نجاحى وضحية ظروفى الحسنة . وبسبب هذه الظروف نسيت (أنا بحب أية)!!

من هنا كان اهتمامى بنشر منظومة " النانو تكنولوجى " فى مصر والعالم العربى ، حيث أن السعودية هى البلد الوحيد فى الشرق الأوسط التى نجحت فى هذا المجال وهو النانو تكنولوجى " التكنولوجيا متناهية الصغر " .

وسمعت أخيرا أن إيران وإسرائيل تسيران على الطريق وإسرائيل بالذات دولة متقدمة فى هذا المجال لأنهم يعملون بجدية ويبذلون مجهودا كبيرا ولا تعتبر المساعدات الأمريكية لهم هى الأساس فهم أناس جادون ، رغم أنهم يعيشون على قهر الشعب الفلسطينى واغتصاب أرضه لكنهم فى كل الاحوال جادون ويساعدون أنفسهم ويحترمون العلم والعلماء .

وفى احترامهم للعلم يحترمونه من أجل بناء القوة .. من أجل البقاء وليس لديهم أية قواعد أخلاقية لذلك فقد أتنبأ لهم بنهاية سيئة جدا فالأمم والشعوب لاتبنى حضارتها على القوة فقط وإنما الأخلاق قبل القوة كما أوضحنا فى البداية .

عموما أنا أعمل فى مجال النانوتكنولوجى منذ اثنى عشر عاماً وأعتبر نفسى من المتميزين فى هذا المجال وخصوصا المردود الاقتصادى للنانوتكنولوجى .

وبخصوص ترشيحى لجائزة نوبل فى الطبيعة .. الحقيقة أننى أخذت أفكر وأمعن التفكير .. ماذا سأقول لربى يوم القيامة حينما أسأل عما فعلت وعما قدمت وعما حققت؟

هل أقول رشحت لجائزة نوبل وحصلت على جائزة نوبل هل هذا يليق بهذا المشهد العظيم ؟؟

ماذا استفادت البشرية بعلمك ؟ وماذا أستفاد أهلك بعلمك فالأقربون أولى بالمعروف كما نعلم جميعا. أعود إلى مساهماتى العلمية فأنا كنت محظوظًا جدا حيث عرفت مبكراً وكانت لى مساهمات فيما يسمى بالفوضى المحددة ، لقد استخدمت هذا العلم فى الهندسة وكنت من الرعيل الأول فى هذا الشأن.

• سألت الدكتور / النشائى عن مدلول هذا المصطلح (الفوضى المحددة)

•• قال : إن هذا المصطلح فلسفى وجدلى حيث إنه فوضى محددة.. مثلاً المناخ والطقس فأنت متأكد أن الشتاء قادم وكذلك الصيف لكنه متى سيقدم بالتحديد أنت لاتعرف بأنها فوضى لأنك لاتعلم متى ستأتى لكنها محددة حيث أنها قادمة بالتأكيد .

وليس صدفة اكتشاف الفوضى المحددة بالمعنى الحديث لهذه الكلمة فهى لها معان كثيرة منذ أيام الإغريق.

كان هناك أمريكى فى إحدى الجامعات المتميزة فى قسم الأرصاد الجوية، وفعلا من الأرصاد الجوية لاحظنا " لخبطة فى الجو "

حيث هناك انحرافات عديدة عن التنبؤات الجوية مثلها مثل حركة البورصة ، مثلها مثل حركة الإلكترونيات والأجزاء الصغيرة جدا ، حيث حركة لايمكن التنبؤ بها بسهولة إلا عن طريق الفوضى المحددة .ولحسن حظى أننى استطعت اكتشاف ذلك حيث أننى كنت أملك الطرف العلمى حيث حرية البحث فى جميع الأفرع وليس فى الهندسة فقط.

ونقلت تلك المنظومة والفكرة من الهندسة إلى الطبيعة حيث انتقلت بأفكارى ومرجعياتى وأبحاثى المتنوعة من علوم الهندسة إلى علوم الطبيعة . واستطعت أن أحل مشاكل لم يستطع المتخصصون فى الطبيعة حلها .

فالأصوات الغريبة التى تسمعها فى سيارة قديمة ناتجة من الفوضى المحدودة الموجودة فى الموتور، فى الفرامل . وكذلك أصوات الماء المتساقط من صنبور مياه قديم، أصوات غير متناسقة وغير نمطية فهى عبارة عن فوضى محدودة. وأجرى بحث فى إحدى الجامعات الأمريكية حول هذه الأصوات وعلاقتها بالفوضى المحدودة .

المهم أراد الله سبحانه وتعالى أن ينجح الفلاح المصرى المسلم القادم من فارسكور فى اكتشاف تلك المنظومة ونقلها من الهندسة إلى الطبيعة حيث تعيد العديد من الظواهر التى استمرت سنوات وسنوات دون تفسير .وأتساءل لماذا أنا ؟؟ محمد النشائى المصرى المسلم هو الذى اكتشف ويوحد قوى الطبيعة وينجح فيها.. إنها صدفة.. ولكنها صدفة محددة أو كما يسميها المفكر الماركسى محمود أمين العالم صدفة موضوعية .. أتساءل لماذا أنا ؟؟ أنا قادم من مصر .. حيث تاريخ التوحيد تاريخ أجدادى " إخناتون " الذى قال إنه لايمكن لكل هذه الآلهة إلا أن يكون مردها إلى إله واحد. هل لهذا مردود فى نفسى .. هل هناك موروث بداخلى يدفعنى دائما إلى هذا الاتجاه.. اتجاه التوحد والوحدانية ليس فى مجالات العبادة فحسب بل فى مجالات العلم والطبيعة والله أعلم .. لقد ربطت الفلسفة بالهندسة والهندسة بالطبيعة والطبيعة بالفلسفة فكان هذا التوحد وعندما يشبهوننى بأينشاتين أحس بأننى أتعرض لإهانة !! أنا أرى أننى أفضل منه بكثير ، أنا أحب زوجتى وأولادى وأسرتى أما هو فأحد أبنائه انتحر والثانى كان يكره والده بشدة .. لذلك أرى من وجه نظرى ان أينشتاين كان فى هذه النقطة فاشلا .

أما من الناحية العلمية وهو كان رجل معزولاً، فهو لم ينجح فى الدكتوراة ٣ مرات ولم يقبل فى أى مكان للقيام بالتدريس كأستاذ ، لذلك اضطر لأن يلتحق بوظيفة موظف بسيط فى مكتب براءات الاختراع فى بيرن لذلك كان منغلقًا على نفسه فلم يتأثر بغيره وإنما كانت له أفكاره الجيدة لكنه ليس أسطورة وأنا شخصيا لا أؤمن بالعبقريات والفوارق وإنما أؤمن بعبقرية الظروف وعبقرية المكان. عموما التقدير

وارد وأنا أقدر أينشتاين جدا أما التبجيل فهو لله .أما اذا كنتم مصممين على أن أينشتاين عبقرى فأنا عبقرى كذلك ، لكن أرى أنه لا هو ولا أنا عباقرة . إننى كذلك أرى أن العمل والبحث العلمى والنظريات والاختراعات أشياء نسبية قابلة للتغيير والتبديل والنقد والهجوم . أما الثوابت الإيمانية والقرءانية فهى أشياء مطلقة لاتقبل التغيير أو التبديل.

فأنا لا أحب الربط بين الظواهر الإيمانية والعلمية ومن الأشياء الجديرة بالذكر قمت بحساب معادلة عجيبة جدا وهى تقول ٤٩٦ -٣٣٩- ٢٠ = ١٣٧

الـ ١٣٧ هى ثابت الكهرومغناطيسى حيث أن مقلوبه ١٣٧ وتعجب العلماء خلال ٧٥ سنة وهم يتساءلون لماذا هى ١٣٧ أنا أوجدتها من أن نظريتى جمعت مابين نظرية الأوتار الفائقة ومنها استنتجت أن هناك عددًا مهمًّا جدا هو ٤٩٦ وهناك نظرية لصديق لى حاصل على جائزة نوبل فى الطبيعة فى نفس سنة حصول د/ زويل على جائزة نوبل فى الكيمياء وهو توفت حصل عليها فى الطبيعة النظرية . استطعت أن أستنتج و أصحح له رقم ٣٣٦ وأنا صححته إلى ٣٣٩ أما الـ٢٠ الأخرى فهي من نظرية أينشتاين الخاصة بالجاذبية . الثلاثة أعداد عندما تطرح من العدد الاول الثانى والثالث يكون الكهرومغناطيسية. فأنا ربطت نظرية الأوتار الفائقة بنظرية توفت بنظرية أينشتين واستنتجت منها ثابت الكهرومغنطيسية .وأصبحت معادلة مشهورة الآن فى مجال الطبيعة.

٤٩٦ هو عدد التماثل الموجود فى نظرية للتماثل تنطبق على الكون كله اسمها (٨ * ٨) وهى نظرية التماثل .

فالكون كله يوجد به ٤٩٦ تماثلًا موجودًا فى تكوينه الأساسى وهذه حصلت عليها من نظرية الأوتار الفائقة.

وتوفت وجد أن هناك تماثلًا فى سطح الكون عدده ٣٣٦ أنا وجدت أنه مخطئ فالعدد الصحيح ٣٣٩ تماثلا، وأينشتاين التماثل عنده ٢٠ تماثلًا وبما أن القوى الأساسية فى الكون أربعة .

- الكهرومغناطيسية الذى أبحث عنه ولم أعرفه .

- الجاذبية لأينشتاين.
- القوى الضعيفة التى تسبب الإشعاع الذرى .
- القوى القصوى التى تمنع النواة من الانفصال .

قلنا إن العالم كله يوصف بنظرية الأوتار الفائقة حيث التماثل فيها ٤٩٦ تماثلًا للكون كله .

وتوفت يقول على السطح ٣٣٩ تماثلًا يمس القوى الضعيفة والقوى القصوى .

وأينشتاين ٢٠ تماثلًا .

إذن يبقى من ٤٩٦ الكهرومغناطيسية وهى ١٣٧ انظر ٧٥ سنة يبحثون عن عدد التماثل للقوى الكهرومغناطيسية لأن كل واحد ينظر من وجهة واحدة ولا ينظر للموضوع كله من جميع جوانبه ومالا يدرك كله لا يترك كله فهناك من يقول إن نظرية الأوتار الفائقة جمعت كل شىء وهنا من يقول إنها غير صحيحة بالمرة والحقيقة أن جميع تلك النظريات تكمل بعضها بعضاً

● د / محمد النشائى :

البحث العلمى فى مصر " جلطة فى شريان التقدم "

ماهى الصورة المثالية التى يجب أن يكون عليها البحث العلمى فى مصر وكيف يمكن الوصول إليها من خلال خطة واضحة المعالم .

●● بكل أسف السياسة العلمية فى مصر سيئة للغاية ومتخلفة جدا .

العلم أرستقراطى بطبعه.. وعندما يدخل فى العلم أية اعتبارات أخرى غير علمية تفسده تمامًا. فمن الممكن أن تدخل السياسة على التجارة ومن الممكن أن تدخل السياسة فى الصناعة وتسيسها. أما العلم إذا دخلت فيه اعتبارات غيرعلمية تفسده. فوزارة البحث العلمى تختلف تمامًا عن وزارة الصناعة ، على الرغم من أننا فى البحث العلمى من أجل خدمة كل هذا سواء الصناعة أو التجارة أو الزراعة .

لابد وأن يكون الرجل الصحيح فى المكان الصحيح. وفي مصر الرجل الصحيح ليس فى المكان الصحيح .

هناك منظومة لسوء الاختيار ومن يقوم بالاختيار ليس لديه دراية ولا علم.. فكيف يختار اختيارًا سليمًا؟؟ وبالفعل ليس شرطا أن يكون المدير متخصصًا، لكن هل يشترط فى المدير أن يكون غير متخصص ؟؟

أصبحت المسألة مضحكة وغير مقنعة بالمرة. إن مشكلة البحث العلمى فى مصر معقدة وشائكة حيث سوء الاختيار للقائمين عليه وضعف المخصصات المالية للبحث العلمى .. رغم أن ماينفق على البحث العلمى جدير بان يكون فى المرتبة الأولى لأنه بالبحث العلمى أستطيع التغلب على جميع المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والصحية وغيرها .

لكن المشكلة فى مصر أنه لايوجد إيمان بهذا الموضوع تماما .

وأضرب مثالًا لذلك موضوع الاتصالات منذ سنوات عديدة كتب مصطفى أمين فكرته بالأخبار أن الدولة مطلوب منها أن تخصص ميزانيتها بالكامل لتوصيل التليفونات إلى من يطلبها ويقف بطابور الانتظار، وأقترح مصطفى أمين أن يقوم التجار والصناع بالسفر إلى مالطة وقبرص لإجراء الاتصالات أوفر من قيام الدولة بإنفاق ميزانيتها على توصيل التليفونات ومع مرور الوقت صارت الاتصالات متاحة للجميع عن طريق الجوال والأقمار الصناعية وغيرها ولم يتم إنفاق ميزانية الدولة بالكامل ولم يسافر رجال الأعمال للاتصال من الخارج وأتساءل من صنع تلك الثورة ؟

هل هم اشتراكيون ؟ أم هم رأسماليون ؟

لا هؤلاء ولا هؤلاء إنهم العلماء بالبحث والدراسة والتجريب نجح العلماء فى حل تلك الألغاز.

اتركوا العلماء يعملون فى هدوء ، أبعدوا السياسة عن البحث العلمى حتى نستطيع المساهمة فى حل مشاكل البلد .

إن نظريات ماليتوس وكارل ماركس تحطمت على صخرة الأفكار النظرية غير القابلة للتطبيق .

إن العلم يستطيع أن يحل مشاكل البشرية جميعها فالنانوتكنولوجى تستطيع تحويل الصرف الصحى إلى بروتينات.

لاتستغرب من ذلك فأنت تضع روث الماشية كسماد طبيعى تحت شجرة التفاح لتقوم الأغصان والجذور بسحب المادة الغذائية وتوصيلها للثمرة التى نأكلها ونحن سعداء. ماذا يمنع أن نقوم بعمل أنابيب ومصانع لتحويل تلك المواد إلى ثمرات بطريقة مماثلة لما يحدث فى الشجرة. إننى أحاول أن أبسط المسألة وأقربها إلى العقول .

إننى أصرخ من أعماقى وأقول إن حل مشاكل مصر لن يكون إلا بعقول العلماء ، أما عقول السياسة فلن تحل مشاكل هذا الوطن ، اتركوا العلماء يعملون فى حرية ، ساعدوهم بالابتعاد عنهم ، وفروا لهم الجو الملائم للبحث والتجريب وتنفيذ أفكارهم لخدمة هذا الوطن الحبيب. إن مصر فى أمس الحاجة إلى البحث العلمى .

● د / محمد النشائى

أين ذهبت الطبقة الوسطى فى مصر؟؟

●● يقول د/ النشائى :

فى مصر طحنوها لأن تلك الطبقة تفرز أشخاصًا يستطيعون أن يقولوا (لا).

إن الدولة تحاول أن تكسب من العملية التعليمية وهذا خطأ جسيم فالفلاح الذى يريد أن يستفيد من أبنائه فى خدمة الأرض لايستفيد منهم وهم (رضع) بل ينتظر حتى يكبروا ويقوى عودهم ثم يبدأ فى استخدامهم فى الأرض .

كذلك يجب أن تصبر الدولة حتى يصل المنتج إلى وضعه النهائى كى تستفيد منه العملية الإنتاجية .

إن مشاكل الصرف الصحى مثلا تحتاج إلى حلول جذرية، أحد هذه الحلول هو إنفاق نصف ميزانية البلد عليها وأنا لا أستطيع ذلك !!

والحل هنا هو أن يقوم البحث العلمى بإيجاد حلول قابلة للتنفيذ لهذه المشكلة ، ولكن البحث العلمى مكلّف، لكنه هو الحل الوحيد.. أكرر الوحيد لحل مشاكل مصر. والغرب ليس لديهم مثل هذه المشاكل لذلك فهم لايبحثون لهاعن حلول نستطيع أن نستورده، لذلك أيضا وجب علينا أن نبحث ثم نبحث ثم نبحث .

ياسيدى إن كل شيء فى مصر الآن (ماشى بالمقلوب) لعدم فهم نهائى بماهية البحث العلمى ولا التعليم العالى وهناك انتهازية وغياب للشجاعة الأدبية ، وهناك تصريحات وردية للحصول على قدر من التصفيق حتى تمر أكبر فترة ممكنة وهؤلاء جالسون على كراسى السلطة التى تتحكم فى البحث العلمى ومقوماته فى بلد هو فى أمس الحاجة لكل لحظة عمل وكل لحظة بحث وكل رأى حر وكل قلب نابض وكل لسان صادق. وإن مصر فى حاجة ماسة إلى كل الجهود المخلصة لتحقق المعجزة وتصبح مصرنا الغالية فى صف الدول المتقدمة وهذا لن يتأتى أبدا إلا بالعلم والعمل .. أكرر بالعلم والعمل .

● **د / النشائى**

ماهو دور علماء مصر المهاجرين فى حل هذا اللغز المحير ؟

●● أعتقد أنه يمكن أن يكون هناك دور لهؤلاء من خلال تجمع معين يستطيع أن يجد القيادة العلمية فى مصر تتصرف بعقلانية وتحترم هؤلاء العلماء وتفتح الأبواب أمام إسهاماتهم لخدمة مصر !!

أعتقد أن طبيعة الأمور فى مصر دائما ترفض أية توصيات تأتى من الخارج حتى لو كانت تلك التوصيات من علماء مصريين موجودين بالخارج .

فدائما تسمع مقولة إننا هنا نعرف كل كبيرة وصغيرة عن مشاكل مصر، ونعرف مالايعرفه من يعيش بالخارج، فدائما نجد مقاومة لتدخلات وإسهامات هؤلاء العلماء وتلك المقاومة تكون غالبا من المسؤولين عن ملفات البحث العلمى فى مصر .

وأرى أن هناك مسافة ومساحة بين الآراء والرؤى المقيدة للمسؤولين عن السياسية العامة للبحث العلمى فى مصر والتى ترتبط غالبا ببعض التوجيهات السياسية وإن كنت أعتقد أن مخاطبة السلطة السياسية العليا فى مصر مجدية ، لأننى أعتقد أن بقاء الوضع الحالى كما هو ليس من مصلحة السلطة السياسية فى مصر والغريب أن السلطة السياسية العليا تستمع إلى تلك الانتقادات، وتتفهم دوافعها وتجعلها تهاجم كل الدراسة ، أما قيادات البحث العلمى فتثور وتغضب وتهاجم وتجرح كل من يوجه إليهم تقدما. كما أن علماء الداخل أرى أن تأثيرهم سيكون أكبر وأوجه من علماء الخارج.

لقد قمت بعرض مشروع المردود الاقتصادى للنانو تكنولوجى والذى أفهمة جيدا بنسبة ١٠٠ ٪ .

لقد قمت بعرض أفكارى فى مجلس الشعب بدعوة من رئيسه ورئيس لجنة الصناعة، وقمت بالعرض فى الحزب الوطنى ، ثم دعيت إلى لجنة السياسات وشرحت كل الأفكار والآراء، وأوضحت الخطوط العريضة لتطبيق النانو تكنولوجى. إننى أرى أن هناك أسبابًا شخصية ضيقة هى التى تسببت فى هذه الحالة من المقاومة الشرسة لهذه الافكار والطموحات .

● د / محمد النشائى

كيف ترى مصر .. مصر الشعب والأرض..

هل تراها فى مكانها المناسب ومكانتها المناسبة واللائقة؟؟

●● يجيب د / النشائى بحدة وبشدة وبسرعة (لا) مصر ليست فى مكانها وليست فى مكانتها.. ياسيدى مصر التاريخ.. مصر الحضارة .. كيف أوصلوها إلى هذه المرحلة.. مرحلة حرجة وخطيرة .. مصر لاتستطيع أن تدير نفسها بنفسها ، ومصر كانت مهد الحضارة، وانظر إلى عصر محمد على وانظر إلى عصر عبدالناصر.. كيف كانت مصر ؟ وكيف كان المصريون ؟

مصر الأرض، ومصر الناس يستحقون أكثر من هذا بكثير .

إن لمصر دور هام فى خدمة البشرية عموما وليس فى خدمة أنفسهم فقط .العالم العربى أكثر من ٣٠٠مليون بلا قائد، فالقائد مغيب، والقائد هنا هو مصر .والعرب جميعا ينتظرون عودة مصر لقيادتهم من جديد ومع ذلك أرى أن دور مصر القيادى عائد .. عائد.. انظر حولك، ستجد أن شباب مصر بدأ يتحرك ويفكر ويتابع مايدور فى العالم من خلال الوسائل التكنولوجية، وأنا على قناعة بأنه كلما اشتدت الأزمة فإن الانفراج قريب، وأحلم بأن يتم التغيير عن طريق التطور دون انفجارات، ودون ثورات وهذا لن يتأتى إلا بالعلم والعمل .

● د / النشائى ماهو مشروعك القومى الذى يمكن أن يجمع شباب مصر ؟؟

●● يضيف د / النشائى بدون تفكير المشروع القومى هو النانوتكنولوجى ، أنا أطالب ببناء سد عالٍ جديد من العلم والتكنولوجيا يستطيع أن يسد ويمنع فيضانات الفقر والمشاكل والأزمات .

إننا متأخرون جداً.. ياسيدى الفاضل الكاسيت الذى تستخدمه الآن مستورد ، القلم الذى تكتب به مستورد ، الملابس التى نلبسها مستوردة ، التليفون الذى نتحدث فيه مستورد ، انظر حولك تجد أن ٩٠ ٪ من استخداماتنا مستوردة من الخارج .كيف ننشد الإصلاح لوطن يعتمد على أعدائه فى كل شىء حتى القمر الصناعى المصرى لم يتم تصنيعه فى مصر. والسعودية صممت القمر الصناعى السعودى فى السعودية. وهذه ليست فتحا مبينا بالنسبة للأشياء الكثيرة التى يجب أن نقوم بها. وإدارة البحث العلمى فى مصر تضع رأسها فى الرمال، والكارثة أنهم لايخجلون من صنع أيديهم، فلم يعتذروا للشعب المصرى عن هذه المهزلة العلمية بأنهم عاجزون عن صناعة القمر الصناعى المصرى على الرغم من وجود أعظم علماء العالم فى هذا المجال على أرض مصر وهو د / السيد دسوقى الذى علم علماء الأقمار الصناعية فى العالم. لقد حاول الغرب إغراءه بالبقاء فى الغرب، لكنه رفض بشدة مفضلاً أن يكون موجودا فى بلده مصر .لقد سمعت عنه من الدكتور صالح العزم فى السعودية أنه يقوم يالتدريس وتفريخ العلماء الذين يهاجرون أو يقومون ببناء الأقمار الصناعية التى نقوم نحن باستيرادها وشرائها بعد ذلك .

● د / محمد النشائى

كيف نستطيع ان نصلح حال التعليم فى مصر ؟؟

●● يمكن ذلك من خلال وضع الرجل الصحيح فى المكان الصحيح من خلال الإيمان بمرحلة العلم ، وعدم تخفيض ميزانية البحث العلمى بسبب المشاكل الأخرى ، وكلما زادت المشاكل الأخرى يجب أن نزود ميزانية البحث العلمى وكما يقول نهرو "نحن دولة فقيرة لايسعنا إلا أن نصرف بسخاء على البحث العلمى" .

يجب أن يكون لدينا همة عالية وخطوط عريضة واضحة المعالم، فمنذ خمسين عاما ونحن نتخبط. خذ مثلا مشروع المفاعل النووى المصرى الذى أنشأه عبدالناصر مع الثورة فى بداية الستينيات وأحياه السادات ثم توقف تماما .

وأخيرا تم إحياؤه من خلال لجنة السياسات ودارت حوله سلسلة من المناقشات والأصوات بعيدا ثم مالبثت أن خفتت تلك الأصوات .

المطلوب هو العمل الهادئ والموضوعى بعيدا عن التشنجات. إن نهضة الهند كانت نتيجة الارتباط بين مهابها وهو أعظم علماء الذرة، وجواهرلال نهرو أعظم سياسى فى هذا الوقت خلال الستينيات .

واتفقا على إنقاذ الهند لابد وأن يكون من خلال شيء حديث تستطيع من خلاله الهند أن تسبق الغرب .

اعتقد هؤلاء أن الدافع النفسى المتولد عن هذه القنبلة أهم من الطاقة المتولدة من هذا المشروع النووى .

لكن مهابها اشترط على نهرو إلغاء كافة اللجان والمؤتمرات ، أما اليوم فى مصر نقوم بعمل مؤتمر، والمؤتمر يصدر عنه توصيات.. هذه التوصيات، أعمل بها تقريرًا، والتقرير أقدمه لشخص آخر لكتابة تقرير عن التقرير، ثم آخذ التقرير الأول والثانى لنقوم بتقييمهما من خلال مؤتمر جديد للحصول على توصيات ثم نعمل بها تقريرًا، وهكذا (ده كلام فارغ دى مهزلة) هذا هو الوضع العلمى والبحثى فى مصر للأسف الشديد.

● **د/ محمد النشائى :**

مصر بلد عظيم لكنه يعيش بلا جدول أعمال إذا أردنا أن نضع لهذا الوطن جدول أعمال .

ومن خلال مناقشاتى مع سيادتكم أصبحت على قناعة بأن البحث العلمى سيكون هو القاسم المشترك فى هذا الجدول .. هل توافقنى على هذا الرأى ؟

●● يقول د/ النشائى :

أوافق بحرقة على ذلك فالبحث العلمى هو أساس جدول أعمال مصر، وهو بوابة مصر للعبور نحو عالم جديد. وأنا أذكر تجربة د / عزيز صدقى الذى أنشأ الصناعة المصرية فى عهد عبدالناصر واستخدم البحث العلمى لحل المشاكل فى مصر، لا أقصد النسبية لأينشتاين أو الأوتار الفائقة، وإنما أبحث التكنولوجيا التى تناسب مصر، وظروف مصر ومشاكل مصر. وأذكر إنجلترا إبان الحرب العالمية.

كانت تسمى دولة أصحاب المحلات الصغيرة، وعندما جاء هتلر وأراد أن يحطم إنجلترا قرر أن يضرب لندن، ولم يستطع ذلك نظراً لأنه لابد وأن يحطم جميع تلك المحلات المتناهية الصغر وكان هذا مستحيلا بالتأكيد .

وكذلك إيطاليا التى تتكون من اقتصاديات صغيرة يصعب ضربها مرة واحدة وبسهولة، وها هى الصين التى غزت العالم بالصناعات المتنوعة ولجميع الأذواق على مستوى العالم .

لذلك فالصين لديها أكبر فائض من الدولارات فى العالم وهذا نتيجة الصناعات الصغيرة المنتشرة فى ربوع الصين .

وإذا قمنا فى مصر بذلك حيث تكنولوجيا النانو يمكن أن نقوم بعمل تنظيم مجموعات من الصناعات الصغيرة وذلك للقضاء على العديد من المشاكل المزمنة وخاصة مشاكل البطالة. ونستطيع أن نخرج من تلك الدائرة المفرغة الخبيثة التى يمكن أن نسميها حلقة الشيطان .

واختتم د / محمد النشائى حواره معى بالتأكيد على احترامه الشديد «للمعلم الكبير» محمد حسنين هيكل خاصة أنه كان بجوار عبدالناصر ويقول إن مايميز «هيكل» أن لديه القدرة لمراجعة نفسه أولا بأول. وعموما لانملك إلا أن نحترم هذا الرجل حتى لو كنت تختلف معه. وهنا ألمح د / النشائى عن تغييرات حدثت فى الشخصية المصرية وأضفت عليها أبعاداً سلبية. ومن أهم هذه التغيرات أن قطاعا كبيرا من المصريين بدأوا يتجنبون الحق والحقيقة ومن الممكن أن يكون هذا بغرض المجاملة .

التغير الثانى الذى لاحظته ويقلقنى تمامًا، هو ان المصريين ماعادوا يحترمون بعضهم البعض، والغريب أنهم أصبحوا يحترمون الاجنبى أو النصف مصرى أكثر، وكذلك المصرى القادم من الخارج. وهذا الأمر يظهر جلياً فى أوقات قدومى إلى مصر وفى المطار وأثناء إنهاء إجراءات الدخول. ولأنى أحمل كميات من الكتب التى أحضرها هدايا للجامعات والمراكز البحثية فأننى أواجة الأمرّين.

ولأننى أرفض بشدة أن أحمل جنسية أخرى مع الجنسية المصرية فإننى أواجه مشاكل لاحصر لها ، لأن جواز سفرى مصرى. وأصبح من يحمل جواز سفر أمريكيًّا

أو عربيًّا نفخر به أمام الناس. والحقيقة أننى أرى أنها نقيصة تدعو للخجل والاستتار (اذا بليتم فاستتروا). حقيقة عندما أرى كم المصاعب والمتاعب التى أواجهها أحس أننى (شارى مصر ومصر بايعانى) .

قاطعت الدكتور النشائى بحدة وقلت له هؤلاء ليسوا مصريين . هؤلاء شرزمة يتحدثون باسم مصر. وأما مصر الشعب والوطن والتاريخ لاتبيع أبناءها ولم يحدث ذلك على مر التاريخ وأنهم مجموعة تولوا مناصب مهمة فى حقبة من الزمن وأساءوا إلى مصر والمصريين.

وأوضح د/ النشائى أنه ليبرالى ابن ليبرالى، ورغم أن خال والده هو العشماوى باشا وزير التعليم أو المعارف حينئذ وكان والدى يتيماً وقام خاله برعايته وشقيق خال والدى هو حسن العشماوى كان عدوًّا لدودًّا لجمال عبدالناصر وكان من المؤسسين لحركة الإخوان المسلمين.

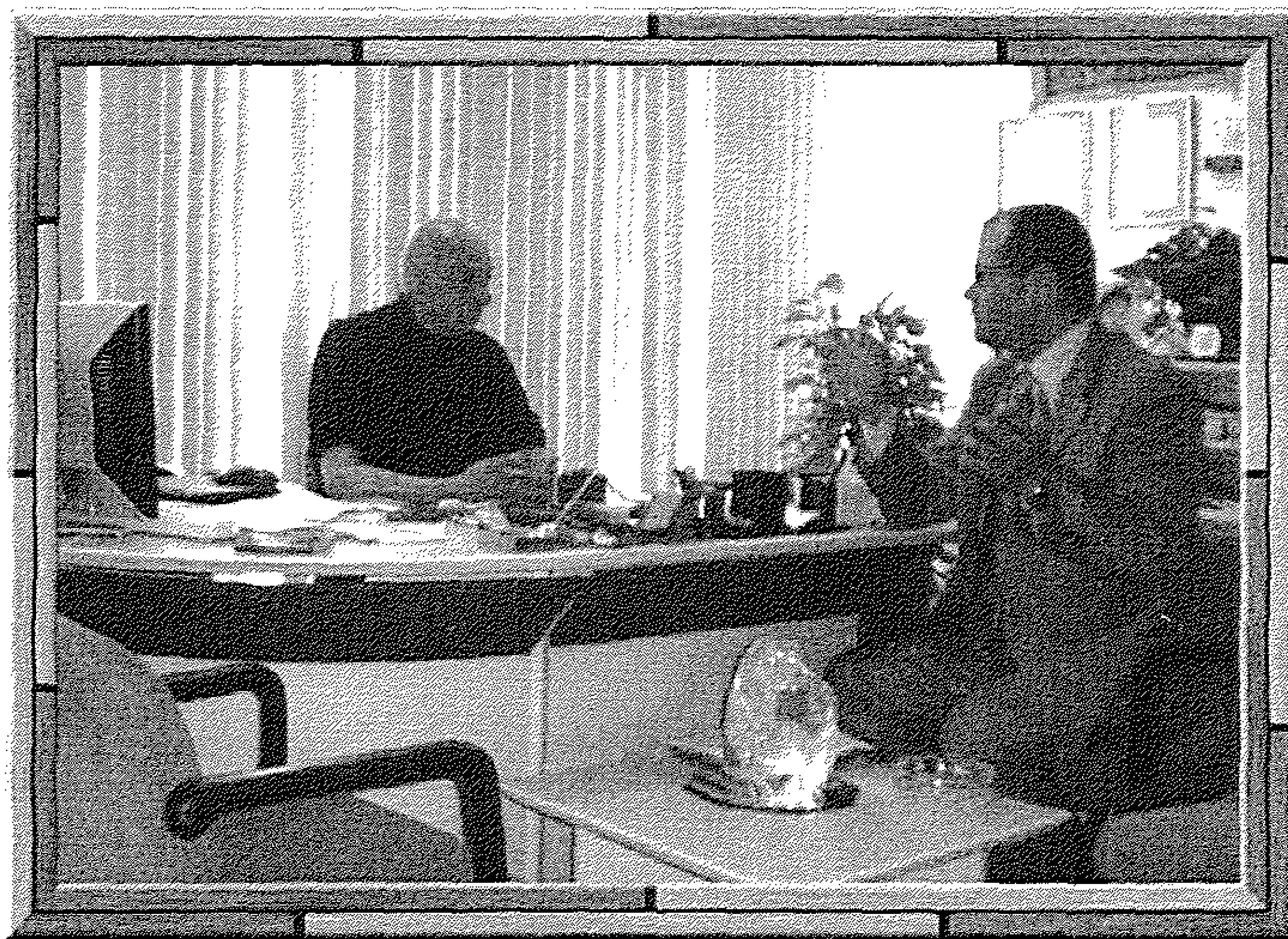
وكبرت فى هذا الجو فأنا لم أكن يوما ما من الإخوان المسلمين ولدى موقف حيادى لا أكرههم ولا أحبهم . لكن الشخص المرجعى بالنسبة لى هو د/ يوسف القرضاوى هذا الرجل المجدد العالم النابه المتفتح. إنه صورة نموذجية للداعية الفقيه الذى يجمع ولا يفرق إنه مثل يجب أن تحتذى به. إننى أحب هذا الرجل وقبلت رأسه ليكون الشخص الوحيد الذى أقبل رأسه بعد والدى رحمه الله .

ومثلى الأعلى وقدوتى هو عمر بن الخطاب العادل الزاهد الورع الذى ترك تراثا من العدل والعدالة يكفى البشرية جمعاء. وأذكر المناظرة التى كتبها ابن كثير بين عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد بعد أن قام عمر بعزل خالد .

إنها روعة .. روعة الديمقراطية .. روعة الأدب .. روعة التربية

أما صلاح الدين الأيوبى أكثر شخصية أثرت وتؤثر فى نفسى وتجعلنى أشعر بالفخر والإعزاز لأننى أحمل نفس الاسم (محمد صلاح الدين) .

***



العالم المصري الدكتور

محمد غنيم

عندما ذهب عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين لزيارة مشروع مديرية التحرير فى مطلع الستينيات من القرن الماضى قال عبارة شهيرة لا تزال محفورة هناك على أحد الجداريات ...

(إلى ا لذين لا يعملون ويسيئهم أن يعمل غيرهم .. أهدى إليهم هذه الجنة فى الصحراء). تذكرت هذه العبارة الخالدة وأنا أتفقد ذلك المركز العملاق (مركز غنيم للكلى والمسالك البولية بالمنصورة) هذا المركز الذى يبرهن على أن الإنسان المصرى لديه كوامن إيجابية مبعثها ذلك الموروث الحضارى للإنسان المصرى الذى يعمل ويبدع ويتفوق حينما تكون البيئة صالحة ومناسبة للعمل. ويكون هناك رائد وقائد يملك إرادة وعزيمة ويتحلى بالصبر والإخلاص. لقد رأيت مستويات عالمية لبيئة العمل الطبى والصحى حيث النظافة والنظام والالتزام والرقى ناهيك عن المستوى العالمى للعملية الطبية على كافة المستويات. بسهولة شديدة لمحت تعاونا وحبا وثقة بين الجميع . لقد رأيت مستوى لم أره فى أعرق المستشفيات العالمية ، وكان العالم الجليل محمد غنيم هو القاسم المشترك فى كل شيء رائع وجميل. وكان هو البطل الأول لكل قصة نجاح شهدها هذا المركز العالمى ، تذكرت مقولة عميد الأدب العربى واستعرتها وقلت [إلى الذين يعيشون فى غياهب الماضى ويرفضون أن يطرقوا أبواب المستقبل .. أهدى إليهم هذا العمل العظيم] وصلت قبل موعدى بحوالى عشر دقائق، استقبلتنى السكرتيرة وانتظرت قليلا حتى أذن لى الدكتور غنيم بالدخول وبدأنا هذا الحوار.

• كيف ينظر العالم المصرى الجليل محمد غنيم إلى مستقبل مصر وكيف تحدث الانطلاقة نحو هذا المستقبل المأمول ؟

●● بداءة .. مصر تعيش حالة انحسار حضارى شامل ، وأهم مظاهر هذا الانحسار هو انتشار الأمية والفساد على نطاق واسع وكذلك البطء الشديد فى التنمية البشرية والاقتصادية. ويؤكد ذلك تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٥ حيث يوضح التقريرأن ٣٤٪ من المصريين لا يعرفون القراءة والكتابة !! وتزداد هذه النسبة لدى النساء زيادة ملحوظة ، بالرغم من أن تعريف الأمية فى القرن الواحد والعشرين مخالف لما هو معروف بعدم الإلمام بالقراءة والكتابة فقط بيد أن هناك تعاريف أرقى للأمية تجعل من الذين لا يستخدمون الحواسب الآلية أميين !

وهناك زيادة مطردة للنمو السكانى لا يقابلها زيادة فى الإنتاج الزراعى والصناعى وخاصة الإنتاج الزراعى حيث أننا نقوم باستيراد ما يصل إلى ٦٠٪ من احتياجاتنا الغذائية .

أما التعليم فهو مصاب فى جميع مراحله بعدة أمراض جسيمة .. إن التعليم المصرى عبارة عن عدة أنماط متباينة فهناك التعليم الحكومى و التعليم الخاص والتعليم الدينى والتعليم الأجنبى ..هذه الأنماط تولد أجيالًا متنافرة ليس لديهم قاعدة ثقافية مشتركة.

إذا تحدثنا عن التعليم الحكومى العام وهو يستوعب ١٥ مليون طالب بمعنى أنه يمثل مستقبل الأمة حاليا فإن الإنفاق على هذا القطاع حوالى ٢١مليار جنيه أى أن نصيب الفرد حوالى ١٢٥٠ جنيه بما يعادل حوالى ٢٠٠ دولار سنويا ، بينما الفرد المماثل فى إسرائيل فى التعليم قبل الجامعى يكلف الدولة اليهودية ١٥٠٠ دولار ، أما التعليم الجامعى فهوفى حالة تقهقر بسبب الزيادة الرهيبة فى أعداد الطلاب المقبولين فى هذه المرحلة التعليمية هذه الزيادة ناتجة عما نستطيع أن نسميه السياسة الاسترضائية للجميع، ونلاحظ أن الحلول التى اتخذت لحل هذه المشكلة هى حلول خاطئة تماما فمثلا هذه هى نماذج للحلول الكارثية :

[١] التوسع فى إنشاء كليات وجامعات جديدة دون الإعداد الجيد لها.

[٢] زيادة القدرة الاستيعابية للجامعات القائمة بالفعل .

[٣] التوسع فى إنشاء الجامعات الخاصة .

[٤] إنشاء نمط جديد فى التعليم الجامعى الحكومى وهو ما يعرف بالتعليم المميز مثل التجارة الإنجليزية أو الحقوق الفرنسية وهكذا.

● هنا سألت الدكتور غنيم .. لماذا تعتقد أن التوسع فى الجامعات الخاصة كارثة ؟؟

● هنا قال الدكتور غنيم سأوضح لك لماذا أرى أن الجامعات الخاصة كارثة وطنية تعليمية غاية فى الخطورة ..

لا يوجد فى الشرق أو الغرب وفى أعتى الدول الرأسمالية مايعرف بالتعليم الجامعى الخاص !! هناك ما يعرف بالتعليم الجامعى الأهلى غير الحكومى الذى لا يهدف إلى الربح -أكرر لا يهدف إلى الربح- وإذا كانت هناك فوائض مالية يعاد ضخها إلى نفس المؤسسة فى صورة تطوير وتحديث وإجراء المزيد من الأبحاث العلمية وإقامة المعامل وتجهيزها . أما النمط الموجود فى مصر ودول الخليج فهو بالفعل شيء غريب جدا ، فتلك الجامعات تهدف الى الربح وترتيبا على ذلك - على استهداف تلك الجامعات للربح - لا تقوم تلك الجامعات بإبتعاث مبعوثين الى الخارج لإن تلك الجامعات لا تقوم بمهمة أساسية للتعليم الجامعى وهى البحث العلمى. ثم أتساءل من يقوم بالتدريس فى تلك الجامعات الخاصة بما فيها الجامعة الأمريكية ذاتها ؟ بالتأكيد هم نفس أساتذة الجامعات الحكومية.. أى أنه استنزاف لموارد الدولة من هؤلاء الأساتذة لأن الحاصل على الدكتوراة فى مصرمن الخارج يكلف دافع الضرائب ما بين مليون ومليون ونصف جنيه ، هذه هى أهم مظاهر الانحسار الحضارى فى مصر .

● قلت للدكتور غنيم هذه هى الأمراض وهذا هو التشخيص والتوصيف إذن ما هو الحل ؟ ما هى الروشتة وما هو العلاج ؟

●● الروشتة والعلاج والحل يكمن فى أربع نقاط أساسية :

- تغيير الدستور وليس تعديله .

- إعادة سطوة القانون على الكبير قبل الصغير.

- تغيير الخطاب السياسى والدينى حيث أن الأول سياسة استرضائية وردود أفعال ليس إلا، والثانى لابد أن يكون تنويريًا إننا بحاجة إلى محمد عبده جديد ومحمدرشيد رضا جديد .

- الأولوية الأولى والإستراتيجية العليا والاستثمار الأول الذى لا يسبقه أو يعلوه أى شيء هوالاستثمار فى التعليم بجميع مراحله متوازيا مع البحث العلمي .

وساقوم بشرح مختصرمن وجهة نظرى لكل نقطة من النقاط التى أوردتها كما يلى :

[أولا] لماذا أطالب بتغيير شامل للدستور ؟

- لأن الدستور الحالى قائم على أفكار لا يعمل تحت لوائها النظام الاقتصادى والاجتماعى السائد حاليا فمثلا نظام إل ٥٠٪ عمال وفلاحين ماذا يعنى هذا النظام الآن؟ أعتقد أنه لا يعنى شيئا حتى فى النمط الاشتراكى ذاته، ويتناقض كذلك مع مبدأ المواطنة ، فمبدأ المواطنة لا يميز بين المواطنين لا من حيث الدين ولا من حيث الجنس ولا من حيث اللون ولا من حيث المستوى الاجتماعى أو الوظيفى أوغيره .

- تناقض المادة الثانية من الدستور مع المادة الرابعة .. فكيف تنص المادة الثانية على أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الأساسى للتشريع وتأتى المادة الرابعة لتحظر إقامة أحزاب على أساس دينى .. ما هذا التناقض الغريب ؟

هذه الإشكالية قام بحلها الفقيه الدستورى العظيم عبد الرازق السنهورى منذ عام ١٩٥٤ ببساطة شديدة حيث قال إن التشريعات والدساتير تصاغ بها لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية أو على ألا تتعارض مع الشريعة الإسلامية ودون الدخول فى تفاصيل فقهية فإن الحدود والمواريث وبعض القضايا التوقيفية تختلف جذريا عن قضايا التعليم والصحة والزراعة والرى والدورة الزراعية والأرز والقطن والانتخابات والبحث العلمى فهى قضايا تتسع للعديد من الرؤى والآراء والاتفاق والاختلاف.. وفى رأيى ليس لها مرجعيات دينية محددة (أنتم أدرى بشؤون دنياكم)

وقد أوضح ذلك فى دراسة رائعة الدكتور إبراهيم شحاته فى كتابه :

(وصيتى إلى بلادى) وكانت الدراسة تدور حول الإجابة عن سؤالين .. الأول لماذا نريد أن نغير الدستور .. الثانى كيف نغير الدستور. ذلك لنضمن الدولة المدنية وتداول السلطة والتعددية وحقوق المواطنة والحريات بشكلها السلبى أو الإيجابى

[ثانيا] إعادة هيبة القانون على الكبير قبل الصغير فقد تعود المصريون على انتهاك القانون ابتداء بقانون المرور وانتهاء بقانون الضرائب.

وفى العادة لا يسرى القانون إلا على مخالفات الصغير ، فمن المهم جدا أن يكون القانون معه آلية لتنفيذه وهنا يجب أن ننوه على أن وزارة الداخلية يجب أن تعود لمهمتها الأصلية وهى أمن المواطن والأمن العام، بدلا من التركيز على الأمن السياسى وأمن النظام. وبدلا من ترك الفساد ينهش فى جسد هذا الوطن، فمن سرقة الأراضى وسرقة المال العام وانتشار الرشاوى والمحسوبية إلى سرقة الأحلام والطموحات لهذا الشعب.. من يحمى الوطن من هؤلاء ؟؟ إذن لا مفر من عودة سيادة القانون على الجميع مرة أخرى .

[ثالثا] تغيير الخطاب الدينى والسياسى .

لا مفر من تغيير الخطاب الدينى والسياسى معا فالخطاب الدينى الحالى سواء على المستوى الرسمى أو غيره غير مناسب تماما لمواجهة التحديات الرهيبة التى تواجه الأمة وكما قلت من قبل نحن بحاجة إلى مجددين من أمثال الإمام محمد عبده والإمام محمد رشيد رضا ، وبالنسبة للخطاب السياسى فيجب أن يتماشى مع التطورات الحاصلة فى المجتمع حيث لا يصح أن يكون الساسة فى واد، والشعب فى واد آخر ولغة التواصل غير موجودة تماما .

[رابعا] التعليم والبحث العلمى:

أولا التعليم الأساسى واجب على الدولة وهو حق من الحقوق التي يجب أن يكفلها الدستور للجميع ، ويجب أن يكون التعليم الأساسى متميزا بثلاثة عناصر. أن يكون (مجانيا) و (إلزاميا) و (جيدا). التعليم الأساسى الذى يستغرق اثنى عشرعاما وليس تسعة أعوام ، فالقرن الحادي والعشرين به من المعارف والمهارات التى يجب أن يتعلمها الجميع فى هذه السن .

وحتى نحصل على تعليم جيد فلابد أن نلتزم بالآتى :

ـ لا يزيد عدد التلاميذ فى الفصل عن ٣٠ طالبًا.

ـ أن يكون هناك معلم مؤهل ذو أجر مرتفع.

ـ إعادة صياغة المناهج بما يتواءم مع متطلبات القرن الحادى والعشرين.

- إعادة صياغة الكتاب المدرسى ليصبح كتابا معلما وهو الكتاب الذى يستطيع الطالب أن يتعامل معه بمفرده وبمساعدة محدودة من المعلم .

وما ينفق على التعليم الأساسى اليوم فى حدود واحد وعشرين مليار جنيه سنويا ، والبرنامج الذى ذكرته آنفا يكلف الدولة ما بين ٤٠ إلى ٤٥ مليار جنيه سنويا ، معنى ذلك أن الفارق بين ما ينفق على التعليم الأساسى بوضعه الحالى يقل عن المطلوب بحوالى عشرين مليار جنيه سنويا ، والسؤال من أين لنا أن نوفر هذه الأموال ؟

*أقول لك نستطيع أن نوفرها بترشيد دعم الطاقة و الغاز الذى يوجه إلى مصانع الحديد والأسمنت ، حيث إن هذه المصانع تستهلك طاقة مدعمة وتستخدم عمالة رخيصة وتتمتع بإعفاءات وتسهيلات جمركية وضريبية عديدة وتضخ استثمارات مالية يتم تمويلها من القروض المكشوفة وبعد كل ذلك يقوم هؤلاء الأباطرة الجدد ببيع منتجاتهم بالأسعار العالمية !!!

*أقول لك نستطيع أن نوفرها بإلغاء العمولات وحلقات الوسطاء فى عمليات استيراد وتوريد الدقيق، فالوسطاء من بداية الوسيط الكبير وحتى المخبز يضيع على هذا الوطن تسربات تقدر بثلاثة ملايين جنيه سنويا.

*أقول لك نستطيع أن نوفرها بإلغاء نظام الحصص الاستيرادية خاصة للسلع الغذائية الأساسية مثل الزيوت والحبوب والسكر حيث أن ذلك النظام هو الباب الملكى للفساد.

*أقول لك نستطيع أن نوفرها من خلال إحكام النظام الضريبى على الجميع وإزالة التشوهات الموجودة بالنظام الضريبى فمثلا لو أن راتبك الشهرى ٥٠٠٠ جنيه مصرى فإنك ستكون فى نفس الشريحة الضريبية للمهندس أحمد عز ونجيب ساويرس!!

هذه إجابتى عن سؤالك .. من أين نأتى بمبلغ العشرين مليار جنيه المطلوبة لمضاعفة مخصصات التعليم الأساسى.

وهنا يجب أن نوضح ضرورة أن يتمتع الطالب فى نهايات مرحلة التعليم العام بمجموعة المهارات الأساسية مثل استخدام الحاسب الآلى والتحدث بالإنجليزية حتى يستطيع أن يجد له مكانا له فى سوق العمل بالإضافة إلى ضرورة إعادة (نظام التعليم

الفنى المهنى والأساسى) وهذا النظام لا يحتاج إلى تجهيزات أو أدوات لأنه ببساطة يجب أن يتم فى المؤسسات الصناعية المختلفة ، كما يجب الاهتمام بالتعليم الفنى العالى وهذا النظام انتهى تماما فى مصر .

أما التعليم الجامعى فيجب أن يكون تعليما مميزا يمكن أن نطلق عليه تعليم الصفوة ويجب أن يكون الطالب الذى يلتحق بهذه النوعية من التعليم خلاقا ومبدعا فطالب الهندسة يجب أن يؤهل لكى يكون مبدعا ومبتكرا، ودارس الصيدلة لابد وأن أجهزه ليكون فى المعمل ومراكز البحوث والصناعات الدوائية لا أن يقف فى صيدلية ليقوم بعملية بيع أدوية وفقط ، ودارس الطب كذلك.. كل هؤلاء يجب أن يؤهلوا فى البداية بدراسة علمية تمهيدية لمدة لا تقل عن أربع سنوات وهناك نظامان للتعليم الجامعى :

النظام الأوربى الإنجليزى يجب أن يقضى الطالب عامين على الأقل للحصول على شهادة البكالوريا العالمية بعد انتهائه من التعليم العام أوالعالى العادى .

النظام الأمريكى هناك تعليم جامعى عام فى العلوم الوضعية مع بعض الدراسات الإنسانية، وهناك تعليم جامعى عام فى العلوم الإنسانية مع بعض العلوم الوضعية وينتهى كلا النظامين بالحصول على درجة البكالوريوس وبعد هذا يكون هناك مرحلة أخرى أكثر تميزا للنوابغ وهو التعليم الجامعى (المتخصص) وليس الخاص .

وهنا أتساءل هل تستقيم الأمور فى مصر بطريقة سليمة ؟ هل من الصواب أن يصبح خريج الحقوق فى الجامعات المصرية الذى درس بعد الثانوية العامة أربع سنوات وكيلا للنيابة وهو لا يجيد اللغة العربية قراءة أو كتابة ؟. لابد من تأهيل هؤلاء تأهيلًا علميًّا (بعد ما يعرف مصريا) بدرجات الليسانس أو البكالوريوس من خلال برامج الدراسات المتخصصة وليست الخاصة ، فطلاب الطب والهندسة والأسنان والصيدلة لابد مثلا أن يحصلوا على بكالوريوس علوم أولا ثم يلتحقوا بعد ذلك بوحدة التعليم المتخصص .

وأقولها بصراحة النظام التعليمى الجامعى فى مصر يقتل الإبداع ويميت العقول الخلاقة وهذا لا يناسب عصر النهضة المأمول ، وطلاب التعليم الجامعى غير طلاب التعليم العام .. فيما يختص بمصاريف الدراسة، فالنابغون يجب أن يعطوا منحا مجانية ولك أن تعرف أن هناك فارقا بين المنح المجانية والتعليم المجانى ، فأنت تقول للطالب

لا تدفع مصروفات للعملية التعليمية وأعتقد أن هـذا لا يكفـى حيـث أن مـصروفات الطالب من مأكل ومشرب وملبس لابد وأن تكون مجانية كذلك فلابد أن تكون هنـاك منح مجانية للنابغين فقط ، كما يجب أن تساهم المؤسسات والهيئـات التـى تـستفيد مـن هؤلاء الخريجين مثل القوات المسلحة مثلا ، أو يتم تقديم سلفة حسنة من البنوك تسدد كنسبة من المرتب بعد الدخول إلى سوق العمل..

وأخيرا يشارك والد الطالب إن كان لديـه قـدرة ماليـة فى مـساعدة نجلـه شرط أن يكون نابغا .

وهناك شروط للمنح الحكومية المجانية بالإضافة إلى النبوغ وهو أن يكون الطالـب قد تعلم فى جميع مراحل تعليمه فى مدارس حكومية عامة .

التعليم الجامعى خطوة هامة للتنمية البشرية والاجتماعية والاقتصادية فهـو البوتقـة التى يخرج منها المعلم ، وهو الذى يساعد نشر ونقل المعارف توطئـة للبحـث العلمـى الذى يعد هو البـاب الملكـى للتنميـة الـشاملة فى مـصر!! وهنـا نلاحـط أن اسـتعانتنا بالخبراء الأجانب سواء فى الزراعة أو الصناعة أو الطـب أو الإدارة يعنـى أننـا مازلنـا نفتقد إلى المعارف والعلوم الأساسية للتنمية. ومصر تدفع من الناتج الإجمالى نسبة اثنين من عشرة فى المائة أما فى إسرائيل فالنسبة حوالى ٤٪ إلى ٤.٥ ٪ عـلى البحـث العلمـى ، السؤال هل هذا له مردود ؟ أولا تقييم تأثير البحث العلمى على مجمـل بـرامح التنميـة الاقتصادية والاجتماعية.

وهنا سأتحدث عن النشر العلمى حيث أن نصيب إسرائيل من النشر العالمى ٧٪ أما نصيب البلدان العربية مجتمعة فهو ٤٪.

عدد علامات براءات الإختراع فى الـشهر العقـارى بنيويـورك فى عـام ٩٨ كانـت إسرائيل مساهمة بعدد ٢٢٤ أما العرب مجتمعون فساهموا بعدد ٢٤براءة.

وتقوم إسرائيل بتصدير ما يعـادل ٦ مليـار $ تكنولوجيـا فائقـة الـسرعة. وهنـاك إحدى المجلات العلمية الهامة نشرت مقـالا غايـة فى الأهميـة بعنـوان (كيـف تحولـت إسرائيل من دولة مصدرة للموالح إلى دولة مـصدرة للتكنولوجيـا المتقدمـة). فبعـد تفكك وتحلل الاتحاد السوفيتى السابق قامت إسرائيل باستقدام عـشرة آلاف عـالم مـن الجمهوريات السوفيتية المتحللة، وكلفها كل عالم من هؤلاء ثمن تذكرة الـسفر لـيس

إلا . ومن المعلوم أيضا أن النهضة التكنولوجية الإيرانية قامت على عاتق علماء الجمهوريات الإسلامية المنفرطة من عقد الاتحاد السوفيتي.

أما تأثير انهيار الاتحاد السوفيتي وتفككه فقد أثر بالفعل على مصر حيث استطعنا استقدام راقصات روسيات إلى مصر !

وبالنظر إلى تحليل أرقام الصادرات مقارنة بين مصر وإسرائيل

أولا : المواد الأولية:

نجد أن إسرائيل تقوم بتصدير ٧٪ مواد أولية من إجمالي صادراتها، أما مصر فتقوم بتصدير ما يعادل ٦٣ ٪ .

ثانيا : الصناعات الخفيفة:

تقوم مصر بتصدير ٣١٪، وإسرائيل تقوم بتصدير ٩٣٪ .

ثالثا : الصناعات التقنية:

تقوم إسرائيل بتصدير ١٨٪، أما مصر فلم تصدر أي شيء من الصناعات التكنولوجية على الإطلاق .

● سألت الدكتور محمد غنيم عن التحديات التى تواجه مصر خلال العشرين سنة القادمة ؟ وكيف نواجه تلك التحديات ؟

●● يقول الدكتور غنيم إن أهم التحديات التي تواجه مصر الآن :

- النمو السكاني الذى قارب على الانفجار.

- البطء الشديد في مسيرة التنمية مما يجعلنا نتقهقر مقارنة بما يجرى فى العالم من حولنا ، فهناك علوم تطبيقية ليس لنا علاقة بها من الأساس. لابد من العمل وبأقصى درجة حتى نحافظ على أنفسنا داخل مربع دول العالم الثالث فالوضع الراهن لو استمر على ذلك سنتقهقر لاشك إلى الوراء.

● إذا افترضنا وجود (مرصد اجتماعي) على غرار مرصد الزلازل .. كيف يرصد الدكتور غنيم التغيرات التى طرأت

على المجتمع المصرى سواء تلك التغيرات التى تصب فى خانة الإيجابية أو تلك التى تصب فى خانة السلبية ؟؟

●● بشكل عام فإن الوضع السياسى الاقتصادى الراهن والناجم عن سياسات اقتصادية حيث أصبح هناك استقطاب فى المجتمع فالشريحة الصغيرة تمتلك ثروات ضخمة والغالبية العظمى تعانى من الفقر والعوز وتعيش على الدعم .

انحسار وتآكل الطبقة الوسطى حيث أن شريحة صغيرة هى التى تصعد إلى أعلى أما الغالبية العظمى تعانى الفقر والأزمات .

انهيار وتراجع الخدمات الأساسية فى التعليم والصحة ، وأنا هنا أخشى على البلد من الصراع الحتمى والذى سيتولد عنه أحد السيناريوهات التالية:

- فوضى عارمة - انقلاب عسكرى مباشر أو غير مباشر .

- وصول الإسلام السياسى كبديل.

● سألت الدكتور محمد غنيم عن التيار الذى ينتمى إليه ويرى الخلاص بين ثناياه ...

●● أنا ليبرالى يسارى معاصر (الليبرالية اليسارية المعاصرة)

الليبرالى الذى يؤمن بالمواطنة وتداول السلطة والتعددية والدولة المدنية

اليسارى المعاصر هى الدولة الاجتماعية .

● قلت له هذا التيار جديد يادكتور ..

●● قال أبدا إنه موجود فى ألمانيا والدول الإسكندنافية

● قلت له أقصد أنه جديد فى مصر ..

●● قال بالفعل العالم كله يسير على الاقتصاد الحر حيث يجب أن تكون للدولة أنياب لخدمة العدالة الاجتماعية من خلال :

- نظام ضريبى محكم - نظام بنكى محكم - بورصة محكمة

- قوانين صارمة ضد الاحتكار .

كل ذلك سينعكس على التعليم والصحة والتأمين ضد البطالة والمعاشات والتأمينات الاجتماعية .

● قلت للدكتور غنيم لماذا يشعر المرء أن التشاؤم أصبح شعورا رسميا فى هذا الوطن؟

●● الواقع يدعو إلى التشاؤم، لكن هناك بارقة من الأمل فى التغيير وهذا التغيير رغم صعوبته ليس مستحيلا. نحن فى حاجة إلى برنامج سياسى قومى أو خطة قومية أو أمل قومى يلتف حوله جميع المصريين. وأعتقد أن التعليم والبحث العلمى هما الخيار الوحيد أمامنا جميعا كمصريين لابد أن يصبح إصلاح التعليم هدفا قوميا يلتف حوله الجميع ، ولابد أن يستقر فى وجدان الحاكم والمحكومين الأهمية القصوى لهذه القضية الوطنية

● دكتور غنيم كيف ترى الخريطة الصحية فى مصر الآن؟

●● يقول الدكتور غنيم .. الخريطة الصحية تقرأ منها أن من يمتلك أموالا يستطيع أن يحصل على العلاج .. أما المسحوقين فيجدون الأمرين فى الحصول على الدواء والعلاج

وهناك ملاحظة خطيرة وهى الإهمال الشديد فيما يسمى الطب الوقائي الذى يجب أن يكون الشغل الشاغل لوزارة الصحة الآن.

***



الدكتور

عصام العريان

جماعة الإخوان المسلمين

كان يتحدث الإنجليزية بطلاقة شديدة عندما كانت تجلس أمامه صحفية أجنبية، وكانت تسأل وهو يجيب ، كانت أسئلتها مستفزة وكانت إجاباته هادئة منظمة. وكانت الثقة الشديدة هى أهم ما يميزه. سألته تلك المراسلة عن مفهوم الخلافة الإسلامية .. عن الدولة الدينية والدولة المدنية ..عن الديمقراطية فى الإسلام ..عن علاقة الإخوان بإيران وحماس كان الحوار ممتعا .. وكنت أجلس على أريكة فى مواجهة تلك الفتاة الشقراء التى جاءت من أوربا كى تفتش فى عقل رئيس المكتب السياسى او الناطق الرسمى لجماعة الإخوان المسلمين. بيد أن صورة الإسلام فى الغرب مشوهة ومشوشة إلى حد بعيد. فالغرب لا يعرف عن الإسلام والمسلمين إلا كل ما يشين. فالمسلم فى نظر هؤلاء عبارة عن ارهابى قاتل متخلف. إنه فى نظرهم عدوللحضارة والمدنية ، لذلك فالمهمة شاقة .. شاقة لان المسلمين بالفعل متأخرون، كما أن الغرب واقع تحت تأثير الآلة الإعلامية الرهيبة التى يديرها اليهود والتى تسيطر تقريبا على الإعلام العالمى .. إن الإسلام يتعرض لسلسلة من الهجمات الشرسة والمتتالية من جميع الاتجاهات .. من الداخل ومن الخارج ، لقد تخلى المسلمون عن سيادة العالم عندما تخلوا عن تعاليم الإسلام الحقيقية التى تقدس العمل والاجتهاد وتحترم حقوق الإنسان وحرمة النفس البشرية وحرية العقيدة والملكية الخاصة .. الإسلام سلوك ومعاملات .. هذا هو جوهر الإسلام الذى صار - للاسف - لحية وثياب أو حجاب ونقاب .. شكل بلا مضمون مع التسليم بأهمية وضرورة هذا الشكل شرط أن يكون المضمون منسجما مع التعاليم الحقيقية لإسلامنا العظيم. لذلك أعجبتنى ردود الدكتور عصام العريان على المراسلة الأجنبية .. تلك الردود التى تصب فى خانة تحسين صورة الإسلام فى الغرب. المهم انتهى العريان من حواره مع ضيفته حيث انتقلت بدورى لأجلس قبالة الرجل الذى بدا منهكا ومرهقا حيث كان فيما يبدو خارجا من المعتقل أو يستعد لدخوله من جديد !

لقد غمرنى الرجل بترحابه وحفاوته وحسن استقباله لى شأنه فى ذلك شأن معظم الإخوان الذين أعرفهم منذ كنت طالبا بالجامعة وحتى الآن. إنهم يتعاملون دائما بطريقة راقية ومتحضرة إلى حد كبير .

بعد أن شرحت للدكتور عصام فكرة الكتاب وأوضحت له إننى أبحث عن أجندة مفقودة مدون بها جدول به رؤى وآراء إصلاحية موضوعية وطنية وخلاقة. إننى لن أنظر إلى آراء ضيوفى من زوايا ضيقة كل حسب الفصيل الذى ينتمى إليه ..أبدا .. لكننى أحاول أن أنحى الخلافات جانبا وسأمسك بتلابيب كل ما نتفق عليه ، وحتما ويقينا هناك العديد من نقاط الاتفاق فنحن مصريون. كلنا يحب مصر ولكن على طريقته الخاصة .. فليكن حب مصر هو البوتقة التى تجمعنا.

• سألت الدكتور عصام العريان عن أولويات الإصلاح من وجهة نظره فقال..

•• يقينا لابد وأن تكون (الحرية) على رأس جدول الأعمال وفى مقدمة الأجندة المفقودة لابد وأن تكون الأولوية التى يتفق عليها الجميع هى إطلاق (الحريات العامة) وخاصة حريات العمل لأنه إذا كنا نشكو من مشكلة فى الإنتاج ـ فالعبيد لا ينتجون – أما الأحرار فيعملون وينتجون وإذا كنا نشكو من مشكلة فى السلبية وعدم المشاركة فى الانتخابات فالناس بما أنها لا تتمتع بحرية فإنها لا تشارك وبما أنها ترى أصواتها تذهب هباء أو لا تأتى بنتيجة فبالتالى لا تشارك فالحرية وتقديس الحريات العامة هى السبيل الوحيد للدفاع عن أمن واستقرار الوطن. فالأحرار أيضا هم القادرون على الدفاع عن بلادهم وأوطانهم أما العبيد فلا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم وأوطانهم ،هذه على رأس سلم الأولويات. وأنا أعتقد أنه لم يكن هناك دين أرسى قيمة الحرية مثل الإسلام.

فالإسلام أعلى من قيمة الحرية حتى جعل الإيمان مبنى على الحرية .. والإكراه يسلب الإنسان التكليف فالمكره لا تكليف عليه. ومن هنا فقيمة الحرية فى كلمة لا إله إلا الله تعنى إننى لا أخضع لأحد مهما كان إلا خالقى سبحانه وتعالى وخالقى أخضع إليه طوعا وكرها كما قال الله سبحانه وتعالى فإن أخضع إليه طوعا فهذا دليل على إيمانى واعتقادى السليم.

وبالتالى أنا أرى أنه على رأس الأولويات الآن (الحرية) بكل ماتعنيه وما يتفرع منها من احترام لحقوق الإنسان وانتخابات حرة و ديمقراطية سليمة ودستور سليم قوى وتداول سلطة وبرلمان يحاسب ويناقش كلها تفريعات لكلمة الحرية وأنا أعترض على كل من يقول فلنبدأ بالإصلاح الاقتصادى او الإصلاح الثقافي.

كل هذا إذا لم تكن هناك حرية سيكون فى النهاية مآله للفشل.

● دكتور عصام لا يكفى أن يكون المرء (صالحا) بل يجب أن يكون مصلحا. فقضية (الصلاح والإصلاح) تحتاج إلى توضيح وتسويق داخل المجتمع كيف السبيل للوصول إلى هذه الصورة؟

●● الإسلام يطلب من المؤمنين والمسلمين أن يعملوا الصالحات فالآيات القرآنية تواترت على أنه لا يقبل الإيمان وحده بل لابد من عمل الصالحات والإسلام يطلب من المسلم أن يكون مصلحا وليس صالحا فقط وبالتالى الأحاديث والآيات أيضا تدل على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من الأولويات والواجبات الإسلامية التى قد ترقى فى بعض الآراء الفقهية إلى درجة الفريضة ومن هنا لابد أن يكون المسلم مصلحا ولابد أن يبدأ بإصلاح نفسه أولا فهنا التزام واضح بين الصلاح والإصلاح. إن الإنسان على المستوى الفردى لابد أن يكون صالحا مصلحا وأول درجات الصلاح أن يصلح الإنسان نفسه ولذلك هناك كلمة حفظناها عن أساتذتنا وشيوخنا الدعاة ونحن شباب صغير وهى (أصلح نفسك وادعُ غيرك وآخ إخوانك) هذه كلمة ثابتة تمثل دستور عمل للشباب. وحسن البنا عليه رحمة الله وضع أركان وأصول البيعة وجعل منها ركن العمل وجعل فى العمل أول شيء إصلاح النفس ، وجعله واجبًا على كل شخص بمفرده ولا يحمل التبعة عنه آخرون..

وهذا الإصلاح يبدأ بالنفس ويكون فى البيت ..كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته، ثم تكون فى المجتمع، إرشاد المجتمع ثم فى تحرير الوطن ، ثم إصلاح الحكم حتى ينتهى بصلاح العالم أجمع.

• سألت الدكتور العريان سؤالا مباشرا أظنه يؤرقنى كثيرا وقلت له .. من يكتب تاريخ هذا الوطن؟

•• التاريخ لا يكتب إلا بعد فترات من وقوعه وهناك مقولة مشهورة إن التاريخ يكتبه المنتصرون .. يعنى عندما ننظر إلى التاريخ الذى درسناه ونحن شباب صغار تجد أن عبد الناصر مسح تاريخ الحقبة الملكية فى مصر كلها. وعندما ترى التاريخ الذى يدرسه أبناؤنا وأحفادنا تجد أنه حتى الآن النكسات الكبرى فى تاريخ هذا الوطن لا تدرس بموضوعية.. انكسارنا فى حرب ٤٨، وانكسارنا فى حرب ٥٦، وانكسارنا فى حرب ٦٧ هذه الهزائم الكبرى فى مصر لاتكتب بموضوعية، حتى ضياع ثمرات نصرنا فى حرب٧٣ أيضا لا تكتب بموضوعية.

وعندما يقرأ الشباب الآن أننا نعيش أزهى عصور الديمقراطية ويأتى بعد ذلك مؤرخ ويأخذ من الجرائد قصاصات صحفية . هل هذا كتابة صحيحة للتاريخ ؟ أنا أعتقد أننى مع المدرسة التى لا تعتبر التاريخ فقط هو تاريخ الحروب والملوك والحكام، لكن هناك تاريخ آخر، (تاريخ اجتماعى) يصنعه أبطال حقيقيون هم من وسط الناس العاديين، وهؤلاء للأسف لم يجدوا من يهتم بهم ، ويكتب تاريخهم ، لكن هذا لا يهدم الجهد الفردى لإنهم جزء أصيل من التاريخ ، فمثلا موسوعة عبد الرحمن الرافعى فى تاريخ مصر تعتبر أفضل المصادر حتى الآن وهذا الجهد الرائع قام به عبد الرحمن الرافعى بمفرده ، إنه جهد فردى ذو آثار خالدة يستفيد منها الجميع. والمؤرخون المسلمون القدماء كانوا أفرادا، فلم تكن هناك مؤسسات فالطبرى والمسعودى والمقريزى وابن كثير وابن خلدون كل هؤلاء كانوا أفرادا ولم يكونوا مؤسسات كما اوضحنا من قبل.

• قلت للدكتور عصام العريان

يبدو أن الخرق قد اتسع على الرتق الا ترى بارقة أمل نستطيع أن نهتدى بها إلى الطريق البديل ونخرج بها من هذه البوتقة المظلمة ؟

●● أنا كواحد من الإخوان المسلمين أرى أن الطريق السليم لبناء النهضة هو طريق الإسلام وأن أى نهضة لاتبنى على الإسلام مآلها للفشل والضياع.

وإننا خلال أكثر من قرن ربما قرن وربع تقريبا منذ الاحتلال الإنجليزى وقبله بقليل .. مرحلة الخديوى اسماعيل والتغريب ونحن نعيش صراعا بين مشروعين للنهضة.

المشروع الأول مشروع تغريبى يعتمد النمط الغربى ويعتمد التقليد والمحاكاة للغرب دون أن يفهم هذه المخرجات الحضارية بحيث ينتجها كبضاعة محلية .

المشروع الثانى مشروع أصولى يعتمد أصول النهضة على تاريخنا وتراثنا وثقافتنا وحضارتنا وديننا الذى يمثل مجمعا لهذه الأشياء كلها .

وأنا مع الفريق الذى يرى أنه لن تقوم لنا نهضة إلا إذا عدنا إلى أصول الإسلام وليس القشور والشكليات .. تلك الأصول التى قام عليها الإسلام والمبادئ التى جاء بها الإسلام والعقائد التى أرساها الإسلام والأخلاق التى أسسها الإسلام.

(والشريعة ليست قوانين .. الشريعة طريقة للحياة)

● دكتور عصام الجميع يهاجم الحكومة وينتقد الحكام ويحملهم مسؤولية التدهور فى كل شيء.. هل تشاركنى الرأى أن ثمة مسؤولية تقع على عاتق الجماهير التى لا تجيد سوى نقد الآخر فقط.. أما نقد الذات فهو خارج عن منظومة الثقافة السائدة داخل المجتمع ..؟؟

●● قديما قالوا كما تكونوا يولى عليكم .. وقالو أيضا الناس على دين ملوكهم فهى حلقة مفرغة.

وأنا أرى أن الناس هى التى تتحمل المسؤولية الأساسية وليس الحكام ، فالسكوت عن الظلم هو المقدمة الطبيعية لاستمراره وبقائه وترسيخه.

والإسلام أرسى قاعدة أن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر فالناس تتحمل المسؤولية.

● شهدت مصر خلال الفترة الماضية سلسلة من الاعتراضات والاعتصامات والاحتجاجات خاصة بين التجمعات العمالية وبين جموع الموظفين هل ما يحدث نتيجة توجيهات أو توجهات لفصيل معين يساريًا كان أم يمينيًا، أم هو حراك اجتماعى طبيعى أم نتيجة احتقان شعبى ينذر بعواقب وخيمة ؟

●● القصة ليست انتفاضات عمالية فقط ، القصة وصلت إلى أننا نسمع عن اعتصامات من معلمى الأزهر وموظفى الضرائب العقارية وغيرهم. وآخر شيء كان يتصور الناس أن يكون به تزمر هو الأزهر الشريف. هناك حالة من الاحتقان المجتمعى لا يلتفت إليها أولو الأمر والمسئولون، أنا سمعت وكيل الأزهر على شاشة التليفزيون يقول (ليس هناك إضراب ولاشيء والناس زى الفل!!) وعندما أقرأ الصحف فى اليوم التالى أجد أن الإضراب يتصاعد والأعداد تتزايد والتصحيح يتوقف!! يا سيدى هؤلاء يكذبون.. عندما يخرج وكيل شيخ الأزهر يكذب لماذا لا يعترف بالحقيقة ويقول إننا أخطأنا.. وعندما يجتمع المجلس الأعلى للأزهر ليقر المطالبة بالكادر الخاص للمعلمين..أين كان شيخ الازهر وأين كان المجلس الأعلى للأزهر منذ سنة والكادر يناقش، أين كنتم، لماذا لاتستشعرون مسئولياتكم تجاه أبناؤكم المعلمين؟ وهذا هو أسلوب الإدارة الذى ينذر بانفجار المشكلات فى وجوههم.

ولذلك فالحرية هى التى ستكشف كل الجروح والقيح والصديد الموجود فى المجتمع. والسنة الماضية وقبل الماضية شيخ الأزهر أعاد ١٠ او ١٢ مليون جنيه من ميزانية الأزهر والناس تتضور جوعا ، لماذا؟ إذًا المشكلة ليست فقط فى إضرابات العمال، المسألة مجتمعية ولايوجد خلفها أية تنظيمات لا شيوعية ولا يمينية هى مجتمعية وطبيعية وإيجابية

● دكتور عصام هل أنت راض عن أداء نواب الإخوان فى مواجهة التعديلات الدستورية؟ وهل كان من الأجدر بهم أن يتقدموا باستقالتهم كأحد الأشكال القوية للاحتجاج ؟

●● لايمكن لأناس أعطاهم الشعب ثقته أن يتقدموا باستقالتهم عند مواجهة ما.. فالمواجهات مستمرة ولن تتوقف ، وهم قالوا رأيهم وسجلوا احتجاجاتهم وكانت

أول هيئة برلمانية قدمت نموذجًا متكاملًا للتعديلات الدستورية المقترحة بصورة تقلل من الآثار السلبية لهذه التعديلات ، وانا ادعوك للدخول على موقعهم (برلمان دوت كوم) أو الموقع الرسمى للإخوان المسلمين وستجد أن أداء النواب داخل المجلس كان أداء متميزا على عكس ما قال الكثيرون لم يلتفتوا إلى الأداء ولكنهم لهم أحكام مسبقة !

● دكتور عصام هل الإخوان حزب سياسى تديره جماعة متدينة ذات أخلاق أم هم جماعة اسلامية لهم توجهات سياسية؟ ولماذا لانرى حزبًا باسم (الإخوان) بدون مسلمين؟

●● لا .. الإخوان هيئة إسلامية عامة وفقط .. والإسلام يضمن السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة وكل شئون الحياة، وبالتالى من الطبيعى أن يهتم الإخوان بالسياسة .. وأن يكون للإخوان حزب سياسى. هذه تجربة موجودة فى كثير من الأقطار العربية. والإخوان لا يرفضون ذلك إطلاقا بمعنى التخصص الوظيفى ولكن المشكلة ليست من جانب الإخوان.. المشكلة هى فى أرجاء الطرف الحكومى الذى يمنع الإخوان وغير الإخوان من أن يكون لهم أى حزب سياسى، ويمنع وجود أحزاب سياسية قوية فى البلد كلها. بل يدمر الحياة الحزبية ويدمر الأحزاب السياسية ويفجرها من داخلها فهذا موقف واضح من النظام ولايمكن القول بأن هناك حياة سياسية فى مصر بالعكس الحياة السياسية فى مصر متجمدة ومتوقفة.

● دكتور عصام العريان ماذا يحدث فى فلسطين؟؟

●● قلوبنا تدمع مما يدور فى فلسطين لكن ليس فقط من الأحداث الأخيرة لأن الجرح الفلسطينى ينزف منذ أكثر من ستين أو سبعين عاما والعرب المسلمون تركوا القضية الفلسطينية. لذلك جروحنا لا تنقطع. الذى يحدث فى غزة الآن هو نتيجة هذا الصراع بين مشروعين.

مشروع للمقاومة و مشروع للاستسلام هذا هو السبب الحقيقى حيث المصالح المتضاربة والمتداخلة والتى تعمق الأزمة يوما بعد يوم



الدكتور

إسماعيل مبارك

الاهتمام بالإنسان هو بداية مشروع النهضة

نحن بحاجة إلى مشروع نهضوى يشمل كافة شرائح المجتمع تشارك فيه الأمة بأسرها ، هذا هو الإطار العام الذى دارت حوله المحاور الأساسية لتلك الرؤية الشاملة لذلك الرجل الذى تتلمذ على يد أينشتاين وأصبح من الشخصيات العلمية المرموقة على مستوى العالم. حيث عمل خبيرا بالبنك الدولى لسنوات قاربت عقدين من الزمان، عمل محاضرا فى أعرق الجامعات، وذهب إلى معظم بلدان العالم ينشر علما ويدعو خيرا وينشد تقدما، وسلاما للبشرية جمعاء ، شخصيته الرصينة جعلته موضع احترام وتقدير الجميع. إسهاماته العلمية والعملية خير شاهد على قدرة المصريين على الإبداع والتفرد والتميز جلست إلى الأستاذ الدكتور / إسماعيل مبارك الذى تربطنى به علاقات طيبة حيث تعارفنا على مائدة الحوارات والهموم الوطنية التى لا تنتهى ودار بيننا هذا الحوار .

● قلت للرجل

نحن بحاجة إلى مشروع نهضوى شامل ..

كيف يرى الدكتور مبارك شكل ومضمون هذا المشروع النهضوى الشامل ؟

●● قال الرجل : المطلوب لإحداث نهضة فى الأمة أن نلتزم بالمحاور التالية :

المحور الأول : تطبيق القانون على الجميع بدون استثناء ومنها :

- قوانين المرور بمنتهى الحزم .
- قوانين الإسكان – إزالة جميع المبانى المخالفة بدون رحمة.
- القوانين الحاكمة للمستشفيات .

- إعادة المدرسة إلى ما كانت عليه فى الماضى – وتبسيط التعليم والتركيز على الأخلاقيات ومنع الدروس الخصوصية منعا باتا ومعاقبة أولياء الأمور قبل المدرسين
- إزالة العشوائيات ونقل السكان إلى أماكنهم الأصلية أو إيجاد سكن مناسب لهم بإيجار مناسب
- تطبيق القانون بمنتهى الحزم فى الشارع المصرى

المحور الثانى : الحفاظ على ذاكرة الأمة

أصبح تزوير التاريخ من الأدوات الهامة فى يد الثورات فى العالم كله حتى يمكن تقنين الثورات – ولذا كان لزاما على المجتمع أن يحافظ على تاريخه فهو المرجع والاساس الذى تبنى عليه الأمم .

وهناك خبراء متخصصون فى جميع حقبات التاريخ المصرى القديم والحديث – فيجب تجميع خبراء كل حقبة لكتابة التاريخ المصرى وحفظه من تدخلات السلطات وبعد أن تنتهى هذه اللجان من هذه الكتابة – يعتمد وينص فى الدستور على عدم تغييره، حيث ثبت أنه حتى الدساتير ذاتها يمكن تغييرها وذلك بإجبار الشعوب على قبول التفسير – فينص فى الدستور على أن هذا الجزء لا يمكن تغييره

المحور الثالث : رصد التغيرات الاجتماعية

عشنا فى بلدنا سنين طويلة وعاصرنا الملكية وعاصرنا الجمهورية – وكان التغيير تحت الملكية ممكنا حيث كان الناس يدا واحدة فى مقاومة المستعمر – وكان الكل يساعد الكل – وكانت هناك حفنة من المقربين للملك والسلطة طغى بعضهم – ولكن البعض الآخر كان ملتزما أشد الالتزام .

ثم عشنا الجمهورية من بدايتها وتخلص الحكام من المستعمر وهنا بدأت التفرقة الاجتماعية الحقيقية بمولد طبقات من الشعب

أعطيت صلاحيات ليست لها وأصبح القانون لعبة فى أيديهم يطبقونه على من يشاؤون ولا يطبقونه على من يشاؤون.

وتولد لدى الشعب خوف شديد من هذه الطبقات لأنها لا ترحم ولا رادع لها ولا محاسب.

وبعد ذلك عشنا مرحلة حاولت فيها الحكومة الرجوع إلى العدالة فى توزيع الحقوق والواجبات – إلا أن الطبقات المذكورة عاليه كانت أقوى من الحكومة فشلت أيديها عن تطبيق المساواة وما زلنا نعانى من ذلك إلى يومنا هذا .

وفى هذه الأثناء يصارع معظم أفراد هذا الشعب للحصول على ميزات الطبقات المميزة إما بالانضمام إليهم أو العمل تحت لوائهم وحمايتهم – فكان فقدان الوجدان القومى هو أول هذه الخسائر – وصارت الوظائف مبوبة شرائح فى المجتمع حتى أن الاغلبية عزفت عن بعض الوظائف الشريفة لأنها كانت من المستوى الأدنى وكانت هذه الفئة ترغب فى الانضمام إلى الطبقات التى يظنون أنها مميزة.

المحور الرابع : صناعة الأمل

لا توجد حياة بدون أمل – وإذا عرفنا الأمل فى هذا المحور .

إنه الأمل فى نهوض الأمة والشعب ولحوقها بالتقدم العالمى – فبعض الناس يظنون، أنه تحت هذا التعريف ، لا يوجد أمل – ولكن حاشا لله فالأمل موجود – وإذا طبقنا المحاور الثلاثة عاليه وإذا اعتبرنا أن أهم شىء فى هذه البلد هو الإنسان وطبقنا عليه الآتى:

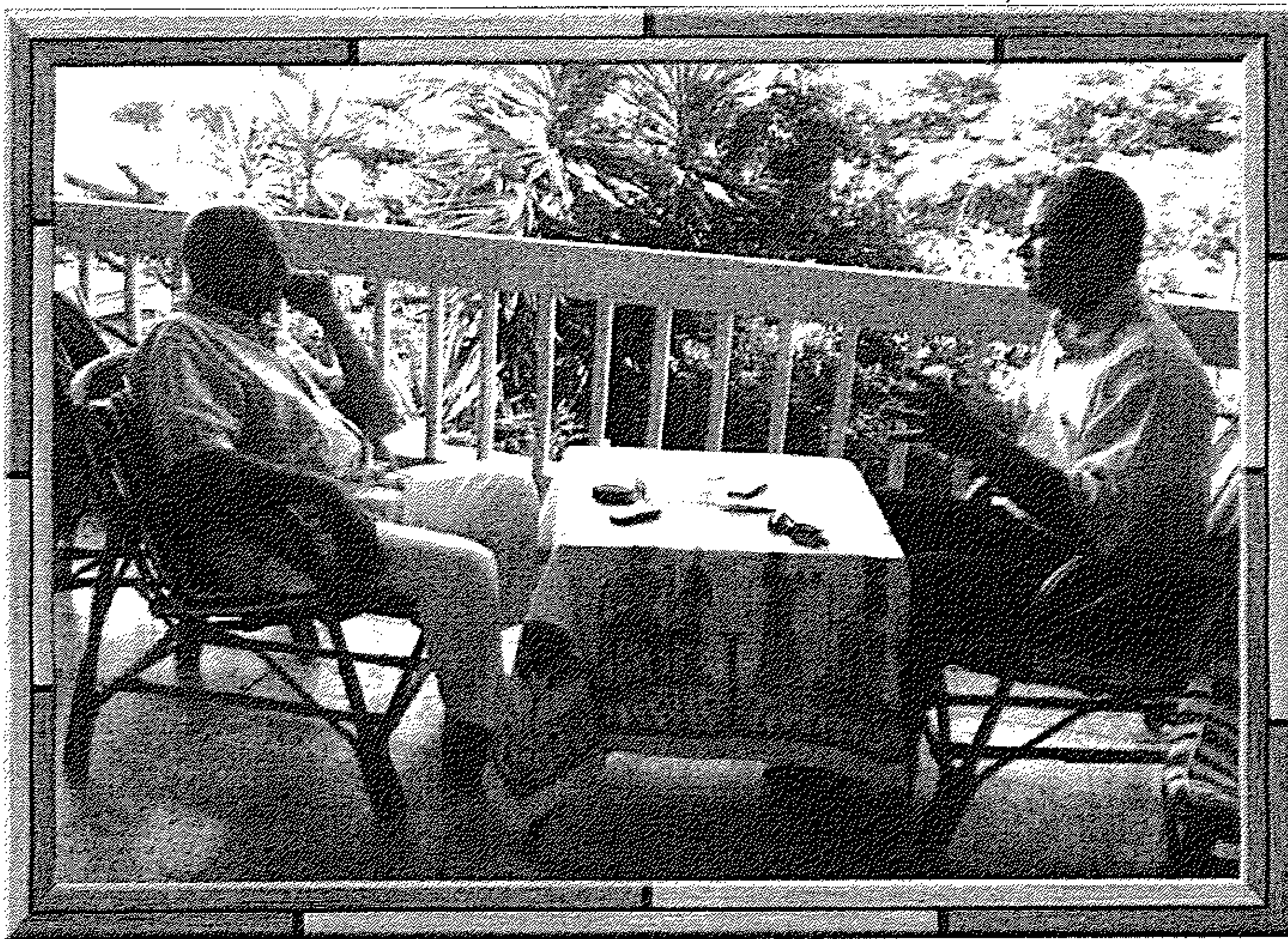
– احترام الإنسان مهما كان وضعه فى المجتمع واعتباره أهم من أى شىء أخر وله الأولوية على كل شىء بها فى ذلك الأجانب.

– إعطاء الثقة لأفراد هذا الشعب بأنه يمكنهم صنع المعجزات بتوفيق من الله .

– مساواة جميع الوظائف فى الدولة ببعضها من ناحية الاحترام، فرئيس الدولة محترم ومديرة المنزل محترمة ولاتقدر هذه المساواة بقيمة دخل كل منهم .

– تشجيع العاملين على الامتياز وذلك بوضع نظام جاذب للامتياز وذلك على جميع مستويات الدولة

– محاسبة المقصرين بكل عنف ومعاقبتهم فورا بدون رحمة – ولا يقصد هنا المخطئين بل المقصرين والفرق واضح .



فهمي عمر

الإذاعي الكبير

في قالب أخلاقى جاءت رؤية الرجل للمستقبل .. فالحضارات لابد لها من قواعد أخلاقية كى تنطلق ثم تعلو فتستمر وتتوهج. فالحضارات المادية الخاوية من الروح مصيرها إلى زوال لا محالة فى ذلك ، وقوى المجتمع المدنى الفاعلة هى التى تملك البوصلة التى توجه المجتمع والحكومات فى اتجاه ما. إن التغيرات الحادة التى نشهدها فى الشارع المصرى الآن إنما هى ثمرة لتلك الأنظمة التعليمية والتربوية العقيمة والتى قامت على أساس تحييد قواعد اللغة والدين وامتطاء موجات التغريب العاتية. كانت كلمات الرجل جادة وحادة ولم يفقد الرجل ثقته فى قدرة المجتمع المصرى على اجتياز تلك المصاعب والانطلاق إلى آفاق المستقبل المشرق.

● قلت للأستاذ / فهمى عمر

كيف ترى اللحظة الراهنة وما هى رؤيتك لمستقبل هذا الوطن ؟

●● يقول الإذاعى الكبير فهمى عمر ..

إننا نفتقد بعض الجد والجدية والإالتزام. وفى تصورى أنه لو التزم كل مواطن بما يجب أن يكون عليه المواطن الصالح من الجدية والانضباط فى العمل فإننا نستطيع أن نصل إلى الهدف المرجو.. وأن تكون مصر أكثر توهجا وأكثر تألقا. فلا يعجبنى فى الحياة العامة هذه الاتكالية الشديدة التى أراها من الكثيرين. ولا يعجبنى أيضا هذا اللون من الخمول الذى أشاهده لدى الكثيرين أيضا. نحن فى أمسّ الحاجة لأن نكون شعبا منضبطا ، شعبا يعرف ما له وما عليه. فهذه السلوكيات التى نشاهدها فى الشارع وفى المنزل وفى الأماكن العامة يجب أن تتغير إلى سلوكيات إيجابية .. ما هذا الضجيج، وما هذا الزعيق، وما هذه الأصوات العالية التى نسمعها ونشاهدها فى الشارع؟ ما هذا التسيب فى العمل؟ ما هذا الروتين الذى يجثم على الأنفاس ويكتم الأفواه وتضيق به الصدور ؟ إننا يجب علينا الآن أن نتخلص من العديد من السلبيات التى نعيشها ،

خاصة تلك السلوكيات الاجتماعية الدخيلة والتى لم نكن نشاهدها من قبل ولم تكن معروفة فى الأزمنة السابقة ، أتصور هناك كارثة نعيشها الآن وهى كارثة (التغريب) التى باتت تهدد المجتمع المصرى والعربى بمحو هويته، وهو يتمثل فى تلك الألفاظ والمصطلحات الدخيلة والتى تمثل سبة فى جبين اللغة العربية. لا تسير فى الشارع أو تدخل مؤسسة أو تقرأ جريدة إلا وتجد فيها إعلانات بلغات أجنبية ! الملابس ماركات باللغة الإنجليزية .. المطاعم أسماؤها باللغة الإنجليزية، وإعلانات التلفزيون عن السلع والخدمات المصرية للمستهلك المصرى تذاع باللغة الإنجليزية ! وكأن نصف المجتمع من الأجانب ، فى حين أنك لو ذهبت إلى أى مجتمع آخر من المجتمعات الأوربية ستجد احتراما وتقديسا للغاتهم الوطنية ، فالألمانى والفرنسى والإيطالى والبرتغالى والأسبانى يتحدث بلغته الأصلية فى كل مكان رغم إجادته للإنجليزية كلغة عالمية مشتركة ، هذه الشعوب تحافظ على هويتها ومرجعياتها وتشرف بالحديث بلغتها الأصلية وليس العكس الذى نراه فى مصر فاللغة العربية باتت غريبة بين أبنائها.

نحن نتعامل مع لغتنا العربية بشكل فوضوى ، ثم ما هذه الهجمة الشرسة لهذه المدارس والجامعات الأجنبية المنتشرة بطول البلاد وعرضها ، لابد أن تعود اللغة العربية وتسود كلغة جميلة أصيلة راقية داخل جميع المؤسسات التعليمية على اختلاف أشكالها وألوانها حتى نستطيع أن نقضى على هذه الفوضى وعلى هذا التناقض. أنا فى تصورى أن المجتمع إذا ما التزم بتلك السلوكيات التى حضنا عليها ديننا الحنيف .. حيث الانضباط فى العمل ومحاربة هذا الروتين اللعين ومقاومة التغريب بكافة أشكاله وألوانه، إذا تحقق ذلك فإننا يمكننا أن نصل إلى مجتمع راق ومتحضر يعرف حقوقه وواجباته ويسير نحو التوهج والانضباط .

● **قلت للإذاعى الكبير فهمى عمر**

سألتك عن كيفية الخروج من الأزمة الراهنة .. بيد أن رؤيتك تقوم على أساس إصلاح المجتمع والتعامل مع القضايا المجتمعية ، فالإصلاح من وجهة نظرك ينطلق من القواعد المجتمعية بعيدا عن السياسة والسياسين فى المرحلة الأولى .. فهمت ذلك ضمنا من حديث سيادتكم..

●● يقول الإذاعى الكبير فهمى عمر وأنا أقصد ذلك تماما فالإصلاح لابد أن ينطلق من القاعدة أولا ثم يسير بعد ذلك فى الاتجاه لأعلى. كذلك أنا أتصور أن الإصلاح لا يجب أن يفرض علينا من الحكومة بل تفرضه علينا القواعد المجتمعية ويفرضه علينا الدين ويفرضه علينا تاريخنا ، كل ما فى الأمر أن نبدأ بتدريس تلك السلوكيات فى مدارسنا ومؤسساتنا التعليمية بطريقة فعالة وموضوعية ، كل ما فى الأمر أن يكون البيت والمسجد والكنيسة منابر للتربية الصحيحة وبوتقة لهذه السلوكيات الإيجابية التى تحدثنا عنها من قبل.

● قلت للإذاعى الكبير إذن المشكلة تكمن فى المجتمع .. فماذا حدث للمجتمع المصرى ؟؟

●● أتصور أن المجتمع بات ضحية لثورة الإعلام وانتشار الفضائيات وتحول العالم إلى قرية صغيرة. تطلع المجتمع إلى سلوكيات أخرى. إذا كنا نأخذ عن الغرب بعض المظاهر السلبية التى لا تتماشى مع قيمنا وعاداتنا فالسؤال الآن .. لماذا لا نأخذ عن الغرب انضباطه وجديته ؟ الانضباط فى العمل .. الجدية فى الأمورالحياتية اليومية. لماذا نأخذ فقط الأمور السلبية ولا نأخذ الأمور الإيجابية ؟ لماذا نقلد فى الغث ولا نقلد فى الثمين ؟

● قلت للرجل كيف نستطيع بناء حائط صد ضد هذه الموجات الضارة ؟ وكيف نستطيع توجيه المجتمع فى اتجاه ما ؟

●● أولا لابد من إعادة الهيبة للغتنا العربية .. أولا فى وسائل لإعلام حيث يجب رفع الكفاءة اللغوية للمذيعين ومقدمى البرامج . لابد ثانيا من التركيز الشديد فى وضع المناهج التعليمية وقواعد التربية والقواعد السلوكية . لابد كذلك من مقاومة موجات التغريب. إننا نلاحظ أنه لا توجد شركة ليس لها اسم أجنبى وكأن اللغة العربية لا يوجد بها أسماء وكأن معين اللغة قد نضب . وأتذكر أننى عندما كنت نائبا بالبرلمان المصرى تقدمت بمشروع قانون لإعادة هيبة اللغة العربية فى شوارعنا ومؤسساتنا ومجتمعاتنا، ولكن لسبب أو لآخر لم ير هذا المشروع النور حتى الآن

فالأولويات القائمة الآن لا تتضمن اللغة العربية وهذه هى المصيبة والكارثة الحقيقية ، حيث أن أحدا لا يشعر بالخطر القائم والقادم على لغتنا الجميلة !

لكن ومع كل ذلك أرى أن الأمل قائم وقوى بمؤسسات المجتمع المدنى .. مؤسسات المجتمع المدنى هى الأمل وهى الحل الوحيد للخروج من هذا المأزق الراهن

ومؤسسات المجتمع المدنى فى مصر ما زالت وليدة، وفى بداية الطريق، وعندما تقوى وتقف على قدميها ستتحمل مسؤليات المجتمع بأثره. لذلك يجب أن نوجه لتلك المؤسسات كل الدعم والاهتمام والعناية

وهنا أريد أن أنوه وأؤكد على شيء فى غاية الأهمية والخطورة وهو سيادة مبادئ القانون على الجميع ، فلا فرق بين مواطن وآخر أمام نصوص القانون ، الجميع سواسية لا فرق بين من يملك واسطة ومن لا يملك .. إذا ساد القانون وطبق على الجميع فهذا بداية الإصلاح الشامل ، فكلنا مواطنون وفقط أما ظاهرة (المواطن وحتة) فلا يجب أن يكون لها مكان. مواطن وفقط لابد أن تختفى من حياتنا كلمة (مواطن وحتة) و(مواطن بشرطة) لابد أن تختفى المحسوبية والواسطة من حياتنا نهائيا حتى تتساوى الرؤوس جميعا أمام القانون.

نخلص من ذلك بأن طريقنا إلى الإصلاح لابد أن يمر عبر البوابات التالية :

- الانضباط والجدية .
- الدين والأخلاق .
- منظمات المجتمع المدنى .
- سيادة مبادئ القانون على الجميع .
- إعادة الاعتبار للغتنا العربية .

قلت للإذاعى الكبير فهمى عمر أستطيع أن ألخص رؤيتك فى أنه لكى يخرج المجتمع من أزماته لابد أن يتحرك المجتمع نفسه، والمجتمع لن يتحرك إلا من خلال آليات محددة وهى منظمات المجتمع المدنى والتى تعول عليها كثيرا فى الفترة القادمة والتى إذا نشطت ستنشط بالتبعية كل المؤسسات داخل المجتمع وستقوى شوكة المجتمع.

اضاف الإذاعى الكبير فهمى عمر

أحمل الإعلام ـ وأنا أحد رجاله ـ الكثير من هذه الأزمة والتى أشرنا إليها من أخلاقيات وسلوكيات ، يجب أن تكون وسائل الإعلام قدوة والعاملين بها قدوة خاصة فى اللغة العربية والأخلاقيات والسلوكيات.

● قلت للإذاعى الكبير فهمى عمر

إن الحديث عن المستقبل لابد وأن يجرنا إلى الحديث عن الماضى. فبدون أن نتعظ من أحداث الماضى ودروس الماضى لا نستطيع أن نخطو خطوة نحو المستقبل. وبصفتك أحد الإعلاميين المتميزين الذين تركوا بصماتهم على الساحة الإعلامية ما هى رؤيتك فيما يكتب عن تاريخ مصر ؟

●● عموما التاريخ لا يموت والتاريخ كائن حى ولا يمكن أن ينمحى وإذا حدث وقام أحد بتزوير التاريخ لابد أن يتم تصحيح تلك الأخطاء لا محالة فى ذلك.

فالكتابات الخاطئة للتاريخ تتم على جميع المستويات وفى جميع المجالات و حتى فى المسائل الفنية يتم المتاجرة بقصص وحكايات لا أساس لها من الصحة وهناك من يتاجر بالتاريخ.

والمؤسف أن هناك فى مصر من لا يعرف أن أول رئيس لمصر كان (محمد نجيب) وأتساءل لماذا يتم التلاعب فى التاريخ إلى هذه الدرجة.. لماذا لا يتم تسليط الأضواء على فترة حكم محمد على باشا وفترة حكم إسماعيل ، تلك الفترات المضيئة من تاريخ مصر المعاصر .

● قلت للإذاعى الكبير فهمى عمر

اريد ان تبحر بنا عبر ذكرياتك التاريخية التى تمثل شهادة إذاعية على العصر ؟

●● من أهم المحطات التى شهدتها كان صبيحة يوم ٢٣يوليو ١٩٥٢ حيث كنت المذيع المنوب فى الفترة الصباحية للإذاعة ، وكان الإرسال يبدأ فى تمام السادسة والنصف ، وعندما توجهت إلى دار الإذاعة وجدت أن المبنى محاط بقوات وجنود

عسكريين وعندما صعدت إلى استراحة المذيعين وجدت السيد أنور السادات وكان الرجل معروفًا فى تلك الأيام .. أمين عثمان ..، العوامة الخاصة بحكمت فهمى .. الجاسوس الألمانى .. هروبه من المعتقلات .. رفته من الجيش .. أحداث كثيرة جعلت من السادات نجم تلك المرحلة ومرحلة الأربعينيات ، فكان السادات معروفًا لدينا نحن شباب تلك الأيام. ودخل السادات وألقى البيان ، رغم أن الكثيرين يشككون فى قيام السادات بإلقاء بيان الثورة ، لكن التاريخ لا يمكن أن يتم محوه والحقائق لا يمكن ان تموت ، وأنا جزء من التاريخ وأشهد على تلك الوقائع وعلى صحتها ، فأنا من قدمت السادات كى يلقى بيان الثورة ، فالرجل أذاع البيان ولم يسجله ليتم إعادته فى النشرات التالية وكان هذا لأسباب فنية ليس إلا .. وأتذكر أننا وثقنا هذا البيان بعد مرور ستة أشهر على الثورة حيث توجهنا إلى الرئيس السادات وقام بتسجيل البيان بصوته مرة أخرى كى يحفظ فى أرشيف ومكتبة الإذاعة.

المهم .. عندما رأينا الرئيس السادات سعدنا أشد السعادة لأننا علمنا أن لحظة الخلاص قد حانت. وأن الإستعمار وأعوانه قد ولوّا بلا رجعة ، لقد كنا نهتف من أعماقنا ونحن شباب .. يسقط الاستعمار .. يسقط الاستعمار .

وأتذكر أن الإرسال قطع من «أبو زعبل» قبل إذاعة البيان وأخبرت السادات بذلك حيث أجرى الاتصالات المطلوبة مع قيادة الثورة وبالفعل تم إعادة الإرسال مرة أخرى فى تمام الساعة السابعة والنصف إلا خمس دقائق .

وكانت فرحة الجماهير فى كل مكان بهذا البيان ، وأتذكر أن صلاة الجمعة كانت تذاع من مسجد شركس بمبنى وزارة الأوقاف ، وكان الخطيب يقول فى نهاية خطبته الدعاء النمطى .. اللهم احفظ مصر ومليكها.. وفوجئنا بأحد الأشخاص يصرخ فى الخطيب داخل المسجد ويقول .. محمد نجيب .. محمد نجيب يعيش محمد نجيب ويسقط الاستعمار .. يسقط الاستعمار .

كان هناك قبول للثورة التى كانت بمثابة الخلاص من الاستعمار وأعوانه ، وكانت بمثابة الأمل فى المستقبل ..

ومن الذكريات أيضا حادث المنشية حيث كنت والراحل حسنى الحديدى نقوم بهذا اللقاء الجماهيرى الضخم ورأينا وسمعنا الطلقات التى كانت موجهة إلى عبدالناصر.. رغم أن البعض يشكك فى صحة هذا الحدث الذى عاصرته عن قرب.

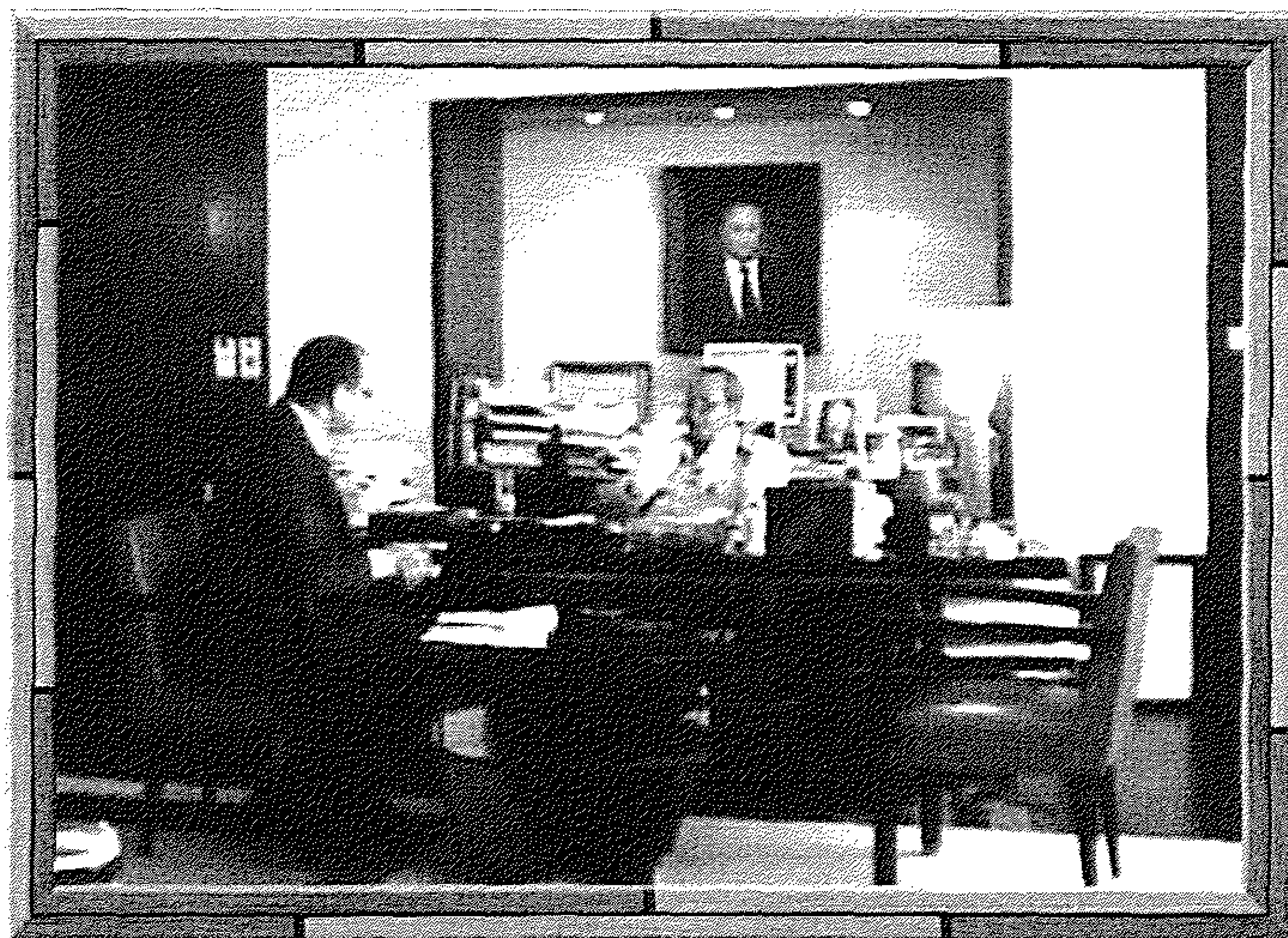
وأتذكر أيضا موقفنا وموقف الإذاعة فى حرب ١٩٥٦ ففى ٢ نوفمبر، أى بعد العدوان بثلاثة أيام أتذكر أن محطات الإرسال الموجودة بأبى زعبل قد تم ضربها حتى توقف الإرسال تماما ، ففى تمام الساعة العاشرة والنصف ودقيقتين انقطع الإرسال ، وكانت هناك إذاعة صغيرة قوتها واحد كيلو هيرتز فوق سطوح مجلس الوزراء وكانت هذه الإذاعة سترسل إلى (ثوار الجزائر) وقمت أنا والأستاذ أحمد سعيد بتكليف من رئيس الإذاعة بأن نتوجه الى هذه الإذاعة ونخاطب جماهير القاهرة ونقول لهم (نحن معكم) حتى لا ينمحى صوت الإذاعة المصرية.. واستطاع المهندسون المصريون فى أقل من ساعتين أن يعيدوا الإرسال فى أبى زعبل ووقف عبد الناصر على منبر الأزهر يقول سنقاتل الى آخر قطرة وكان ذلك عبر أثير الإذاعة .

وأتذكر فى عام ١٩٦٧ ورغم أن هناك العديد من الاتهامات طالت الإداعة والعاملين بأننا ضحكنا على الجماهير وخدعناها لكن الحقيقة مغايرة تماما، فالبيانات كانت تنزل من مكتب وزير الإعلام بالدور التاسع فى مبنى التلفزيون لنقوم بقراءته وفقط! ماذا نستطيع أن نفعل ؟ وفي الوقت نفسه نحن مثل الجماهير لا نعرف الحقائق على الجبهة والبيانات مفرحة ومبشرة وأنا دورى كمذيع أن أقرأ هذه البيانات بصوت معبر وحماسى وجميل؟

عملنا ليست صناعة الخبر أو صياغته وإنما قراءته وفقط ! كان الخبر ينزل من مكتب وزير الإعلام لنقرأه فورا .. فما هو ذنبى كمذيع ؟

فى عام ١٩٧٣ كان الوضع مختلفًا تماما وكانت الإذاعة تلهب مشاعر الجماهير بالأغنيات الوطنية الجميلة (أنا على الربابة باغنى) (الله أكبر باسم الله .. بسم الله) لقد كان دور الإذاعة مصاحبا لجميع الأحداث التاريخية مؤيدا ومؤازرا. لقد كنت مثلًا رئيسا للإذاعة إبان أحداث الأمن المركزى وكانت الإذاعة المصرية مثار إعجاب وفخر لجميع المصريين حيث المصداقية والحرفية فى تناول الوضع دونما تجميل أو تهويل

وستبقى الإذاعة المصرية دائما فى المقدمة بإذن الله.



نجيب ساويرس

رجل استثنائي

يقـول الـبعض إن آراءه صـادمة ، لكننـي وجـدتها جريئـة .. صادقة..صريحة .، ورغم كونه واحدا من أكبر رجـال الأعـمال لـيس فى مصر وحدها ولكن على مستوى العالم، فإن بساطته وتواضـعه وعفويتـه الشديدة هى أهم ما يميزه . لم ينس أنه مصرى تمتـد جـذوره إلى صـعيد مصر، حيث الشهامة والرجولة والطيبة والتوكل على الله. يجيـد قـراءة الحاضر ولديه قدرة فائقة على استـشراف المستقبل. ذهبـت إلى الرجـل باحثا عن رأى ومشورة فاستقبلنى بحفاوة ودار بيننا الحوار التالى ..

● **سألت. الرجل عن رؤيته للمستقبل فقال ...**

●● على الصعيد المالى والاقتـصادى فـإن نظرتـى متفائلـة ، حيـث حـدثت طفـرة حقيقية فى المؤشرات الاقتصادية كالبورصة والاستثمارات المباشرة وغير المبـاشرة التـى دخلـت الـسوق المـصرية مـؤخرا ، هـذا بالإضـافة إلى أن الأداء الحكـومى والفريـق الحكومى المتواجد حاليا يتوافق مع الاتجاهات العالميـة نحـو سـيادة مبـادئ الاقتـصاد الحر. هذا الفريق يتفاعل مع آليات السوق كأحد الثوابت رغم وجود بعـض التراجـع من وقـت لآخـر نتيجـة وجـود رأى عـام لـه اتجاهـات مغـايرة فتـضطر الحكومـة إلى الاستجابة لتلك الضغوط حتى ولو كانت بغير حق. كذلك الأزمة الخانقة الناتجة عـن ارتفاع أسعار المواد الغذائية. هذه الظروف تسبب بعـض التراجـع عـن الاتجـاه العـام للمنظومة الاقتصادية وفق آليات السوق ، ورغـم ذلك تشعر أن هناك قناعـة مـن هـذا الفريق بصحة التوجه العام رغم هذه الاستثناءات لـذلك فأنـا متفائـل عـلى الـصعيد الاقتصادى. أما على الصعيد السياسى فأنا أقل تفاؤلا لأننا لم ننجح خلال ثلاثين عامـا فى خلق كيانات سياسية غير الحزب الـوطنى الحـاكم والإخـوان المـسلمين، وهـذا فى رأيى يعتبر خللًا كبيرًا فى منظومة العمل السياسى ، حيث كان من المفـترض أن تظهـر كيانات ليبرالية أو علمانية أو يسارية تعبر عن المجتمع ، فالإخوان المـسلمون والحـزب الوطنى ككيانات وتيارات لا تعبر عن التيـارات الموجـودة داخـل المجتمـع المـصرى. وهناك حالة من الضيق بين قطاع عريض مـن المجتمـع وبخاصـة الـشباب لا يجـدون وعاء يستوعبهم ويعبر عن آرائهـم، وأعتقـد أننـى واحـد مـن هـؤلاء. والدولـة هنـا مسؤولة عن هذا الوضع حيث حاربت التيارات الأخرى ومنعتها من الظهور ودخلت على أحزاب المعارضة وفتتتها من الداخل وبلا داع. فقيام الحزب الوطنى بتقليم أظـافر

أحزاب المعارضة كأن يقوم النادى الأهلى بتخريب وتكسير نادى السكة الحديد مثلا ! فحركة يسارية مثل كفاية ما هو الخطر الذى تمثله على الدولة والنظام؟ ما هو الضرر الذى سيقع على الدولة والنظام إذا أصبح حزب الوفد قويا، وحزب التجمع قويا. فواجب الدولة تشجيع قيام الأحزاب وتقويتها لا منعها ومحاربتها ، وهذا يدعو إلى التشاؤم على صعيد المشهد السياسى ، ومما يعمق الإحساس بالتشاؤم هو عدم وضوح الرؤية بالنسبة لعصر ما بعد مبارك وهذا موضوع يثير القلق. وأعتقد أنه لا يوجد شخص وطنى صريح يختلف حول هذا الموضوع أولا بشعر بالقلق ، أنا أقول هذا حتى لو كان هذا الكلام يبعث على الضيق. فلابد أن نكون واقعيين والأعمار بيد الله ولا يوجد إنسان يمكن أن يعيش إلى مالا نهاية. الوضع الآخر الذى يدعو للقلق هو عدم حدوث ثورة فى التعليم والمناهج نستطيع من خلالها الانطلاق نحو المستقبل

● قلت للمهندس نجيب ساويرس

كيف نخرج من مربع التشاؤم ونجتاز مراحل القلق على المستوى السياسى والاقتصادى ؟

●● أعتقد أننا لا نستطيع الخروج من هذا الوضع إلا فى ظل القيادة القادمة إن شاء الله.. لماذا أقول ذلك ؟ أقول ذلك لأنه صعب، (فوالدى زى الريس كده فى السن ده) هل أقدر أغير عاداته وتقاليده أو طريقة تفكيره ؟ الحقيقة أن ذلك صعب جدا بل مستحيل، فوالدى فى هذه السن يرفض أى محاولة لتغيير أفكاره ومعتقداته وكذلك الرئيس

● قلت للرجل لكن أنت متفتح وتتفاعل مع التغيرات بمرونة شديدة

●● أنا بالفعل كذلك لأننى أصغر فى السن ولم أمر بالتجارب السيئة الذى مر بها وحياتى كانت أسهل وأنا عموما طبعى مختلف ..

● قلت للمهندس نجيب ساويرس ما هو مصدر قوتك وثقتك فى نفسك إلى هذا الحد ؟

●● مصدر قوتى هو إيمانى بالله وثقتى أنه دائما معى. لذلك فلا أخاف من أحد على الإطلاق.

عموما أملنا فى الشباب الجديد الذى يحمل فكرا جديد أويؤمن بالتطوير والتغيير والديمقراطية الحقيقية ويعيد الوجه الحقيقى لمصر .. فالأمل كل الأمل فى الأجيال القادمة

● قلت للرجل إذن علينا أن ننتظر ؟ أم من الممكن أن نتحرك ونصنع شيئا فى اتجاه الإصلاح ؟

●● لن نستطيع أن نتحرك الآن ! وتجديد قانون الطوارئ سنتين محبط إلى حد كبير. ، فاستمرار قانون الطوارئ كل هذه السنوات حالة غير مسبوقة فى العالم كله ، وبصراحة شديدة الظروف التى استدعت تطبيق قانون الطوارئ تغيرت كثيرا حتى أصبحنا نعيش مرحلة هدوء أمنى ملحوظ فلماذا يتم استمرار العمل بهذا القانون ولمدة سنتين وليس سنة واحدة مثلا حتى يكون هناك انطباع بأن هناك نية جادة لإلغاء هذا القانون

● علقت بقولى

إذن علينا أن نبدأ فى تغيير أفكارنا من أجل المرحلة القادمة حتى نصبح وعاء حقيقيا يستوعب قواعد الإصلاح ؟

●● أتفق معك لكن السؤال الذى يطرح نفسه هو أى وعاء يمكن أن يستوعب هذه الأفكار الإصلاحية الشابة ؟ الحقيقة أنه لايوجد وعاء يمكن أن يجمعنا ، فمثلا عندما ظهرت المشاكل فى حزب الجبهة الديمقراطية ترى كمية التشفى والفرحة عند مختلف التيارات.. شيء غريب جدا. والحقيقة أنا لا أفهم سر هذا التشفى ، فالمفروض أن تكون كافة التيارات سعيدة بوجود حزب جديد يجمع من المثقفين والمفكرين ما يمكن أن يكون نواة حقيقية لحزب له تواجد وليس حزب (هفق) مثل (حزب أبو طربوش وأبو بتاع..).

● قلت للمهندس نجيب

أين الخلل.. أهو فى التعليم الخاطئ أم فى انعدام التربية السياسية ؟

●● الخلل والعيب هو ما حدث خلال أربعين سنة مضت .. ولا يريد أحد أن يتكلم عن أخطاء ثورة ٢٣ يوليو ، وأعتبر أن أول خطأ رئيسى لا جدال فيه هو القضاء على الديمقراطية التى كانت قائمة فى مصر قبل الثورة ؛ فبعدما كانت الأحزاب

تتنافس وتقدم البرامج وتربى السياسيين.. فحزب الوفد كان يقف أمام الملك والإنجليز ويستطيع أن يزلزل الحياة السياسية وكذلك حزب الأحرار الدستوريين والسعديين.. حيث كان للأحزاب نفوذ وأياد فاعلة فى منظومة العمل السياسى المتفتح.. لكن ما حدث أننا وقعنا فى أيدى العسكر وتم إلغاء كل هذابجرة قلم واستمر حكم الفرد الذى لا حساب ولا رقيب عليه وأستغفر الله العظيم حتى ربنا، والآن هل نستطيع أن نقول إن لدينا حياة حزبية ؟ وهناك ملمح آخر هل كانت هناك فتنة طائفية فى الأربعينيات والخمسينيات ؟ على العكس تماما فالشعب المصرى المتدين والبسيط لم يكن يعرف الفتنة ولا التمييز، فكان هناك رئيس وزراء مسيحى ورئيس برلمان مسيحى ووزير خارجية مسيحى ، كانت الكفاءة والإخلاص فى العمل هو الأساس الذى يحكم اختيار الأشخاص فى المواقع السياسية. على العكس تماما مما يحدث الآن حيث يتم اختيار وزير أو اثنين مسيحيين (لتظبيط الصورة)، فلابد أن يكون المعيار هو الكفاءة ولابد أن تختفى كل أشكال التميز من المجتمع.

● المهندس نجيب ساويرس

الا تتفق معى أن المشهد الاقتصادى يثير القلق خصوصا على مستوى النتائج ؟

●● بداءة أنا أختلف معك فى قولك إن المشهد الاقتصادى يثير القلق !

● قلت .. اقصد تأثير الأداء الاقتصادى على المجتمع حيث الارتفاع الجنونى للأسعار والبطالة الخانقة إلى آخر المشاهد الاقتصادية والاجتماعية .

●● قال الرجل أيضا أختلف معك تماما فى هذا الطرح ، فحتى تصل أى دورة اقتصادية إلى جموع المجتمع تحتاج إلى وقت مثل أى مشروع استثمارى يتم الإنفاق عليه خلال فترة من الزمن ثم تبدأ العوائد فى الظهور بعد ذلك بفترة ، فمثلا حينما نقول إن الشركات التى دخلت السوق المصرى فى مجال الاستثمار العقارى مثل إعمار وداماك والديار وخلافه ستبدأ فى ضخ استثمارات حوالى ١٠ مليارات فسوف يبدأ الأثر الاقتصادى / الاجتماعى مع بداية الحفر والبناء فيتم تشغيل العمالة فى قطاع المقاولات ويتم زيادة الطلب على مستلزمات البناء وبالتبعية سيزيد الطلب على العمالة فى تلك الصناعات وتتولد دخول وتنتعش الضرائب والجمارك وتدور الدورة.

● **قلت للمهندس نجيب ساويرس**

إذن هـذه الإصـلاحات التـى قامـت بهـا حكومـة الـدكتور نظيف لماذا لم تتم أثناء حكومة الدكتور عاطف عبيد ؟

●● لأن عاطف عبيد كان اختيارًا خاطئًا.. كان شخـصًا لا يـصلح لهـذا المنـصب وغير قادر على اتخاذ أى قرار وضيع البلد ٤ سنوات. لقـد ضـيعنا ٤ سـنوات.. وأيـام عاطف صدقى ضيعنا ٩ سنوات بحجة إعداد البلد للتحول الاقتصادى .. (يعنى أيـه) يعد البلد فى ٨ سنوات ؟ أتذكر -الله يرحمه- كنت أتناقش معه فى إحدى المرات فقلت له (يا دكتور كده إحنا واقفين خالص .. البلد واقفة ما بتتحـركش فقـال إنـت شـفت حصل إيه فى روسيا والبرازيل نتيجة الـسرعة الـشديدة فى التحـولات الاقتـصادية ؟) فقلت له هذه الدول تحولت بسرعة شديدة لكن نحن واقفون تماما.

ثم جاء الدكتور كمال الجنزورى الذى كسر كل هذا الجمود وبدأ فى تحريك عجلـة الاقتصاد وبدأت المشروعات الضخمة ترى النور حيث موافقات مـصانع الأسـمنت والأسمدة وأصبح الاقتصاد المصرى جاذبا للاستثمارات الأجنبية وبدأ القطاع الخـاص يدخل فى المشروعات كثيفة رأس المال نتيجة إزالة الحواجز وتحطـيم قواعـد الـروتين. الخلاصة أن كل المشروعات الموجودة حاليا بدأت فى فترة الدكتور الجنزورى .

نخلص مما سبق أننا ضيعنا وقتا طويلا فلا يعقل أن يتم إصلاح الأمـور بـين عـشية وضحاها فكيف يعقل أن أحل مشاكل عشرين ثلاثين سـنة فى ثـلاث سـنوات ! هـذا بالإضافة إلى المصيبة الكبرى وهى زيادة أسعار الغـذاء والوقـود فى العـالم كلـه ونحـن للأسف دولة مستهلكة لكليهما ولا ننتج إلا قدرا ضئيلا من احتياجاتنا. هذه الضربات قضت على معظم ما تم إنجازه ، وهنا لا أستطيع أن ألوم الفريق الحكومى الحـالى فهـم أناس وضعوا البد على الطريق الصحيح ، والصراع الحقيقى الآن هو هل نحن قادرون على الاستمرار فى تحقيق التطور الاقتصادى وفى نفس الوقت يستفيد عامة الشعب مـن عوائد الاقتصاد الحر والانفتاح الرأسمالى ، فـإذا تحقـق ذلـك خـلال الخمـس سـنوات القادمة ستمر الأزمة ونخرج منها سالمين ، وإذا لم يتحقق ذلك سـيكون الوضـع صـعبًا جدا (والبلد هتروح فى داهية).

● **المهندس نجيب ساويرس**

كيف تنظر إلى التغيرات التى حدثت فى المجتمع المصرى خلال العقود السابقة وإلى الآن وهل هناك تغيرات إيجابية ؟

●● لا يوجد أى تغيير إيجابى ، فكل التغييرات سلبية وسأذكر لك بعض الأمثلة على ذلك..

تفتت الأسرة المصرية وانفصل الابن عن الأب ولم يعد هناك اهتمام بالأسرة . ضاعت الشهامة بين الأصدقاء والمعارف. تغلب حب المادة والمال على جميع القيم داخل المجتمع. زادت النزعة الاستهلاكية عند جموع الشعب. إزداد التطرف الدينى ، الإنشقاقات بين الديانات المختلفة زاد. الشارع أصبح بلا حرمة على الإطلاق. قواعد المرور موجودة من أجل أن تنتهك. ما عاد الناس يسألون عن بعضهم البعض. لكن وحتى لا أكون مغاليا فإنه ورغم كل هذا فإن صفاتنا وطباعنا المصرية أفضل بكثير من الدول الأخرى المجاورة لنا. لكن الأصالة المصرية ضاعت ، الجدعنة المصرية الشهيرة اختفت من على الساحة تماما .

● من هو المسؤول عن تلك التغيرات ؟ هل المجتمع هو المسؤول أم النظام هو الذى يتحمل المسؤولية ؟

●● أعتقد أن ما حدث بسبب النظام التعليمى الخطأ. وبالتالى فالأجيال الحالية لم تأخذ القدر الكافى من التعليم مثل الأجيال السابقة، فسوء التعليم أدى بلا شك إلى سوء التربية، وسوء التربية أدى كذلك إلى تعميق المشكلة . وزيادة عدد السكان والبطالة وارتفاع الأسعار، أدى إلى العديد من المشاكل. وفوق كل هذا أن المظهر العام للشارع المصرى يعد الأسوأ على مستوى العالم.. حيث عدم الانضباط وخرق القوانين فى جو كهذا كيف تظهر الإيجابيات وتختفى السلبيات .

● ولكن أين دور المثقفين والمفكرين الذين يشكلون وجدان المجتمع؟

●● المثقفون يعانون من نفس الداء الذى يعانى منه رجال الأعمال حيث الانقسام والغيرة المهنية. وكانت الناس وأنا منهم ننتظر من المثقفين بأن يقودوا حركة التنوير بقوة لمواجهة العديد من الظواهر السلبية داخل المجتمع. وكنت أتصور أن يقوم هؤلاء بحركة اجتماعية قوية لأن الفكر والقلم من أخطر الأدوات التى تساهم فى تغيير حركة المجتمع.

● **سألت المهندس نجيب ساويرس:**

فى ظل حالة الركود الثقافى والفكرى الذى وصل لمرحلة شبه غياب كامل للمثقفين والمفكرين لمن تقرأ من الكتاب والصحفيين اليوم؟

●● أتابع محمد سلماوى وسلامة أحمد سلامة، و من أشد المعجبين بسليمان جودة وأعتبر عموده اليومى من أفضل الأعمدة الصحفية بعد مجدى مهنا ، وكذلك مقالات مأمون فندى ونبيل ذكى وصلاح عيسى، وكنت أحب مقالات المرحومين مجدى مهنا وفليب جلاب ومن الممكن أن أكون نسيت أحد الأسماء لكن هذا ما ورد فى خاطرى الآن

● **سألته وماذا عن هيكل.. هل تتابعه كاتبا ومحللا ؟**

●● هيكل .. لا

لأنه لابد أن يعترف أولا أنه استفاد من موقعه بجوار عبد الناصر وثانيا لابد له أن يعترف بأخطاء الحقبة الناصرية بأمانة ، وإذا لم يقم بذلك فهو فاقد لمصداقيته أمام الكثيرين ، وأتساءل أين كانت شجاعة هيكل فى الكتابة والنقد والتحليل فى عهد عبدالناصر ، لذلك أنا لا أقرأ لهيكل ولا أتابعه.

● **ما هى الصحف التى تتابعها بانتظام ؟**

أقرأ الأهرام والأخبار والجمهورية وأخيرا الوفد بعد أن توقفت عنها سنتين ، وبالطبع فإن المصرى اليوم أعتبرها الصحيفة رقم واحد فى مصر. وكذلك أتابع صحيفتى الشرق الأوسط والحياة ، وأقوم بقراءة الدستور. وبالنسبة لإبراهيم عيسى فهو كاتب لاذع ودمه خفيف لكنى أختلف مع مضمون كتاباته.

● **رأس المال الوطنى عليه مسؤولية اجتماعية كيف ترى حال رجال الأعمال فى مصر من هذه الزاوية ؟**

●● أعتقد أن رجال الأعمال المصريين يقومون بمهامهم الاجتماعية أو غالبيتهم على الأقل.. عموما نحن كعائلة نقوم بدورنا تجاه المجتمع لكن ليس شرطا أن نعلن عما نقوم به من أعمال. والواجب ألا نعلن عن ذلك لأن الأعمال الخيرية تضيع بمجرد الإعلان عنها وتصبح بلا ثواب ، ونحن لا نعامل إلا الله فلا الحكومة ولا الرأى العام لن ينفعانى فى النهاية ، لإننا فى النهاية سنقابل الله وهذا هو الأهم ..

● يقولون إن آراء هذا الرجل صادمة، لكن بعد هذا اللقاء أستطيع أن أقول إن آراءك صريحة إلى حد بعيد .. المهندس نجيب ساويرس لو أنك متخذ القرار الأول فى مصر من أين تبدأ رحلة الإصلاح ؟

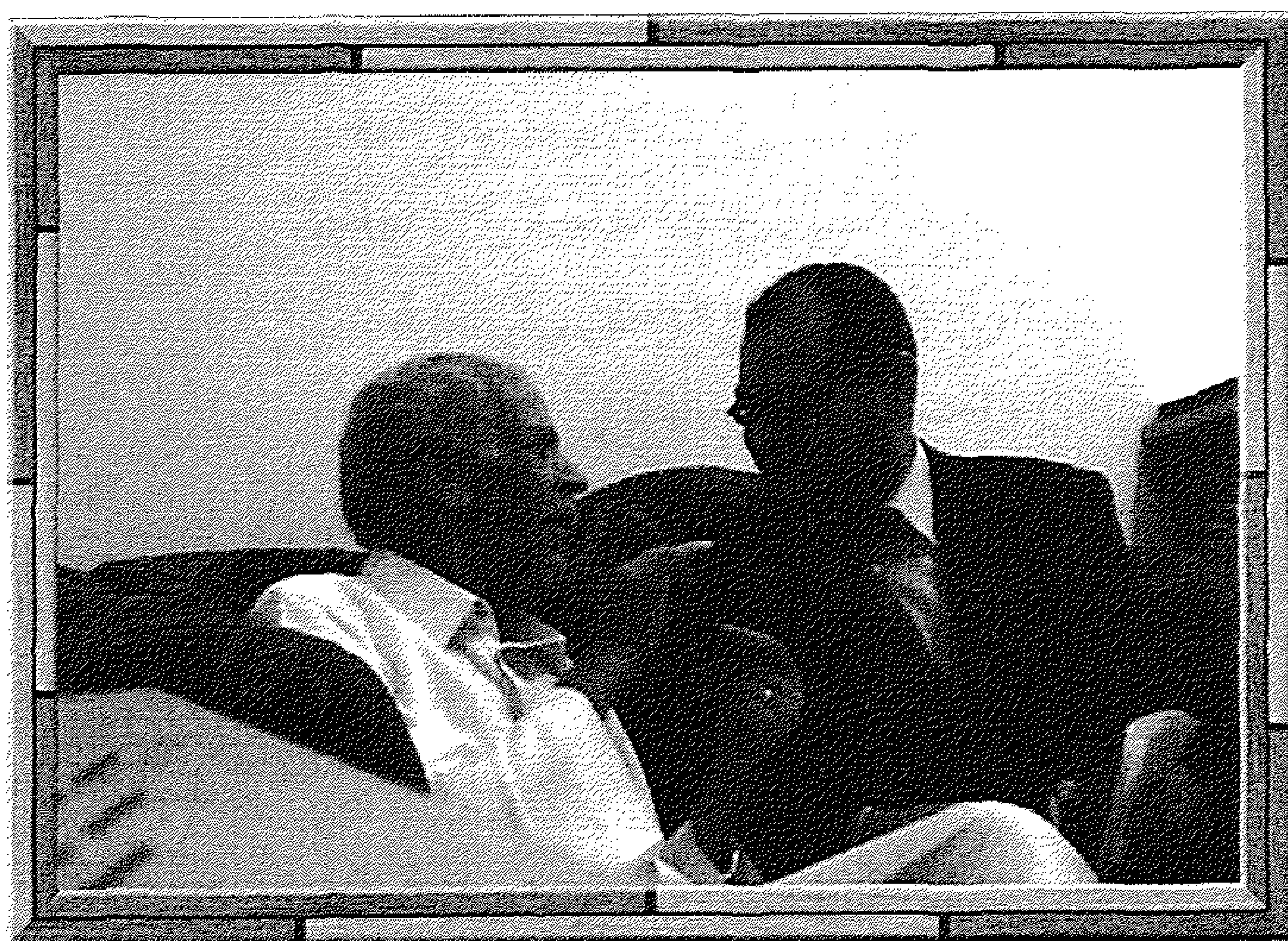
●● نقطة البداية هى التعليم والبحث العلمى، وأقوم بدعوة الدول المتقدمة لتوجيه كافة مساعداتها إلى مجال التعليم ، وأبدأ فورا فى التعاون مع أكثر دول العالم تقدما فى التعليم لنقل خبراتها إلى مصر. نحن لسنا فى حاجة إلى مصانع ومشروعات قبل حاجتنا إلى الفكر والتعليم والبحث العلمى .. لابد أن نلحق الأجيال الجديدة ونخرجهم من دوامة الحفظ والتلقين. هذه نقطة البداية حيث يتم تحويل كافة المساعدات الأجنبية إلى بند واحد فقط وهو التعليم .

النقطة الثانية هى مساعدة كل الأحزاب التى تريد العمل والمشاركة فى الحياة السياسية لخلق كيانات ليبرالية حقيقية أو يسارية أو وفدية . المهم أن تعبر تلك الأحزاب عن التيارات الموجودة فى المجتمع وهذا يخلق توازنًا فى المجتمع بدلا من وجود حزب واحد مسيطر وحاكم وحزب آخر يخيف الجميع ، لكن المنافسة سترفع مستوى الجميع وتكون فى مصلحة الجميع.

القرار الثالث إعادة الهيبة لرجال المرور ومضاعفة رواتبهم ، لأن ذلك سيكون البوابة الحقيقية لإعادة الانضباط للشارع المصرى ومن ثم إعادة تشكيل سلوك الناس داخل المجتمع.

رابع قرار يمكن اتخاذه هو أن نتفرغ لمصر وننظر إليها أكثر من ذلك ، فبلدنا أولى بهذا الوقت وهذا المجهود ، وهذا لا يعنى أن نترك القضية الفلسطينية وبقية القضايا الإقليمية لكن يجب إعادة ترتيب الأولويات بما يحقق مصلحة الوطن.

***



الشاعر الكبير

أحمد فؤاد نجم

أحمد فؤاد نجم ...
قال عنه الشاعر الفرنسي لويس أراجون
(إن به قوة تسقط الاسوار)
وأسماه الدكتور على الراعى
(الشاعر البندقية)
وقال عنه الرئيس السادات (الشاعر البذيء)

إنه أحد أهم شعراء العامية فى مصر والعالم العربى وأحد فرسان الكلمة.. رهانه على الشعب، وانحيازه للفقراء جعله يحمل رصيدا ضخما من حب الجماهير البسطاء ، لأن كلماته صادقة لكنها كالطلقات ، ذهبت إليه، وجلست بجواره، ودارت بيننا دردشة لذيذة وخفيفة حول المستقبل وقبل أن ندخل تفاصيل تلك الدردشة أفضل أن نقرأ هذه الكلمات التى قالها عمنا أحمد فؤاد نجم وغناها الشيخ إمام ..

مصر أوفى من الزمان ..
وانتو عارفين شعب مصر
اللى خانوا العهد بينا .. واستباحوا كل حاجة
واستهانوا بالعروبة .. واستكانوا للخواجة
مستحيل حيكونوا منا .. احنا حاجة وهما حاجة
هما باعوا الجلابية .. والوطن والبندقية
واحنا أصحاب القضية ..
احنا ما بنبيعش مصر
يطلع الدجال بزيفو.. يملا وادى النيل ضباب
ينزل الجلاد بسيفو .. يزرع الموت والخراب
يطول الليل زى كيفو.. الصباح له ألف باب
واحنا بوصلتنا بإيدينا .. ما تخفوش من الليل علينا
مهما غبتو عن عنينا
انتوا جوا بقلب مصر
سينا ولا .. يافا ولا .. حيفا ولا ..دير ياسين
اسألوا الشمس اللى هالة .. عللى صحيوا مبدرين

يزرعوها نور وغلة .. دول جدودنا ولا مين ؟
حقنا وحتما يعاد .. بس لو بانت سعاد
والبيان ده له معاد
والمعاد هيكون فى مصر

***

● قلتله.. إيه الحكاية ياعم أحمد؟ حكاية مصر بلدنا.. أهلنا وأرضنا وعرضنا، بنعمل إيه وهنعمل إيه وهنروح على فين؟

●● لازم الناس كلها تشتغل ، مصر مليانة طاقات ومواهب وإمكانيات كلها معطلة ، الناس قاعدين يتفرجوا على البلد وعلى السرقة اللى فيها وعلى اللى بيبيعوها ، الناس متبنجة ومبتتحركش ، لازم الشارع يشتغل ، والمثقفين لازم يتحركوا ويلتحموا بالشارع .. كده عيب ، المشكلة ليست فى حسنى مبارك ولا غيره، المشكلة فى الناس المشكلة فى الشارع، المشكلة هى المثقفون الذين انسحبوا وتركوا أدوارهم وأماكنهم. إن مشكلة المشاكل أن النخب إدت ظهرها للشارع ووشها دايما للسلطة فى حوارات وبتاع وعايزة توصل ومن هنا تتنازل عن حاجات كثيرة ، والغريب تسمع واحد يقولى أصل الشارع مبيتحركش .. سبحان الله هو إنت رحت للشارع كلمته وقالك مش هاتحرك ! قلتله هو فين الشارع هو إنت شوفته !

لابد أن نبدأ بتفعيل دور منظمات المجتمع المدنى .. عبد الله النديم عمل إيه ؟ وده كان سنة ١٨٨٢ ! مصر مليانة مواهب لكنها مرمية على الرصيف والناس مخنوقة ومفيش أمل عشان كده أنا بقول مليش دعوة بالناس اللى فوق أهم حاجة الناس اللى تحت .. لازم المثقفين ينزلوا وسط الناس وسط الأهل وسط الشارع .. فين مصر وفين المصريين ، المودة اللى كانت بين المصريين راحت فين ، دا كان زمان لما واحد بيعمل حركة مش هية ولا بتاع تقوله .. جرى إيه يا جدع هو إنت ما عديتش على مصر ، مصر أم المفهومية وأم المودة ، مصر لا يمكن تفرق مسيحى ومسلم لا يمكن يحصل ده أبدا ، طول عمر الشعب المصرى واحد مسلميه ومسيحييه لا فرق على الإطلاق ، الخلاصة لازم النخب تتحرك عشان الناس تتحرك عشان نصلح التعليم وهو ده بقه مربط الفرس الحقيقى ، فخريج الجامعة الآن حاله لا يسر عدو ولا حبيب .

فالمجتمع المدنى يستطيع القيام بأشياء كثيرة جدا وأهم هذه الاشياء هو المساعدة فى انتشال العملية التعليمية من هذا الواقع المرير .. لابد أن يكون هناك دور لرأس المال الوطنى ولرجال الأعمال المخلصين ، لابد من المساهمة فى تطوير العملية التعليمية

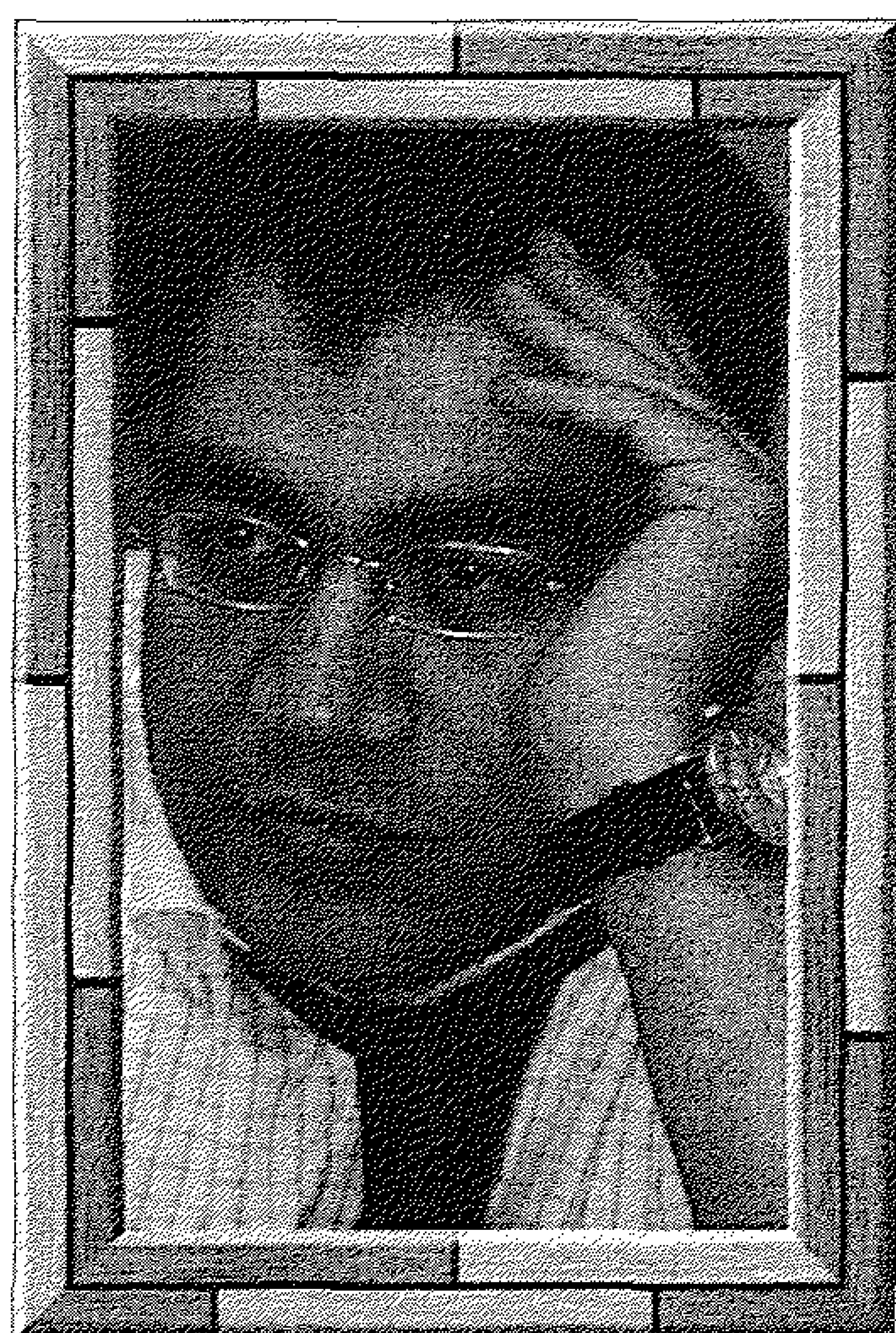
وإنشاء المدارس فى القرى والنجوع حتى تكون الفرصة متاحة للجميع ، عشان نطلع نوابغ وعباقرة من بين البسطاء ، هو طه حسين جه منين ؟ وسيد درويش طالع منين وكل المفكرين والمبدعين طلعوا منين ؟ كلهم طالعين من الشارع المصرى ومن الحارة المصرية ومن البساطة المصرية ومن الأصالة المصرية ومن الحضارة المصرية .. لكن مش عارف فيه إيه ؟ إيه اللى حصل ؟ هل مصر نضبت وعقمت ؟ ومعدتش بتحبل ولا تولد ؟ أبدا دا مصر مبتبطلش ولادة ، مصر عمرها ما بطلت تخلف رجالة وجدعان ، ما تيلا يا مصريين نحط إيدينا فى إيدين بعض اللى بره واللى جوه .. تعالوا نشوف هانعمل إيه لمصر ، الأول تعالوا نتفق نعلم عيالنا وولادنا تعالوا نعلمهم صح .. تعالوا نغير نظام التعليم .. تعالوا نبنى مدارس تعالوا نعمل ثورة تعليمية .. هى دى البداية ياولاد بلدى إن كنا بجد عايزين نعمل حاجة لمصر بلدنا ، تعالوا نتعلم ــ للأسف من كوريا ــ اللى سبقتنا وبقت دولة كبيرة بسبب إصلاح التعليم اللى بداوا بيه ثورة الإصلاح الحقيقية ، إنما الوضع فى مصر ما ينفعش على الإطلاق .. ينفع المستوى ده من الخريجين .. ينفع خريج الجامعة يكون مابيعرفش يقرا جرنان ولا يعرف يكتب حتى جواب ،والله عيب علينا إحنا كمصريين يكون دا حالنا ويكون ده مستوانا التعليمى ويكون دا مستوى الخريجين بتوعنا ، والمصيبة إنهم سايبين الحاجات المهمة وماسكين فى الحاجات الخايبة ومش مبطلين كلام فى السياسة والكلام الكبير ، الله ..هو إحنا مالنا ومال حسنى مبارك ؟ إحنا مالنا ومال نظيف ؟ إحنا لازم نبص على نفسنا الاول لازم ونراجع نفسنا الأول عشان نقدر نغير نفسنا الأول وبعدين نبقى نتكلم فى السياسة والرئاسة وغيره ، لازم كل واحد يبدأ بنفسه الأول .. بيته وعياله وشارعه وحارته .. إحنا قدامنا حاجات كتير نقدر نعملها عشان مصر وعشان شعب مصر ، وعشان كده لازم يكون هناك دور للمثقفين والمفكرين .. لازم يقوموا بدورهم التنويرى لهذا الشعب .. الشعب عايز اللى يحركه ويستفز مكنونه الحضارى .. لأن الشعب ده أصيل وصاحب حضارة بس عايز اللى ينبهه ويحركه ويلتحم بيه ومعاه بإخلاص ، مصر أم الدنيا جرى لها إيه ؟ لكن لإن مصر ولادة فالأمل موجود ، وممكن من وسط الناس البسيطة والغلابة يطلع لنا جمال عبد الناصر من تانى .. ليه لا ؟ لازم المصرى يرجع يبقى مصرى من تانى لازم المصرى يرجع يحب المصرى من تانى ، وهو فى حد غنى للحب قد المصريين ، أم كلثوم وفتحية أحمد وعبد الوهاب وعبد الحليم حافظ.

● **قلت لشاعر العامية الأول فى مصر**

لكن ياعم أحمد إيه اللي حصل فى المجتمع المصرى ، بعد العمر ده كله إنت شايف إيه ؟

●● مصر واخدة لها تعسيلة ! تعسيلة بس طويلة شوية .. وأكيد أكيد هتصحى وتفوق وترجع تانى زى ما كانت وأحسن ميت مرة ، مصر شافت حاجات كتير من دي وقدرت تقوم وتصحى وترجع تانى ، وطول مافيه ناس محروقة على البلد وطول ما إحنا بنتكلم كده زى انا وإنت يبقى فيه أمل ، لكن المشكلة إن الشعب كسلان ومستنى الحكومات تتحرك ، وإحنا مالنا ومال الحكومات .. مالنا بيهم ، طول عمر الفلاح المصرى يقول ربنا يولى من يصلح ومالوش دعوة بالسياسة ولا هو عايز منصب سياسى ، كل اللى يهمه لقمة العيش وشربة المية ، هو دايما راضى وقانع وسعيد وطيب، الشعب المصرى راقى ومتحضر ، لكن مشكلة المثقفين إنهم عزلوا نفسهم عن الشارع.. بعدوا نفسهم عن الناس ، عشان كده أنا قاعد وسط الناس قاعد فى قلب السوق عايش مع الناس مشاكلهم وأحلامهم وحاسس بيهم ، حب الناس وثقة الشارع هما الكنز الحقيقى مع اى مثقف ، لكن المثقف أو المسؤول اللى قاعد فى مكتبه أو بيته ومنفصل عن الناس كأنه قاعد فى مخبأ وده شغل ولاد الليل فى الأرياف ينام بالنهار ويصحى بالليل ومالوش دعوة بالناس ولا يختلط بيهم إلا بأذيتهم .

فى كل الاحوال الأمل موجود رغم إن ولاد مصر بيموتوا بعض على العيش الحاف! تخيل مصر اللى كانت بتوكل الكل وبتصرف على الكل ودلوقتى اهلها بيتقاتلوا على العيش الحاف! والناس مش عاجبها الوضع وبتشتكى على طول ، لكن لكل واحد دور زى ماقلت فى بيته وفى شارعه وفى حارته .. وهو ده الدور الأهم فى المرحلة الصعبة اللى إحنا عايشينها دلوقتى .. المشروع المهم دلوقت إن كل واحد يبدأ بنفسه ولنفسه وبعدين نبص لغيرنا وننتقد غيرنا ، مشروعنا لازم يكون استعادة الإنسان المصرى اللى إحنا فقدناه ، لابد من عودة الطبقة الوسطى اللى راحت وضاعت وكانت بمثابة مسمار النص ورمانة الميزان اللى بتظبط المجتمع كله ، لازم الطبقة دى ترجع تانى وتقوم بدورها زى زمان ، لازم كل واحد يدى من وقته ١٢ ساعة فى الاسبوع للعمل العام .. لنظافة الشوارع وزراعة الأشجار ومحو الأمية وغيره وغيره ، ولا يجب أن ننسحب من الحياة العامة .. دا إحنا بقينا شكاير ، بقينا شولة والبلد بلدنا إحنا مش بلد الحكام ، الحكام بيروحوا وييجوا لكن الشعب قاعد .. الشعب باقى .. الشعب هو الأساس.



عبد الله كمال

كانت لدىّ مساحة عريضة من الرأى الآخر فى مواجهة آراء الرجل التى أتابعها من خلال كتاباته على صفحات روزاليوسف المجلة والجريدة ، ومن خلال حواراته فى وسائل الإعلام المختلفة ، كنت أنظر إلى الرجل على أنه أحد حواريى النظام .. فهو الذى خاض معارك ضارية فى مواجهة كل من يقف على الطرف الآخر من النهر. كان قاسيا وهو يهاجم «هيكل وهالة مصطفى وعادل حمودة وإبراهيم عيسى» لكن هجومه على جماعة الإخوان المسلمين فكرا وتنظيما وشخوصا كان هو الأعنف تاريخيا ربما منذ إنشاء الجماعة. ذهبت إلى الرجل لا لكونه رئيسا لتحرير أعرق مجلة مصرية ، لكن لأنه يمثل تيارا فكريا وثقافيا وسياسيا ينطلق من داخل الحزب الوطنى ، جلست قبالة الرجل وبدأنا حوارا حول المستقبل .. رؤية .. صراحة .. موضوعية ، وكلما تحدث الرجل كانت مساحة الرأى الآخر تتقلص رويدًا رويدًا..

لقد كان العنوان العريض للحوار مع الكاتب الصحفى عبدالله كمال هو استنهاض الهمم..

بدأ الرجل حديثه بالتأكيد على أن النظام الحاكم فى مصر يحمل بداخله عوامل التحديث والتطوير الذاتى ولكن ..

النظام يتميز بالاستقرار و له أساس دستورى واضح ، وقواعد محددة. حدث نوع من أنواع التطوير خلال الفترة الماضية ، تقبلا ومبادرة من النظام ذاته ليحدث نوع من أنواع الحراك فى قواعده. وفى إطار هذه القواعد يحدث بعض التغيير فى ملامح وقواعد اللعبة لكى يترسخ فيها مبدأ التعددية. ومن ثم فإننى أرى أن هذا النظام وإلى فترة مقبلة طويلة سيتم التطوير والتحديث من داخله ، فهو نفس النظام الذى تأسست قاعدته الأولى وفق شرعية ثورة ١٩٥٢ وخضعت لتطويرات متنوعة فى مراحل مختلفة منها بعد وفاة الرئيس عبد الناصر، ومنها فى عام ١٩٧٤، ومنها فى عام ١٩٧٦ ، ومنها ما بعد مجيء الرئيس مبارك ومنها ما حدث فى ٢٠٠٥ ، كل هذه تطويرات فى إطار قواعد النظام الأساسية ووجهة نظرى أن هذا لنظام سوف يستمر ، وهنا لا أقصد

بالنظام الإدارة الحاكمة .. أنا أقصد بالنظام مجموعة القواعد والقوانين التى تدير التفاعلات وفقا للاتفاق الدستورى بين الدولة والمواطن والشكل المؤسسى والكيانات المؤسسية المتنوعة التى تعمل فى إطار وفى سياق هذا النظام وهدفها الأساسى هو الحفاظ على النظام الجمهورى وعلى طبيعة الدولة المدنية.. هذا بالنسبة للنظام ، وبالنسبة للأمة فهى أمة تليدة ومستقرة وثابتة. تتعرض أفكار وقيم واتجاهات شعبها لتطورات متنوعة نتيجة للحراك السياسى الحادث، ونتيجة للمتغيرات الاقتصادية ونتيجة لتفاعلات العولمة .. لكن خصائصها الثابتة ما زالت موجودة وصفاتها التاريخية واضحة ولا أعتقد أنه سيطرأ عليها تغيير كبير فى خلال العقد القادم على الأقل.

بخلاف هذا هناك مجموعة من التفاعلات يمكن أن تتم فى إطار النظام والدولة وفى إطار طبيعة التطوير السياسى والاقتصادى فى المجتمع ، وبالتالى يمكن أن ترى تغيرات بأشكال مختلفة ولكن فى إطار نفس القواعد.

● قلت للأستاذ عبد الله كمال

إن الوضع الراهن وعلى جميع المستويات قد لا يكون هو الوضع المثالى الذى يتمناه الجميع بمن فيهم النخبة الحاكمة وليس المعارضة فقط. ما هى أجندة النهضة كما تراها وما هو جدول الأعمال المقترح كى ننطلق إلى آفاق المستقبل؟

●● مشكلة مصر الحقيقية هى مشكلة تتعلق بالثقافة وتتعلق بضرورة اقتناع المجتمع بأنه ينبغى أن يفرض على نفسه جدول أعمال تطويرى ، بمعنى أننا نحتاج إلى مزيد من تحمل الجلد، ومزيد من قبول قواعد الخضوع للمتغيرات، وأن نرغب فى التواؤم مع التفاعلات الجديدة وأن نتنازل عن ثوابت الفكر التقليدى وأن نرتضى مجموعة من الواجبات المحددة التى علينا أن نقوم بها لكى نفجر الطاقات الموجودة داخلنا بالفعل والتى تعطلها سلوكيات وثقافات متنوعة ، نحتاج أن نتخلص من التكاسل الجمعى ، نحتاج أن نتخلص من تحميل الأعباء بالشكل المستمر على الإدارة

الحاكمة ، نحتاج أن نتخلص من التغافل عن المسؤوليات الشخصية تجاه المجموع ، نحتاج إلى أن نركز على قاعدة الحق والواجب وليس الحق فقط ، نحتاج الى الإصرار على بناء النفس قبل أن تزداد الشكوى من وضعنا. معضلة المصرى أنه فى داخله إحساس تاريخى كبير بالفخر والعزة وبالأمجاد التى كان عليها أجداده. ومشكلة الأجيال الحالية هى أنها تتمنى وتريد وترغب فى أن تكون لها نفس الأمجاد إلا أنها تتغافل فى أغلب الأحيان أن عليها أن تبذل نفس الجهد أو جهدا ملائما للعصر لكى تنال مثل هذه الأمجاد ولكى تحصد نفس المكانة التى حصدها الأجداد ، فلكى نحقق نصرا مماثلا لما تحقق فى عام ١٩٧٣ فلابد أن نبذل جهدا مضاعفا بمقاييس العصر لما فعله الجيل الأكبر من الآباء الذين حققوا هذا النصر . ولكى تتحقق لديك إنجازات ضخمة مثلما حقق الفراعنة الأوائل حينما شيدوا الأهرامات مثلا فإن عليك أن تمتلك القدر الملائم من التكنولوجيا والجهد والمثابرة لكى يكون لديك نفس هذا القدر من المجد. المشكلة الحقيقية هى أننا نتغافل عما ينبغى أن نقوم به وننسى دائما القاعدة الأساسية التى بنيت عليها ثقافتنا الدينية (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) والمشكلة هى أننا لا نذكر من التاريخ إلا القشور، أما جوهر التاريخ وتفاصيله والدروس المستفادة من أحداثه فيتم إهمالها بطريقة مثيرة ، فالمصريون يعرفون من التاريخ أن الفراعنة كانوا سباقين، لكنه قد لا يعرف على الإطلاق كيف وصلوا إلى ذلك وكيف بذلوا الجهد ، ونتيجة لجهل غالبية الأجيال الجديدة فإنهم يسخرون من هذا ويتعاملون معه على أنه نكتة لأنهم لا يعرفون قيمته أو لم يقم أحد بمساعدتهم على المعرفة ، ويمكن كذلك أن تنظر إلى نصر ١٩٧٣ تجد أن أغلب أبناء الجيل الجديد لم يقرأوا ولم يفهموا ولم يستوعبوا ما تم خلال هذه المعركة التاريخية. ومن ثم حين تناقشهم فى مثل هذه الأمور فإنك لا تجد منهم آذانا صاغية.. وهذا ليس لأنهم لا يريدون التفاعل مع مثل هذه الأحداث ولكن لأنهم يشعرون بالانكشاف أمام أنفسهم، وأنهم لا يدرون شيئا عن تاريخ بلادهم الذى يعتقدون ويؤمنون أنه كان عظيما ويريدون أن يحققوا مثله ، ومن ثم ونتيجة للشعور بالضعف المتوالى أمام هذا المجد السابق يكون الهروب والهجر هو الحل والمخرج الوحيد لهذه الأجيال ، ومن ثم تجد استخفاف الأجيال الحالية بهذه الأمجاد التاريخية ..

لذلك فإننا فى حاجة إلى استنهاض الهمم وإلى مشروع ثقافى يوجه الناس إلى مثل هذه الخطوات وإلى هذا الطريق وأيضا يساعد الناس على أن يقوموا على أنفسهم بالقدر الواجب و بالجهد اللازم والعمل البناء لكى نحقق ما نعتقد أنه يليق بنا ..

يليق بنا أن نكون على علم ودراية بحجمنا الحقيقى. يليق بنا أن نعرف أن هذه القوة المصرية قوة لها أبعاد متنوعة وشاملة وهى ذات جذور حقيقية وأن هذه القوة وهذه الدولة هى الدولة الأعرق فى المنطقة ، وهى الدولة المركز بلا جدال ، وهى الدولة المحور بلا نقاش، وهى الدولة التى تتمتع بخصائص الثبات منذ آلاف السنين ، وهى الدولة الوحيدة التى تمتلك حدودا واضحة منذ آلاف السنين .. منذ عصر مينا موحد القطرين ، منذ نشأت فكرة الدولة فى مصر وهى الأم التى تجمعها خصائص منسجمة لا يمكن أن يكون بينها تنافرات حقيقية مثلما يحدث فى بعض البلاد والدول المحيطة سواء فى بلاد المشرق أو بلاد المغرب ، وهى الدولة التى تتميز بموقع جغرافى شديد التميز ، وهى الدولة التى تملك التراث الحضارى العظيم ومن ثم تملك المقومات المناسبة لكى تبقى الدولة الرائدة والمؤثرة فى المحيط الإقليمى الممتد إفريقيا وأوسطيا وعربيا ، والأمر فى هذا السياق له علاقة بأمور كثيرة تتعلق بالتطوير الذى سوف يشهده المجتمع والدولة فى الفترة المقبلة

● قلت للأستاذ عبدالله كمال ..

إنك تركز فى حديثك على إعادة بناء وتشكيل الشخصية المصرية لاستنهاض الهمم التى يمكن أن تصنع نهضة شاملة .. فى هذا السياق ماذا حدث للمجتمع المصرى وماذا أصاب الشخصية المصرية

●● أولا .. إن أصعب الظواهر التى نعانى منها فى المجتمع وتحتاج إلى علاج صريح وواضح هو النفاق الاجتماعى

فعلى نطاق واسع نحن نقول مالا نفعل غالبا ، وأخشى أن أقول إنها خاصية من خصائص هذه الفترة :

ثانيا .. رفض المواجهة .

ثالثا .. عدم الرغبة فى تحمل المسؤولية .

رابعا .. تجاهل النظامية ودورة النظامية .

خامسا .. عدم الميل إلى المصارحة .

سادسا .. الافتقاد إلى الدقة .

سابعا .. الحرص على الالتزام بالمظاهر الدينية دون الالتزام بالجوهر .

ثامنا .. عدم الاهتمام بالمقومات العلمية .

تاسعا.. انتشار مجموعة من الأمراض الاجتماعية مثل: فقدان الانتماء وتفشى الإدمان والإحساس بالدونية حيث انقلاب حقيقى لفكرة الإيمان بالمجد والريادة إلى النقيض.

وهذه الملاحظات السلبية التى نسجلها على المجتمع بقصد إصلاحها يجب ألا تنسينا أن هناك مشكلة حقيقية أدت إلى كل هذه الظواهر تتعلق مثلا بالتعليم وهناك مشكلة حقيقية تتعلق بوضع الإعلام وهناك مشكلة حقيقية تتعلق بالوضع الثقافى فى المجتمع وتتعلق كذلك بالدور الذى تلعبه أو تمارسه المؤسسة الدينية ، فالعقل المصرى تعرض لقدر هائل من العصف المتواصل فى نفس الوقت الذى لم يكن لديه الحصن الحامى والمدافع. بالتحديد منذ ظهرت أطباق الاستقبال فوق أسطح المنازل وصارت متاحة على نطاق واسع فى الفترة ما بين ١٠ إلى ١٥ سنة ومع ظهور العولمة وتيارات التفاعل الدولية بشكل مستمر كان هناك تراجع للمؤسسات الثقافية والتعليمية والإعلامية فى نفس الوقت الذى يتلقى فيه العقل المصرى قدرًا هائلًا من الدعاية المضادة التى تدفعه إلى أن يفكر وفق أجندات مختلفة وأن يشعر بانتقاص أهميته ، وأن يبدى إعجابا بشخصيات مجتمعية أخرى ، وأن يحتقر وضعه ، وأن يشعر بأن الآخرين أفضل. هذه هى مجموعة الرسائل التى كان يتلقاها من الخارج فى نفس الوقت الذى لا يتلقى فيه رسائل من الداخل ، لكل ذلك حدثت هزة حقيقية فى بناء المجتمع وبناء الشخصية ينبغى أن يكون هدف الإصلاح هو العمل على إعادة بناء الشخصية المصرية، وهنا أستخدم التعبير أو المنهج الذى كان يستخدمه مهاتير محمد فى ماليزيا قبل أن يخوض معركة النهوض بها وهي (إعادة تأهيل المجتمع) فنحن بحاجة إلى إعادة تأهيل المجتمع المصرى لكى يكون جديرا بمجده السابق وجديرا بعصره الحالي.

● **الأستاذ عبد الله كمال**

بعد هذا التشخيص والتشريح الرائع والأمين لحالة المجتمع المصرى .. من أين نبدأ ؟ ما هى الأولويات ؟ ما هى روشتة الإصلاح ؟

●● لا يمكن أن تكون البداية من خلال رافد واحد ، وأعتقد أن العنوان العريض لهذا المشروع الاستنهاضى إذا جاز التعبير هو أن يكون مشروعا ثقافيا يشمل الرافد الثقافى المباشر بكل أشكاله وتنوعاته حيث يشمل الرافد الإعلامى ويشمل الرافد التعليمى ويشمل كذلك الرافد الدينى ، وكل هذه الروافد أعتقد لها أبعاد متنوعة ومختلفة ولابد أن تكون هناك رؤية واضحة وأجندة محددة بأهداف محددة .. ما الذى نريد أن نفعله من مثل هذا المشروع ؟

إننا نريد التأكيد على مصريتنا دون أن نتجاهل طبيعة موقعنا الجغرافى والتزاماتنا القومية ، نحن شخصية شديدة التفرد ولابد أن تكون تلك الشخصية محددة الهوية، أن تكون حاسمة لهذه المسائل فيما بينها ، أن تتحول عناصر هويتنا المتنوعة إلى مزيج متكامل فى شخصية واحدة لكى تزيد ثراءها وليس لكى تؤدى إلى صراعات داخلية فى هذه الشخصية. فلا ينبغى أن يتصارع الفرعونى والقبطى والإسلامى والعروبى والإفريقى والمتوسطى داخل الشخصية المصرية ، لكن على العكس من هذا ينبغى أن يكون هناك تناغم بين كل هذه العناصر وهذا التناغم. لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال تعليم جيد وإعلام جيد وثقافة واضحة الرؤية وخطاب دينى متفتح.

● **قلت للأستاذ عبد الله كمال**

كيف لهذا المشروع الثقافى النهضوى الشامل أن يبدأ وتتحدد ملامحه ؟ هل هى مسؤلية جماعة المثقفين بعيدا عن الإطار الرسمى للدولة؟ أم هى مسؤولية الدولة بمؤسساتها المختلفة ؟

●● منذ بدأت الدولة الحديثة التى أسسها محمد على باشا والمجتمع المصرى يسير وفق قاعدة تطور معروفة وهى أن التطوير والتغيير دائما يأتى من داخل الدولة . هذا المشروع الثقافى لا يمكن أن تنهض به فئة من خارج السياق العام للدولة وإنما ينبغى أن تتبناه الدولة ثم يكتسب المشروع صداه لدى الفئات المتنوعة من النخبة وبالتالى على

هذه النخبة أن تقوم بمساعدة الدولة فى تطبيق هذا المشروع ، لكنى لا أعتقد أن هناك نخبة يمكن أن تقرر فى لحظة ما إعداد مشروع ومن ثم القيام بتنفيذه ، أولا هذه النخب لا تملك آليات التنفيذ غالبا إلا إذا كان من خلال الدولة. وغالبا فإن تيارات النخبة سوف تتصارع فيها بينها فى الرؤى والأفكار ، فالدولة هى القادرة على تنفيذ مثل هذا المشروع

● **الأستاذ عبد الله كمال**

أين ذهبت الطبقة الوسطى داخل المجتمع المصرى ؟

●● الطبقة الوسطى لم تتآكل بالعكس فإن الطبقة الوسطى تنمو بأشكال مختلفة والأدلة الاقتصادية على ذلك كثيرة ، فمثلا عدد المستخدمين للتعليم الخاص .. عدد مشترى السلع البيضاء .. عدد مشترى السيارات المتوسطة .. عدد مستخدمى التليفون المحمول .. عدد حائزى أطباق الاستقبال للبث الفضائى .. عدد حائزى الوحدات السكنية المتوسطة ..

كل هذه المؤشرات تؤكد أن الطبقة المتوسطة فى مصر صارت أكثر تنوعا ، لكن وسط هذه الطبقة المتوسطة هناك فئات مختلفة أكثر وضوحا ، ففى ستينيات وسبعينيات القرن الماضى كانت الطبقة الوسطى تشمل وتتكون من قطاع أكبر من موظفى الدولة، أما الآن فإ ن موظفى الدولة صاروا قطاعا من قطاعات الطبقة المتوسطة والتى تتكون من أكثر من عشرة قطاعات مختلفة ، سواء من النوع الفئوى أو من حيث المستوى الاجتماعى ، فعلى الجانب الفئوى هناك ٥ مستويات كما يلى:

- المتوسطة العليا
- المتوسطة الأقل من العليا
- المتوسطة
- المتوسطة الأعلى من الدنيا
- المتوسطة الدنيا

هذه الفئات متنوعة جدا يأتيها من أسفل الطبقة الفقيرة والمعدمة ويأتيها من أعلى الطبقة الأكثر ثراء والأغنى.

أما التغير الذى طرأ على الطبقة المتوسطة فإنها صارت أكثر تنوعا وزادت مع زيادة المناطق العمرانية الجديدة خلال العشرين سنة الأخيرة ، زادت كذلك مع زيادة أعداد المصريين العاملين بسوق العمل فى المناطق المحيطة بمصر ، زادت مع اتساع قطاعات البنوك وشركات التأمين والمؤسسات المالية وهذا القطاع يستوعب قطاعا عريضا من المصريين.

هناك ملاحظات مختلفة تؤكد أن هذه الطبقة لم تتآكل ولم تختف كما يقول الكثيرون وأنا أعتقد أننا (أنا وأنت أعضاء الطبقة الوسطى).

● الأستاذ عبد الله كمال

كيف ترى المشهد الحزبى فى مصر ؟

●● المشهد الحزبى يعانى من مشكلات مختلفة تتعلق بأن قاعدة التعددية معلنة وموجودة فى الدستور والقانون إلا أنها لا تجد المناخ الملائم والواقع الحزبى يعانى من فجوة رهيبة بين حزب الأغلبية الحاكم وبين الأحزاب الأخرى والتى تتوزع بين فئتين:

- فئة تكتمل لديها مواصفات الأحزاب لكنها تفتقد إلى الفاعلية والكوادر والتمويل

- فئة لا تنطبق عليها على الإطلاق صفة الحزبية .

وهناك حزب الأغلبية وهو الحزب الوطنى الديمقراطى وهوالحزب الأكبر عربيا .

هذا المناخ يحتاج الى المزيد من الجهد خاصة من أحزاب الفئة الأولى وأقصد بها أحزاب التجمع والوفد والناصرى وربما الجبهة الديمقراطية لكى تقوم ببناء نفسها بشكل مناسب وقادر على أن يقود التنافس الانتخابى فى مواجهة الحزب الحاكم.

● الأستاذ عبد الله كمال

نأتى للملف الشائك وهو الإخوان المسلمين

جماعة مرفوضة رسميا مقبولة شعبيا .. كيف نتعامل مع هذا الملف ؟

●● أنا أختلف معك اختلافا جذريا ..

الإخوان المسلمون جماعة محظورة .. وليس لهم تواجد حقيقى فى الشارع ، هم جماعة مكشوفة أمام المجتمع خاصة خلال الثلاث سنوات الأخيرة وبعد الانتخابات التى جرت فى ٢٠٠٥ إذ تبين نتيجة للممارسة العملية والحقيقية أننا أمام كيان شديد الهشاشة يعانى من صراعات حقيقية فى داخله ، لا يمكن أن تمسك بقوام الفكرة الأساسية التى يمكن أن يقوم عليها هذا التيار. هناك تفاوتات رهيبة فى الأفكار بين أجياله وبين وحداته المختلفة ، ليس لديه برنامج تنفيذي.. يجوز أن يكون هناك بعض الأشخاص المنتمين لجماعة الإخوان المسلمين يقومون على العمل الخدمى فى مناطق معينة ، إلأ أن هذا النجاح فى العمل الخدمى هو نجاح فردى لا ينسب للتنظيم. فليس لهذا النجاح الفردى علاقة بالفكر بل له علاقة بالقدرات الشخصية لهذه الأعمال الخدمية. وجهة نظرى أنه خلال السنوات الثلاث الماضية ونتيجة للتفاعلات ونتيجة لأن الإخوان صاروا فى بؤرة الأحداث وأصبحوا مكشوفين أمام الجميع على المسرح صارت لديهم مجموعة هائلة من المشكلات التى تؤكد أنه ليس لديهم مستقبل سياسى فى هذا البلد. وأنه لا ينبغى أن ننظر إلى الإخوان على أنهم طرف لابد من تحضيره بشكل أو بآخر على المسرح ، لأنهم ببساطة جماعة ما زالت تؤمن بالفكر الإرهابى الذى تنتمى آخر خطوطه إلى فكر القاعدة، استنادا إلى فكر القاعدة وفكر الإخوان المسلمين لهما نفس المرجعية الفكرية (سيد قطب).

لم تستطع الجماعة ولم تجرؤ على أن تجرى أى نوع من المراجعات الفكرية على الرغم من الضغوط المتنوعة التى تعرضت لها الجماعة بأشكال مختلفة سواء كانت مطالبات إعلامية أو تساؤلات لمراكز الدراسات فى الخارج أو مناقشات مع ممثلين لسفارات أو وزارات خارجية بعض الدول، أو حتى كرد فعل على الهجوم الذى يأتيها من الخصوم والسياسيين الآخرين. فلم تجرؤ الجماعة على أن تجرى هذا الحوار مع نفسها. أيضا تصر بشكل أساسى على أن تكون تكوينا سريا وهى لن تتخلص حتى لو صارت حزبا من هذه الخاصية الأساسية التى تتميز بها ، وبالتالى فهذه الخاصية تؤكد أنها غير مؤهلة على الإطلاق لممارسة أى عمل سياسى يقوم على الشفافية، وهى كذلك تؤمن بفكرة الوجهين فى ممارسة السياسة حيث هناك قول تستخدمه الجماعة لتحقيق مكاسب سياسية، والقول الذى يعبر عن قناعات الجماعة الحقيقية وهذا التناقض يجعل من الجماعة جماعة انفصامية ، لا يوجد سياق واحد يجمع بين خصائصها وبالتالى تعانى من

تناقضات داخلية متنوعة ما بين السرى والعلنى، ما بين الجيل الأكبر والجيل الأصغر، ما بين أعضاء النظام السرى وأعضاء الجهاز المعلن ، بين الرغبة فى ترضية الأطراف الغربية وما بين الرغبة فى ترضية الكوادر والقواعد الحقيقية .. كل هذه التناقضات والصراعات لم تساعد الإخوان على القيام بتطوير ذاتى بل استمر الوضع محلك سر .

وبعد الخضوع لهذا الاختبار شديد القسوة والعنف والذى دخلوه مفتوحى الصدر ومكشوفى الرؤوس كما لو أنهم سوف تكلل رؤوسهم بالأكاليل بعد فترة قصيرة. وهذا أدى بهم إلى أن يتعرضوا لعملية محاسبة ضخمة ومعلنة وطويلة كشفتهم وكشفت مشكلاتهم المتنوعة ومنها مثلا :

- أنه ليس لديهم موقف محدد من المرأة ومدى مشاركاتها فى الحياة العامة ، فلا يوجد اعتراف حقيقى بهذا الدور.
- ليست لديهم رؤية محددة ومعلنة وواضحة يمكن الإمساك بها بخصوص موضوع الأقباط ، فهم لا يريدون مشاركة الأقباط فى الحياة العامة على الإطلاق.
- ليس لديهم تصور واضح لشكل الدولة.
- ليس لديهم تصور واضح لعلاقة مصر مع الأطراف الأخرى فى المنطقة وبالذات إسرائيل وليس لديهم تصور حقيقى وواضح لطبيعة العلاقة الممكنة مع إسرائيل فى المستقبل.

هناك مجموعة تساؤلات تطرح نفسها :

هل يمكن ان تقبل الفكرة المبدأية التى قامت عليها المبادرة العربية بخصوص التطبيع بعد التسوية ؟

هل تقبل بفكرة الدولة على حدود ١٩٦٧ أم لابد أن تكون على حدود ١٩٤٨ ؟

كيف تنظر إلى اليهود فى المستقبل ؟

كيف ترى اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل ؟

إلى أى مدى يمكن أن ترى العلاقة بين مصر وإسرائيل ؟

كل هذه الأسئلة لن تجد لها إجابات لدى الإخوان ومن ثم أرى أنهم وكما يفقدون الشروط القانونية أو التأهيل القانونى لوجودهم على الساحة السياسية فإنهم كذلك يفتقدون الى المواصفات الأساسية فكريا وسياسيا وعقيديا لكى يصبحوا متواجدين على الساحة السياسية.

● **الأستاذ عبد الله كمال:**

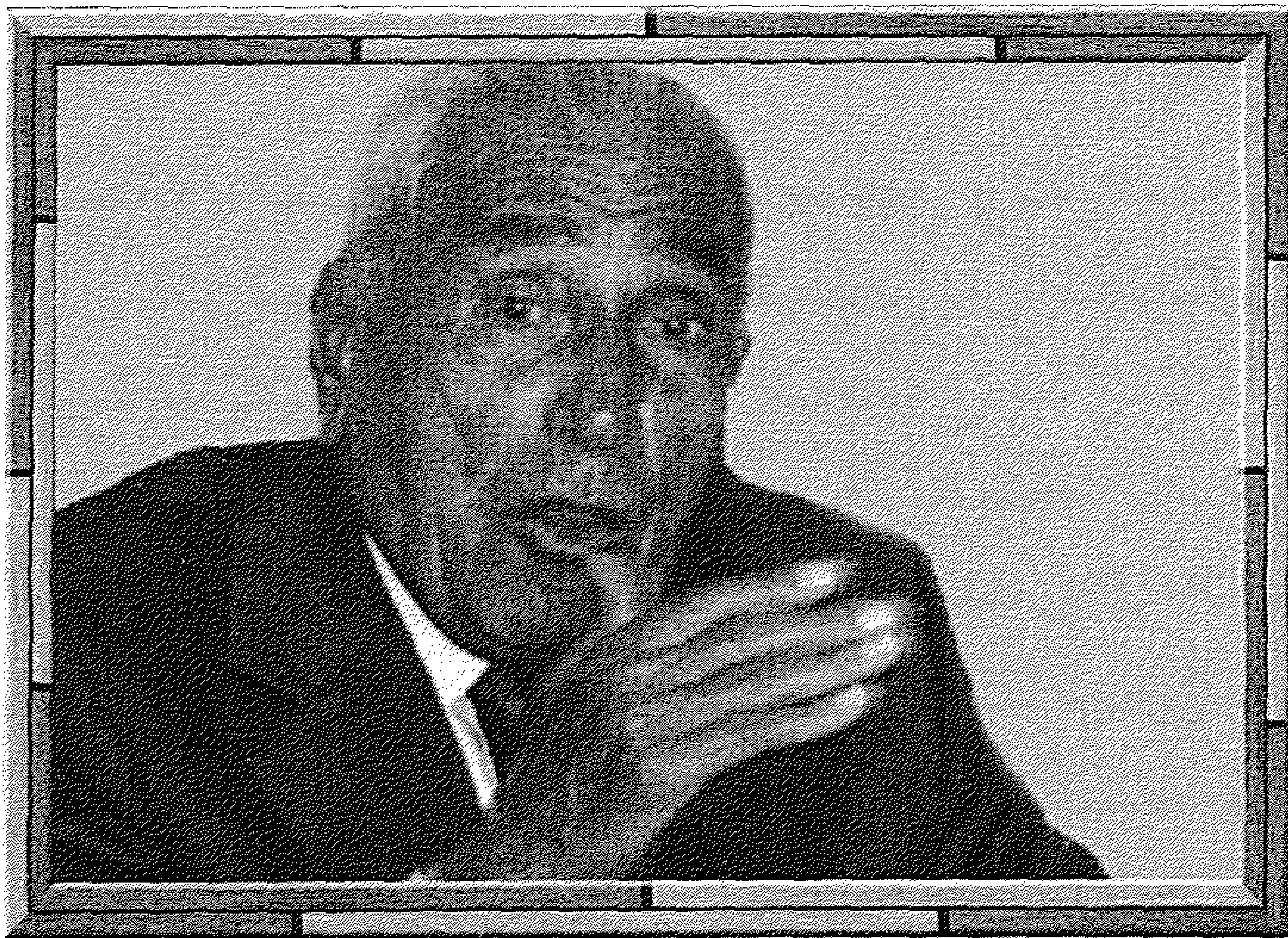
هل ساعد ضعف المؤسسات الدينية الرسمية كالأزهر والأوقاف إلى زيادة رصيد الإخوان بالشارع ؟

●● بالفعل طرأ ضعف شديد على هذه المؤسسات فى خلال ٤٠ سنة ماضية ، وهذا يعود لتراجع حدث بميزانيات. وهناك تأثيرات ضاغطة من بعض التنظيمات الدينية خاصة الخليجية ، وضعف التعليم الجامعى فى مصر كان انعكاسه شديدًا على المؤسسات الرسمية الدينية .

كل ذلك أدى إلى تراجع تأثير المؤسسات الدينية بالشكل الكافى ويجب ألا ننسى أن هناك جماعات راغبة فى التوسع الدينى داخل مصر وهى تملك القدرة والنفوذ ووسائل الإعلام المتنوعة إلتى أدت الى دعم وانتشار تلك الجماعات والتى ساعدت بالتبعية على استنزاف المؤسسة الدينية الرسمية من خلال إدخالها فى معارك متنوعة.

إننا نحتاج الى خطاب دينى متميز وقادر على أن يكون منفتحا ومتفاعلا.

***



الكاتب الكبير

محمد حسنين هيكل

رافقنى (مصطفى كامل) فى زيارتى للكاتب الكبير محمد حسنين هيكل بمكتبه على كورنيش النيل ، ومصطفى كامل الذى أقصده لا يختلف كثيرا عن الزعيم الوطنى الثائر (مصطفى كامل) الذى عرفناه من خلال تلك الصفحات الناصعة من تاريخ هذا الوطن ، أراد والده أن يقدمه قربانا للوطن فغرس فيه معانى الوطنية والانتماء منذ الصغر ، وكان هذا الوالد العظيم يقوم بإعداد (مصطفى) من أجل المهمة الوطنية الأسمى وهى المشاركة فى طرد الاحتلال الإنجليزى من مصر ولذلك أسماه (مصطفى كامل) تيمنا بالزعيم (مصطفى كامل) ومن المفارقات الطريفة أنه حينما كان صبيا شعر بالضياع فورخروج الإنجليز من مصر لأنه أحس أن مهمته التى يعيش من أجلها قد انتهت ولم يعد لوجوده فى الحياة اى ضرورة ! بقى أن تعرف أن هذا الوالد العظيم هو الشهيد الحى والفارس المغوار بطل معركتى الفالوجا وعراق سويدان فى حرب فلسطين ١٩٤٨ ، الذى اخترقت رصاصة غادرة جسده الطاهر وسكنت فى كبده واستمرت عشرات السنين ، وعاش هذا البطل الكبير لحظات فارقة فى عمر الزمن حيث شهد مشاركا فى كل الأحداث الوطنية ، إنه الشهيد البطل البكباشي (جلال ندا).

دخلنا ــ كاتب هذه السطور والمهندس مصطفى كامل جلال ندا - مكتب الأستاذ/ هيكل، واستقبلنا الرجل بحفاوة وترحاب ، وأخذ الرجل ينظر الى (مصطفى) وكأنه بقايا من شجرة عملاقة .. كأنه بعض من فيض لوطنية خلاقة سطرها البكباشى جلال ندا ، فوجئت بأن آخر لقاء تم بين الرجلين كان منذ خمسين عاما! دقائق معدودة استرجع فيها الرجلان أحداثًا ومواقف مؤثرة فى تاريخ هذا الوطن، كنت أجلس أمام الرجل الذى بدا متواضعا وبسيطا وحانيا، لقد ذهبت لمقابلة الأستاذ محمد حسنين هيكل بمكتبه، ولم أكن أنوى أن أجرى معه حوارا صحفيا أضمه إلى سلسلة حواراتى حول المستقبل. فالرجل أوضح فى أكثر من مناسبة أن رؤيته لمستقبل مصر نابعة من قراءته الدقيقة لما يدور على المسرح السياسى فى مصر. لقد أبدى الرجل قلقه الشديد على مستقبل هذا الوطن ولكنه ورفقا بشباب هذه الأمة قد ترك باب الأمل

مفتوحا كى يمر منه البعض ، لذلك كان هدفى من اللقاء هو اللقاء ذاته !! فكونك تجلس متحدثا أو منصتا لرجل بحجم ومكانة هيكل وبصرف النظر عن موضوع الحديث فذلك أمر جلل لأسباب تتعلق بشخص الرجل وآرائه وتاريخه وأسباب أخرى تتعلق بما يدور على المسرح السياسى المصرى فى هذه اللحظة الراهنة. بيد أننى أردت فقط أن أعرض على الرجل ملامح فكرة .. فكرة من أجل المستقبل.. بعد أن اعتدلت فى جلستى قبالة الرجل ، نظرت إليه وكأننى أنظر إلى صفحات مضيئة من تاريخ مصر.. شكرته كثيرا على المقابلة وشكرته كثيرا على حفاوته..

قلت له إننى أبحث عن أجزاء ممزقة من خريطة المستقبل ، أبحث عنها فى كل مكان ، إننى على يقين بأن تلك الخريطة موجودة هنا .. داخل هذا الوطن .. فى عقول النخب الوطنية من المثقفين والمفكرين والقادة الحقيقيين لهذا المجتمع ، إننى بدأت رحلة البحث .. ليس بحثا عن الذات ، وإنما بحثا عن رؤية وطريق وبرنامج ونقطة بداية ولحظة تنطلاق. لقد بدأت رحلتى بمقابلة العديد من النخب من كافة التيارات والاتجاهات والأجيال من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، وخرجت بحصيلة نادرة من الرؤى والأفكاروالأطروحات .. ولكن عجبا أن يتفق الجميع على أننا نعيش أزمة طاحنة على كافة المستويات، وكذلك يتفق هؤلاء على حتمية البحث عن مخرج عاجل وسريع .. لكن نقطة البداية كانت تتأرجح بين برنامج وآخر حسب المرجعيات الخاصة بكل شخصية .. كنت أتحدث بحماس شديد وكانت ألفاظى وعباراتى دقيقة ومحددة ، كنت أتحدث إلى الرجل وكأنى أحمله مسؤولية ضياع خريطة المستقبل ، كان يلازمنى شعور متقطع بأن الرجل يجامل الماضى كثيرا- ربما عن قصد- على حساب المستقبل ، كنت على قناعة بأن قيمة كبيرة فى وزن هذا الرجل.. لديه ما يقوله حول المستقبل .. لكن كونه كان شاهدا ومشاركا فى صياغة المرحلة الأخطر فى تاريخ مصر جعله يميل إلى تحليل الماضى وصياغة التاريخ وسرد أدق تفاصيله من خلال الوثائق النادرة التى يحتفظ بها ، كنت أتحدث بحرية شديدة وبلا تحفظ وساعدنى فى ذلك التركيز والاهتمام الشديد الذى بدا عليه الأستاذ. توقفت لحظة وقلت للرجل لقد جئت اليوم إلى هنا من أجل المستقبل لا من

أجل الماضي ولا حتى من أجل الحاضر ، فالماضي يقودنا الى الخلاف والحاضر يدفعنا إلى الاختلاف..

وهنا رد " الأستاذ " بقوله إن الحديث عن مستقبل مصر من أخطر الموضوعات التي يمكن الحديث عنها وحولها. إن الحديث عن المستقبل ليس بالسهولة التي يتخيلها البعض ، وحتى يكون هناك حديث جاد حول المستقبل لابد أن تكون أحداث الماضي فى الحسبان مع ضرورة الإلمام بتفاصيل اللحظة الراهنة. لا يمكن لأى من الشخصيات التى قابلتها وحدثتها عن المستقبل أن تستطيع تحييد الماضي وغض الطرف عن اللحظة الراهنة ، وتوقف الرجل برهة وقال أنا أحدثك كأب أو كجد ولا أود أن أجامل فى غير موضع المجاملة ، أنت تبحث عن خريطة ضائعة أو مضيعة ، تبحث عن رؤية أليس كذلك ؟

● قلت للأستاذ هيكل

بالفعل أنا أبحث عن تلك الرؤية لدى تلك النخب الوطنية من كافة الاتجاهات.

●● قال الأستاذ هيكل

عند هذه النقطة أنا أختلف معك إلى حد ما .. فطالما نتحدث عن المستقبل فإننا فى أمسّ الحاجة إلى «رؤية فريش» إلى رؤية «طازة» جديدة وثابة شابة ، إنني وأبناء جيلى ننتظر تلك الرؤية الجديدة التى قد تدفعنا جميعا للالتفاف حولها ..

● أما البحث عن رؤى وآراء لدى هذه النخب بما فيهم هيكل شخصيا فأنا أتصور أن هناك صعوبة فى ذلك ، فكل هؤلاء سواء من كان منهم فى السلطة أو من كان منهم صاحب فكر ليس لديه جديد ليقدمه أو يقوله أو يوصى باتباعه ونحن نتحدث عن المستقبل ، ما أريد أن أقوله أننا بالفعل فى حاجة الى رؤية جديدة ولكن أين هى تلك الرؤية ؟ ومن هو الشخص الذى يحملها لنا ويقدمها للوطن ؟

جيد جدا أن يكون هناك الآن من يبحث عن خريطة مفقودة للمستقبل وجميل جدا أن تذهب لمقابلة تلك الشخصيات الممتازة وتناقشها حول المستقبل .. لكن الأهم هو ألا تتحول محاولتك هذه إلى مجرد (لقاءات صحفية أو سبق صحفى) لكن يجب أن تقوم باستخلاص رؤية جديدة شابة وغير تقليدية من بين كل هذه الرؤى والآراء (نحن جميعا فى انتظار رؤية طازجة وجديدة نخطو بها خطوات نحو المستقبل).

لقد رأيت بعد هذا الحوار أن المحاضرة التى ألقاها " الأستاذ" فى جامعة أكسفورد تستحق القراءة والتحليل ومن ثم رأيت أن أضم الجزء الأكبر منها إلى هذا الكتاب وفى هذه المساحة بعد هذا اللقاء السريع مع الأستاذ .. نص المحاضرة (...... إننا نتحدث كثيرا عن عالم واحد لكن مثل هذا الحديث فيه قدر من المبالغة، أو ربما التمني، فقد نكون فى حكم الجغرافيا عالما واحدا، لكننا فى حكم التاريخ عالمين: شمال وجنوب، وليس يجدى أن نتأدب ونجامل فى الحقيقة، وكذلك ليس يجدى أن نكتفى بالنظر إلى النخب المتعولمة فى الجنوب، وننسى الكتل الهائلة من البشر وراءها بل وبعيدا عنها .إن هناك عالمين: شمال وجنوب - والفجوة بين الاثنين واسعة وخطرة، وهى تزداد اتساعا وخطرا إذ تلتبس الحقائق وتتداخل الهواجس بين المثالى المفترض وبين الواقع العملى المعقد عند صناع القرار والأفكار، وعندما تتلكأ قنوات النقل والتدفق الحر، وتتلوى مرات وتنسد مرات، وتصبح الفجوة هوة، والهوة هاوية، وتتحول الرسالة لغما فى حرف أو قنبلة فى رسم! حضرات السادة: إذا كانت دعوتكم مبعث سعادة وشرف لي، فهى فى ذات اللحظة مسؤولية تدعونى أن أتحدث معكم بصراحة وأمانة، أزعم أنها قد تكون مقبولة منى وربما مغفورة .ذلك أننى رجل من عالم الجنوب يدرك هموم عالمه لأنه يعيش واقعه، وهو يتحدث إلى عالم الشمال ويحسب أنه يستطيع فهمه، بظن أن الظروف أتاحت له أن يعيش مهنة الصحافة فى الجنوب وفى الشمال معا، فقد كتب فى العالم العربى وعنه، ومارس فى الجريدة والكتاب والتليفزيون هناك، ثم إن الظروف منحته فرصة أن يمارس هنا كذلك - وانطلاقا من هذا البلد بالتحديد، حيث قامت صحف ودوريات بريطانية عديدة مثل «التايمس»و«الجارديان» و«الإندبندنت» و«الأبزرفر» بنشر مقالاته وأحاديثه،ثم إن مؤسسات نشر عريقة قامت بإصدار الطبعات الأصلية من كتبه، فظهرت كاملة فى المكتبات لطالبيها، ثم نشرت على فصول مسلسلة حملتها صحف كبرى مثل «الصنداى تلجراف» و«الصنداى تايمز» إلى جانب

مقالات وأحاديث وغيرها، وكل ذلك أخذ عمله إلى لغات كثيرة وصلت بـه واسـعا وبعيدا ! حضرات السيدات والسادة قلت إن انتمائـى لعـالم الجنـوب يجعلنـى مـدركا لهمومه ومشاكله، وقلت إننـى زائـر للـشمال يظـن أو يتـوهم أنـه يـتفهم هـذا العـالم ومحركاته، وقلت إن المسافة بين العالمين واسعة وتزداد اتساعا، وأسمح لنفسى بالقول ومن هذه الحافة بين العالمين بأننا نحتاج الآن وبسرعة إلى جسور لعبـور هـذه المسافة، وإلا تصادمت الكتل ووقعت انفجـارات مهولـة تـسقط مثـل الكواكـب التـى يختـل مدارها فى ثقوب سوداء فى مجاهل الفضاء! - وبعض ذلك وارد، واحتمالاته تتزايـد إن لم نبذل جهدا، وأول الجهد أن نتصارح، مهما كانت المصارحة مزعجـة ! دعـونى أبـدأ وأقول بتعميم إجمالى إن عالمنا فى الجنوب يشعر بأن القـرار الـصادر مـن مراكـز القـوة الدولية - كما يصل إليه - يصدمه بقسوة لا يبدو أنها تأبه وتهتم - وبإصرار على العنـف لا يبدو أنه يخشى أو يتحرج - ثم إن صوت الحوار لا يدعوه إلى مشاركة، لأن القرار فى معظم الأحيان ينقض عليه بغتة ودهما .يشعر عالمنا فى الجنوب كذلك أن دنيا الأفكـار والعلوم والفنون - كما تضيء أمامه من بعيد - ليست مقبلة عليه أو مرحبة به كما يأمـل ويتمنى. ثم إن صوت الحـوار يـصل إلى الجنـوب - إذا وصـل - مـثقلا بـشوائب مـن التحيز بل والعدوانية ! وهنا وفى هذا السياق فإننى أسـتأذن أن أطـرح أمـامكم ثـلاث ملاحظات، آمل أن توضـع فى اعتبـاركم، راجيـا أن لا يعتـبر القـول فيهـا نوعـا مـن الشكوى أو عارضا من هواجس عقد نفسية لدى القـائلين بهـا، وإذا بـدا ظـاهر هـذه الملاحظات بعيدا عن الموضوع، فإننى آمل فى صبركم لعله يتضح أنهـا قريبـة منـه إن لم تكن فى صميمه .

أولى الملاحظات: أننـا لـسنا أمـام صراع حـضارات متعـددة متعارضـة يمكـن أن تتصادم أو تتصالح، لأن شواهد التطور التـاريخى تـومئ إلينـا بأنهـا حـضارة إنـسانية واحدة، صب فيها الجميع ما زاد عندهم أوقـات الفـيض، وسـحب منهـا الجميـع مـا لزمهم أوقات الجفاف، وساعدوا - كل فى زمانه - على مـلء خـزان هائـل للحـضارة الإنسانية أصبح شراكة طبيعية ورصيدا جماعيا متاحا بالحق لمن يريـد ويـستطيع. ومـن المفيد هنا أن نتذكر أنه مع اتساع الأرض واتصال التاريخ - فإن كافة الشعوب والأمم قدمت ما راكمته من ثقافات البيئة والمعرفـة والتجربـة - وعـن طريـق الانتقـال الحـر للمنـافع - إضـافات سـخية ومـستمرة وتلقائيـة - إلى المـشترك البـشرى الجـامع .

لذلك حدث حالة التأمل والفلسفة بحثا عن الحق والحقيقة - حالة كشف العقل حين تعرف الناس فى الفجر الإنسانى الأول على ملكات التصور، وتوصلوا إلى سر الحرف فى الأبجدية وسحر الرقم فى العدد - حالة التنبه إلى معجزة الزراعة - حالة صناعة الأدوات والمعدات - حالة فنون المعمار - حالة فتح الطرق واستئناس وسائل المواصلات - حالة صنع السفن وركوب البحار - حالة النظر إلى الفلك ومسارات النجوم، إلى آخره .

فى هذه الحالات وغيرها فإن الثقافات الطالعة فى كل مكان شقت جداول وينابيع محلية، فاضت على جوارها عندما تبين هذا الجوار نفعها، ثم التقت هذه الجداول والينابيع لتكوِّن ما يمكن أن نسميه مجمع ثقافات أو أحواض حضارة بعضها يكاد يكون مرسوما محددا كخط بالقلم ومثاله الأظهر حوض البحر الأبيض - ثم إن الأحواض الحضارية فى كل إقليم من أقاليم الدنيا امتلأت وفاضت، وتمددت واتصلت بحيث بسطت محيطا واسعا لحضارة إنسانية قابلة للانتشار، قادرة على العطاء، عابرة للزمان والمكان .

وعلى امتداد عملية التفاعل بين الثقافات وهى تتدفق من مواقعها الأولية وأحواضها الأوسع إلى المحيط الكبير، وما بين الصب والسحب من الرصيد المشترك للحضارة الإنسانية فإن الحوض الحضارى للبحر الأبيض تحركت عليه تيارات تتبدى وكأنها خريطة مناخية حية موصولة بين معابد وقصور بابل ومنف إلى أروقة وأعمدة أثينا - إلى مكتبة الإسكندرية، إلى دار الحكمة فى بغداد - إلى دمشق - إلى قرطبة، ثم عبر صقلية نحو جنوب أوروبا - إلى إيطاليا - ثم إلى الشمال نحو ألمانيا وفرنسا وبريطانيا، ثم يتجه الخط عابرا للأطلسى إلى أمريكا ينفذ من الشاطئ إلى الشاطئ فى اتجاه الباسيفيك، ليعود فيطل على شرق آسيا، فإذا الحيوية المتجددة لفيض البحر الأبيض عبر الأطلنطى - تجتاز المحيط الهادى لكى تلتقى هناك بالحوض العميق للحضارة الصينية .

لقد تصادف هذا الصيف أننى وقفت أمام مكتبة الإسكندرية التى أعيد بناؤها، ثم كنت بعد أيام عند سفح" الأكروبول"، ثم صعدت سلم كنيسة القديس «بطرس» فى الفاتيكان، ثم تجولت متأملا معالم النهضة ومقتنيات القصور فى «فلورنسا»، ثم مشيت فوق جسور ڤنيسيا نحو ميدان القديس «مرقس»، وعند هذه المواقع ومشاهدها ملأت

خواطرى عبارة كتبها الأستاذ Stefano Carboni أمين متحف «المتربوليتان» فى نيويورك قال فيها: «إن حوض البحر الأبيض المتوسط حدود سائلة ! Liquid Frontiers، وذلك وصف دقيق لحركة الثقافات فى صنع أحواض حضارية، ثم فيضان هذه الأحواض لتصنع محيطا حضاريا عالميا وإنسانيا واحدا، وربما أننا إذا عدنا لحظة إلى مجال السياسة نتذكر أن هذا المحيط الإنسانى ينسب - ولو من باب المجاز - فى كل عصر إلى القوة الغالبة فيه: فهو فرعونى فى عصر - إغريقى فى عصر ثان - رومانى فى عصر ثالث - مسيحى فى عصر رابع - إسلامى فى عصر خامس - أوروبى فى عصر سادس - أمريكى هذه اللحظة العابرة ! ومع تعدد اللغات فى حالة الثقافات، فإن الحضارة لها لغة رئيسية فى كل آن - هى لغة القوة الغالبة فى زمانها، فهذه اللغة الرئيسية نطقت يونانية لحظة - لاتينية لحظة أخرى - عربية بعد ذلك - ثم فرنسية أو إنجليزية فى هذا الزمان - وقد تصبح نبرة أخرى غدا أو بعد غد ! وعلى تقلب العصور فإن غلبة القوة لا يصح أن تُنسينا شراكة الرصيد الإنسانى لمحيط الحضارة - فوق أى إمبراطورية - أو لغة! أنتقل إلى ملاحظة ثانية ملخصها أنه قبل سنوات قليلة وقع استغلال فجيعة إنسانية محزنة ضربت مدينة نيويورك فى الحادى عشر من سبتمبر٢٠٠١ ، وبهذا الاستغلال تحولت الفجيعة إلى عملية تلاعب مقصود بالصور وبأسلوب خداع البصر، فإذا العالم يفاجأ بأن صورة المسلم - عربيا وغير عربى - قد أزيحت لتحل محلها صورة المتعصب الإرهابي، ثم تضافرت عناصر من عوالم القرار والأفكار والحوار تحت ضغوط المصالح المتصارعة بقصد ترسيخ هذا التلاعب بالصور وخداع البصر، إلى حد إعادة كتابة قصة الإرهاب فى التاريخ، فإذا الشمال بريء منه، وإذا الشرق الأقصى بعيد عنه، وإذا الدين الإسلامى وحده مرادف للانتحار والقتل فى المخيلة العامة الشائعة فى الشمال . نلاحظ أن رمزا دينيا له مقامه هو بابا الفاتيكان «بنديكتوس السادس عشر «وقف يتحدث عن الإسلام وعن الحضارة فى جامعة ألمانية، فإذا هو يلحق «التمدن «بالشمال، والهمجية بالجنوب الإسلامي، ويقرر ولو بالتلميح أن الفارق بين العالمين» :أن الغرب أخذ من المسيحية ثم من الفلسفة اليونانية ما يميزه عن غيره فى إعلاء قيمة الإنسان، وكان أمل كثيرين ورجاؤهم لو تذكر خليفة «بطرس الرسول» أن المسيحية كلها غيث نزل على الشرق وفاض على الغرب رسالة وحكمة - حواريين وقديسين - قصصا

وتعاليم - صلوات وترانيم، كما أن السيد «المسيح» نفسه من مواليد «الناصرة»، والقديس«بطرس» - الذى يقوم الفاتيكان على رفاته من أبناء القدس - كلاهما من الشرق، وأن القديس «مرقس» الذى تقوم كنيسته بمعمارها المتميز على أجمل ميادين أوروبا «سان ماركو» مولود فى أقاصى صعيد مصر، وكان مدفنه فى الإسكندرية، ومنها أخذ رفاته «ولا أقول سُرق) فى القرن التاسع إلى «ينيسيا» - وذلك رغم أن كبار فنانى النهضة جنحوا إلى تصوير هؤلاء الرسل والقديسين والحواريين معظم الوقت أصحاب بشرة بيضاء وعيون زرقاء وشعر ذهبي.

هذا عن التأثر بالمسيحية فى شأن تمدن الشمال أو تمدن الغرب. وأما عن نفحة الفلسفة الإغريقية، فليس هناك من لا يعرف أن الفلسفة الإغريقية لها مقدمات سبقتها وجوار مشرقى أحاط بها وانساب إليها، ثم إن الفلسفة الإغريقية ضاعت من أوروبا فى ظلام القرون الوسطي، بينما كان الجنوب الإسلامى فى حالة انتعاش وتدفق ثقافي، وضمن تفاعلات هذا الانتعاش والتدفق فإن الفلسفة الإغريقية عادت إلى أوروبا عن طريق فلاسفة الأندلس العرب، وعلى رأسهم الفيلسوف المسلم الأشهر «محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي»، ولم يكن «ابن رشد» وغيره من فلاسفة الإسلام مجرد وسطاء أو ناقلين، وإنما كانوا مجددين زادوا بالدرس، وتوسعوا وأحاطوا . هى إذن حدود سائلة على حد وصف أستاذ متحف "المتربوليتان" الحكيم. حضرات السيدات والسادة بقيت ملاحظة ثالثة أتمنى أن ألمسها فى رفق. إننى توسعت كثيرا فى حديث التاريخ، بينما حديثنا عن الصحافة، وظنى أن هناك صلة من نوع ما بين الاثنين، معقدها أن الشرق المسلم ومعه مسيحيوه يدفع الضرائب مرتين: الأولى - لأن حركة التقدم العالمى بسبب ثورة العلوم والتكنولوچيا لم تعطه حتى الآن فرصة لالتقاط الأنفاس، يمسك لحظتها بالعصر ويواصل معه. والشرق الإسلامى ومعه مسيحيوه تعذر عليهم اللحاق لأسباب معقدة ليس هذا مجالها . والثانية - وهى التى تعنينى لاتصالها بموضوع الإعلام، وملخصها أن الشرق المسلم يعانى من أن الأقلام والأضواء والعدسات كلها توجهت وتركزت عليه، بينما هو يعانى المرحلة الأصعب فى الانتقال من قديم إلى جديد، ومن تأخر إلى سبق، ومن عتمة إلى نور . وبالطبع فإنكم تتذكرون أن ولادة الجديد عندكم جرت وراء ستار، وأما فى عالمنا فإنها جارية فى منتصف النهار، وكذلك كان الجديد عندنا حملا ومخاضا وميلادا

عاريا تحت الوهج وعلى مرأى ومسمع من عالم يتابع ما يجري، متجاهلا حقيقة أن الحمل والمخاض وولادة الجديد ـ حتى وإن كانت مؤلمة عندكم كما هى عندنا ـ فإن الفارق أنها جرت عندكم مكتومة لتظهر بعدها فى كتب التاريخ بأثر رجعي، لكنها عندنا جرت على الهواء مباشرة فبدت وكأنها فضائح بالصورة والصوت واللون . حضرات السيدات والسادة لقد كنتم محظوظين فى اجتياز الجسور من التخلف إلى التقدم – ولم يكن لدينا مع الأسف هذا الحظ أو بعضه. ويسأل بعض زملائنا هنا فى الشمال: وماذا نفعل؟ – وأليست تلك طبيعة عصر السرعة؟ والتساؤل صحيح – والرد عليه بأمانة: أن الإعلام فى الغرب ليس مطالبا – بالتأكيد – وهو يغطى الشأن الجارى فى الجنوب بأن يستعيد السجلات كل مرة – لكن المرادف المعنوى لتعذر الاستعادة هو استذكار درجة من ثقافة الإدراك والتعاطف والموضوعية . دعونى أقل إنه ليس من باب التعسف أن نسأل :ماذا لو أن الصحافة الحديثة وضمنها وكالات أنباء مثل: «رويترز» أو مؤسسات مثل A.B.C، وC.B.S ، وN.B.C، والجزيرة، وSKY، و FOX، وC.N.N، كانت حاضرة زمن حروب الأباطرة والملوك - والكرادلة والعلماء - والمذاهب والطوائف - والقوميات والطبقات- والإمبراطوريات والتحديات الإمبراطورية لها فى أوروبا؟! ماذا ءلى سبيل المثال لو كانت هذه الصحافة الحديثة حاضرة أيام مذبحة «سان بارتوليو» – مثلا – حين جرى ذبح مئات الألوف من «الهوجونوت» الفرنسيين على أيدى مواطنيهم من الكاثوليك، بتحريض كرادلة ونبلاء؟ !

وماذا لو كانت هذه الصحافة الحديثة حاضرة فى ميدان «الكونكورد» حيث كانت مقصلة الثورة الفرنسية تدور وتقطع رؤوس الملوك والأمراء والسياسيين والمفكرين كل يوم من الصباح إلى منتصف الليل؟! – أو لو عبرت البحر إلى برج لندن، تنقل ما يجرى وراء أسواره للإخوة من النبلاء والمحظيات وأولياء العهود من مآس وأهوال؟ ! وماذا لو كان هناك بث على الهواء مباشرة لوقائع الحرب الأهلية الأمريكية، حين قتل فيها الأخ أخاه، وانتهك عرضه، وحرق زرعه واستباح مدنه وقراه فى أطول مجزرة عاشتها أمريكا، وأغزر شلال دم تدفق فى العالم الجديد؟ !

وماذا لو كان البث المباشر نفسه حاضرا ينقل على الهواء مباشرة مشاهد بعض أو أشد الأعمال ظلما فى تاريخ الإنسانية؟! – تلك التى كان الشمال لسوء الحظ فاعلها، من

ظاهرة الاستعمار إلى ظاهرة العبودية - وإلى ظواهر أخرى متوالية فى قلب القرن العشرين، وضمنها الستالينية والفاشية والنازية، ومعاداة السامية، ومحارق الهولوكوست التى طالت اليهود وغيرهم من الأجناس والأعراق . وماذا لو أن هذه الوسائل كانت حاضرة وعلى الهواء مباشرة تنقل الحرب الأهلية فى إسبانيا، وتنقل فظائع «جويرنيكا» و«فالينسيا» و«توليدو»، بدلا من أن تعتمد فى وصفها على لمحات من كتابات فنانين وساسة من وزن «بابلو بيكاسو» و«أرنست همنجواي» و«أندريه مالرو» و«هيو توماس»؟ !

تذكرون أن وسائل الإعلام الحديث لم تلحق إلا قرب النهاية بأهوال الحرب العالمية الأولى، وإلى حد محدود بالحرب العالمية الثانية، ونعرف بالطبع أن هاتين الحربين العالميتين كانتا صراعا بين قوى الشمال ذاتها، لكن الأطراف المتحاربة نقلت ميادين القتال إلى جميع القارات وفرضتها على كل الأمم والشعوب، وكانت الحصيلة الإنسانية ما بين ستين وسبعين مليونا من القتلى، وما بين مائة وخمسين إلى مائة وسبعين مليونا من الجرحى فى الحربين معا، وعندما جاء المشهد الأخير فى الحرب العالمية الثانية ووقع استعمال السلاح النووي، فإنه لم يكن هناك نقل مباشر على الهواء، وعلى أى حال فقد اكتفينا جميعا بسماع أصداء المأساة قائلين فى نَفَس واحد شمالا وجنوبا: لن يتكرر ذلك مرة أخرى، ومع ذلك ورغم هذا التعهد الإنسانى الجامع فإنه عندما نشبت المعارك فى أفغانستان والعراق، لم تتورع القوات الأمريكية عن استعمال أنواع من أسلحة «اليورانيوم» المستنفذ، وتلك درجة من الاستهتار بالوعد وبالإنسان - يصعب اغتفارها .

حضرات السيدات والسادة

تلاحظون أننى أطلت الحديث فيما جرى عندكم، وكنت فى ذلك عامدا حتى تبين الصورة أمامكم، ومع أن ذلك إلحاحا، أعتذر عن طوله ولا أعتذر عن مقصده، فمن الإنصاف أن نتمثل وجها آخر للحقيقة وهذا هو الحال دائما، فإلى جانب ما عرضت لطرف منه - وكان يمكن أن أمضى فى قوائمه إلى ما لا نهاية - فإن هناك فضلا يصعب إنكاره مبدئيا على صحافة الشمال، أوله ودون تحفظ، أن بعض قضايانا توجهت إليها لمحات مضيئة لضمائر يقظى قاومت ضغوطا وتهديدات نعرف مدى خطرها ونقدر درجة نفاذها إلى دوائر صنع القرار والأفكار والحوار.

وعلى سبيل المثال فإنه رغم سطوة أصدقاء إسرائيل فإن بعضا من الحقيقة ظهر وبان عن قضية الشعب الفلسطينى الذى اقتلع من أرضه وأزيح إلى معسكرات وجيتوات مقهورة يائسة - ثم إنه رغم سلطان ما سُمى جماعة المحافظين الجُدد ومعهم مجموعة المستشرقين الجدد - فإن حقيقة ما جرى فى العراق تكشفت ابتداءً من غزو وطن عربى وتمزيقه بغرور وجهالة القوة وبذرائع مختلقة - كما أننا عرفنا أن الشعب العراقى فَقَدَ نصف مليون مواطن قتلوا، وثلاثة ملايين خرجوا لاجئين من وطنهم، بعضهم داخله فى العراق، وأكثرهم فى المنافى خارجه، ثم إننا بفضل تلك الضمائر اليقظى فى الشمال عرفنا ما جرى فى معاقل القهر من «جوانتانامو» - إلى «أبوغريب» - إلى الفالوجة - إلى البصرة - إلى الموصل .

إن تلك الضمائر الحية فى صحافة الشمال هى التى كشفت كثيرين من هؤلاء الذين قدموا خططا سياسية، والذين قدموا فتاوى علمية فى خدمة مشروع أخذه ما يعترى الإمبراطورية من حماقة القوة، وتجاهل ما تراكمه الإمبراطورية من حكمة الخبرة، ليثبت أن مشروعه هو الأقصر عمرا فى تاريخ الإمبراطوريات، لأنه الأقصر نظرا بينها !

إننا وأهم من ذلك كله فى تجربة الصب والسحب من الرصيد الإنسانى المشترك فى المحيط العالمى الأوسع، أخذنا هذا العلم البديع الذى قام هذا المعهد ليخدم أهدافه وهو: الصحافة مكتوبة مسموعة مرئية، ولا أتجاوز إذا قلت إنه أدى دورا هائلا فى حياة عالمنا . إنكم بالطبع سبقتم وطورتم، مستعينين باختراقات التكنولوچيا، حتى أصبح الإعلام العابر لمسافات الكون، أبرز ظواهر العصر وأقوى محركاته.

حضرات السيدات والسادة

على أن طبائع مراحل التطور كما تفتح باستمرار، تقيد أحيانا فتضع حدودا لما يمكن أن يأخذه الناس عن غيرهم، بل يتحتم عليهم أن يصنعوه فى تجربتهم بآلامهم، لأن هناك مجالات يستحيل فيها اختصار المعاناة بالنقل أو بالمحاكاة، تجنبا لإعادة اختراع العجلة من جديد .

وأول هذه المجالات هو مجال الحرية ليس بمعناها الشاعرى وإنما باعتبارها توجها إلى نظم دستورية وقانونية مضمونة بعقد اجتماعى وسياسى يفرض احترام الحقوق، وبحيث يستطيع أى مواطن حر أن يمارس مسؤولية المواطنة.

إن تجارب الحرية يصعب نقلها ويصعب انتشارها، وتعميمها بالحركة الطبيعية الذاتية لعملية التطور، بل يتحتم صناعتها من البداية إلى مقصودها، أو صيانة هذا المقصود والدفاع عنه، لأن العصور لا تتماثل - والأحوال لكل أحكامها . فعبر القرن العشرين - بالذات - تحددت القواعد والأصول عندكم، وأصبح ممكنا إرساء أصول وترسيخ بناء، وذلك لم يحدث بعد عندنا فى الجنوب، حيث مازالت الحدود مضطربة، ومازالت القواعد واهية، لأن الصراع من أجل التنوير والحرية والتقدم يتخبط محتدما وتحت ظروف عصية .

بينها أن هذه المعركة فى الجنوب تختزل فى لحظة زمنية راهنة معارك، واجهت الشمال متتالية، فهناك تعاقبت وتوالت عصور التغيير :الحرية والتنوير - الصناعة والتجارة - العدل الاجتماعى - المواصلات والاتصالات - الإنترنت وعالم النشر الإلكترونى - لكنه عندنا تزاحم ذلك كله مع تباين الخلفيات والرؤى والضرورات . وبينها أن تداخل العصور أحدث ضغوطا ومؤثرات حادة، قومية ودينية وطائفية ومذهبية أدت إلى خلط بين الأولويات، وإلى شطط فى الوسائل قاد أحيانا إلى مجاهل تاهت بعيدا بالمقاصد.

وبينها أن المناخ الذى يحيط بعملية ولادة تجرى على الهواء مباشرة، على قارعة الطريق وفى منتصف النهار يصيب جميع الأطراف بكل الأعراض التى تصاحب الانكشاف، ومنها الاضطراب والادعاء والإخفاء والتعمية.

وبينها أن نظم الحكم القائمة عجزت عن أن تؤسس لنفسها شرعية دستورية أو قانونية، ولم تعد سلطتها اختيارا وتفويضا وإنما إملاء وقمع، تعطلت إزاءه دواعى الرشد السياسى والاجتماعى وإدارة الأزمات، وذلك ساعد على الإساءة لمشهد التطور عندنا وإساءة إلى صورته .

ومع أننى أتردد كثيرا قبل أن أضيف أى مسؤولية إلى حساب غير المعنيين فى الأصل بها، فلابد من القول - ودون حرج - إن العنصر الخارجى يلعب دورا شديد السلبية فى منطقتنا من الجنوب - بالتحديد الشرق الأوسط. فهناك فى قلب هذه المنطقة ثلاثة دواعٍ للخطر أشير إليها باقتضاب لكى أتجنب تكرارا شائعا ومملا رغم صحته، وهى بالترتيب: الموقع الاستراتيجى - وأهمية البترول حتى يظهر بديل له - وإسرائيل.

وهنا فمن الحق أن أضيف أن التفاعل بين عوار الشرعية الذى أصاب الدولة العربية الراهنة - مع ضغوط التطور فى الداخل على النظم - مع دواعى الخطر من العناصر الخارجية - كل ذلك أدى إلى فجوات واسعة سمحت بالتدخل الدولى فى الشأن الداخلى للمنطقة، على أنه لسوء الحظ أن بعض النفاذ الخارجى إلى المنطقة لم يكن دائما ضيفا ثقيلا دعا نفسه، وإنما وصل مدعوا مرغوبا فيه لمناورات السياسة الداخلية وتوازناتها المتصورة أو المتوهمة !

حضرات السيدات والسادة

إذا كنت قد وجهت بعض الملاحظات وفى لهجتها نبرة حدة، فإننى لم آت إلى هنا مكابرا ولا معايرا.

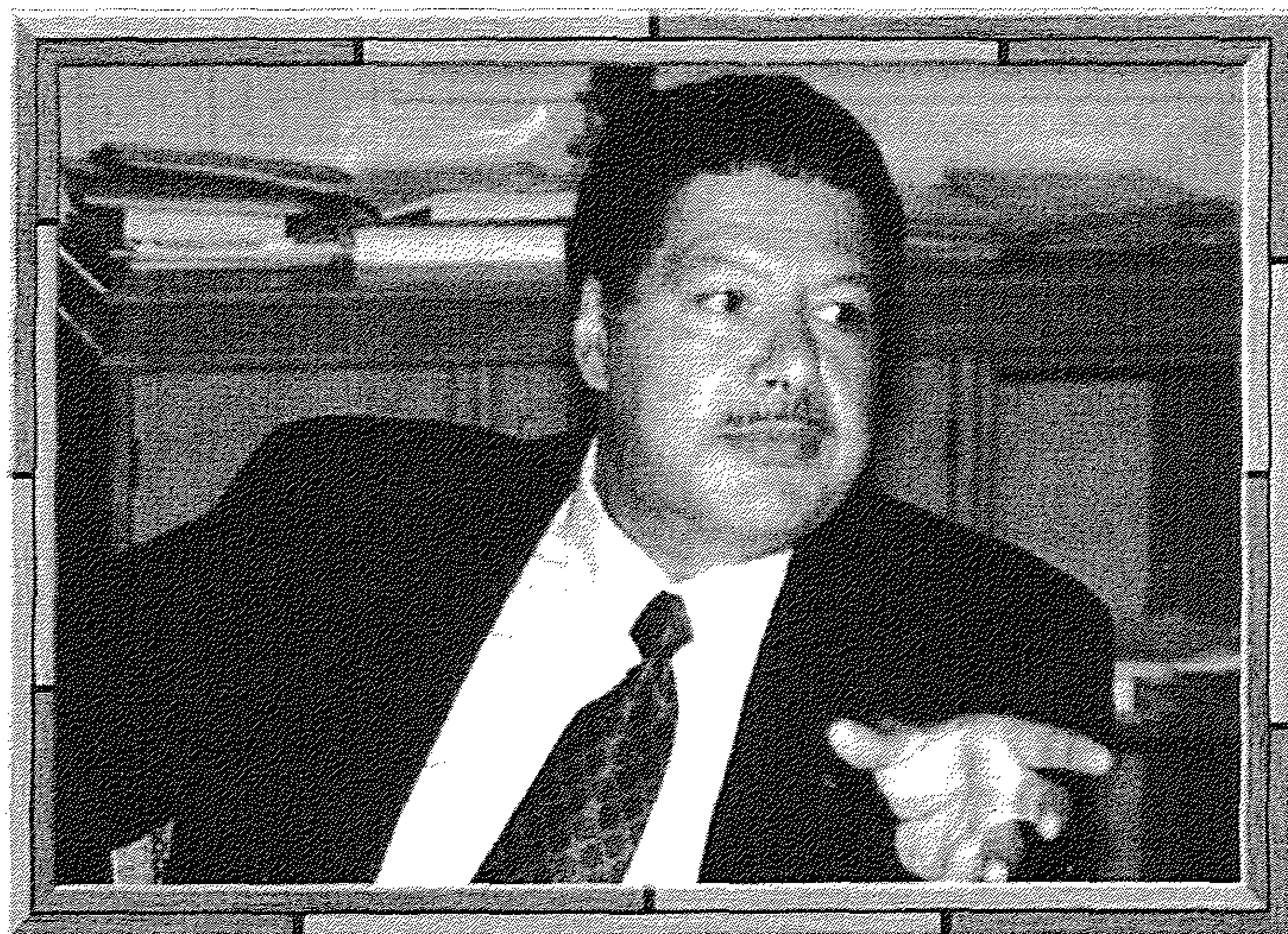
وإذا كنت فى الملاحظات نفسها قد اعترفت بالتقدير لضمائر حية أدت أمانتها عندكم، فإننى لم آت إلى هنا مادحا أو مهنئا.

وإذا كنت أخيرا قد لمست جانبا من الأوضاع الراهنة فى أحوالنا، فإننى لم آت إلى هنا شاكيا أو محرضا. لقد جئت إلى هنا لداعٍ رئيسى هو أن أطل على مشهد المحيط الحضارى الإنساني، قريبا من شاطئ المهنة التى تعنيكم وتعنينا - وجئت وورائى مؤسسة تحمل بمحض المصادفات اسمي، شاغلها خدمة الكفاءة المهنية لشباب الصحفيين العرب .

وقصارى ما أريده وذلك قصدى وهدفي، لا يخرج عن المشاركة معكم فى بناء جسر على موقع من مواقع الحضارة الإنسانية الواحدة التى صبت فيه كل الأمم ما تجمع لديها من نتاج ثقافاتها مما يكون صالحا للجميع، وحقا للجميع، لأنه ملك الجميع .

وشكرا لكم.

***



الدكتور

أحمد زويل

مستقبل العالم خلال خمسين عاما قادمة

تلقيت دعوة كريمة من عاشق الأوبرا الدكتور محمد البهتيمى لحضور افتتاح الموسم الثقافى لأوبرا الإسكندرية حيث اللقاء المرتقب مع صاحب جائزة نوبل العالم المصرى النابغة الدكتور أحمد زويل ، كانت الساعة تشير إلى الرابعة عصرا عندما اتصل بى الدكتور البهتيمى وكنت ساعتها فى مدينة القاهرة وكان الموعد المحدد لبدء اللقاء هو السابعة مساء بدارالأوبرا، تحركت فورا إلى مدينة الإسكندرية ورغم غزارة الأمطار المتساقطة إلا أننى وصلت قبل الموعد المحدد بنصف ساعة تقريبا ، وأمام دار الأوبرا كانت المفاجأة .. آلاف المواطنين من كل الأعمار ومن كافة التخصصات يتزاحمون حول شاشات العرض العملاقة المنتشرة خارج الدار رغم أن الأمطار كانت تتساقط بغزارة فى مشهد يوضح بجلاء أن المواطن المصرى يميل إلى الجدية وإلى احترام العلم وتقديس العلماء. وإذا توافرت القضية الجادة سيلتف حولها الجميع بكل حب وإخلاص ، تساءلت بينى وبين نفسى لماذا جاء هؤلاء؟ ولماذا تحملوا كل هذا العناء؟ بالتأكيد لم يكن الهدف فيلما سينمائيا ولم يكن مباراة للكرة ولكنها كانت محاضرة علمية وهذا هو المدهش حقا ، كنت أتفحص الوجوه وقلبى يتراقص طربا وأنا أجد الشباب والبنات صغار السن وهم يتزاحمون لمتابعة (محاضرة علمية). إذن عندما تتواجد القضية ويكون هناك قدوة فبلا شك سيكون هناك أمل..

دخلت إلى القاعة وتابعت تلك المحاضرة الرائعة التى تخاطب العقول وترفع آذان المستقبل ، فاستمتعت أيما استمتاع وسعدت أيما سعادة والآن رأيت أن أعرض على قراء كتابى هذا الجانب الأكبر من تلك المحاضرة ...

يقول الدكتور أحمد زويل

(هناك تغيرات عالمية كبيرة تحدث سواء فى المجال الاقتصادى أو السياسى أو الاجتماعى، وأنا فى اعتقادى أن هناك فارقًا كبيرًا فى أن تشترك فى صنع المستقبل حتى ولم تكن تعلم ماذا سوف يحدث فى هذا المستقبل بالفعل ، لكنك مشترك .. مشترك جيد فى صنع المستقبل ، وبين كونك بعيدًا تماما عن ما يدور، وبالتالى فإن مفكرى العالم مشغولون لأقصى درجة بهذه الرؤية .. ماذا سوف يحدث فى العالم ؟ لأن لديهم مشاكل عديدة فى العديد من القطاعات منها مشاكل الطاقة والمياه والتعليم والصحة والتلوث والأحتباس الحرارى والمشاكل التى تترتب على حدته ، وإذا زاد منسوب مياه النيل لا نعرف مدى العواقب التى تحدث لمصر والسودان ، وهناك تغيرات كثيرة جدًا وصراعات وحروب بين الشعوب نتيجة عدم وجود الطاقة وعدم وجود المياه ، وفى ضوء المتغيرات العالمية التى نراها .. فكيف نكون على الأقل مشاركين فى صناعة المستقبل؟ ، والنقطة الأخيرة التى لها علاقة بالعنوان، هناك الإعلامى الأمريكى الشهير (مارك روبلز) الذى يقدم برنامج ٦٠ دقيقة فى التلفزيون الأمريكى ، و هذا البرنامج يشاهده عشرات الملايين كل يوم أحد، و فكرته هو تجميع الشخصيات التى قابلها فى كتاب حيث يسأل كلا منهم عن رأيه ورؤيته للمستقبل ومنهم العلماء والإعلاميين والسياسين والمفكرين وبخبرة هذا الرجل هو يريد أن يعرف أين يذهب المجتمع الأمريكى خلال ال٦٠ سنة المقبلة..وأنا قمت بكتابة مقال حول هذه الفكرة وركزت على بعض الأشياء التى لها علاقة مهمة جدًا فى وضع المنطقة ووضع العالم العربى والإسلامى ، وهناك شيء واضح أمامى تماما وضوح الشمس ، وهو أن الذى يتحكم فى العالم خلال ال ٥٠ سنة القادمة هو الذى يمتلك (قوة المعرفة) سواء كانت تلك المعرفة فى الاقتصاد أو السياسة أو حتى فى الناحية الثقافية ،واليوم دولة مثل أمريكا لا تستطيع أن توقفها حيث تمتلك القوى المعرفية فى شتى المجالات .. هى لديها قوة تحولت الى ثقافة فى بعض المجتمعات فالمطاعم الأمريكية والوجبات الأمريكية والملابس الأمريكية مثل الجينز هى بمثابة سيطرة للثقافة الأمريكية والتى نتجت عن القوى المعرفية للولايات المتحدة ، والنقطة الثانية أن أصل كلمة معرفة تعنى العلوم والتكنولوجيا ، وهنا فى مصر كانت وزارة التعليم تسمى وزارة المعارف ، فكلمة معرفة هى العلم ولو لم يكن عندك سيطرة بالمعرفة فى ال ٥٠ سنة القادمة لن يكون لك قوة على الكرة الأرضية ! وهناك بعض الأشياء الشيقة تحدثت عنها فى المقالة المذكورة

والتى ستصبح مهمة جدا خلال ال٥٠ سنة القادمة ، الطب والصحة .. فكلنا نعلم أن هناك تركيبة جينية تتبع الحامض النووى (DNA) الذى يحتوى على الخريطة الجينية الخاصة لكل إنسان وتوجد فى كل خلية من خلايا الإنسان سواء خلايا المخ أو القلب ، فعدد سكان العالم الذى يبلغ ما يقرب من ٦ مليارات نسمة موجودين على الكرة الأرضية لديهم نفس درجة DNA بـ ٩٩.٩٪ فأى إنسان على وجه الأرض .. الأمريكى مثل الإفريقى مثل الآسيوى.. الفرق الوحيد بين هذا وذاك من البشر هو فى نسبة ٠.٠١ ٪، هذا ما يفسر أن هذا مصاب بمرض السرطان وهذا غير مصاب وهذا مصاب بمرض فى القلب وهذا غير مصاب ، هناك جسم جينى مهم جدًا من الناحية الطبية والصحية ، ولا يكفى فقط أن نعرف التركيبة الجينية الإنسانية ونحاول أن نقارنها بغيرها مثل القرود أو الفئران ، ولكننا نريد أن نعرف التركيبة الجينية للأشخاص فورًا ، وأنا متوقع فى ال ٥٠ سنة المقبلة أن يصبح لدى كل شخص الشفرة أو التركيبة الجينية الخاصة. وأول ظهور لحل الشفرة الجينية كان فى أمريكا بتكلفة كبيرة جدًا قدرت بالمليارات . تخيل (لو أنت عاوز تعمل) الشفرة الجينية لـ ٦ ملايين شخص فإن التكلفة ستكون رهيبة ، لكن بدأت أشياء أخرى تتقدم وتتطور فى العالم ، وأصبحت الأهمية الكبرى ليس معالجة الجين الإنسانى فقط ولكن الهدف هو معرفة الجين الإنسانى لكل إنسان وذلك مثل شريحة الهاتف المحمول الذى نتحدث إلى أى مكان فى العالم من خلال تلك الشريحة الصغيرة الموضوعة داخل هذا الجهاز ، سيكون هناك شريحة صغيره فيها كل المعلومات الطبية الخاصة بكل شخص من التركيبة الجينية لكل الأمراض ولكل المشاكل من لحظة الميلاد حتى الآن ، وأنا أعتقد أن كل ذلك سوف يكون مهمًا جدا لأسباب كثيرة منها أننا لم نعرف حقيقة التركيبة الحيوية للإنسان التى يسميها العلماء مركبة معتمدة على الكربون بمعنى أن كل الجزئيات الموجودة فينا معتمدة على الكربون وسوف نستطيع أن ندخل بعض الأشياء المعتمدة على السليكون، الموجود فى الحواسب الآلية وهذا يعنى أن الإنسان فى ال ٥٠ سنة القادمة سيكون تعريفه مختلف هل هو كربونى ؟ أو كربونى سليكونى ؟ سيصبح هناك عمل ضخم فى هذا الصدد فمثلا إذا ضعفت الذاكرة نستطيع أن نضع ونستخدم السليكون مثل الحواسب تماما.

أما ما لفت نظرى هو موضوع العقاقير، هناك ثورة خطيرة فى ال ٥٠ سنة المقبلة ، والدواء الواحد فى أمريكا يكلف شركة مثل فايزرأكثر من مليار دولار ، وحتى الآن لا نفهم كيف نصنع دواء يدخل على الخلية الإنسانية و يتفاعل مع مشكلة السرطان مثلا بشرط ألا يؤذى ويؤثر على شيء آخر.

وهناك مشكلة خطيرة جدا وأبعادها أخطر ولو استطعنا أن نحلها سنكون نجحنا فى حل مشكلة كبيرة .. (الزهايمر).. وهذا المرض سوف يصيبنا جميعا .. لا مفر .. لكن السؤال الأهم هو متى يأتى الزهايمر للإنسان ؟ وهل الإنسان سوف يفارق الحياة قبل الزهايمر أم لا ؟ فهل نعلم هذا الكلام وكيف نتعامل معه ؟ هناك دراسة أجريت فى أمريكا التى يقولون إن الحياة فيها سهلة إلى حد كبير ، إذا كان سن الأمريكى بين ٦٥ إلى ٧٤ سنة هناك احتمال أن يصيبه الزهايمر ٢٪ ، إذا كان سن الأمريكى بين ٧٥ إلى ٨٤ سنة هناك احتمال أن يصيبه الزاهايمر بنسبة ٢٠٪ يعنى واحد من بين كل خمسة، وإذا كان السن أكبر من ٨٥ سنة فإن النسبة ترتفع الى ٥٠٪ يعنى من بين كل اثنين هناك واحد سيصيبه هذا المرض .. ماذا يعنى هذا ؟ السن فى أمريكا عندما تم حسابه كان محسوبًا بدقة وذلك لأن المسائل الصحية والطبية و حياة الفرد مهمة جدا ولا تحتمل الصواب والخطأ وعندما تم حسابه وجد أن الزهايمر يشترك فيه عاملان من الواجب دراستهما :

الأول -الإنسان المصاب بالزهايمر- والثانى الأسرة التى تتعامل وتعول وترعى مريض الزهايمر ،لأن هذه الأسرة لا تستطيع أن تعمل بنفس الكفاءة قبل إصابة أحد أفرادها بالزهايمر . فلما تم حساب الناتج القومى لمرضى الزهايمر وأسرهم كانت النتيجة ١٥٠ بليون دولار فى السنة !! وهذا معناه أن بلدا مثل أمريكا لن تستطيع تحمل كل هذه الميزانية لو ارتفعت متوسطات الأعمار الى هذه الدرجة ، لذلك لابد أن يكون هناك علوم حديثة واكتشافات حديثة تكتشف وتنتج العقاقير لحل هذه المشكلة ولكن هل الدواء فقط هو الذى يحل هذه المشكلة ؟ لكن نحن كعلماء لم نصل لحل مشكلة مثل مشكلة الزهايمر ، ولكن درجة التفهم التى وصلنا إليها فى العالم المتقدم لأسباب الزهايمر تختلف عن ٢٠ سنة ، وهناك أحد العلماء الذين فازوا بجائزة نوبل كان يبحث فى هذا الموضوع خاصة مسببات هذا المرض ، والزهايمر هو فقدان للذاكرة ، فالمشكلة خطيرة وليست لها علاقة بتوتر الأعصاب والنسيان الذى يعانى منه

البعض ويقول إنه بداية الزهايمر. المشكلة أكبر من ذلك بكثير، ولكن كيف نحل هذه المشكلة وأنا لست خبيرا فى هذا الموضوع، لكننى أتابع بجدية ما يدور فى هذا الصدد، وكل الذى عرفناه من خلال كل الأعمال والأبحاث التى تمت خلال ٢٥ عامًا تقريبًا، أن هناك شيئًا مهمًا مشتركًا بين كل هذه الأمراض حيث أن البروتين الموجود بالمخ وهذا البروتين من المفروض أن يعمل بطريقة معينة، وعندما نكبر فى السن احتمال أن هذا البروتين يعمل بهذه الطريقة أولا وبعدما كان بروتينًا حيويًا يصبح مادة غير حيوية مثل الخشب مثلاً، إذن ما هو العلاج ؟ إما أن نستخدم أدوية وهى تعمل على وقف تغير هذا البروتين، الشيء الثانى الذى يفكر فيه العلماء هو كيفية إزالة تلك المواد البروتينية بعد تغيرها عن طريق إذابة الرسوبات التى حدثت.

الشئ الأخير فى علاقة الأدوية بالزهايمر أن يكون هناك دواء يمنع حدوث عملية تغيير البروتين الحيوى إلى مادة .

الشق الثانى فى الزهايمر هو مجال الخلايا الجذعية ،التى نستطيع أن نوجهها فى اتجاهات مختلفة كخلايا الكبد التى يمكن أن تعمل من جديد من داخل الجسم نفسه وتستطيع أن توقف أمراضًا كثيرة جدًا لو استطعنا أن نتوصل الى الطريقة المثلى، وكنت أستمع وأستمتع إلى الدكتور/ محمد غنيم حيث كان يعرض لى بعض الأبحاث التى تجرى فى المنصورة على استخدام الأنسولين على الفئران على أساس توجيهها لعملية الأنسولين نفسه وهى أبحاث مهمة جدًا ونحن نحتاج لهذه الموضوعات فى العلوم القوية التى تجمع بين الطبيعة والكيمياء والطب.

إننا نحاول أن نفهم التركيبة الحيوية بالنسبة للأمراض وكيف نتعامل معها على مستوى الجزىء وعلى مستوى الخلية .

هناك موضوع آخر حساس جدًا بالنسبة لـ ٥٠ سنة القادمة وهو موضوع الطاقة، الصين تحاول بقدر الإمكان أن تتربع على عرش الطاقة، الصين الآن تنمو بمعدل ١٠ إلى ٢٠٪ فى السنة.. ولكى تزيد هذا المعدل المخيف أكثر من أمريكا فهناك مشكلة تمويل الطاقة .. الصين تذهب إلى السودان وتقدر تتعامل مع حكومة السودان. الصين مهتمة جدًا بالشرق الأوسط ودول الخليج وتجد الصين تريد عمل أبحاث فى موضوع الطاقة الشمسية وغيره، فأنا فى اعتقادى أن ال ٥٠ سنة القادمة إذا لم يكن لديك الطاقة

المناسبة للتقدم وللتعدد الذى يزيد فى العالم سيكون هناك مشكلة كبيرة جدًا، وطبعًا أنواع الطاقة معلومة مثل الزيت والغاز حيث وهب الله سبحانه وتعالى العالم العربى بها حيث المخزون الإستراتيجى الموجود بباطن الأرض والذى يدر أموالا طائلة ، ولكن فى ال٥٠ سنة القادمة لابد من إيجاد تفكير فى مصادر أخرى للطاقة والتى يسمونها فى الغرب (الطاقة البديلة) ، ومصر ربنا أعطاها الطاقة الشمسية وهى متاحة تقريبًا طوال أيام السنة ولكن هل نستطيع أن نحول الطاقة الشمسية إلى طاقة حرارية لتسخين المياه؟ هل نستطيع أن نحولها لطاقة كهربائية تشغل التليفزيون والمراوح وغيرها بالطبع هذا ممكن، ولكن التكلفة كبيرة جدًا ، أنا أعتقد أن هذا سيكون من خلال أبحاث مهمة جدًا فى المرحلة القادمة وأيضًا فى الـ ٥٠ سنة القادمة هناك أبحاث كبيرة جدًا على الرياح العالمي يتحرك على كافة المحاور وفى كل الاتجاهات، لكن عندى بعض التحفظات على من يقولون إن الطاقة إما زيت وإما طاقة نووية. فلابد من تنوع الطاقة وعدم الاعتماد على نوع واحد. أنا أعتقد أن الطاقة النووية إذا حصلنا عليها فلن نحصل عليها بالكامل من الغرب ولكن سوف نحصل على طاقة نووية نستطيع من خلالها أن نولد طاقة نستخدمها فى بعض الأشياء ولذلك لابد من وجود أبحاث مهمة جدًا للطاقة البديلة مثلا الرياح والمياه ، وغيرها لأننا نستطيع أن نسبق العالم فى هذه المجالات وأنا لا أقول إن مصر لا يجب أن تشترك فى الطاقة النووية لا بالعكس تشترك وقلت ذلك أكثر من مرة ولكن أنا أرى أن بلادًا مثل فرنسا جزء كبير منها فى الطاقة النووية لكن فى بلاد أخرى تفكر بجدية فى الطاقة الشمسية، وهو موضوع مهم جدًا. وأنا أملى- بجانب التركيز على أشياء مثل الطاقة النووية- أن نقوم بالبحث عن مصادر الطاقة البديلة وأنا أعلم أن بلادا فى آسيا وحتى فى المنطقة مهتمة جدًا بموضوع الطاقة الشمسية. وأنا سمعت عن موضوع جديد وأنتم تعلمون أن البرازيل شأنها ارتفع جدًا، (والبرازيل بتأخذ (الوقود الحيوى) بتأخذ المحاصيل الزراعية وبيأخذوا مادة مثل الخميرة لكن لو وضعوا خميرة العيش فلن تعمل، ولكن بيغيروا التركيبة الجينية للخميرة) وبعدها بدأت تشتغل على أنها تحول مادة نباتية إلى كحول (إيثانول) وهو وقود نستطيع أن نضعه للسيارات ، وبدأت الفكرة تسود حيث تعمل السيارات بالإيثانول ، و اليوم البرازيل بدأت تشتغل على المحاصيل الزراعية بشكل كبير سواء من القمح أو الذرة ويستخدمون البكتريا لتحويل المادة النباتية إلى طاقة تستخدم.

وهذا موضوع كبير لدرجة أن أمريكا بدأت تفكر فيه بجدية وبعدما كانت المحاصيل تستخدم كغذاء للناس سوف تستخدم كوقود مما سيرفع سعرها ويمكن أن تتضاعف وسوف يكون تأثيرها على البيئة ضخمًا جدا لذلك لابد أن ننظر للطاقة بنظرة ورؤية الـ ٥٠ سنة القادمة مع تزايد التعداد والطاقات البديلة التى لدينا بجانب الميكروبات التى ممكن أن تستخدم فى أشياء مفيدة وتكون فى نفس الوقت آمنة .

آخر نقطة فى قراءة المشاكل العالمية فى ال٥٠ سنة القادمة هى النزاعات التى تبدو فى الأفق وهى من وجهة نظرى أربعة نزاعات أهم وأخطر هذه النزاعات أو الصراعات هى النزاعات بين الثقافات والحضارات ... ، وهناك صراع آخر هو الصراع أو النزاع بين العلم والدين وأنا أعتقد أن هذا الصراع يمثل مشكلة خطيرة جدًا ، أنا لا أرى أى نزاع أو صدام بين الدين والعلم، وأنا عشت فى المجتمع الشرقى وتربيت فى مدينتى الإسكندرية ودمنهورولم أر أن هناك أية مشكلات بين الدين والعلم ...

آخر صراع أو نزاع هو ذلك الصراع المحموم بين الدين و السياسة ...

***

لن نمل الحديث عن الإصلاح مهما ساءت الأمور وضاقت الصدور، فإطلاقا لا عودة إلى الوراء ولا وقت للبكاء على اللبن المسكوب فالطريق لا يزال طويلا شاقا والتاريخ علمنا أن العودة إلى الوراء عبر أنفاق الماضى لن تصل بنا إلا إلى مزيد من الظلام والتخبط ، أما السير فى دروب المستقبل سيصل بنا حتما إلى غد أكثر إشراقا بإذن الله لذلك فلن نعود إلى الوراء ولن نترك مستقبلنا يمر دقيقة بدقيقة ..

بيد أن غياب الرؤية جعلنا نسير فى دروب متفرقة وبات كل منا على قناعة أن رأيه هو الصواب الذى لا يحتمل الخطأ وأن رأى غيره هو الخطأ الذى لا يحتمل الصواب ، لذلك أصبحنا فرقاء.. خلافاتنا بلا سقف وبلا هدف وبلا مضمون ، إنها خلافات عقيمة يدور بعضها حول الماضى وبعضها الآخر حول اللحظة الر اهنة ، أما قضايا المستقبل فلم تكن يوما قيد البحث والدراسة لذلك لم تظهر أية بوادر خلافية لقضية لم تكن مطروحة من الأساس لقد قمنا باستهلاك كل أوقاتنا وطاقاتنا فى معارك وهمية ، وعجبا أن نجد خلافات الآخرين موضوعية وجادة وهادفة ولا تتخطى الخطوط الحمراء التى هى تحديد المصالح العليا للبلاد والأوطان. هناك دائما خطوط عريضة ومصالح عليا وأطر محددة لا يجوز الاختلاف عليها أو حولها ، هم يختلفون بحثا عن الأفضل وسعيا وراء أكبر مكاسب ممكنة وقد يختلفون حول كيفية توزيع (عوائد وغنائم) عمليات التنمية بينما نحن مختلفون حول كيفية توزيع (أعباء ومغارم) الركود والتضخم والبطالة ، باختصار هم يختلفون حول آليات الحياة والبقاء والرفاهية بينما نحن مختلفون حول آليات الموت والفناء والانتهازية ، ولكن كيف تكون البداية ؟

إن نقطة البداية والانطلاق هى البحث عن آلية فورية لجمع النخب الوطنية وأن يكون الهدف هو (التجمع) (كإخوان)، (وطنيين) فى (وفد) يجمعه (الوفاق) من

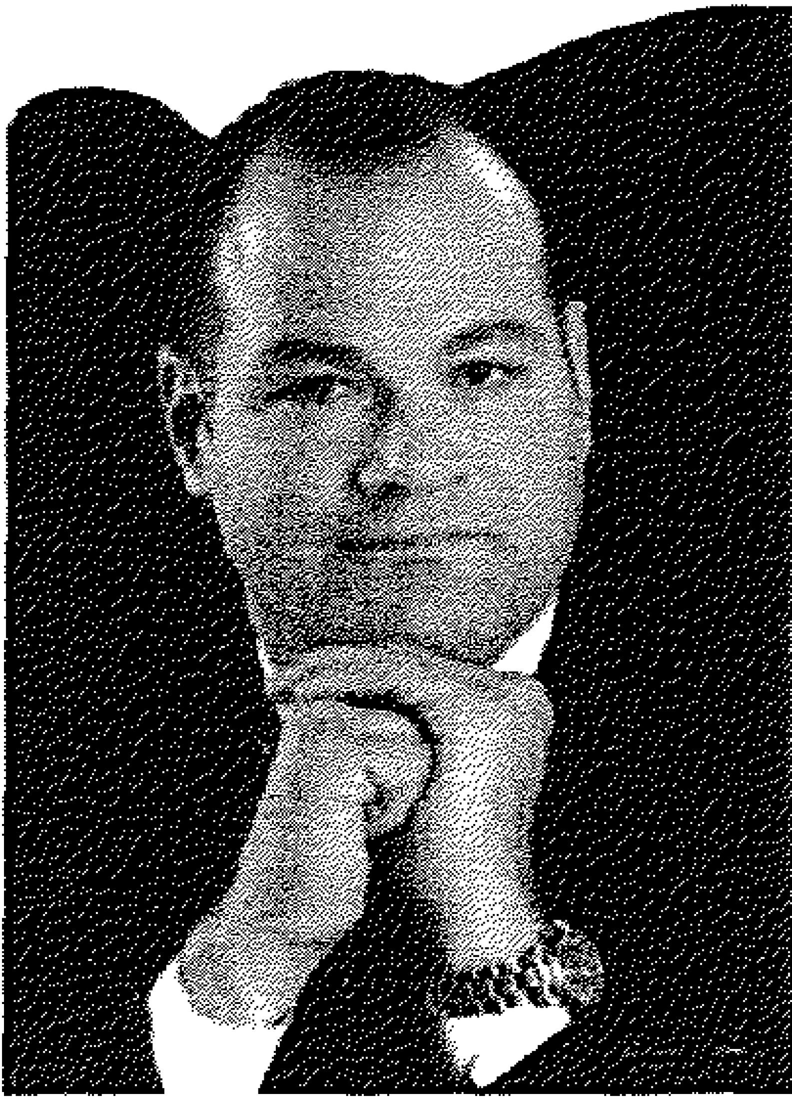
أجل (الغد). إنه تجمع من كافة التيارات والاتجاهات كقيادات طبيعية فاعلة داخل المجتمع ويتم عقد اجتماع شامل ومفتوح لكل هؤلاء.. هذا الاجتماع ليس عليه رقيب سوى الضمير الحى ، يجتمع هؤلاء كلجنة تأسيسية أو كجمعية وطنية أو تحت أية مسميات أخرى ملائمة ، ولابد أن يكون هناك اتفاق عام حول الأولويات التى يمكن أن ينطلق منها الوطن صوب المستقبل ، رغم أن التوافق العام لا يعنى التطابق التام ، لكن هناك حد أدنى من الاتفاق يبقى ضروريا لبدء أية حوارات جادة حول المستقبل ، الخطوة التالية وهى بمثابة الهدف الأساسى للاجتماع: هى تحديد (رؤية) يمكن أن يتوافق حولها الجميع ، فغياب الرؤية أو عدم وضوحها بشكل كاف يعمق الأزمة ويجعل إصلاح الحال من المحال ، وتحديد الرؤية يجب أن يكون نابعا من القراءة الصحيحة والأمينة لتوجهات المجتمع ، فعلى سبيل المثال لا يمكن تطبيق النموذج العلمانى فى مجتمع متدين بطبعه كالمجتمع المصرى ولا يمكن كذلك تطبيق نموذج الدولة الدينية فى مجتمع مدنى بطبعه رغم تدينه الشديد فالمجتمع المصرى مجتمع متدين داخل دولة مدنية حديثة ولا يمكن كذلك تطبيق المبادئ الماركسية والشيوعية لأن تلك المبادئ هى بمثابة نظريات براقة غير قابلة للتطبيق على أرض الواقع بالإضافة الى تعارضها الكامل مع مرجعيات المجتمع المصرى بكافة توجهاته وأيدلوجياته كذلك لا يمكن أن يجد نموذج الرأسمالية المتوحشة أرضا ينمو بها طالما كانت قواعد العدالة الاجتماعية معطلة !!

إذن و طالما أن نماذج الدولة الدينية والدولة الماركسية والدولة الرأسمالية والدولة التى ليس لها لون ولا طعم ولا توجه لن تنجح ولم تنجح فما هو الحل إذن ؟ ما هو النموذج المثالى الذى يمكن أن يتم تطبيقه داخل المجتمع المصرى ؟

للإجابة على هذا السؤال لابد أن نتفق أولا على أن المجتمع المصرى به ما يميزه عن غيره من المجتمعات ، فهناك حضارة لا ينكرها التاريخ وهناك مرجعيات دينية وثقافية مؤثرة وحاكمة و لا يمكن تجاهلها بأى حال من الأحوال. معنى ذلك أن ظروف المجتمع المصرى مغايرة إلى حد بعيد عن ظروف المجتمعات الأخرى ، لذلك فإن نجاح نموذج ما فى دولة ما لا يعنى بالضرورة إمكانية تطبيقه ونجاحه فى مصر ، فلكل مريض علاج يختلف فى نوعه وحجمه من شخص لآخر ، فما يمكن أن ينجح فى دولة

مثل فرنسا ليس شرطا أن ينجح فى مصر ، فالتركيبة المجتمعية تختلف وتتباين ثقافيا وفكريا ودينيا وتاريخيا ، وعلى ضوء ما سبق فإن استيراد نموذج محدد من الخارج ليتم تطبيقه فى مصر هو الخطأ بعينه ، فمصر فى حاجة إلى نموذج خاص يتلاءم مع ظروفها وخصوصياتها .. هذا النموذج لابد أن يراعى كل الاعتبارات التاريخية والعقائدية والثقافية والبيئية ..

بيد أن أقرب النماذج ملاءمة لظروف المجتمع المصرى هو ذلك النموذج الذى يؤمن بالحرية الاقتصادية المسؤلة و يساعد على حرية العمل والإنتاج والاستثمار والتحرك والانتقال ويساعد على توسيع قاعدة الملكية ويعلى من شأن الملكية الخاصة حيث الحرية الاقتصادية بمعناها الحقيقى ، إن الحرية الاقتصادية لا يمكن أن تكتمل وتؤتى ثمارا حقيقية إلا إذا تزامنت مع الإصلاح السياسى حيث الحرية و الديمقراطية وتداول السلطة واحترام إرادة الجماهير ، والجماهير لن يكون لها إرادة حقيقية إلا إذا انفكت من عقال الجهل والتخلف والمرض والبطالة ، وهنا تجدر الإشارة إلى أن تطبيق الأنظمة الرأسمالية الوطنية المسؤولة ذات الأجنحة الاجتماعية تتطابق مع نظام الاقتصاد الإسلامى الذى يحترم الملكية الخاصة ويحارب الاحتكار ويعلى من شأن المنافسة الكاملة. إننا لا يمكن أن نتجاهل أن أكثر من نصف العشرة المبشرين بالجنة من الصحابة كانوا من أصحاب رؤوس الأموال ! فالإسلام أبدا لم يكن ضد الملكية الخاصة ولم يكن ضد الثراء ولكنه كان ضد الاستغلال والاحتكار والممارسات الضارة. إن النظام الإسلامى لإدارة الاقتصاد حدد قطاعات محددة لتظل تحت إدارة الدولة فيما يسمى بالملكية العامة مثل الماء والطاقة. إن النظام الليبرالى الحر يتطابق فى جوهره مع النظام الإسلامى لإدارة الاقتصاد.. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن هذا النظام هو الأمثل للمجتمع المصرى شرط اكتمال منظومة الحريات العامة سياسيا واجتماعيا. ونترك للمتخصصين صياغة البرامج الليبرالية المصرية — إذا جاز التعبير — فالمناداة بتطبيق البرامج الليبرالية على إطلاقها قد لا يكون هو الحل الأمثل لكن لابد من إضفاء السمات المصرية على تلك البرامج ، لابد أن نسارع أفرادا وجماعات فى صياغة مشروع للنهضة الشاملة من أجلنا ومن أجل الأجيال القادمة.



المؤلف في سطور

نشأت محمد الديهي

- حصل علي بكالوريوس " اقتصاد عام " تقدير امتياز جامعة الإسكندرية عام ١٩٩٣م.

صدر للمؤلف:

- كتاب " قوانين مبعثرة " عن دار الجمهورية للنشر أبريل ٢٠٠٧م.
- كتاب مصطفي كامل شاب من مصر عن دار الجمهورية للنشر .
- كتاب محمد علي باشا بدايات قاسية ومجد عظيم .

وقريبا :

- وطن علي كرسي متحرك.
- من سرق ابتسامة الوطن ؟
- الطلاق من أول نظرة .
- نشر للكاتب ما يقرب من مائة وأربعين مقالا في معظم الصحف المصرية والعربية تدور حول القضايا الاقتصادية والسياسية الراهنة.
- مدير تحرير مجلة إنترناشونال.

الفهرس

مستقبل وطن

المشاكل والحلول كما يراها النخبة



